

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

الجزء الثاني

الفصل الأول

مكارم الأخلاق

في الإسلام

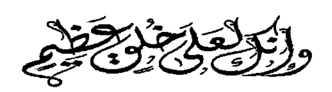
وإنك لعلى خلق عظيم

الرسول محمد ﷺ

الجزء الثاني

ما أنا عليه

وأصحابي ﷺ



إعداد وإشراف

الشيخ صفي الرحمن المباركفوري

شارك في الإعداد

أ . د محمد إبراهيم عبدالرحمن

رحمه الله تعالى

الشيخ مصطفى بن العدوي

الشيخ مهدي بن إبراهيم المبجر

الشيخ عبداللطيف بن هاجس الغامدي

الأستاذ فؤاد محمد عبدالمنعم

مجدي عبدالباقي الشريف

باحث في الإعجاز العلمي للقرآن والسنة

الأستاذ / سيد سليمان الحلواني

الناشر

شركة كندة للإعلام والنشر

وإنك لعلى خلق عظيم

حقوق التوزيع والترجمة

بتفويض من الرواد للإعلام بجدة

ت ٦٧٠٣٣٣٦ فاكس ٦٧٠٣٣٣٦

يطلب من وكلاء التوزيع

مكتبة كنوز المعرفة بجدة

دار الخزامى للنشر والتوزيع – الأردن

دار رحمة بالأسكندرية

دار المحمدي للنشر بجدة

مؤسسة الرسالة بدولة الإمارات

المجلس العلمي للنشر بالهند

المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع بالقاهرة

ت : ٤٩٩١٢٥٤ – ٥١٠٨٠٠٤

ت : ٤٩٠٠٦٠٦ – ٤٩٠٠٨٠٨

WWW.ALislamiya 4 book.com

تطلب النسخة المترجمة من

المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد

وتوعية الجاليات بشرق جدة

تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية

رقم الإيداع

٤٤٦٤ / ٢٠٠٦

رقم الإيداع الدولي

I. S. B. N

977-6195-00-8

١ مكارم التوحيد

هو الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد ذو الوحدانية والتوحيد.

قال الإمام ابن تيمية: «والتوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينًا غيره، وبه أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، كما قال الله: **﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾** [الزخرف:٤٥] وقال تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾**

[الأنبياء:٢٥]

١ ـ قال الله تعالى: **﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [آل عمران: ١٨].

◆ **والشاهد:** **﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾**.

◆ **والمعنى:** يخبر تعالى ـ وهو الجبار عز وجل ـ أنه شهد أنه لا إله إلا هو وأن الملائكة وأولي العلم يشهدون كذلك، شهادة علم وحق، قامت على مبدأ الحضور الذاتي والفعلي، وأنه تعالى قائم في الملكوت كله، علويه، وسفليه بالعدل، فلا رب غيره ولا إله سواه، العزيز في ملكه وخلقه، الحكيم في تدبيره وتصريفه، فلا يضع شيئًا في غير موضعه اللائق به، فرد بهذه الشهادة على باطل نصارى نجران، ومكر اليهود، وشرك العرب، وأبطل كل باطلهم سبحانه وتعالى.

٢ ـ وقال تعالى: **﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾**

[المؤمنون:١١٥ـ١١٧]

◆ **والشاهد**: ﴿**لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾.

◆ **والمعنى**: أي إن الله تعالى يوبخ ويؤنب الناس على إنكارهم للبعث، أنكر تعالى عليهم حسبانهم وظنهم أنهم لم يخلقوا للعبادة وإنما خلقوا للأكل والشرب والنكاح، كما هو ظن كل الكافرين، وأنهم لا يبعثون ولا يحاسبون ولا يجزون بأعمالهم، فتعالى الله الملك الحق، أي عن العبث وعن كل ما لا يليق بجلاله وكماله وقوله. ﴿**لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾. أي لا معبود بحق إلا هو ﴿**رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾. أي مالك العرش الكريم ووصف العرش بالكرم سائغ كوصفه بالعظيم، والعرش سرير الملك، وهو كريم لما فيه من الخير، وعظيم إذ هو أعظم من الكرسي، والكرسي وسع السموات والأرض، ولم لا يكون العرش كريمًا وعظيمًا ومالكه جل جلاله هو مصدر كل كرم وخير وعظمة.

٣ ـ وقال جل شأنه: ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الحشر: ٢٢ ـ ٢٤].

◆ **والشاهد**: ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**﴾.

◆ **والمعنى**: أي لا معبود بحق إلا هو، عالم الغيب والشهادة، أي السر والعلن، الموجود والمعدوم والظاهر والباطن، وهو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء الرحيم لعباده المؤمنين، الملك الذي له ملك السموات والأرض، والمدبر للأمر في الأرض والسماء، القدوس الطاهر المنزه، عن كل نقص وعيب عن الزميل والصاحبة والولد، السلام ذو السلامة من كل نقص، مفيض السلام على من شاء من عباده، المؤمن المصدق رسله بما آتاهم من المعجزات، المصدق عباده المؤمنين فيما يشكون إليه مما أصابهم، ويطلبونه ما هم في حاجة إليه من

رغائبهم وحاجاتهم، المهمين على خلقه، الرقيب عليهم، المتحكم فيهم، لا يخرج شيء من أعمالهم وتصرفاتهم عن إرادته وإذنه، العزيز الغالب على أمره، الذي لا يمانع فيما يريده، الجبار للكل على مراده وما يريده، المتكبر على خلقه وله الكبرياء في السموات والأرض والجلال والكمال والعظمة.

«سبحان الله عما يشركون» تنزه تعالى بنفسه عما يشرك به المشركون من عبدة الأوثان والأصنام، وغيرها من كل ما عبد من دونه سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾. المقدر للخلق البارئ له المصور له الصورة التي أراد أن يوجده عليها، ﴿لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾. وهي مئة اسم إلا اسمًا واحداً كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في صحيح البخاري وأسماؤه متضمنة صفاته وكل أسمائه حسنى، وكل صفاته عليا، فنزه عن صفات المحدثين، يسبح له ما في السموات والأرض من مخلوقات وكائنات، أي ينزهه ويقدسه عما لا يليق؛ وكمال حياته. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. الغالب على أمره في جميع تدبيره.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «لما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى نحو أهل اليمن، قال له: إنك تقدم على قوم، من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم، تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس». [متفق عليه]

٢ ـ عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: وإن سرق وإن زنى». [متفق عليه]

٣ ـ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاجٌّ. فقدم المدينة بشر كثير، كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة، فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى النبي ﷺ: كيف أصنع؟ قال: «اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي» فصلى رسول الله ﷺ في المسجد ثم ركب القصواء، حتى إذا استوت به ناقته على البيداء. نظرت إلى مد بصري بين يديه، من راكب وماشٍ، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به، فأهلّ بالتوحيد: «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك» وأهّل الناس بهذا الذي يهلون به، فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئًا منه، ولزم رسول الله ﷺ تلبيته، قال جابر ـ رضي الله عنه ـ لسنا ننوي إلا الحج، لسنا نعرف العمرة، حتى إذا أتينا البيت معه، استلم الركن فرمل ثلاثًا ومشى أربعًا .....». الحديث..

٤ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قدم وفد نجران فقالوا لرسول الله ﷺ، صف لنا ربك. أزبرجد؟ أم ياقوت؟ أم فضة؟.

فقال: إن ربي ليس من شيء، وأنه خلق الأشياء، فنزلت **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾**.

فقالوا: هو واحد وأنت واحد، فقال: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾**. قالوا: زدنا من الصفة قال: **﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾**. فقالوا: وما الصمد؟ قال: الذي يصمد الخلق إليه في الحوائج. فقالو: زدنا. فقال: **﴿لَمْ يَلِدْ﴾**. كما ولدت مريم، **﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾**. كما ولد عيسى، **﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾**. يريد: نظيراً من خلقه».

[رواه أحمد والترمذي والحاكم صححه]

والخلاصة

أن التوحيد الذي بعث الله به رسوله قولي وعملي.

فالتوحيد القولي: مثل سورة الأخلاص، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

والتوحيد العملي: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾. ولذا كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في ركعتي الفجر وركعتي الطواف. أو بآية ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة:١٣٦] وفي الركعة الثانية: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ [آل عمران:٦٤] فإن هاتين الآيتين فيهما دين الإسلام، وفيهما الإيمان القولي والفعلي، فقوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾. يتضمن الإيمان القولي والإسلام، وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا﴾. يتضمن الإسلام والإيمان العملي، فأعظم نعمة أنعمها الله على عباده الإسلام والإيمان وهما في هاتين الآيتين. قاله الإمام ابن تيمة رحمه الله في قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة.

* * *

٢ مكارم معرفة الله

◈هي إدراك معرفة الله عز وجل بصفاته الواجبة له، مع تنزيهه عما يستحيل اتصافه به، معرفة صحيحة ناشئة عن الأدلة اليقينية .

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: الرب تعالى يدعو عباده في القرآن الكريم إلى معرفته من طريقين:

١ ـ النظر في مفعولاته .

٢ ـ التفكر في آياته وتدبرها فتلك وهذه آياته المسموعة المعقولة.

فالنوع الأول كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]. وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ... الآية﴾. [آل عمران: ١٩٠].

الثاني: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ... الآية﴾ [النساء:٨٢].

وقوله: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص:٢٩].

فأما المفعولات فإنها دالة على الأفعال، والأفعال دالة على الصفات، فإن المفعول يدل على فاعل فعله، وذلك يستلزم وجوده، وقدرته، ومشيئته، وعلمه؛ لاستحالة صدور الفعل الاختيارى من معدوم، أو موجود لا قدرة له ولا حياة، ولا علم ولا إرادة، ثم ما في المفعولات من التخصيصات المتنوعة دال على إرادة الفاعل، وأن فعله ليس بالطبع بحيث يكون واحداً غير متكرر وما فيها من المصالح والحكم والغايات المحمودة دال على حكمته تعالى، وما فيها من النفع والإحسان

والخير دال على رحمته، وما فيها من البطش والانتقام والعقوبة دال على غضبه، وما فيها من الإكرام والتقريب والعناية دال على محبته، وما فيها من الإهانة والإبعاد والخذلان دال على بغضه ومقته، وما فيها من ابتداء الشيء في غاية النقص والضعف ثم سوقه إلى تمامه ونهايته دال على وقوع المعاد، وما فيها من أحوال النبات والحيوان وتصريف الرياح والسحاب والمياه دليل على إمكان المعاد.

١ ـ قال الله تعالى: **﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾** [النمل: ٩٣].

◆ **والشاهد: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾.**

◆ **والمعنى**: وقل الحمد لله، أمرني أن أحمده على كل ما وهبني من نعم لا تعد ولا تحصى ومن أجلها إكرامه لي بالرسالة التي شرفني بها على سائر الناس فالحمد لله والمنة له، **﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾**. أي وأعلم هؤلاء المشركين أن الله ربي سيريكم آياته في مستقبل أيامكم وقد أراهم أول آية في بدر، وثاني آية في الفتح وآخرها عند الموت يوم تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وتقول ذوقوا عذاب الحريق، وقوله تعالى: **﴿وَمَا رَبُّكَ﴾**. أي وما ربك الذي أكرمك وفضلك أيها الرسول **﴿بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾**. أيها الناس مؤمنين وكافرين، وصالحين، وفاسدين، وسيجزي كلاً بعمله، وذلك يوم ترجعون إليه، نفس الآية وعد ووعيد.

٢ ـ وقال تعالى: **﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾** [الشعراء: ٢٣ ـ ٢٨].

◆ **والشاهد**: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ﴾.

◆ **والمعنى**: هذا حوار بين موسى عليه السلام وفرعون عليه لعنة الجبار، لما قال موسى: إني رسول رب العالمين، في أول الحوار قال فرعون مستفسراً في عناد ومكابرة: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. أيْ أيّ شيء هو أو من أي جنس من الأجناس المخلوقة، فأجابه موسى عليه السلام، ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾. أي خالق السموات والأرض وخالق ما بينهما، ومالك ذلك كله ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾. بأن كل مخلوق لابد له من خالق خلقه، وهو أمر لا تنكره العقول.

وهنا قال فرعون في استخفاف وكبرياء المن حوله من رجال دولته وأشراف قومه: ألا تستمعون، كأن ما قاله موسى أمر عجب أو مستنكر فعرف موسى ذلك، فقال: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾. أي خالقكم وخالق أبائكم الأولين، الكل مربوب له خاضع لحكمه وتصرفه، اغتاظ فرعون فقال: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون، أراد أن ينال موسى؛ لأنه أغاظه بقوله: ﴿رَبُّكُمْ﴾. فرد موسى أيضًا قائلاً: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾. أي رب الكون كله ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾. أي ما تخاطبون به ويقال لكم، وفي هذا الجواب ما يتقطع له قلب فرعون.

٣ - وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٣ - ٥٤].

◆ **والشاهد**: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.

◆ **والمعنى**: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا﴾. الدالة على صدقنا وصدق رسولنا ﷺ فيما أخبرناهم به ودعوناهم إليه من الإيمان والتوحيد والبعث والجزاء وذلك في

الآفاق أي من أقطار السموات والأرض مما ستكشف عنه الأيام من عجائب تدبيره ولطائف صنعه، وفي أنفسهم أيضًا أي في ذواتهم **﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾**. من ذلك فتح القرى والأمصار، وانتصار الإسلام كما أخبر به القرآن، ووقعة بدر وفتح مكة من ذلك إلى الآن من كشوفات في الآفاق وفي أنفسهم مما أشار إليه القرآن ما هو أعجب من ذلك، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد؟ إن هذا توبيخ لهؤلاء المكذبة بإعلامهم أن شهادة الله كافية في صدق محمد ﷺ، وما جاء به - إن الله هو المخبر بذلك والآمر بالإيمان به فكيف يطالبون بالآيات على صدق القرآن ومن نزل عليه، والله المرسل للرسول ﷺ وقوله تعالى: **﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾** علمًا وقدرة وعزة وسلطانًا.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ: «القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلاف، وقلب منكوس، وقلب مصفح، فأما القلب الأجرد، فقلب المؤمن سراجه فيه نوره. فأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق، عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فأي المدنية غلبت عليه الأخرى غلبت عليه». [رواه أحمد في المسند]

٢ - وعن عائشة رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ «إذا أمرهم أمرهم من الأعمال بما يطيعون. قالوا: إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله، إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ثم يقول: إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا». [رواه البخاري]

والخلاصة

أن معرفة الله عز وجل هي أرفع المعارف وأرقاها؛ إذ بها يتفاضل الخلق أجمعين.

كما قال ابن تيمية رحمه الله، أصل التفاضل بين الناس، إنما هو معرفة الله ومحبته، وإذا كانوا يتفاضلون فيما يعرفون من المعروفات فتفاضلهم في معرفة الله وصفاته أعظم.

* * *

٣ مكارم التأمل

هو تدقيق النظر في الكائنات بغرض الاتعاظ بالتذكر، قال الكفوي: التأمل هو استعمال الفكر(١).

وقال ابن القيم: أما التأمل في القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله وهو المقصود لإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر؛ قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩]

١ ـ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة].

◆ **والشاهد من الآية** قوله: ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

◆ **والمعنى**: كما قال الجزائري:

لما أوجب الله على العلماء بيان العلم والهدى، وحرم كتمانهما، أخبر أنه الإله الواحد الرحمن الرحيم، وأن هذا أول ما على العلماء أن يبينوه للناس، وهو توحيده تعالى في ربوبيته، وعبادته وأسمائه وصفاته، ولما سمع بعض المشركين تقرير هذه الحقيقة: وإلهكم إله واحد، قالوا: هل من دليل ـ يريدون على أنه لا إله إلا الله، فأنزل الله هذه الآية ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾ الآية وهي ست آيات كونية، كل آية برهان ساطع ودليل قاطع على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته، وهي كلها موجبة لعبادته وحده دون من سواه.

---

(١) لسان العرب.

٢ ـ وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠].

◈والشاهد من الآية ﴿أَوَ لَمْ يرَ﴾ يقول صاحب أيسر التفاسير (ومازال السياق الكريم في تقرير التوحيد ووجوب تنزيه الله تعالى عن صفات النقص والعجز فقال تعالى ﴿أَوَلَمْ يرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي الكافرون بتوحيد الله وقدرته وعلمه ووجوب عبادته ـ إلى مظاهر قدرته وعلمه وحكمته في هذه المخلوقات العلوية والسفلية؛ فالسموات والأرض كانتا كتلة واحدة من سديم فخلق الله تعالى منها السموات والأرض كذا أن السماء تتفتق بإذنه عن الأمطار، والأرض تتفتق عن النباتات المختلفة الألوان والروائح والطعوم والمنافع، وأن كل شيء حي في هذه الأرض من إنسان وحيوان ونبات هو من الماء، أليست هذه كلها دالة على وجود الله ووجوب عبادته وتوحيده فيها؟).

٣ ـ وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَىٰ﴾ [طه:١٢٨].

◈والشاهد من الآية ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُم﴾ أفلم يَبِنْ لهم والمعنى: أفلم يهد لأهل مكة المكذبين المشركين أي أغفلوا فلم يهد لهم أي يتبين ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ أي أهلكنا العديد من أهل القرون الذين هم يمشون في مساكنهم ذاهبين جائين كثمود، وأصحاب مدين والمؤتفكات أهلكناهم بكفرهم ومعاصيهم فيؤمنوا ويوحدوا ويطيعوا فينجوا ويسعدوا.

٤ ـ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن

يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾

[الحج: ٥].

◈ الشاهد من الآية ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾ لما ذكر تعالى بعض أحوال القيامة وأهوالها، وكان الكفر بالبعث الأخير هو العائق عن الاستجابة للطاعة وفعل الخير، نادى الله تعالى الناس مرة أخرى ليعرض عليهم أدلة البعث العقلية لعلهم يؤمنون.

ثم يقول بعد ذلك الجزائري: إن الذين خلقهم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة يوجب العقل قدرته على إحيائهم بعد موتهم؛ إذ ليست الإعادة بأصعب من البداية..

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بت عند خالتي ميمونة فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء. والشاهد [قعد فنظر إلى السماء].

٢ ـ وعن عامر بن عبد قيس قال: سمعت غير واحد من أصحاب النبي ﷺ يقولون: إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكر(١).

(١) الدرر المنثورة ٢/٤٠٩.

والخلاصة

كما قال ابن القيم: أصل الخير والشر من قبل التفكر، فإن الفكر مبدأ الإرادة والطلب والزهد والترك والحب والبغض، وأنفع الفكر الفكر في مصالح العباد، وفي طرق اجتلابها، وفي دفع مفاسد العباد، وفي طرق اجتنابها فهذه أربعة أفكار هي أجل الأفكار.

ويليها أربع: فكر في مصالح الدنيا وطرق تحصيلها، وفكر في مفاسد الدنيا وطرق الاحتراز منها.

* * *

٤ مكارم التذكر

هو تَفَعُّلٌ من الذكر وهذا الوزن يفيد التدرج والارتقاء شيئًا فشيئًا.

قال ابن القيم: والتذكر تَفَعُّلٌ من الذكر وهو ضد النسيان وهو حضور صورة المذكور العلمية في القلب.

١ - قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا﴾

[الإسراء: ٤١]

◆ **والشاهد من الآية** قوله تعالى: ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ أي ليتذكروا فيتعظوا فيؤمنوا ويطيعوا.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧].

◆ **والشاهد من الآيات** قوله تعالى: ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ أي وقت يتذكر فيه وجاءكم النذير ﷺ فلم تجيبوا وأصررتم على الشرك والمعاصي.

٣ - وقال تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ١٣].

◆ **والشاهد من الآية** الذكرى أو قوله سبحانه: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ﴾.

◆ **والمعنى**: أي من أي وجه يكون لهم التذكر، والحال أنهم قد جاءهم رسول مبين فتولوا عنه وقالوا: معلم مجنون؟.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ وقال الرسول ﷺ: «تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا: أعملت من الخير شيئًا؟ فقال: لا، قالوا: تذكر، قال: كنت أداين الناس فآمر فتياني أن يُنظروا المعسر، ويتجاوزوا عنه قال: قال الله: تجوزوا عنه».

[البخاري ومسلم واللفظ له]

٢ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع النبي ﷺ رجلاً يقرأ في المسجد، فقال: «رحمه الله لقد ذكرني كذا وكذا آية أسقطتهن من سورة كذا وكذا».

[البخاري ومسلم]

والخلاصة

أن التذكر كما قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

أي تذكروا عقاب الله عز وجل وثوابه ووعده ووعيده، فتابوا وأنابوا واستعانوا بالله ورجعوا إليه من قريب(١).

* * *

(١) مجلد ٢ ص: ٢٩٠.

٥ مكارم الإسلام

هو إظهار القبول والخضوع لما أتى به محمد ﷺ.

قال الإمام الغزالي - رحمه الله -: اختلفوا في أن الإسلام هو الإيمان أو غيره وإن كان غيره، فهل هو منفصل عنه يوجد دونه، أو مرتبط به يلازمه، فقيل: إنهما شيء واحد، وقيل: إنهما شيئان لا يتواصلان، وقيل: إنهما شيئان، ولكن يرتبط أحدهما بالآخر.

والحق أن في هذا ثلاثة مباحث:

مبحث عن موجب اللفظين في اللغة، ومبحث عن المراد بهما في إطلاق الشرع ومبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة.

١ - قال الله تعالى: **﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [البقرة: ١٣٠ - ١٣١].

◈ **والشاهد: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ﴾.**

◈ **والمعنى**: لما ذكر تعالى في الآيات التي سبقتها مواقف إبراهيم عليه السلام السليمة الصحيحة عقيدة وإخلاصًا وعملاً صالحًا وصدقًا ووفاءً فوضح بذلك ما كان عليه إبراهيم من الدين الصحيح، قال تعالى: **﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾**. تلك الملة الحنيفية الواضحة السهلة، اللهم لا أحد يرغب عنها إلا عبد جهل قدر نفسه، ولم يعرف لها حقها في الطهارة والصفاء والإكمال والإسعاد، وضمن هذا الخبر ذكره تعالى إنعامه على إبراهيم عليه السلام و ما تفضل به عليه من الاصطفاء في الدنيا، والإسعاد في الآخرة في جملة

الصالحين، وأن ذاك الاصطفاء تم لإبراهيم عليه السلام عند استجابته لأمر ربه بالإسلام حيث أسلم ولم يتردد.

٢ - وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

والشاهد: ﴿وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾.

والمعنى: أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقول لأهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وتدعي كل طائفة منكم أنه كان على دينها مع أن اليهودية ما كانت إلا بعد نزول التوراة، والنصرانية ما كانت إلا بعد نزول الإنجيل، وإبراهيم كان قبل نزول الكتابين بمئات السنين، ما لكم تقولون بما لا يقبل ولا يعقل أفلا تعقلون؟ ثم وبخهم بما هم أهله قائلاً: لم تحاجون فيما ليس لكم به علم.

ثم أكذبهم بعد أن وبخهم فقال: ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا وإنما كان حنيفًا موحدًا مطيعًا لربه مسلمًا له ولم يكن من المشركين.

٣ - وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٩، ٢٠].

والشاهد: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾. ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾.

والمعنى: يخبر تعالى بعد أن شهد أنه لا إله إلا هو سبحانه، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، أي الدين الحق الذي لا يقبل تعالى دينًا سواه، هو الإسلام القائم على مبدأ الانقياد الكامل لله تعالى بالطاعة، والخلوص التام من سائر

أنواع الشرك فقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ﴾. في حكمه وقضائه الإسلام، وما عداه فلا يقبله ولا يرضاه ثم أخبر تعالى عن حال نصارى نجران. والمجادلين لرسوله ﷺ في شأنه تأليه عيسى بالباطل فقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾. ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. يتوعد تعالى ويهدد كل من يكفر بآياته الحاملة لشرائعه فيجحدها ويعرض عنها، فإنه تعالى يحصي عليه ذنوب كفره وسيئات عصيانه ويحاسبه بها ويجزيه وإنه لسريع الحساب؛ لأنه لا يشغله شيء عن آخر ولا يعيبه إحصاء ولا عدد، ثم يلتفت بالخطاب إلى رسول ﷺ قائلاً له: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾، يريد وفد نجران النصراني فاختصر الحجاج معهم بإظهار موقفك المؤيس لهم داعيًا إياهم إلى الإسلام الذي عرفوه وأنكروه حفاظًا على الرئاسة والمنافع بينهم فقل لهم: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾. أيضًا أسلم وجهه لله فليس فينا شيء لغير الله وقلوبنا وأعمالنا وحياتنا كلها لله فأسلموا أنتم يا أهل الكتاب ويا أميون ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾. وأعرضوا فلا يضرك إعراضهم، إذ ما كلفت إلا البلاغ وقد بلغت، أما الحساب والجزاء فهو إلى الله تعالى البصير بأعمال عباده العليم بنياتهم وسوف يجزيهم بعلمه ويقضي بينهم بحكمه وهو العزيز الحكيم.

٤ ـ وقال جل شأنه: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥، ١٢٦].

◆ **والشاهد**: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾.

◆ **والمعنى**: أعلم الله تعالى عباده أن الهداية بيده وأن الإضلال كذلك، يهدي

من يشاء برحمته ويضل من يشاء بعدله، وأن لكل من الهداية والإضلال سننًا تتبع في ذلك؛ فمن طلب الهداية ورغب فيها صادقًا علم تعالى ذلك منه وسهل له طرقها وهيأ له أسبابها. ومن ذلك أنه يشرح صدره لقبول الإيمان وأنواره، فيؤمن ويسلم ويحسن فيكمل ويسعد؛ ومن طلب الغواية ورغب فيها صادقًا علم الله تعالى ذلك منه فهيأ له أسبابها وفتح له بابها فجعل صدره ضيقًا حرجًا لا يتسع لقبول الإيمان وحلول أنواره فيه حتى لكأنه يتكلف الصعود إلى السماء وما هو بقاد. رهذه سنته في الهداية والضلال.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - عن المقداد بن عمرو - رضي الله عنه - أنه قال لرسول الله ﷺ: «أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يديّ بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله. أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتله». فقال: يارسول الله! إنه قطع إحدى يدي؛ ثم قال ذلك بعدما قطعها، فقال رسول الله ﷺ: لا تقتله، فإن قتلته، فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال». [متفق عليه]

٢ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد، قال: «اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض، ومن فيهن ولك الحمد، أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق. ووعدك الحق، ولقاؤل حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت،

وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت ». [متفق عليه]

٣ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: إن الدين يسر، ولن يشادّ الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة ». [رواه البخاري]

والخلاصة

أن الإسلام هو القبول والخضوع لما أتى به رسول الله ﷺ .

وهو كما قال حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - ثمانية أسهم: الصلاة سهم، والزكاة سهم، والجهاد سهم، وصوم رمضان سهم، وحج البيت سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، والإسلام سهم، وقد خاب من لا سهم له(١). وقد عز من تمسك بالإسلام فلا عز إلا عز الله تعالى.

* * *

(١) المصنف لابن أبي شيبة.

٦ مكارم الإيمان

هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان.

قال الراغب الأصفهاني - رحمه الله -: الإيمان يستعمل تارة في القرآن اسمًا للشريعة التي جاء بها محمد ﷺ ويصف به كل من دخل في شريعته، مقرًّا بالله وبنبوته، وتارة يستعمل على سبيل المدح، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح، ويقال لكل واحد من الاعتقاد والقول الصادق والعمل الصالح: إيمان، إلا أن الإيمان هو التصديق الذي يحصل معه الأمن(١).

١ - قال الله تعالى: **﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [آل عمران: ١٦٦].

والشاهد: ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

والمعنى: يخبر تعالى المؤمنين أن ما أصابهم يوم أحد عند التقاء جمع المؤمنين وجمع المشركين في ساحة المعركة كان بقضاء الله وتدبيره، وعلته إظهار المؤمنين على صورتهم الباطنية الحقة، وأنهم صادقون في إيمانهم. ولذا قال تعالى: وليعلم المؤمنين؛ علمَ انكشافٍ وظهور، كما هو معلوم له في الغيب وباطن الأمور.

٢ - وقال تعالى: **﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** [آل عمران: ١٧٩].

---

(١) بصائر ذوي التمييز.

◆ والشاهد: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾.

◆ والمعنى: يخبر تعالى أنه ليس من شأنه أن يترك المؤمنين على ما هم عليه؛ ففيهم المؤمن الصادق في إيمانه، والكاذب فيه وهو المنافق، بل لابد من الابتلاء بالتكاليف الشاقة منها كالجهاد، والهجرة والصلاة والزكاة، وغير الشاقة من سائر العبادات حتى يميز الخبيث من الطيب، حتى يميز الكاذب وهو المنافق من المؤمن الصادق وهو الطيب الروح. وذلك أن الله لم يكن من سنته في خلقه أن يطلعهم على الغيب فيميز المؤمن من المنافق، والبار من الفاجر، وإنما يبتلي بالتكاليف، وبناءً على هذا فآمنوا بالله ورسوله ﷺ حقَّ الإيمان فإنكم إن آمنتم صادق الإيمان واتقيتم معاصي الرحمن كان لكم بذلك أعظم الأجور وهو الجنة دار الحبور والسرور.

٣ - وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

◆ والشاهد: ﴿قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾.

◆ والمعنى: بعد أن ذكر تعالى في الآيات التي سبقتها أن الخسران لازم لمن كذب بآيات الله، وأن الذين وجب لهم العذاب لإحاطة ذنوبهم بهم لا يؤمنون لفقدهم الاستعداد للإيمان، ذكر هنا ما يخص به أهل مكة على الإيمان وعدم الإصرار على الكفر والتكذيب فقال: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا﴾. أي فهلا أهل قرية آمنوا فانتفعوا بإيمانهم فنجوا من العذاب اللازم لمن لم يؤمن أي لِمَ لا يؤمنون وما المانع من إيمانهم؟ وهذا توبيخ لهم، ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. فلم نهلكهم بعذاب استئصال وإبادة شاملة؛ لأنهم لما رأوا أمارات العذاب بادروا بالتوبة ومتعناهم إلى حين، ومتعهم بالحياة إلى حين انقضاء آجالهم فمال أهل أم القرى لا يتوبون كما تاب أهل نينوى من أرض الموصل وهم قوم يونس عليه السلام؟.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان».

[متفق عليه]

٢ ـ عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال: رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا» قال: صدقت. قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه!، قال فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت... الحديث». [متفق عليه]

٣ ـ وقال ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً». [رواه مسلم]

٤ ـ قال الرسول ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان». [رواه مسلم]

٥ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ـ وإنه ليسمع قرع نعالهم ـ أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، ـ لمحمد ﷺ ـ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له، انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله

به مقعداً من الجنة فيراهما جميعًا. وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقول: لا دريت ولا تليت. ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه من الثقلين». [متفق عليه]

٦ - ويقول ﷺ: يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً قالت عائشة رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله، النساء والرجال جميعًا، ينظر بعضهم إلي بعض؟ قال: ياعائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض». [متفق عليه]

٧ - وعن أبي - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منه شاةً، فطلبه الراعي فالتفت إليه الذئب فقال: من لها يوم السبع، يوم ليس لها راع غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه فكلمته فقالت إني لم أخلق لهذا ولكنى خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله، قال النبي ﷺ: فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما». [متفق عليه]

والخلاصة

أن الإيمان: اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح، وأنه يزيد وينقص كما اتفق أهل السنة والجماعة، وأن زيادته ذكر الله وخشيته، ونقصانه، النسيان والغفلة وأن الله تعالى اسمه المؤمن.

قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى: «المؤمن» وهو الذي يصدق عباده وعده، فهو من الإيمان (بمعنى) التصديق، أو يؤمنهم في القيامة من عذابه، فهو من الأمان، والأمن الذي هو ضد الخوف.

* * *

٧ مكارم الإحسان

فعل الحسن «فعل الإنسان ما ينفع غيره بحيث يصير الغير حسنًا به».

قال المناوي: الإحسان إسلام ظاهر، يقيمه إيمان باطن، يكمله إحسان شهودي.

قال ابن القيم - رحمه الله - الإحسان من منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. وهذه المنزلة هي لب الإيمان وروحه وكماله، وهي جامعة لما عداها من المنازل، فجميعها منطوية فيها، ومما يشهد لهذه المنزلة قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾. إذًا الإحسان جامع لجميع أبواب الحقائق، وهي أن تعبد الله كأنك تراه.

١ - قال الله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ [السجد: ٧]

◆ **والشاهد**: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

◆ **والمعنى**: الذي أحسن خلق كل مخلوق خلقه، أي جود خلقه وأتقنه وحسنه، وبدأ خلق الإنسان من طين أي وبدأ خلق آدم من طين وهو الإنسان الأول.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

◆ **والشاهد**: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.

◆ **والمعنى**: بعد إقامة الحجة على المشركين في عبادتهم غير الله وتقليدهم لآبائهم في الشرك والشر والفساد، قال تعالى مرغبًا في النجاة داعيًا إلى الإصلاح ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾. أي يقبل بوجهه وقلبه على ربه يعبده متذللاً له خاضعًا لأمره ونهيه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾. أي والحال أنه محسن في

عبادته إخلاصًا فيها لله، واتباعًا في أدائها لرسول الله ﷺ: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾. أي قد أخذ بالطرف الأوثق فلا يخاف انقطاعًا أبدًا، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾. يخبر تعالى أن مرد الأمور كلها لله تعالى؛ يقضي فيها بما يشاء. فليفوض العبد أموره كلها لله إذ هي عائدة إليه فيتخذ بذلك له يدًا عند ربه.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

والشاهد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾.

والمعنى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾. أي أن الله يأمر في الكتاب الذي أنزله تبيانًا لكل شيء، يأمر بالعدل وهو الإنصاف ومن ذلك أن يُعبَد الله بذكره وشكره؛ لأنه الخالق المنعم وتترك عبادة غيره؛ لأن غيره لم يخلق ولم يرزق ولم ينعم بشيء. ولذا فسر هذا اللفظ بلا إله إلا الله، ﴿وَالإِحْسَانِ﴾. وهو أداء الفرائض واجتناب المحرمات مع مراقبة الله تعالى في ذلك؛ حتى يكون الأداء على الوجه المطلوب إتقانًا وجودة، والاجتناب خوفًا من الله وحياءً منه.

٤ ـ وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

والشاهد: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

والمعنى: بعد أن ذكر تعالى في الآية السابقة أنه يدعو إلى دار السلام ذكر جزاء من أجاب الدعوة ومن لم يجبها. فقال للذين أحسنوا فآمنوا وعبدوا الله بما شرع ووحدوه تعالى في عبادته وربوبيته وأسمائه وصفاته، الحسنى وهي الجنة وزيادة وهي النظر إلى وجهه الكريم في دار السلام، وأنهم إذا بعثوا ﴿وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ﴾.

كما يكون ذلك لمن لم يجب دعوة الله تعالى، وقرر جزاءهم ووضحه بقوله ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله، قال: «فهل من والديك أحد حي؟» قال: نعم، بل كلاهما. قال: أفتبتغي الأجر من الله؟» قال: نعم، قال: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما». [متفق عليه]

٢ - قال الرسول ﷺ: إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته».

[رواه مسلم]

٣ - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن استجار بالله فأجيروه، ومن أتى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له، حتى تعلموا أن قد كافأتموه».

والخلاصة

إن الإحسان هو فعل ما ينفع الناس؛ بحيث يصير الإنسان حسنًا. وجمع ذلك ابن عباس - رضي الله عنهما - فقال: خمسًا، لهن أحسن من الدهم الموقفة، لا تكلم فيما لا يعنيك، فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر، ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعًا، فإنه رب متكلم في أمر يعنيه، قد وضعه في غير موضعه فعنت، ولا تمار حليمًا ولا سفيهًا، فإن الحليم يقليك، وإن السفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به، وأعفه مما تحب أن يعفيك منه، واعمل عمل رجل يرى أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالإجرام.

٨ مكارم العبادة

العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

قال ابن القيم - رحمه الله - التحقيق بمعنى قوله (إني عبدك): التزام عبوديته من الذل والخضوع والإنابة، وامتثال أمر سيده، واجتناب نهيه، ودوام الافتقار إليه، واللجوء إليه والاستعانة به، والتوكل عليه، وعياذ العبد به ولياذه به، وأن لا يتعلق قلبه بغيره محبة وخوفًا ورجاءً، وفيه أيضًا: أني عبد من جميع الوجوه: صغيراً وكبيراً حيًّا وميتًا، مطيعًا وعاصيًا، معافى ومبتلى، بالروح والقلب واللسان والجوارح، وفيه أيضًا: أن مالي ونفسي ملك لك، فإن العبد وما يملك لسيده، وفيه أيضًا، أنك أنت الذي مننت عليّ بكل ما أنا فيه، من نعمة فذلك كله من إنعامك على عبدك، وفيه أيضًا: أني لا أتصرف فيما خولتني من مالي ونفسي إلا بأمرك، كما لا يتصرف العبد إلا بإذن سيده، وإني لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشوراً، فإن صح له شهود ذلك فقد قال: إني عبدك حقيقة(١).

١ - قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [البقرة: ٢١].

◈ **والشاهد: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾.**

◈ **والمعنى**: لما ذكر الله المؤمنين المفلحين، والكافرين الخاسرين، ذكر المنافقين وهم الأخسرون وهم في الظاهر بين الفئتين، ثم على طريقة الالتفات نادى الجميع بعنوان الناس ليكون نداءً عامًّا للبشرية جمعاء في كل مكان وزمان، وأمرهم بعبادته ليقوا أنفسهم الخسران، معرفًا لهم نفسه، ليعرفوه بصفات الجلال والكمال؛ فيكون ذلك أدعى لاستجابتهم له فيعبدونه عبادة تنجيهم

---

(١) الفوائد.

من عذابه وتكسبهم رضاه وجنته، وختم نداءه لهم بنهيهم عن اتخاذ شركاء له يعبدونهم معه، مع علمهم أنهم لا يستحقون العبادة؛ لعجزهم عن نفعهم أو ضرهم.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

والشاهد: ﴿لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾.

لما جاءت البينة وهي نبي آخر الزمان باتفاقهم جميعًا على انتظاره تفرقوا فآمن بعض وكفر بعض، في حين أنهم ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾. في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم، وكذا في القرآن وعلى لسان نبيه محمد ﷺ ﴿إِلاَّ لِيَعْبُدُوا مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾. أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ بأن يؤدوها في أوقاتها بشروطها وأركانها، وآدابها ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ التي أوجب الله في الأموال لصالح الفقراء والمساكين ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ أي وهذا هو دين الملة القيمة المستقيمة الموصلة للعبد إلى رضا الرب وجنات الخلد بعد إنجائه من العذاب والغضب.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٧٢]

والشاهد: ﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾.

المعنى: أخبر تعالى أن عبده ورسوله المسيح عليه السلام لن يستنكف أبدًا أن يعبد الله وينسب إليه بعنوان العبودية فيقال عبد الله ورسوله، حتى الملائكة المقربون منهم فضلا عن غيرهم لا يستنكفون عن عبادة الله تعالى وعن لقب العبودية فهم عباد الله وملائكته، ثم توعد تعالى كل من يستنكف عن عبادته ويستكبر عنها من سائر الناس بأنه سيحشرهم جميعًا ويحاسبهم على أعمالهم.

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

والشاهد: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾.

والمعنى: شرف الله من آمن به وصدق برسالة رسله بلقب عبادي، فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، وشرفهم أيضًا بالمناجاة لأنها لا تكون إلا للقريب، وتتميز بخفض الصوت، وأعلى شرفهم أن استجاب لدعاء عباده فقال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾. وليس عليهم إلا أن يدعو، ويستجيبوا لربهم بالإيمان به وبطاعته في أمره ونهيه وبذلك يتم رشدهم ويتأهلون للكمال والإسعاد في الدارين؛ الدنيا والأخرة.

٥ ـ وقال جل شأنه: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٦-٨].

والشاهد: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾.

والمعنى: وما زال سياق تقرير عقيدة البعث وهي العقيدة التي بني عليها كل إصلاح يراد للإنسان بعد عقيدة الإيمان بالله تعالى ربًا وإلهًا، فقال ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا﴾. أعمي أولئك المنكرون بلقاء الله يوم القيامة، فلم ينظروا بعيونهم معتبرين بعقولهم إلى حجم السماء الواسع العالي الرفيع الكائن فوقهم وقد رفع بلا عمد ولا سند، وقد زينه خالقه بكواكب نَيِّرة وأقمار منيرة وشموس مضيئة، ولم ير في السماء من تصدع ولا شقوق ولا تفطر الحياة كلها أليس القادر على خلق السماء قادراً على إحياء موتى خلقهم وأماتهم بقدرته؟ أليس القادر على الخلق ابتداءً وعلى الإماتة ثانية بقادر على إحياء من خلق وأمات؟

كل ذلك زيادة بصيرة واعتبار وتفكر لمن شرف بلقب عبد ولقب منيب، فهو منيب إلى طاعة الله رجّاعٌ إلى الله.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ : « قال الله ـ عز وجل ـ أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مصداق ذلك في كتاب الله ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ». [متفق عليه]

٢ ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: « كان رسول الله ﷺ إذا رفع من الركوع قال: ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض، وملء ما بينهما. وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لامانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ».

[رواه مسلم]

٣ ـ عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: « كنت ردف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل فقال: « يا معاذ بن جبل » قلت: لبيك رسول الله وسعديك ـ ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل. قلت: لبيك رسول الله وسعديك ـ ثم سار ساعة. ثم قال: يا معاذ بن جبل ـ قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق الله على العباد؟ ـ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا » ثم سار ساعة، ثم قال: يامعاذ بن جبل ـ قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم قال: أن لا يعذبهم ».

[متفق عليه]

٤ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه سئل عن استسقاء رسول الله ﷺ فقال: إن رسول الله ﷺ خرج متبذلاً متواضعًا حتى أتى المصلى فلم يخطب خطبتكم هذه، ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع وصلى ركعتين كما كان يصلى في العيد ». [رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح]

والخلاصة

أن العبادة هي كما قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ تجمع بين أصلين: غاية الحب وغاية الذل والخضوع ؛ فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له لم تكن عابدًا له. ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدًا له حتى تكون محبًا خاضعًا. ومن ههنا كان المنكرون محبة العباد لربهم منكرين حقيقة العبودية، والمنكرون لكونه محبوبًا لهم. بل هو غاية مطلوبهم ووجهه الأعلى نهاية بغيتهم ـ منكرون لكونه إلهًا وإن أقروا بكونه ربًّا للعالمين وخالقًا لهم، فهذا الإقرار غاية توحيدهم، وهو توحيد الربوبية الذي اعترف به مشركو العرب ولم يخرجوا به عن الشرك(١).

والعبادة هي الصفة التي ينبغي أن تكون لازمة للعبد في جميع أوقاته وأحيانه، إذ بها يوصف أنه عبد، وهي الوظيفة التي لا بد من التوظف بها؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

* * *

(١) مدارج السالكين.

٩ مكارم تعظيم الحرمات

تعظيم الحرمات هو العلم بوجوبها والقيام بحقوقها.

قال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾

[الحج: ٣٠]

◆ والشاهد: ﴿يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾.

◆ والمعنى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ﴾ منكم ﴿حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ فلا ينتهكها ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ أي ذلك التعظيم لها باحترامها وعدم انتهاكها خير له ﴿عِندَ رَبِّهِ﴾ يوم يلقاه.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧].

والشاهد: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾.

والمعنى: المراد من الناس في قوله: ﴿قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ أي العرب قبل الإسلام، ومعنى قيامًا أن مصالحهم قائمة على وجود البيت يحج ويعتمر ويأمن الآتي إليه والداخل في حرمه، وكذا ﴿الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ وهي أربعة أشهر: القعدة والحجة ومحرم ورجب، وكذا ﴿الْهَدْيَ﴾ وهو ما يهدي إلى الحرم من الأنعام، وكذا ﴿الْقَلَائِدَ﴾ جمع قلادة وهي ما يقلده الهدي إشعاراً بأنه مهدى إلى

الحرم، وكذا ما يقلده الذاهب إلى الحرم نفسه من لحاء شجر الحرم إعلامًا بأنه آت من الحرم أو ذاهب إليه فهذه الأربعة: البيت الحرام، والشهر الحرام، والهدي، والقلائد، كانت تقوم مقام السلطان بين العرب، فتحقق الأمن والرجاء في ديارهم، وخاصة سكان الحرم من قبائل قريش، فهذا من تدبير الله تعالى لعباده، وهو دال على علمه وقدرته وحكمته، ولذا قال بعد ذلك: **﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾**.

٣ - وقال تعالى: **﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [التوبة: ١١٢].

◆ **والشاهد: ﴿الْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾.**

◆ **والمعنى:** لما ذكر الله أوصاف أهل البيع الذين اشترى الله سبحانه منهم أنفسهم وأموالهم، فقال **﴿التَّائِبُونَ﴾** أي من الشرك والمعاصي، **﴿الْعَابِدُونَ﴾** وهم المطيعون لله طاعة ملؤها المحبة لله تعالى والتعظيم له والرهبة منه، و**﴿الْحَامِدُونَ﴾** لله تعالى في السراء والضراء وعلى كل حال، **﴿السَّائِحُونَ﴾** وهم الصائمون كما في الحديث (سياحة أمتي الصيام) والذين يخرجون في سبيل الله لطلب علم أو غزو أو تعليم أو دعوة إلى الله تعالى ليُعبد ويوحَّد ويطاع في أمره ونهيه، **﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾** أي المقيمون الصلاة المكثرون من نوافلها كأنهم دائمًا في ركوع وسجود، **﴿الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾** وهو الإيمان بالله وتوحيده وطاعته وطاعة رسوله ﷺ **﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾** وهو الكفر به تعالى والشرك في عبادته ومعصية رسوله محمد ﷺ، و**﴿الْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾** بالقيام عليها وعملها بعد العلم بها.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ في حجة الوداع: «ألا أي شهر تعلمون أعظم حرمة؟» قالوا: ألا شهرنا هذا. قال: «ألا أي بلد تعلمون أعظم حرمة؟» قالوا: ألا بلدنا هذا. قال: «ألا أي يوم تعلمون أعظم حرمة؟» قالوا: ألا يومنا هذا. قال: «فإن الله - تبارك وتعالى - قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، ألا هل بلغت؟ (ثلاثًا)» كل ذلك يجيبونه: ألا نعم، قال: «ويحكم أو ويلكم لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض». [متفق عليه من خطبة الوداع]

٢ - وعن عائشة - رضي الله عنها - أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي ﷺ، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟، فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ، فأتى بها رسول الله ﷺ، فكلمه فيها أسامة، فتلون وجه رسول الله ﷺ، فقال: «أتشفع في حد من حدود الله؟» فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

والخلاصة

أن تعظيم الحرمات أو تعظيم محارم الله هو اجتناب ما أُمر المرء باجتنابه في حال إحرامه، تعظيمًا منه لحدود الله أن يواقعها وحرمه أن يستحلها، وهي درجات كما قسمت درجات:

١ـ تعظيم الأمر والنهي، بحيث لا يعارضا بترخص ولا تشدد.

٢ـ تعظيم الحكم أن يُبغى له عوج أو يدافَع بعلم أو يُرضى بعوض.

٣ـ تعظيم الحق سبحانه وهو أن لا يجعل دونه سببًا، ولا يرى عليه حقًّا، أو ينازع له اختياراً.

وإذا علم ذلك يلزمك اليقين بأن الموصل إلى الله هو الله. ولا يتوصل إلى رضاه إلا به، ما دل على الله إلا الله، ولا هدى إليه سواه، ولا يرى لأحد من الخلق حقًّا على الله، بل الحق لله على خلقه.

فالحق في الحقيقة لله على عبده، وحق العبد هو ما اقتضاه جوده وبره وإحسانه إليه بمحض جوده وكرمه[١].

* * *

(١) بعض كلام ابن القيم في مدارج السالكين.

١٠ مكارم الصلاة

الصلاة أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة. على تفصيل لدى المذاهب.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: والناس في الصلاة على مراتب خمس:

إحـدها: مرتبة الظالـم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدوها وأركانها.

الثانية: مرتبة من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثـالثـة: مرتبة من يحافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

والرابعـة: مرتبة من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئًا منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامسة: مرتبة من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه ـ عز وجل ـ ناظراً بقلبه إليه، مراقبًا له ممتلئًا من محبته وعظمته كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه ـ عز وجل ـ قرير العين به ـ فالقسم الأول معاقب والثاني محاسب، والثالث مكفر عنه، والرابع مثاب والخامس مقرب، من ربه ـ عز وجل.

١ - قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

◈ والشاهد: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.

◈ والمعنى: يفتح الله باب الرجاء لهم فيقول: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾. أي يعملون بحرص وشدة بما فيه من الأحكام والشرائع ولا يفرطون في شيء من ذلك، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾، وأن الله تعالى سيجزيهم على إصلاحهم لأنفسهم ولغيرهم أعظم الجزاء وأوفره، لأنه تعالى لا يضيع أجر المصلحين.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]

◈ والشاهد: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾.

◈ والمعنى: يرشد تعالى: أن العاقل يسبق إلى الخير ثم يدعو إليه، ويأمر بالاستعانة بهذين الكنزين وهما الصبر والصلاة؛ حتى يقدر المسلم على مواجهة الحقيقة والتصريح بها وهي الإيمان بمحمد ﷺ والدخول في دينه، ثم يعلمهم أن هذه المواجهة صعبة شاقة على النفس، لا يقدر عليها إلا المخبتون لربهم الموقنون بلقاء الله والرجوع إليه.

٣ - وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

◈ والشاهد: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

◈ والمعنى: لما جاء الذين تخلفوا وتابوا، فعزموا على إعطاء رسول الله ﷺ الأموال التي شغلتهم، فقال الرسول ﷺ: إني لم أومر بذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ

صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. فأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يأخذ صدقة هؤلاء التائبين لأنها ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ من ذنوبهم ومن أو ضار الشح في نفوسهم ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ أيها الرسول ﴿وبِهَا﴾ بقبولك لها ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي ادع لهم بخير، ﴿إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾. وهي هنا بمعنى الدعاء، فإذا دعا لهم سكنت قلوبهم وفرحوا، واختلف هل هي الصلاة على المتصدق باقية أو انتهت بوفاة رسول الله ﷺ؟ والصحيح أنها باقية. «فمن أخذ صدقة متصدق يصلي عليه اقتداءً برسول الله ﷺ» أي رحمة لهم وطمأنينة في نفوسهم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. لأقوالهم لما قدموا صدقتهم وقالوا: خذها يا رسول الله، عليم بنياتهم وبواعث نفوسهم فهم تائبون توبة صدق وحق.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن عائشة رضي الله عنها ـ قالت: «فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين، في الحضرو السفر، فأقرت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر».

[متفق عليه]

٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ما تقول ذلك يبقي من درنه؟ قالوا: لا يبقي من درنه شيئًا، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا». [متفق عليه]

٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم ـ وهو أعلم بهم ـ كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون». [متفق عليه]

٤ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ إذا كبر في الصلاة سكت هنيهة قبل أن يقرأ، فقلت يا رسول الله: بأبي أنت وأمي، رأيت سكوتك بين التكبير والقراءة، ما تقول، قال: «أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد».

[متفق عليه]

والخلاصة

أن الصلاة صلة بين العبد وربه، وهي الدعاء وهي الرحمة وهي عماد الدين، ولذا فقد اهتم العلماء بهذا الركن من أركان الإسلام، فقد وصفوا الهيئات والشروط والأركان.

فذكروا في الهيئات: عن أبي حميد الساعدي - رضي الله عنه - قال: كنت أحفظكم لصلاة رسول الله ﷺ، رأيته إذا كبر جعل يديه حذاء منكبيه، وإذا ركع أمكن يديه من ركبتيه، ثم هصر ظهره، فإذا رفع رأسه استوى حتى يعود كل فقار مكانه، فإذا سجد وضع يديه غير مفترش ولا قابضهما، واستقبل بأطراف أصابع رجليه القبلة، فإذا جلس في الركعتين جلس على رجله اليسرى ونصب اليمنى، وإذا جلس في الركعة الآخرة قدم رجله اليسرى ونصب الأخرى وقعد على مقعدته». [رواه البخاري]

وشروط الصحة هي: النية، الإسلام، العقل، التمييز، الوضوء أو الطهارة (من الحدثين)، ستر العورة، ودخول الوقت، استقبال القبلة. لذا لا تصح الصلاة إلا بطهارة، ولا يصح الفرض إلا بدخول الوقت، ويكون بعد ذلك الأذان والإقامة.

وكانت صفة القراءة في الصلاة كالآتي:

يقرأ بعد دعاء الاستفتاح ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ويقرأ سورتين في الركعتين، يطول في الأولى ويقصر في الثانية، ويسمع الآية أحيانًا.

وفي حديث المسيء صلاته قال: إذا قمت إلى الصلاة، فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها».

[متفق عليه]

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «علمني رسول الله ﷺ التشهد، كفي بين كفيه، كما يعلمني السورة من القرآن، وفي لفظ فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإذا قالها أصابت كل عبد صالح، في السماء والأرض، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهداً أن محمداً عبده ورسوله، ثم يتخير من المسألة ما شاء». [متفق عليه]

وهي في الجماعة أفضل، وهي السنة التي أمر بها الرسول ﷺ وواظب عليها.

قال الرسول ﷺ: «صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسًا وعشرين ضعفًا. وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه، اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة» [متفق عليه]

الذكر في الصلاة ودبر الصلاة :-

كان ﷺ إذا ركع قال: «اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي» وإذا رفع قال: «اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد» وإذا سجد قال: «اللهم لك سجدت ولك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين» ثم يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت». [رواه مسلم]

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - «أن رَفْعَ الصوتِ بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة، كان على عهد النبي ﷺ». [متفق عليه]

أما عن جبر السهو في الصلاة: فعن عبد الله بن بحينة، قال: «صلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين من بعض الصلوات، ثم قام فلم يجلس، فقام الناس معه، فلما قضى صلاته ونظرنا تسليمه: كبر فسجد سجدتين وهو جالس قبل التسليم ثم سلم». [متفق عليه]

* * *

١١ مكارم الزكاة

الزكاة اسم لأخذ شيء مخصوص من مال مخصوص على أوصاف مخصوصة لطائفة مخصوصة.

قال الفيروزآبادى: الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالى. ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية. وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ هذه المادة عامة في زكاة الأموال والأبدان، وزكاة النفس وطهارتها إشارة إلى ما يكون حلالاً لا يستوضح عقباه، ومنه الزكاة لما يخرجه الإنسان لما يكون فيه من رجاء البركة أو لتزكية النفس أي تنميتها بالخيرات والبركات، أو لهما جميعًا، فإن الخيرين موجودان فيها، وقرن الله تعالى الزكاة بالصلاة في القرآن تعظيمًا لشأنها.

١ - قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾

[المؤمنون: ١ - ٤]

◆ **والشاهد**: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾.

◆ **والمعنى**: يخبر تعالى وهو الصادق الوعد بفلاح المؤمنين وقد بين تعالى في آية آل عمران ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ معنى الفلاح، وهو الفوز بالنجاة من النار، ودخول الجنة - ووصف هؤلاء المؤمنين المفلحين بصفاتٍ مَنْ جمعَها متصفًا بها فقد ثبت له الفلاح وأصبح من الوارثين الذين يرثون الفردوس يخلدون فيها، ومن هذه الصفات ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ أي أداؤهم لفريضة الزكاة الواجبة من أموالهم الناطقة والصادقة، مثل المواشي والنقدين والحبوب والثمار، وفعلهم لكل ما يزكي النفس من الصالحات.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

◆ **والشاهد**: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾.

◆ **والمعنى**: فما أعطيتم من هبات وهدايا تريدون بها أن يرد عليكم بأكثر مما أعطيتم فهذا العطاء لايربو عند الله ولا يضاعف أجره بل ولا يؤجر عليه، ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ﴾ أي صدقات تريدون بها وجه الله ليرضى عنكم ويغفر لكم ويرحمكم ﴿فَأُوْلَئِكَ﴾ أي هؤلاء الذين ينفقون ابتغاء وجه الله ﴿هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ أي الذين يضاعف لهم الأجر والثواب.

٣ ـ وقال جل شأنه: ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى﴾ [طه: ٧٥-٧٦].

◆ **والشاهد**: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى﴾.

◆ **والمعنى**: ﴿وَمَن يَأْتِهِ﴾ أي يأت الله تعالى مؤمنًا به كافرًا بالطاغوت ﴿قَدْ عَمِلَ﴾ بشرائعه فأدى ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ أي الفرائض واجتنب المناهي ﴿فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ﴾ جزاء إيمانهم وعملهم الصالح ﴿الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾، أي الدرجات العليا في ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى﴾ أي تتطهر بالإيمان وصالح الأعمال بعد تخليه عن الشرك والخطايا والذنوب.

٤ ـ ويقول سبحان: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

◆ **والشاهد**: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

◈ والمعنى: مثل ما أنعمت عليكم بإرسال رسولي ﷺ، الذي يزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من أمور الدين والدنيا معًا، فاثبتوا على قبلتكم الحق لأتم نعمتي عليكم بهدايتكم إلى أحسن الشرائع وأقواها، ولأهيئكم لكل خير وكمال.

٥ - وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩].

◈ والشاهد: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾.

◈ والمعني: يتساءل الله متعجبًا والأمر يدعو إلى العجب، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾، إذ المفروض أن المرء لا يزكي نفسه حتى يزكيه غيره فاليهود والنصارى قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى وقالت اليهود: لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات إلى غير ذلك من الدعاوى الباطلة، ولما أنكر تعالى عليهم هذا الباطل الذي يعيشون عليه فعاقهم عن الإيمان والدخول في الإسلام وأخبر تعالى أنه عز وجل هو الذي يزكي من يشاء من عباده، وذلك بتوفيقه إلى الإيمان وصالح الأعمال التي تزكو عليها النفس البشرية فقال: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي أقل قليل فلا يزاد في ذنوب العبد ولا ينقص من حسناته، ثم أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يتعجب من حال هؤلاء اليهود والنصارى وهم يكذبون على الله تعالى، ويختلقون الكذب بتلك الدعاوى التي تقدمت آنفًا. وكفى بالكذب إثمًا مبينًا يغمس صاحبه في النار.

٦ - وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

والشـاهد: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

◆ **والمعنى**: بين الله تعالى من لهم الزكاة أو مصارف الزكاة، حتى لا يكون لأحد الطعن فيها، لذا كان ﷺ إذا طلب منه يقول: «إذا وجدنا لك في الزكاة أعطيناك»، وهي محصورة في الأصناف الثمانية:

١ - الفقراء: وهم المؤمنون الذين لا يجدون ما يسد حاجتهم الضرورية من طعام وشراب وكساء ومأوى.

٢ - المساكين: وهم الفقراء الذين لا يجدون ما يسد حاجتهم.

٣ - الموظفين فيها من سعاة جباة وأمناء وكتاب وموزعين.

٤ - والمؤلفة قلوبهم: وهم من يرجى نفعهم للإسلام والمسلمين لمناصبهم وشوكتهم في أقوامهم.

٥ - وفي الرقاب: وهو مساعدة المكاتَبين على تسديد أقساطهم ليتحرروا، أما شراء عبد بالزكاة وتحريره فلا يجوز لأنه يعود بالنفع على دافع الزكاة؛ لأن ولاء المعتوق له.

٦ - الغارمين: وهم من ترتب عليهم ديون بسبب ما أنفقوه في طاعة الله تعالى على نفسه وعائلته.

٧ - في سبيل الله: وهو تجهيز الغزاة.

٨ - ابن السبيل: وهم المسافرون ينزلون ببلد وتنتهي نفقتهم فيحتاجون.

وقوله ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ أي هذه الصدقات وقسمتها على هذا النحو جعله الله تعالى فريضة لازمة على عباده المؤمنين. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي بخلقه وأحوالهم، ﴿حَكِيمٌ﴾ في شرعه وقسمته، فلذا لا يجوز أبداً مخالفة هذه القسمة فلا

يدخل أحد فيعطى من الزكاة وهو غيرِ مذكور في هذه الآية، وليس شرطًا أن يعطي كل الأصناف فقد يعطي المرءُ زكاته كلها في الجهاد أو في الفقراء والمساكين أو الغارمين أو المكاتبين وتُجْزِئُه وإن كان الأولى أن يقسمها بين الأصناف المذكورة، من وجد منها إذ قد لا توجد كلها في وقت واحد.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - عن جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - قال: «بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم». [متفق عليه]

٢ - عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير فقلت: يارسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار، قال: «لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه. تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت» ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير، الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل»، قال ثم تلا: **﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [السجدة: ١٦، ١٧]. ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذورة سنامه؟»، قلت: بلي يا رسول الله، قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذورة سنامه الجهاد». ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟». قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: «كف عليك هذا». فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟، فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو علي مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم؟».

[رواه الترمذي وقال: حسن صحيح]

٣ ـ وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال، قال النبي ﷺ: «ليس فيما دون خمس أواق، وليس دون خمس ذوو صدقة، وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة» [متفق عليه]

والخلاصة

أن الزكاة هي النمو الحاصل عن بركة الله تعالى. ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية.

وقال الشعبى: «من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته، وضرب بها وجهه» وبها يتزن ميزان المجتمع؛ إذ جعلها الله تعالى تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، كما بين ذلك رسول الله ﷺ. فبها يحصل الأمن والأمان الاجتماعي وبها تحصل البركة ويمتحن المؤمن في ماله الذي استخلفه الله عليه، وبها يحل التراحم بدلاً من التحاسد.

* * *

١٢ مكارم الصيام

هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وسائر المفطرات يومًا كاملاً بنية الصيام من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في زاد المعاد: الصوم (الصيام) هو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار، والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئًا، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها؛ إيثاراً لمحبة الله ومرضاته، وهو سر بين العبد وربه، لا يطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده فهو أمر لا يطلع عليه بشر، وتلك حقيقة الصوم.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٣].

◆ **والشاهد**: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**﴾.

◆ **والمعنى**: لما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة وأصبحت دار إسلام، أخذ التشريع ينزل ويتوالى، ففي الآيات التي سبقت هذه الآية كان حكم القصاص والوصية ومراقبة الله في ذلك، وكان من أعظم ما يكون في المؤمن من ملكة التقوى الصيام، فأنزل الله تعالى فرض الصيام في السنة الثانية للهجرة فناداهم بعنوان الإيمان: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، وأعلمهم أنه كتب عليهم الصيام كما كتبه على الذين من قبلهم من الأمم السابقة وعلل ذلك بقوله: ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾، أي ليعدكم به للتقوى التي هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي، لما في الصيام من مراقبة الله تعالى.

٢ ـ وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢].

◆ **والشاهد**: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾.

◆ **والمعنى**: لما ذكر تعالى في الآيات التي سبقت هذه الآية قتال المنافقين متى يجوز ومتى لا يجوز ناسب ذكر قتل المؤمن الصادق في إيمانه خطأ وعمداً وبيان حكم ذلك أنه لا ينبغي لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا في حال الخطأ أما في حال العمد فلا يكون ذلك منه ولا يتأتى له وهو مؤمن لأن الإيمان نور يكشف عن مدى قبح جريمة قتل المؤمن، وماوراءها من غضب الله تعالى وعذابه، فلا يقدم على ذلك اللهم إلا في حال الخطأ فهذا وارد وواقع، وحكم من قتل خطأ أن يعتق رقبة ذكراً كانت أو أنثى مؤمنة وأن يدفع الدية لأولياء القتيل إلا أن يصدقوا بها فلا يطالبوا بها ولا يقبلوها، والدية مئة من الإبل أو ألف دينار ذهب أو اثنا عشر ألف درهم فضة.

فإن كان القتيل مؤمنًا ولكن من قوم هم عدو للمسلمين محاربين فالواجب على القاتل تحرير رقبة مؤمنة لا غير؛ إذ لا تعطى الدية لعدو يستعين بها على حرب المسلمين، وإن كان القتيل من قوم كافرين، وهو مؤمن أو كافر ولكن بيننا وبين قومه معاهدة، على القاتل تحرير رقبة، ودية مسلمة إلى أهله، فمن لم يجد الرقبة صام شهرين متتابعين فذلك توبته. لقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ عليمًا بما يحقق المصلحة لعباده حكيما في تشريعه فلا يشرع إلا ما كان نافعًا غير ضار، ومحققًا للخير في الحال والمال.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ «عن رسول الله ﷺ قال: إن الله تبارك وتعالى فرض صيام رمضان عليكم، وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه احتساباً خرج من ذنوبه، كيوم ولدته أمه». [رواه النسائي وأحمد]

٢ ـ عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ قال: «بينا أنا جالس عند رسول الله ﷺ، إذ أتته امرأة، فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية وإنها ماتت، قال: وجب أجرك وردها عليك الميراث، قالت يا رسول الله! إنه كان عليها صوم شهر، أفأصوم عنها؟ قال: صومي، قالت: إنها لم تحج قط، أفأحج عنها؟ قال: حجي عنها».

[رواه مسلم]

٣ ـ وقال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

[متفق عليه]

٤ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر فيه صياماً من شعبان.

والخلاصة

أن الصيام فرض فرضه الله على المؤمن البالغ العاقل المستطيع المقيم ورخص لغير المستطيع والمسافر بالفطر والقضاء، وأنه إمساك عن الشهوة (فرج وبطن) نهاراً كاملاً، وأن رسول الله سن قيام ليله، وأنه - أي صيام الفرض - في شهر واحد من السنة وهو رمضان.

وسن لنا رسول الله صيام عاشوراء، والاثنين والخميس، وثلاثة أيام من كل شهر عربي، الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، وبين أن خير الصيام صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وحض على صيام يوم عرفة لمن لم يكن حاجًّا، ومع يوم عاشوراء صيام ثمانية أيام من المحرم.

يقول ابن القيم - رحمه الله - وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة، وحمايتها من التخليط الجالب للمواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستضراع المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها. ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات؛ فهو من أكبر العون على التقوى، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

١٣ مكارم الحج والعمرة

أولاً الحـــج : هو قصد بيت الله إقامة للنسك فإن قصدها في غير وقت الحج كانت عمرة، وإن كان وقت الحج بنية الحج كانت حجة.

ثانيًا العمرة : هي الزيارة.

قال الغزالي - رحمه الله - في الإحياء : إن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدين، فعلى كل حاج ومعتمر أن يبدأ بالتوبة، ورد المظالم، وقضاء الديون وإعداد النفقة لكل من تلتزم نفقته إلى وقت الرجوع، ويرد ما عنده من الودائع، ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وإيابه، كما ينبغي أن يلتمس رفيقًا صالحًا محبًا للخير معينًا عليه، إن ذكر الله أعانه، وإن جبن شجعه، وإن عجز قواه، وإن ضاق صدره صبره.

١ - قال الله تعالى : **﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾** [البقرة: ١٥٨].

◆ **الشاهد** : **﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾**.

◆ **والمعنى** : يخبر تعالى مقررًا فرضية السعي بين الصفا والمروة، ودافعًا ما توهمه بعض المؤمنين من وجود إثم في السعي بينهما نظرًا إلى أنه كان في الجاهلية على الصفا صنم يقال له نائلة يتمسح به من سعى بين الصفا والمروة، فقال الله تعالى : **﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾** يعني السعي بينهما عبادة من عبادات الله إذ تُعُبِّدَ بالسعي بينهما نبيُّه إبراهيم وولدُه إسماعيلُ والمسلمون من ذريتهما، فمن حج البيت لأداء فريضة الحج أو اعتمر لأداء واجب العمرة فليسع بينهما أداءً لركن الحج والعمرة ولا إثم عليه في كون المشركين كانوا

يسعون بينهما لأجل الحجرين ثم أخبر تعالى واعداً عبادة المؤمنين أن من يتطوع منهم بفعل خير من الخيرات يجزه به ويثيبه عليه، لأنه تعالى يشكر لعباده المؤمنين أعمالهم الصالحة، ويثيبهم عليها، لعلمه بتلك الأعمال ونيات أصحابها.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٧ - ١٩٩].

◆ **والشاهد: ﴿الآيات﴾.**

◆ **والمعنى**: يبين أحكام الحج والعمرة فأخبر تعالى أن له أَشْهُرًا معلومات وهي: شوال والقعدة وعشر ليال من الحجة، فلا يُحرم بالحج إلا فيها، وأن من أحرم بالحج يجب عليه أن يتجنب الرفث والفسوق والجدال؛ حتى لا يفسد حجه أو ينقص أجره، وانتدب الحاج إلى فعل الخيرات من الصدقة وغيرها. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ ولازِمُه أنه يثيب عليه ويجزي به. وأمر الحجاج أن يتزودوا لسفرهم في الحج بطعام وشراب يكفّون به وجوههم عن السؤال فقال: وتزودوا، وأرشدهم إلى خير الزاد وهو التقوى. ومن التقوى عدم سؤال الناس أموالهم والعبد غير محتاج، وأمرهم بتقواه عز وجل، أي الخوف منه حتى لا يعصوه في أمره ونهيه فقال: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ والله أحق أن يتقى لأنه الواحد القهار، ثم أباح لهم الاتجار أثناء وجودهم في مكة ومنى فقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يريد رزقًا حلالاً بطريق التجارة المباحة

ثم أمرهم بذكر الله تعالى في مزدلفة بصلاة المغرب والعشاء والصحيح فيها وذلك بعد إفاضتهم من عرفة بعد غروب الشمس، فقال عز من قائل: **﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾** ثم ذكرهم بنعمه هداية لهم بعد الضلال الذي كانوا فيه وانتدابهم إلى شكره، وذلك بالإكثار من ذكره، فقال تعالى: **﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾**.

ثم أمرهم بالمساواة في الوقوف بعرفة والإفاضه منها فليقفوا كلهم بعرفات، وليفيضوا جميعًا منها.

٣ - وقال جل شأنه: **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾**

[آل عمران: ٩٦، ٩٧]

◈ والشاهد: **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾**.

◈ والمعني: **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾** فإنه متضمن الرد على اليهود الذين قالوا: إن بيت المقدس هو أول قبلة شرع للناس استقبالها فلِمَ يعدل محمد ﷺ وأصحابه عنها إلى استقبال الكعبة؟ وهي متأخرة الوجود فأخبر تعالى: أنه أول بيت وضع للناس هو الكعبة لا بيت المقدس وأنه جعله مباركًا يدوم بدوام الدنيا والبركة لا تفارقه فكل من يلتمسها بزيارته، وحجه والطواف به يجدها ويحظى بها، كما جعله هدى للعالمين، فالمؤمنون يأتون حجاجًا وعماراً فتحصل لهم بذلك أنواع من الهداية، والمصلون في مشارق الأرض ومغاربها يستقبلونه في صلاتهم، وفي ذلك من الهداية للحصول على الثواب وذكر الله والتقرب إليه أكبر هداية، **﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾** يريد في المسجد الحرام دلائل واضحات منها مقام إبراهيم

وهو الحجر الذي كان يقوم عليه أثناء بناء البيت، حيث بقي أثر قدميه عليه، مع أنه صخرة من الصخور، ومنها زمزم والحجر والصفا والمروة، وسائر المشاعر كلها آيات ومنها الأمن التام لمن دخله فلا يخاف غير الله تعالى: **﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾** ثم إن الأمن له، والعربُ يعيشون في جاهلية جهلاء وفوضى لا حدَّ لها. ولكن الله جعل في قلوبهم حرمة الحرم وقدسيته ووجوب أمن كل من يدخله ليحجه أو يعتمره، **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾**. لما ذكر تعالى البيت الحرام وما فيه من بركات وهدايات وأيات ألزم عباده المؤمنين به وبرسوله ﷺ، بحجه ليحصل لهم الخير والبركة والهداية ففرضه بصيغة **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ﴾** وهي أبلغ صيغ الإيجاب واستثنى العاجزين بسبب مرض أو خوف أو قلة نفقة، وهم ذوو الأعذار.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي ـ رضي الله عنه ، قال: «أتيت النبي ﷺ، وهو بعرفة، فجاء ناس أو نفر من أهل نجد فأمروا رجلاً فنادى رسول الله ﷺ: كيف الحج؟ فأمر رسول الله ﷺ رجلاً فنادى: الحج يوم عرفة، من جاء قبل صلاة الصبح من ليلة جمع فتم حجه، أيام منى ثلاثة، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه». [رواه أبو داود والترمذي]

٢ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ «وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه، فجاءه رجل فقال: لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح فقال اذبح ولا حرج، فجاء آخر فقال: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي. قال: ارم ولا حرج، فما سئل النبي ﷺ عن شيء قدم ولا أخر إلا قال: افعل ولا حرج». [متفق عليه]

٣ ـ قال الرسول ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» قيل ومابره؟ قال: إطعام الطعام وطيب الكلام». [رواه احمد]

٤ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: وقت رسول الله ﷺ لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام: الجحفة، ولأهل نجد: قرن المنازل، ولأهل اليمن: يلملم، فهن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة، فمن كان دونهن فمهله من أهله، وكذاك، حتى أهل مكة يهلون منها». [متفق عليه]

٥ ـ وتلبية رسول الله ﷺ: «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك». [متفق عليه]

والخلاصة

أن الحج والعمرة، قصد بيت الله بنية وإحرام من الميقات وعدم قرب الطيب والمخيط والنساء.

وهما ينفيان الفقر كما ينفى الكير الخبث.

ودعا أعرابي بمكة: اللهم لا تمنعني خير ما عندك بسوء ما عندي، وإن كنت لم تقبل تعبي ونصبي فلا تحرمني أجر المصاب على المصيبة.

* * *

١٤ مكارم الصدق

هو استواء السر والعلانية والظاهر والباطن بألا تكذب أحوال العبد أعماله، ولا أعماله أحواله.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ والصدق ثلاثة: قول وعمل وحال.

فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها.

والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد.

والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص. واستفراغ الوسع وبذل الطاقة. فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صديقيته. كما فعل أبو بكر رضي الله عنه.

وحقيقة الصدق في هذه الأشياء (مدخل صدق ومخرج صدق، ولسان صدق، وقدم صدق، ومقعد صدق) هو الحق الثابت المتصل بالله، الموصل إلى الله. وهو ما كان به وله من الأقوال والأعمال. وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[التوبة: ١١٩]

◈ **والشاهد**: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

◈ **والمعنى**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ باتباع أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم، وهم صادقون في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم تكونوا مع الصادقين في الآخرة مع النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وسائر النبين والصديقين والشهداء والصالحين.

٢ ـ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾

[مريم: ٤٩ ـ ٥٠].

◈ **والشاهد**: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.

◈ **والمعنى**: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ﴾. من رحمتنا وجعلنا ﴿لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾. وقوله تعالى عنهم ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾. هذا إنعام آخر مقابل الهجرة في سبيل الله، حيث جعل الله تعالى لهم لسان الصدق في الآخرة فسائر أهل الأديان الإلهية يثنون على إبراهيم وذريته بأطيب الثناء وأحسنه وهو لسان الصدق العلي الرفيع الذي حظي به إبراهيم وولداه إكرامًا من الله تعالى وإنعامًا عليهم جزاء صدق إبراهيم وصبره وبالتالي هجرته للأصنام وعابديها.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المعارج: ٢٦].

◈ **والشاهد**: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾.

◈ **والمعنى**: أي الذين يؤمنون بيوم القيامة للبعث والجزاء وبالتالي حدث لهم الإشفاق والخوف من عذاب الله عند عروض خاطر المعصية بترك واجب أو فعل محرم.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب. وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا. ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءًا من النبوة. والرؤيا ثلاثة: فالرؤيا الصالحة بشرى من الله ـ ورؤيا تحزين من الشيطان. ورؤيا

مما يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره، فليقم فليصل، ولا يحدث بها الناس». [متفق عليه]

٢ ـ قال الرسول ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا».

[متفق عليه]

٣ ـ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ في حديث الحج المشهور، قال: فلما قدمنا أمرنا النبي ﷺ أن نحل، وقال: «أحلوا وأصيبوا من النساء» قال جابر ولم يعزم عليهم، ولكن أحلهن لهم، فبلغه أنا نقول لما لم يكن بيننا وبين عرفة إلا خمس أمرنا أن نحل إلى نسائنا، فنأتي عرفة تقطر مذاكيرنا المذي قال: ويقول جابر بيده هكذا وحركها، فقال رسول الله ﷺ: قد علمتم أني أتقاكم لله وأصفاكم وأبركم ولولا هديي لحللت كما تحلون فحلوا، فلو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت. فحللنا وسمعنا وأطعنا». [متفق عليه]

والخلاصة

أن الصدق مطابقة الظاهر والباطن والسر والعلانية، وعلامته طمأنينة القلب إليه.

وهدايته إلى البر والجنة وفيه النجاة، وأنه يؤثر في القلب، وفيه صحبة النبيين والشهداء.

١٥ مكارم الأمانة

الأمانة كل ما افترض الله على العباد فهو أمانة كالصلاة والزكاة والصيام وأداء الدين، وآكدها الودائع، وآكد الودائع كتم الأسرار.

قال النيسابوري. في هامش الطبري: الأمانة هي الطاعة وهي التكليف، ثم ذكر أن التكليف هو الأمر بخلاف ما في الطبيعة، وهذا النوع ليس في السموات والأرض والجبال [(ألا وهو الاختيار) فليس للسموات والأرض اختيار واختار آدم الاختيار للمخلوق عليه من الطاعة الفطرية فبذلك كان ظلومًا جهولاً، واختارت الكائنات عدم الاختيار فارتاحت من عناء الحساب على الاختيارات] لأن السموات لا يطلب منها الهبوط، والأرض لا يطلب منها الصعود ولا الحركة، والجبال لا يطلب منها السير، وكذلك الملائكة مهتمون بالتسبيح والتقديس.

١ ـ قال الله تعالى: **﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾** [البقرة: ٢٨٣].

◆ **الشاهد: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾.**

◆ **والمعنى:** لما أمر الله تعالى بالإشهاد والكتابة في البيوع والسَلَم والقروض في الآيات السابقة، أمر هنا ـ عند تعذر الكتابة لعدم وجود كاتب أو أدوات الكتابة ـ بالرهن، وذلك بأن يضع المدين رهنًا لدى دائنه، عوضًا عن الكتابة يستوثق به دينه، هذا في حال عدم ائتمانه والخوف منه، وأما إن أمن بعضهم بعضًا فلا بأس بعدم الارتهان.

٢ ـ وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [الأنفال: ٢٧].

◆ والشاهد: ﴿لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

◆ والمعنى: لا تخونوا بإظهار الإيمان والطاعة، ومخالفتهما في الباطن وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون عظيم جريمة الخيانة وآثارها السيئة على النفس والمجتمع.

٣ - قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الدخان: ١٧-١٨].

◆ الشاهد: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

◆ والمعنى: ادفعوا إليّ عباد الله بني إسرائيل وأرسلوهم معي، إني لكم رسول أمين: أي رسول الله إليكم أمين على وحيه ورسالته.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ: «إن الله يبغض الفحش والتفحش، والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يخون الأمين ويؤتمن الخائن حتى يظهر الفحش والتفحش. وقطيعة الأرحام وسوء الجوار والذي نفس محمد بيده إن مثل المؤمن لكمثل القطعة من الذهب، نفخ عليها صاحبها فلم تغير ولم تنقص، والذي نفس محمد بيده إن مثل المؤمن لكمثل النحلة أكلت طيباً، ووضعت طيباً ووقعت فلم تكسر ولم تفسد»، قال وقال: «ألا إن لي حوضاً ما بين ناحيتيه كما بين أيلة إلى مكة» أو قال: «صنعاء إلى المدينة، وإن فيه من الأباريق مثل الكواكب، هو أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل. من شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً». [رواه أحمد وابن ماجه]

٢ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاء أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث. فقال بعض

القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال: «أين أراه السائل عن الساعة؟ قال هأنا يارسول الله. قال: فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قال كيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة». [رواه البخاري]

٣ - عن أبي زرارة عدي بن عميرة الكندي - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطًا فما فوقه، كان غلولاً يأتي به يوم القيامة، قال فقام إليه رجل أسود من الأنصار كأني أنظر إليه، فقال: يا رسول الله اقبل عني عملك، قال: وما لك؟ قال سمعتك تقول كذا، وكذا قال: وأنا أقول الآن. من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيره، فما أوتي منه أخذ، وما نهي عن انتهى.

والخلاصة

أن الأمانة خلق ثابت في النفس يعف به الإنسان عما ليس له به حق، وفي الأمانة:

١ - حب الناس وحب الله ، وهي محور الدين، وهي الخلق الذي إن لم يتصف به الإنسان فليس بمؤمن.

وبالأمانة تحفظ الأعراض، والأموال والأجسام، وبالأمانة قامت السموات والأرض.

* * *

١٦ مكارم الزهد

هو ترك راحة الدنيا؛ طلبًا لراحة الآخرة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الزهد المشروع هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة وهو فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله.

١ - قال الله تعالى: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:١٣١].

◆ والشاهد من الآية ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾.

قال الجزائري في تفسيره: (أي لا تتطلع ناظرًا إلى ما متعنا به أزواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا لنختبرهم فيه ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ أي ما لك عند الله من أجر ومثوبة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ خيرٌ في النوع وأبقى في المدة، واختيار الباقي على الفاني مطلب العقلاء.

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص:٥٥].

◆ والشاهد من الآية ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾.

وإذا سمع المؤمنون أولئك من أهل الكتابين اللغو من سفهاء الناس أعرضوا عنه ولم يلتفتوا إليه ،ولا إلى قائله وأجابوا قائلين ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ أي نتائجها حيث نجزى بها و﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾، اتركونا إنا ﴿لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ لما في ذلك من الأذى والضرر الناتج عن سلوك أهل الجهل بالله تعالى ومحابّه ومكارهه.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال رسول الله ﷺ : «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك» [رواه ابن ماجة وصححه الألباني].

٢ - وقال ﷺ : «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة» [رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم].

٣ - وعن عبد الله بن الشخير - رضي الله عنه - قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ (ألهاكم التكاثر) قال: يقول ابن آدم: مالي مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت.

[رواه مسلم: ٢٩٥٨]

والخلاصة

كما أجملها الإمام الغزالي - رحمه الله - الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها إلى ما هو خير منها، علمًا بأن المتروك حقير بالإضافة إلى المأخوذ [بستان العارفين: ٤٢].

* * *

١٧ مكارم الرضا

«هو سرور القلب بمر القضاء».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: من لزم ما يرضي الله من امتثال أوامره واجتناب نواهيه - لاسيما إذا قام بواجبها ومستحبها - فإن الله يرضى عنه، كما أن من لزم محبوبات الحق أحبه الله، كما قال في الحديث الذي رواه البخاري: من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته... الحديث.

وذلك أن الرضا نوعان:-

أحدهما الرضا بفعل ما أُمر به وترك ما نهى عنه، ويتناول ما أباحه الله من غير تعد محظور.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة:٥٩].

وهذا الرضا واجب، ولهذا ذم من تركه بقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [االتوبة:٥٨،٥٩].

النوع الثاني: الرضا بالمصائب كالفقر والمرض والذل، فهذا رضًا مستحب في أحد قوليّ العلماء وليس بواجب، وقد قيل: واجب والصحيح أن الواجب هو الصبر. [من الفتاوي ١٠/ ٦٨١-٦٨٣]

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

◆ **والشاهد: ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾.**

قال صاحب أيسر التفاسير: إن الرجل المؤمن الذي تضمنته هذه الآية هو صهيب بن سنان الرومي أبو يحيى، إذ المشركون لما علموا به أنه مهاجر إلى المدينة ليلحق بالرسول ﷺ وأصحابه قالوا: لن تذهب بنفسك ومالك لمحمد ﷺ فلن نسمح لك بالهجرة إلا إذا أعطيتنا مالك كله فأعطاهم كل ما يملك وهاجر فلما وصل المدينة ورآه رسول الله ﷺ قال له: «ربح البيع أبا يحيى ربح البيع» والآيات وإن نزلت في صهيب رضي الله عنه لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فصهيب مثل الخير والكمال لكل من يتصف بصفاته.

وقال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٦].

◆ **والشاهد قوله تعالى: ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾.**

قال الجزائري في أيسر التفاسير في تفسير هذه الآية: يهدي به الله تعالى من اتبع رضوانه وذلك بالرغبة الصادقة في الحصول على رضوان الله عز وجل بواسطة فعل مَحَابّه وترك مَسَاخِطه من كل معتقد وقول وعمل يهديه به سبل السلام أي طرق السعادة والكمال.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أناسًا من الأنصار قالوا يوم حنين: حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء، فطفق رسول الله ﷺ يعطي رجلاً من قريش المئة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله، يعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر بدمائهم، قال أنس: فحدث بذلك رسول الله ﷺ من قولهم، فأرسل إلى

الأنصار فجمعهم في (قبة من أدم) فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال: ما حديثٌ بلغني عنكم فقال له فقهاء الأنصار: أما ذوو رأينا يا رسول الله فلم يقولوا شيئًا، وأما أناس منا حديثةٌ أسنانهم قالوا: يغفر الله لرسول الله يعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم؟، فقال رسول الله ﷺ: إني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم، أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وترجعوا إلى رحالكم برسول الله؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به». فقالوا: بلى يا رسول الله، قد رضينا قال: فإنكم ستجدون أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض، قالوا: سنصبر.

[رواه البخاري ومسلم واللفظ له]

٢ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها» [رواه مسلم].

والخلاصة

جمعها ابن القيم في مدارج السالكين بعد أن ساق حديثين:ـ

الأول:ـ قوله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً».

والثاني:ـ قوله: «من قال حين يسمع النداء رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً غفرت له ذنوبه».

قال رحمه الله: الحديثان عليهما مدار مقامات الدين وإليهما ينتهي، وقد تضمنا الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته والرضا برسوله والانقياد له، والرضا بدينه والتسليم له، ومن اجتمعت له هذه الأربع فهو الصديق حقًا، وهي

سهلة بالدعوى باللسان، وهي من أصعب الأمور عند حقيقة الامتحان.

ويستمر رحمه الله قائلاً: فالرضا بإلهيته يتضمن الرضا بمحبته وحده، وخوفه ورجائه، والإنابة إليه، والتبتل إليه.

والرضا بنبيه رسولاً يتضمن تمام الانقياد به والتسليم المطلق إليه بحيث يكون أولى به من نفسه.

وأما الرضا بدينه فإذا قال، أو حكم، أو أمر، أو نهى رضي كل الرضا ولم يَبْقَ في قلبه حرج من كلمة وسلم له تسليماً ولو كان مخالفًا لمراد نفسه أو هواه أو قول مقلده أوشيخه وطائفته.

* * *

١٨ مكارم الكرم

هو إنفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر، الكثيرة النفع (كما في تهذيب الأخلاق).

قال الجرجاني في التعريفات: هو إفادة ما ينبغي لا لغرض فمن يهب المال لغرض جلبًا للنفع، أو خلاصًا عن الذم فليس بكريم، فالكريم من يوصل النفع بلا عوض.

١ - قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧]

◆ **والشاهد من الآية** ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

◆ **والمعنى**: إن كانت علة هذا التكذيب من هؤلاء المشركين هي إنكارهم للبعث والجزاء - وهو كذلك - فلِمَ لا ينظرون إلى الأرض الميتة بالقحط ينزل الله تعالى عليها ماءً من السماء فتحيا به بعد موتها؟ فينبت الله فيها من كل زوج أي صنف من أصناف النباتات كريم أي حسن، أليس في ذلك آية على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، وبعثهم من قبورهم، وحشرهم للحساب والجزاء؟ فلِمَ لا ينظرون؟.

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

◆ **والشاهد**: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾.

◆ **والمعنى**: لما حرم الله تعالى الشرك ونهى عنه رسوله بقوله: ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً﴾ أمر بالتوحيد فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أي حكم

وأمر ووصى ألا تعبدوا إلا إياه أي بألا تعبدوا إلا الله عز وجل وقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وأوصى بالوالدين وهما الأم والأب إحسانًا وهو برهما وذلك بإيصال الخير إليهما وكف الأذى عنهما، وطاعتهما في غير معصية الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي إن يبلغ سن الكبر واحد منهما الأب أو الأم أو يكبران معًا وأنت حي موجود بينهما في هذه الحال يجب أن تخدمهما خدمتهما لك وأنت طفل فتغسل بولهما وتطهر نجاستهما وتقدم لهما ما يحتاجان إليه ولا تتضجر أو تتأفف من خدمتهما كما كانا هما يفعلان ذلك معك وأنت طفل تبول وتخرأ وهما يغسلان وينظفان ولا يتضجران أو يتأففان ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ أي جميلاً سهلاً لينًا يشعران معه بالكرامة والإكرام لهما (١).

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ: «أنا أول الناس خرجًا إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر». [رواه الترمذي وقال حسن غريب في الصحيح ومعناه]

٢ - وقال الرسول ﷺ: «إن الكريم يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها».

[رواه الحاكم وصححه العراقي]

٣ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قيل للنبي ﷺ من أكرم الناس؟ قال: «أكرمهم أتقاهم، قالوا يانبي الله ليس عن هذا نسألك قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله، قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: أفعن معادن العرب تسألونني؟ قالوا: نعم، قال: فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا». [رواه البخاري ومسلم]

(١) أيسر التفاسير ص: ٧٩٨.

والخلاصة

كما لخصها الإمام الغزالي وهو يفسر اسم الله الكريم يقول: والكريم من أسماء الله تعالى، هو الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يبالي كم أعطى، ولمن أعطى، وإن رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى، وإذا جفي عاتب، ولا يضيع من لاذ به والتجأ ويغنيه عن الوسائط والشفعاء، فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف فهو الكريم المطلق وذلك لله سبحانه فقط.

* * *

١٩ مكارم الجود

الجودة إفادة ما ينبغي لا لعوض ولا لغرض.

وقال الجرجاني: الجود صفة مبدأ إفادة ما ينبغي لا لعوض، فلو وهب واحد كتابه (لمن هو) من غير أهله أو من أهله لغرض دنيوي أو أخروي لا يكون جواداً.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الإنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٥-١٧].

◆ **والشاهد من الآيات قوله**: ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ﴾.

◆ **والمعنى**: أن الله تعالى يحب من عبده أن يعبده ويشكره ليكرمه في دار كرامته يوم لقائه، وإعلام الله تعالى عباده بأنه بالمرصاد يراقب أعمالهم دلالته على أنه يخوفهم من معاصيه، ويرغبهم في طاعته واضحة، فتلخص من ذلك أن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر وأنه يحب لهم الشكر فأما الإنسان فماذا يحب وماذا يكره.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الإنسَانُ﴾ [وهو المشرك وأكثر الناس مشركون] ﴿إِذَا مَا ابْتَلاهُ﴾ [أي اختبره] ﴿رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ [بالمال والولد والجاه ونعمه بالأرزاق والخيرات لينظر الله هل يشكر أو يكفر] ﴿فَيَقُولُ﴾ مفاخراً ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [أي فضلني على غيري لما لي من فضائل ومزايا لم تكن لهؤلاء الفقراء] ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ﴾ [ضيق] ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [لينظر الله تعالى هل يصبر العبد المختبر أو يجزع] ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [أي أذلني فأفقرني].

وقوله تعالى ﴿كَلاَّ﴾ لا فارتدعوا أيها المكابرون الذين يقيسون الأمور كلها بمقاييس المادة.

فالله جل جلاله يوسع الرزق؛ اختباراً للعبد هل يشكر نعم الله عليه فيذكرها ويشكرها بالإيمان والطاعة. ويضيق الرزق امتحانًا هل يصبر العبد لقضاء ربه أو يجزع، وإنما أنتم أيها الماديون ترون أن في التوسعة إكرامًا وفي التضييق إهانة، كلا ليس الأمر كذلك، ونظريتكم المادية هذه أتتكم من حبكم الدنيا واغترراكم، بها ويشهد بذلك إهانتكم لليتامى وعدم إكرامهم لضعفهم وعجزهم أمامكم وعدم الاستفادة المادية منهم، وشاهد آخر أنكم لا تحضون أنفسكم ولا غيركم على طعام المساكين وهم جياع أمامكم[١].

٢ - وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧].

◆ **والشاهد من الآيات** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ أي جاد بما عنده.

◆ **والمعنى**: فأما من أعطى حق الله في المال فأنفق وتصدق في سبيل الله واتقى الله تعالى فآمن به وعبده ولم يشرك به[٢].

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال رسول الله ﷺ: «هل منكم من أحد أطعم اليوم مسكينًا؟ فقال أبو بكر - رضي الله عنه -: دخلت المسجد فإذا أنا بسائل يسأل، فوجدت كسرة خبز في يد عبد الرحمن فأخذتها منه فدفعتها إليه». [رواه أبو داود]

٢ - وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يومًا

(١)، (٢) أيسر التفاسير.

فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله. قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقك في شيء أبداً». [رواه أبو داود وحسّنه الألباني]

والخلاصة

أن الجود إفادة ما ينبغي لا لغرض ولا عوض كما كان يفعل ﷺ كما وصفته عائشة رضوان الله عليها كان أجود ما يكون في رمضان، وأعلى الجود الجود بالنفس كما قال الشاطبي في الموافقات.

* * *

٢٠ مكارم الرجاء

تأمل الخير وقرب وقوعه.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ الرجاء وهو النظر إلى سعة رحمة الله.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

والشاهد من الآية: ﴿وَتَرْجُونَ﴾.

والمعنى: لا تضعفوا في طلب العدو لإنزال الهزيمة به، ولا تتعللوا في عدم طلبه بأنكم تألمون لجراحاتكم ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ من النصر والمثوبة العظيمة ﴿مَا لا يَرْجُونَ﴾ فأنتم أحق بالصبر والجلد والمطالبة بقتالهم حتى النصر عليهم.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

الشاهد: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو﴾.

والمعنى: يأمل وينتظر لقاء ربه؛ خوفًا منه وطمعًا فيه ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ وهو مؤمن موقن ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، فإن الشرك محبط للعمل مبطل له، وبهذا يكون رجاؤه صادقًا وانتظاره صالحًا صائبًا.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «ألا أخبركم بخيركم من شركم؟» قال فسكتوا: فقال ذلك ثلاثًا، فقال رجل: بلى. يا رسول الله أخبرنا بخيرنا من شرنا، قال: «خيركم من يرجى خيره، ويؤمن شره؛ وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره».

[رواه الترمذي وقال: حسن صحيح]

٢ ـ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة». [رواه الترمذي وقال: حسن]

والخلاصة

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ الرجاء هو عبودية، وتعلق بالله من حيث اسمه: البر المحسن فذلك التعلق والتعبد بهذا الاسم، والمعرفة بالله: هو الذي أوجب للعبد الرجاء من حيث يدري ومن حيث لا يدري. فقوة الرجاء على حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته، وغلبة رحمته غضبه، ولولا روح الرجاء لعطلت عبودية القلب والجوارح، وهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً. بل لولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة. ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات(١).

(١) مدارج السالكين ١/٤٣ ـ ٤٤.

٢١ مكارم الورع

هو ترك ما يريبك، ونفي ما يعيبك والأخذ بالأوثق، وحمل النفس على الأشق.

قال الراغب: الورع عبارة عن ترك التسرع إلى تناول أعراض الدنيا. وقال ابن تيمية: هو الورع عما قد تخاف عاقبته وهو ما يعلم تحريمه وما يشك في تحريمه وليس في تركه مفسدة أعظم من فعله وكذلك الاحتيال بفعل ما يشك في وجوبه لكن على هذا الوجه(١).

١ - قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾** [الأعراف: ٢٠١].

◈ **والشاهد من الآية ﴿تَذَكَّرُوا﴾.**

◈ **والمعنى:** **﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾** أى ربهم فلم يشركوا به أحداً ولم يفرطوا في الواجبات ولم يغشوا المحرمات هؤلاء **﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾** بأن نزغهم بالإثارة من غضب أو شهوة تذكروا أمر الله ونهيه ووعده ووعيده، **﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾** يرون قبيح المعصية وسوء عاقبة فاعلها فكفوا عنها ولم يرتكبوها.

٢ - وقال تعالى: **﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾** [الزمر: ٢٣].

◈ **والشاهد:** قوله تعالى: **﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾.**

---

(١) الفتاوى ١٠/٥١١-٥١٢.

◆**والمعنى**: هذه الآية نزلت لما قال أصحاب الرسول ﷺ: حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾ وهو القرآن ﴿**كِتَابًا مُّتَشَابِهًا**﴾ أى يشبه بعضه بعضًا فى حسن اللفظ وصحة المعانى، ﴿**مَّثَانِيَ**﴾ أى يثنى فيه الوعد والوعيد والأمر والنهي والقصص، ﴿**تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ**﴾ أي عند سماع آيات الوعيد ﴿**ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ**﴾ عند سماع آيات الوعد وتطمئن قلوبهم إذا سمعن الأدلة والحجج والبراهين ﴿**إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ أي القرآن وذكر الله بوعده ووعيده وأسمائه وصفاته.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال رسول الله ﷺ: «فضل العلم خير من فضل العبادة، وخير دينكم الورع».

[الحاكم وقال على شرطهما ووافقه الذهبي]

٢ - عن وابصة بن معبد صاحب رسول الله ﷺ قال: جئتُ إلى رسول الله ﷺ أسأله عن البر والإثم، فقال: «جئت تسأل عن البر والإثم؟». قلت والذي بعثك بالحق ما جئتك أسألك عن غيره، فقال: «البر ما انشرح له صدرك والإثم ما حاك في صدرك وإن أفتاك عنه الناس» [رواه أحمد (٤/٢٢٧)]

والخلاصة

ما نقله ابن القيم رحمه الله عن شيخه ابن تيمية رحمه الله قال: تمام الورع أن يعلم الإنسان خير الخيرين وشر الشرين، ويعلم أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة الشرعية، والمفسدة الشرعية فقد يدع

واجبات ويفعل محرمات ويرى ذلك من الورع، كمن يدع الجهاد مع الأمراء الظلمة ويرى ذلك ورعًا، ويدع الجمعة والجماعة خلف الأئمة الذين فيهم بدعة أو فجور ويرى ذلك من الورع، ويمتنع عن قبول شهادة العباد وأخذ علم العالم لما في صاحبه من بدعة خفية، ويرى ترك قبول سماع هذا الحق - الذي يجب سماعه - من الورع[1].

* * *

(١) الفوائد ١٠/٥١٢ .

٢٢ مكارم البشاشة

البشاشة طلاقة الوجه، أو هي سرور يظهر في الوجه يدل به على ما في القلب من حب اللقاء والفرح بالمقابلة.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

[القيامة: ٢٢، ٢٣]

والشاهد: ﴿نَّاضِرَةٌ﴾.

والمعنى: قال ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ أي مضيئة مشرقة لأن أرواح أصحابها كانت في الدنيا مشرقة بنور الإيمان وصالح الأعمال.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤].

والشاهد: كلمة ﴿نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾.

والمعنى: تعرف حسنه وبريقه وتلألؤه.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «ما توطن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر إلا تبشبش الله له كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم».

[رواه ابن ماجة وقال في الزوائد صحيح]

٢ ـ وقال ﷺ: «كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك» [رواه الترمذي وقال حسن وأصله عند البخاري]

والخلاصة

كما قال ابن مفلح ـ رحمه الله تعالى ـ على المسلم أن ينزه نفسه عن كل وصف مذموم شرعًا أو عقلاً أو عرفًا كـ (غل وحقد وحسد ونكد وغضب وعجب وخيلاء ورياء وهوى وغرض سوء وقصد رديء ومكر وخديعة) ومجانبة كل مكروه لله تعالى، وإذا جلست مجلس علم أو غيره فاجلس بسكينة ووقار وتَلَقَّ الناسَ بالبشرى والاستبشار(١).

* * *

(١) الآداب الشرعية (٣/٥٥٦).

٢٣ مكارم حسن الخلق

هو سلامة النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال.

◆ قال الغزالي - رحمه الله - في الإحياء: الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعًا سميت تلك الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقًا سيئًا.

١ - قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [ن: ٤].

◆ **والشاهد**: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

◆ **والمعنى**: هذا أيضًا داخل في حيز المقسم عليه وهو أن النبي محمداً ﷺ لعلى خلق عظيم، أي أدب عظيم؛ حيث أدبه ربه، فكيف لا يكون أكمل الخلق أدبًا وسيرةً؟ وما خوطب به في القرآن من مثل ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، ومثل ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ ومثل ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ إلى غير ذلك من الآداب الرفيعة التي أدب الله بها رسوله مما جعله أكمل الناس أدبًا وخلقًا - وقد سئلت عائشة عن خلق النبي ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن، وقال هو عن نفسه أدبني ربي فأحسن تأديبي، وقال: «إنما بعثت لأكمل مكارم الأخلاق».

٢ - وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٣-٣٤].

◈والشاهد: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

◈والمعنى: بشر الله تعالى أهل الإيمان بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾. ثم ثنى بالبشرى الثانية فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾. وهذه ثلاثة شروط:

١ ـ دعوته للحق (إلى الله تعالى).

٢ ـ عمل الصالحات.

٣ ـ فاخر بالإسلام معتزاً به.

ويدخل في هذا أولاً: الرسل، وثانيًا: العلماء، وثالثًا: المجاهدون، ورابعًا: المؤذنون، وخامساً: الدعاة الهداة المهديون.

وقال ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ﴾ هذا تقرير إلهي يجب أن يعلم وهو أن الحسنة لا تستوي مع السيئة وأن السيئة لا تستوي مع الحسنة؛ فالإيمان لا يساوى بالكفر، والتقوى لا تساوى بالفجور، والعدل لا يساوى بالظلم.

كما أن جنس الحسنات لا يتساوى، وجنس السيئات لا يتساوى، بل يتفاضل؛ فصيام رمضان لا يتساوي بصيام رجب أو محرم تطوعًا، وسيئة قتل المؤمن لا تستوي مع شتمه أو ضربه، وقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. أي بعد أن عرفت يا رسولنا عدم تساوي الحسنة مع السيئة إذًا فادفع السيئة بالخصلة التي هي أحسن من غيرها ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾ قد انقلب في بره بك واحترامه لك واحتفائه بك كأنه ابن عم لك يحبك ويحترمك ولما كانت هذه الخصلة وهي الدفع بالتى هي أحسن لا تتأتى إلا لذوي الأخلاق الفاضلة والنفوس الكاملة الشريفة.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله ـ عز وجل ـ يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه» قالوا: وما بوائقه يا نبي الله؟ قال: غشمه وظلمه. ولا يكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق به فيقبل منه، ولا يترك خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار. إن الله ـ عز وجل، لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث.». [رواه أحمد]

٢ ـ وقال الرسول ﷺ: «إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد». [رواه مسلم]

٣ ـ عن عائشة رضي الله عنها ـ قالت: «ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط، إلا أن تُنتهك حرمة الله فينتقم بها لله».

[متفق عليه]

والخلاصة

أن حسن الخلق هو نتاج حسن الباطن وهو البشاشة في اللقاء وبذل المعروف وكف الأذى.

وفيه كثرة الحياء ـ وقلة الأذى، وكثرة الإصلاح، وصدق اللسان، وقلة الكلام، وكثرة العمل، وقلة الزلل، قلة الفضول ويصير وصّالاً، بارًّا وقوراً صبوراً شكوراً، رضيًّا حليمًا، رفيقًا عفيفًا شفيقًا، وليس خلاف ذلك.

٢٤ مكارم التبتل

هو الانقطاع إلى الله في العبادة وإخلاص النية انقطاعًا يختص به - أو هو الانقطاع عن النكاح.

قال ابن القيم - رحمه الله -: التبتل يجمع أمرين: اتصالاً وانفصالاً، لا يصح إلا بهما.

فالانفصال: انقطاع قلبه عن حظوظ النفس، المزاحمة لمراد الرب منه، وعن التفات قلبه إلى سوى الله، خوفًا منه، أو رغبة فيه، أو مبالاة به، أو فكرًا فيه، بحيث يشغل قلبه عن الله.

والاتصال: لا يصح إلا بعد الانفصال. وهو اتصال القلب بالله، وإقباله عليه، وإقامة وجهه له، حبًّا وخوفًا ورجاءً، وإنابة وتوكلاً(١).

١ - قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ [المزمل: ٨].

◆ **والشاهد**: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾.

◆ **والمعنى**: دم على ذكره ليلاً ونهاراً على أي وجه من تسبيح وتهليل وتحميد وانقطع إليه في العبادة وفي طلب الحاجة وفي كل ما يهمك.

٢ - وقال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

◆ **والشاهد**: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾.

◆ **والمعنى**: يخبر تعالى رسوله بأنه تعالى مالك السموات والأرض وما بينهما والمتصرف فيهما فكل شيء له بيده وفي قبضته، وعليه فاعبده أيها الرسول بما أمرك واصطبر وتحمل لها المشاق فإنه لا إله إلا هو.

---

(١) مدارج السالكين ٣١.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أُذن له لاختصينا. [رواه البخاري ومسلم]

وهذا في شأن التبتل المذموم.

ومن أقوال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ قال: أخلص له إخلاصًا. [رواه الطبراني]

والخلاصة

يقول العلامة النيسابوري: فصّل المولى أشرف الأعمال عند قيام الليل في شيئين: ذكر اسم الرب، والتبتل إليه والانقطاع إلى الله بالكلية، والأول مقام السالك والثاني مقام المشاهد، فالأول كالأثر والثاني كالعين(١).

* * *

(١) غرائب القرآن ـ هامش الطبري ٢٩ / ٧٠ .

٢٥ مكارم البكاء

هو إراقة الدموع من أثر الخوف من الله أو للتعبير عن حزن في الفؤاد.

وقد ذهب العلماء إلى القول بأن البكاء إنما يكون عند تلاوة القرآن، يقول القرطبي: ينبغي لمن قرأ سجدة أن يدعو فيها بما يليق بآياتها، فإن قرأ سورة السجدة: «ألم» تنزيل قال: اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك، المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك وإن قرأ «خروا سجداً وبكيًا» قال: اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم، المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك»(١).

١ ـ قال الله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

والشاهد: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾.

والمعنى: عندما يسمعون القرآن لا يسجدون فحسب بل يخرون يبكون ويزيدهم سماع القرآن وتلاوته خشوعًا في قلوبهم واطمئنانًا في جوارحهم؛ لأنه الحق سمعوه من ربهم.

٢ ـ وقال الله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢]

والشاهد: قوله تعالى: ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾.

والمعنى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً﴾ في الدنيا بما يحصل لهم من مسرات ظاهراً ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ في الآخرة، يوم القيامة لما ينالهم من الحرمان والعذاب، وذلك كان ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الشر والفساد.

---

(١) تفسير القرطبي ١١/ ٨١.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ : «طوبى لمن ملك نفسه ووسعه بيته وبكى على خطيئته».

[رواه الطبراني في الأوسط والصغير وحسن إسناده]

٢ ـ وقال ﷺ : «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم».

[الترمذي وقال: حسن صحيح، والنسائي وابن ماجه]

٣ ـ وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فبماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي؛ فإنه من يعش منكم ير اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ».

[رواه الترمذي وقال حسن صحيح، وأبو دواود وابن ماجه]

والخلاصة

كما استخلصها يزيد بن ميسرة: والبكاء من سبعة أشياء: البكاء من الفرح، والبكاء من الحزن، والفزع، والرياء، والوجع، والشكر، وبكاء من خشية الله، فذلك الذي تطفئ الدمعة منها أمثال البحور من النار(١).

* * *

(١) رواه ابن نعيم في الحلية ١٠/ ١١٨.

٢٦ مكارم العلم

هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، قال الكفوي: المعنى الحقيقي للفظ العلم هو الإدراك ولهذا المعنى متعلق هو المعلوم، وله تابع في الحصول يكون وسيلة إليه في البقاء وهو الملكة، وقد أطلعه لفظ العلم على كل منها إما حقيقة عرفية، أو اصطلاحية أو مجازاً مشهورة؛ وقال في موضع آخر: العلم يقال لحصول صورة الشيء عند العقل وللاعتقاد الجازم الثابت والإدراك الكلي والإدراك المركب.

١ - قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

◆ **والشاهد قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.**

فمن أدلة وجوده سبحانه، الإحياء بعد الموت، والإماتة بعد الإحياء، ومن أدلة كرمه وقدرته أن خلق الناس في الأرض جميعًا لتوقف حياتهم عليه، وخلق السموات السبع، وهو مع ذلك كله علمه محيط، بكل شيء سبحانه لا إله إلا هو ولا رب سواه.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣].

◆ **والشاهد: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾.**

◆ **والمعنى**: يخبر تعالى أنه المعبود بحق في السموات وفي الأرض لا إله غيره ولا رب سواه ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ من خير وشر، فهو تعالى

---

(١) الكليات ٦١١.

فوق عرشه، بائن من خلقه، ويعلم سر عباده وجهرهم، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لذا وجبت الرغبة فيما عنده من خير، والرهبة مما لديه من عذاب، ويحصل ذلك لهم بالإنابة إليه وعبادته والتوكل عليه.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». [رواه مسلم ١٦٣١]

٢ ـ وقال ﷺ: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه، قال: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد بمظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر ـ أو كلمة نحوها ـ وأحدثكم حديثًا فاحفظوه، قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقًّا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقًّا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء».

[رواه الترمذي ٢٣٢٥، وأصله في مسلم]

والخلاصة

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ في بيان العلم الذي هو فريضة على كل مسلم: اختلفت عبارات الناس في بيان العلم المفروض، والصحيح أن يقال: هو علم معاملة العبد لربه وهو يدخل في باب الاعتقاد والأفعال.

وهذا العلم المفروض ينقسم إلى قسمين: فرض عين: وهو ما يتعين وجوبه على الشخص من توحيد الله ومعرفة أوامره وحدوده في العبادات والمعاملات التي يحتاج إليها، وفرض كفاية: وهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام الدنيا. كالطب والحساب وأصول الصناعات، وكالفلاحة والحياكة والحجامة، فلو خلا البلد عَمَّن يقوم بهذه العلوم والصناعات أثم أهل البلد جميعًا، وإذا قام بها واحد فقط وكفاهم سقط الإثم عن الباقين، والتعمق في مثل هذه العلوم يعد فضلة، لأنه يستغنى عنه.

ومن العلوم ما يكون مباحًا، كالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها، ومنها ما يكون مذمومًا، كعلم السحر والطلسمات. وأما العلوم الشرعية فكلها محمودة، وتنقسم إلى: أصول، فروع، مقدمات ومتممات[1].

* * *

(١) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة.

٢٧ مكارم الاعتبار

هو النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالاتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها.

وقيل الاعتبار هو التدبر وقياس ما غاب على ما ظهر.

قال الجرجاني: الاعتبار: أن يرى الدنيا للفناء، والعاملين فيها للموت، وعمرانها للخراب، وقيل: الاعتبار: اسم من العبرة، وهي رؤية فناء الدنيا كلها باستعمال النظر في فناء جزئها(١).

١ ـ قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ**﴾ [النحل:٦٦].

◆ **والشاهد**: ﴿**لَعِبْرَةً**﴾.

◆ **والمعنى**: أي حالاً تعبرون بها من الجهل إلى العلم.. من الجهل بقدرة الله ورحمته ووجوب عبادته بذكره إلى العلم بذلك والمعرفة به، فتؤمنوا وتوحدوا وتطيعوا، وبيّن وجه العبرة العظيمة فقال: ﴿**نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ**﴾ أي بطون الذكور من الأنعام من بين فرث ودم لَبَنًا فسبحان ذي القدرة العجيبة والعلم الواسع والحكمة التي لا يقادر قدرها؛ اللبن يقع بين الفرث والدم، فينتقل الدم إلى الكبد فتوزعه على العروق لبقاء حياة الحيوان، واللبن يساق إلى الضرع والفرث يبقى أسفل الكرش، ويخرج اللبن خالصًا من شائبة الدم وشائبة الفرث، فلا يرى ذلك في لون اللبن، ولا يشم في رائحته، ولا يوجد في طعمه؛ بدليل أنه سائغ للشاربين، فلا يغص به شارب ولا يشرق به، حقًّا! إنها

(١) التعريفات ٣٠.

عبرة من أجلّ العبر تنقل صاحبها إلى نور العلم والمعرفة بالله في جلاله وكماله، فتورثه محبة الله وتدفعه إلى طاعته والتقرب إليه.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

◆ **والشاهد**: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾.

◆ **والمعنى**: أي كان في قصص الرسل مع أممهم بذكر أخبارهم وتلبيات أحوالهم من نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين عبرة يعتبر بها المؤمنون فيثبتون على إيمانهم ويواصلون تقواهم لربهم بأداء فرائضه واجتناب نواهيه.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد زانية فأصبحوا يتحدثون. تُصُدِّق الليلة على زانية. قال اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون، تُصُدِّق على غني، قال الحمد لله على غني، لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق. فأصبحوا يتحدثون، تُصُدِّق على سارق. فقال: اللهم لك الحمد على زانية وعلى غني وعلى سارق. فأتى. فقيل له: أما صدقتك فقد قبلت. أما الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها ـ ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله، ولعل السارق يستعف بها عن سرقته».

[رواه مسلم ١٠٢٢]

٢ ـ وقال ﷺ: «كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإن فيها عبرة».

[رواه أحمد والحاكم]

والخلاصة

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ: اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب، ليستثمر منهما معرفة ثالثة. ومثاله أن من مال إلى العاجلة، وآثر الحياة الدنيا، وأراد أن يعرف أن الآخرة أولى بالإيثار من العاجلة فله طريقان:

أحدهما: أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالإيثار من الدنيا فيقلده، ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الأمر، فيميل بعمله إلى إيثار الآخرة اعتماداً على مجرد قوله، وهذا يسمى تقليداً ولا يسمى معرفة.

والطريق الثاني: أن يعرف أن الأبقى هو أولى بالإيثار، ثم يعرف أن الآخرة أبقى، فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإيثار، ولا يمكن تحقق بأن الآخرة أولى بالإيثار إلا بالمعرفتين السابقتين(١).

* * *

(١) الإحياء ٤/٤٢٥ ـ ٤٢٦.

٢٨ مكارم داوم الذكر

هو قول سبحان الله وفي التنزيل: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: ٤١].

قال ابن حجر: التسبيح يعني قول سبحان الله، ومعناه: تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريك، والصاحبة والولد وجميع الرذائل؛ ويطلق التسبيح ويراد به جميع ألفاظ الذكر وجماع معناه.

١ - قال الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

◆ **والشاهد** ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

◆ **والمعنى**: قال أبو إسحق: قيل إن كل ما خلق الله يسبح بحمده وإن صرير السقف وصرير الباب من التسبيح، فيكون على هذا الخطاب للمشركين وحدهم ﴿وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ وجائز أن يكون تسبيح هذه الأشياء بما الله به أعلم لا نفقه منه إلا ما عَلَّمَنَاه، قال: وقال قوم ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ أي ما من دابة إلا وفيها دليل أن الله - عز وجل - خالق حكيم مبرأٌ من الأسواء ولكنكم أيها الكفار، لا تفقهون أثر الصنعة في هذا المخلوقات، وقال أبو إسحق: وليس هذا بشيء؛ لأن الذين خوطبوا بهذا كانوا مقرين بأن الله خالقهم وخالق السموات والأرض ومن فيهن، فكيف يجهلون الخلقة وهم عارفون بها؟ قال الأزهري: ومما يدلك على تسبيح هذه المخلوقات تسبيحًا تُعُبِّدَتْ به، قول الله - عز وجل - للجبال: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠]. ومعنى أوبي: سبحي مع داود النهار كله إلى الليل، ولا يجوز معنى أمر الله - عز وجل - للجبال بالتأويب إلا تعبداً لها، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ

تر أنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ [الحج:١٨]. فسجود هذه المخلوقات عبادة منها لخالقها لا نفقهها عنها كما لا نفقه تسبيحها.

٢ - وقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

والشاهد قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾.

والمعنى: هذا النداء الكريم من رب رحيم يوجه إلى المؤمنين الصادقين ليعلمهم ما يزيد به إيمانهم ونورهم، ويحفظون به من عدوهم وهو ذكر الله، فقال تعالى لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ لا حد له ولا حصر؛ إذ هو الطاقة التي تساعد على الحياة الروحية. ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾ بصلاة الصبح وصلاة العصر. وبقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر دبر كل صلاة من الصلوات الخمس.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون، ولا يتغوطون ولا يمتخطون» قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد، كما يلهمون النفس». [رواه مسلم ٢٨٣٥]

٢ - وقال الرسول ﷺ: «إن لله - تبارك وتعالى - ملائكة سيارة، فضلاً يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء. قال: فيسألهم الله عز وجل، وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك

ويحمدونك ويسألونك. قال: وما يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي رب. قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك. قال ومِمّ يستجيروني؟ قالوا: من نارك يا رب. قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا، قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقول: قد غفرت لهم. فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا. قال: فيقولون ملك من الملائكة: رب، فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم! قال فيقول: وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم». [رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم]

والخلاصة

أن التسبيح ورد في القرآن على نحو من ثلاثين وجهًا، منها للملائكة ومنها لنبينا محمد ﷺ، ومنها لغيره من الأنبياء، ومنها للحيوانات والجمادات، ومنها للمؤمنين خاصة، ومنها لجميع الموجودات.

أما التي للملائكة:

١ـ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٦].

٢ـ دعوة الملائكة في حال الخصومة ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]

٣ـ تسبيحهم الدائم من غير سآمة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

٤ـ تسبيحهم المعرى عن الكسل ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]

٥ـ تسبيحهم المقترن بالسجدة ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

٦ـ تسبيحهم المقترن بتسبيح الرعد على سبيل السياسة والهيبة ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣].

٧ـ أن حملة العرش والكرسي في حال الطواف بالعرش والكرسي مستغرقون في التسبيح والاستغفار ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

وأما التي لنبينا محمد ﷺ:

١ـ تسبيح مقترن بسجدة اليقين والعبادة ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٨، ٩٩]

٢ـ تسبيح في طرفي النهار مقترن بالاستغفار ﴿اسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥].

٣ـ تسبيح في بطون الدياجر والخلوة ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٦].

٤ـ تسبيح في الابتداء والانتهاء حال العبادة ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٨، ٤٩].

٥ـ تسبيح بالطلوع والغروب لأجل الشهادة ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

٦ـ تسبيح دائم لأجل الرضا والكرامة ﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠]

٧ـ تسبيح لطلب المغفرة ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣].

وأما التي للأنبياء:

فالأول لزكريا علامة على ولادة يحيى ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾

[آل عمران: ٤١]

٢- في وصيته لقومه محافظة على وظيفة التسبيح ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

٣- في موافقة الجبال، والظباء والحيتان، والطيور لداود في التسبيح ﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨].

٤- في نجاة يونس من ظلمات البحر وبطن الحوت ببركة التسبيح ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣].

أما التي لخواص المؤمنين:

١- أمر الله تعالى لهم بالجمع بين الذكر والتسبيح ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

٢- في ثناء الحق تعالى على قوم إذا ذكروا الله تجدهم سجدوا له وسبحوا ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٥].

٣- في أناس يتخذون في المساجد مجالس ويواظبون على التسبيح والذكر ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧]

أما التي في الحيوانات والجمادات:

١ـ في أن كل نوع من الموجودات مشتغل بنوع من التسبيحات **﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾** [الإسراء: ٤٤].

٢ـ في أن الطيور في الهواء مصطفة لأداء ورد التسبيح **﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾** [النور: ٤١].

وأما التي للعامة:

١ـ على العموم في تسبيح الحق على الإحياء والإماتة **﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾** [الحديد: ١، ٢].

٢ـ في أن كل شيء في تسبيح الحق على إخراج أهل الكفر وإزعاجهم **﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾** [الحشر: ١، ٢].

٣ـ أن الكل في التسبيح، ومن خالف فعله مستحق للذم والشكاية **﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾** [الصف: ١، ٢].

٤ـ في أن التسبيح للقدس والطهارة **﴿سَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾** [الجمعة: ١].

٥ـ في أن الكل في التسبيح على تحسين الخلقة والصورة.

٦ـ في الملامة والتعيير من أصحاب ذلك النسيان بعضهم لبعض من جهة التقصير في تسبيح الحق تعالى.

٢٩ مكارم ترتيل القرآن

ويراد بترتيل القرآن: تلاوته تلاوة تبين حروفها ويتأنى في أدائها ليكون أدنى إلى فهم المعاني.

قال ابن حجر: يراد بترتيل القرآن تلاوته تلاوة تبين حروفها ويتأنى في أدائها ليكون (ذلك) أدنى إلى فهم المعاني.

وهو القراءة بتؤدة واطمئنان وإخراج كل حرف من مخرجه وإعطاؤه حقه ومستحقه مع تدبر المعاني.

مراتب التلاوة: ثلاث: هي

الترتيل والحدر والتدوير وأضاف بعضهم مرتبة رابعة هي التحقيق، وزاد آخرون مرتبة خامسة أطلقوا عليها (الزمزمة) وقد جاء في القرآن الكريم الحث على الترتيل خاصة وهو أفضل الأنواع.

١ - قال الله تعالى: **﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: ١٥١].

◆ **والشاهد قوله: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾.**

◆ **والمعنى**: فاثبتوا على قبلتكم الحق لأتم نعمتي عليكم بهدايتكم إلى أحسن الشرائع وأقومها، ولأهيئكم لكل خير وكمال مثل ما أنعمت عليكم بإرسال رسولي ﷺ يتلو عليكم آياتي ليزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون.

٢ - وقال تعالى: **﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾** [آل عمران: ١٦٤].

◆ والشاهد أيضًا ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾.

◆ والمعنى: يمن الله على العرب وبالأخص المؤمنين ببعثه الرسول ﷺ فيهم، يتلو عليهم آيات الله فيؤمنون ويكملون في إيمانهم ويزكيهم من أوضار الشرك وظلمة الكفر بما يهديهم به.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ: «احشدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن»، فحشد من حشد. ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم دخل. فقال بعضنا لبعض: إني أرى هذا خبراً جاءه من السماء فذاك الذي أدخله. ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: «إني قلت لكم: سأقرأ ثلث القرآن. ألا إنها تعدل ثلث القرآن». [رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم]

٢ - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ عليّ» قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «نعم» فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٤١]. قال: «حسبك الآن»، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان. [متفق عليه]

والخلاصة

قول كعب - رضي الله عنه - عليكم بالقرآن فإنه فهم العقل ونور الحكمة وينابيع العلم وأحدث الكتب بالرحمن عهداً وقال في التوراة: (يا محمد) إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً.

[رواه الدارمي]

٣٠ مكارم الرحمة

هي إرادة إيصال الخير.

قال الجوهري: الرحمة: الرقة والتعطف، وتراحَمَ القومُ: رحِم بعضهم بعضًا. (الصحاح للجوهري).

١ ـ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٤].

◆ **والشاهد**: ﴿فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾.

◆ **والمعنى**: فلولا فضل الله عليكم من أنه رحمكم وصبر عليكم لكنتم من الخاسرين.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام:١٣٣].

◆ **والشاهد**: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾.

◆ **والمعنى**: ﴿الْغَنِيُّ﴾ سبحانه عن كل ما سواه فغناه تعالى ذاتي ليس بمكتسب كغنى غيره ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ صاحب الرحمة العامة التي تشمل سائر مخلوقاته والخاصة بالمؤمنين من عباده.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ وقال الرسول ﷺ: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه ـ أو صاحبه ـ: يرحمك الله، فإذا قال يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم». [رواه البخاري ومسلم]

٢ ـ وقال ﷺ: «لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي». [رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم]

والخلاصة

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: إن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه وشقت عليها. فهذه هي الرحمة الحقيقية. فأرحم الناس من شق عليك في إيصال مصالحك، ورفع المضار عنك. فمن رحمة الأب بولده أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به وإن ظن أنه يرحمه ويرفهه ويريحه، فهذه الرحمة مقرونة بجهل ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين، تسليط أنواع البلاء على العبد، فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته: من رحمته به.

***

٣١ مكارم اليسر

اليسر هو عمل فيه لين وسهولة وانقياد أو هو رفع المشقة والحرج عن المكلف بأمر من الأمور.

قال الجوهري: يقال يسره الله لليسرى: أي وفقه لها.

١ - قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والشاهد: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾.

والمعنى: أن الله تعالى وضع أصلاً لشريعته وهو التيسير، ودرأ الحدود بالشبهات؛ فما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا.

٢ - وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧]

والشاهد: ﴿يَسَّرْنَاهُ﴾

والمعنى: سهلناه، سهلنا قراءته عليك إذ أنزلناه بلسانك.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ: «اهجوا قريشًا. فإنه أشدّ عليها من رشق النبل» فأرسل إلى ابن رواحة، فقال: «اهجهم» فهجاهم فلم يرض. فأرسل إلى كعب بن مالك فهجاهم فلم يرض كذلك، فأرسل إلى حسان ثابت. فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه - فجعل يحركه - فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم. فقال

رسول الله ﷺ : « فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسبًا . حتى يلخص لك نسبي » فأتاه حسان . ثم رجع فقال : يارسول الله قد لخص لي نسبك . والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين . قالت عائشة : لحسان، إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله، وقالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : « هجاهم حسان فشفى وأشفى » .

فقال مما قال حسان :

وقال الله : قد يسّرت جنداً　　　هم الأنصار عرضتها اللقاء

٢ ـ وقال ﷺ : « إن من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها » .

[رواه أحمد الحاكم وقال على شرط مسلم]

والخلاصة

كما قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : جمع الله عز وجل في هذه الشريعة بين كونها حنيفية وكونها سمحة فهي حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل[١] .

* * *

(١) إغاثة اللهفان ١ /١٥٨ .

٣٢ مكارم الشجاعة

الشجاعة هي الإقدام على المكاره والمهالك عند الحاجة إلى ذلك، وثبات الجأش عند المخاوف مع الاستهانة بالموت.

قال ابن حزم - رحمه الله -: هي بذل النفس للذَّوْد عن الدين أو الحريم أو عن الجار المضطهد أو عن المستجير المظلوم، وعمن هُضم ظلماً في المال والعرض، وسائر سبل الحق سواء قل من يعارض أو كثر(١).

وقال الأبشيهي - رحمه الله تعالى -: اعلم أن الشجاعة عماد الفضائل ومَنْ فقدها لم تكمل فيه فضيلة. ويُعبر عنها بالصبر وقوة النفس.

قال الحكماء: وأصل الخير كله في ثبات القلب. والشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه:

والوجه الأول: إذا التقى الجمعان. وتزاحف العسكران وتكاحلت الأحداق بالأحداق، برز من الصف إلى وسط المعترك يحمل ويكر وينادي هل من مبارز.

والثاني: إذا نشب القوم واختلطوا، ولم يدر أحد منهم من أين يأتيه الموت يكون رابط الجأش، ساكن القلب، حاضر اللب، لم يخالطه الدهش، ولا تأخذه الحيرة فيتقلب تقلب المالك لأموره.

والثالث: إذا انهزم أصحابه يلزم الساقة، ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم، ويقوي قلوب أصحابه، ويزجي الضعيف، ويمدهم بالكلام الجميل، ويشجع نفوسهم، فمن وقع أقامه، ومن وقف حمله، ومن كبا به فرسه حماه حتى ييأس العدو منهم، وهذا أحمدهم شجاعة.

---

(١) مداواة النفس.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥].

◈ **والشاهد**: ﴿فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ أي لا تنهزموا أمامهم فتفروا فتولوهم أدباركم.

◈ **والمعنى**: كان الحديث عن غزوة بدر، ولا يزال السياق في الحديث عن هذه الغزوة وما فيها من جلائل النعم، وفيض الحكم، ففي أولى هذه الآيات ينادي الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾ أي أنتم وإياهم زاحفون إلى بعضكم البعض ﴿فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ أي لا تنهزموا أمامهم فتعطوهم أدباركم فتمكنوهم من قتلكم، إنكم أحق بالنصر منهم، وأولى بالظفر والغلب؛ إنكم مؤمنون وهم كافرون فلا يصح منكم انهزام أبداً.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]

◈ **والشاهد**: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا﴾ أي لا تضعفوا ولا تحسّروا.

◈ **والمعنى**: لما حدث ما حدث من انكسار المؤمنين بسبب عدم الصبر والطاعة اللازمة للقيادة، ذكر الله تعالى الأحداث مقرونة بفقهها لتبقى هدى وموعظة للمتقين المؤمنين ثم ذكر من بينها ﴿وَلا تَهِنُوا﴾ أي لا تضعفوا فتقعدوا عن الجهاد والعمل، ولا تحزنوا على ما فاتكم من رجالكم، ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ أي الغالبون لأعدائكم المنتصرون عليهم، وذلك فيما مضى وفيما هو آت مستقبلاً بشرط إيمانكم وتقواكم.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣].

◆ والشاهد: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ أي اقتلوهم قتل الشجعان لا يهابون الموت.

◆ والمعنى: لما طهرت الجزيرة من الشرك وأصبحت دار إسلام وهذا في أخريات حياة النبي ﷺ وذلك بعد غزوة تبوك أمر الله تعالى المؤمنين بأن يواصلوا الجهاد في سبيله بعد وفاة النبي ﷺ، وأرشدهم إلى الطريقة التي يجب أن يتبعوها في ذلك وهي: أن يبدءوا بدعوة وقتال أقرب كافر منهم والمراد به الكافر المتاخم لحدودهم كالأردن أو الشام أو العراق مثلاً فيعسكروا على مقربة منهم ويدعوهم إلى خصلة من ثلاث: الدخول في الإسلام أو قبول حماية المسلمين لهم بدخولهم البلاد وضرب الجزية على القادرين منهم مقابل حمايتهم وتعليمهم وحكمهم بالعدل والرحمة الإسلامية أو القتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم فإذا ضمت أرض هذا العدو إلى بلادهم وأصبحت لهم حدود أخرى فعلوا كما فعلوا أولاً وهكذا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، فتسعد البشرية في دنياها وآخرتها.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يحبهم الله - عز وجل - وثلاثة يبغضهم الله - عز وجل - أما الذين يحبهم الله - عز وجل - فرجل أتى قوما فسألهم بالله - عز وجل - ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم فمنعوه فتخلفه رجل بأعقابهم، فأعطاه سراً، لا يعلم بعطيته إلا الله - عز وجل - والذي أعطاه، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به نزلوا، فوضعوا رءوسهم، فقام رجل يتملقني، ويتلو آياتي، ورجل كانوا في سرية فلقوا العدو فهزموا، فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح الله له. والثلاثة الذين يبغضهم الله - عز وجل - الشيخ الزاني، والفقير المختال، والغني الظلوم». [رواه النسائي والحاكم وصحيح على شرط الشيخين]

٢ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس ولقد فزع أهل المدينة، فكان النبي ﷺ سبقهم على فرس وقال: «وجدناه بحراً». [متفق عليه واللفظ للبخاري]

٣ ـ عن العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه. ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين. فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبل الكفار، قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ، أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أي عباس! نادِ أصحاب السَّمُرة» فقال عباس: وكان رجلاً صيّتًا فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها. فقالوا: يا لبيك يا لبيك. فاقتتلوا والكفار والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار قال: ثم قصرت الدعوة إلى بني الحارث بن الخزرج! فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله ﷺ: «هذا حين حمي الوطيس» قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات، فرمى بهن وجوه الكفار. ثم قال: «انهزموا ورب محمد» قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى. قال: فوالله! ما هو إلا أن رماهم بحصيات. فمازلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبراً. [متفق عليه]

والخلاصة

قالت الحكماء: أصل الخيرات كلها في ثبات القلب، ومنه تستمد جميع الفضائل وهو الثبوت والقوة على ما يوجبه العدل والعلم. والجبن غريزة يجمعها سوء الظن بالله تعالى، والشجاعة يجمعها حسن الظن بالله تعالى[1].

* * *

(١) سراج الملوك ٢/٦٦٧.

٣٣ مكارم الشهامة

الشهامة هي الحرص على ما يوجب الذكر الجميل في العظائم. وقال بعضهم هي الحرص على الأمور العظام توقعًا للذكر الجميل. وقال الفراء: الشهم من كلام العرب الحمول الجيد القيام بما حُمِّل، الذي لا تلقاه إلا حمولاً طيب النفس بما حمل وفي الحديث: كان شهمًا أي نافذًا في الأمور ماضيًا.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه. عن رسول الله ﷺ أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فائتني بالكفيل. قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت، فدفعها إليه على أجل مسمى. فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبه يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركبًا. فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها ثم أتى بها البحر. فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانًا ألف دينار، فسألني كفيلاً، فقلت كفى بالله كفيلاً، فرضي بك وسألني شهيداً فقلت: كفى بالله شهيداً فرضي بذلك. وإني جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها. فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس إلى مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال. فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال: والله مازلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما

وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه. قال: هل كتبت إليّ بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرف بالألف دينار راشداً. [رواه البخاري]

٢ ـ وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر، يتوارى فقلت: ما لك يا أخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني فيردني، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة. قال: فعرض على رسول الله ﷺ فردّه فبكى فأجازه، فكان سعد ـ رضي الله عنه ـ يقول: فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة. [أخرجه البزار ورجاله ثقات]

٣ ـ عن سليمان بن بلال ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه جميعًا الخروج معه، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فأمر أن يخرج أحدهما فاستهما، فقال خيثمة بن الحارث لابنه سعد ـ رضي الله عنهما ـ إنه لابد لأحدنا أن يقيم، فأقم مع نسائك، فقال سعد: لو كان غير الجنة لآثرتك به، إني أرجو الشهادة في وجهي هذا. فاستهما، فخرج سهم سعد، فخرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر، فقتله عمرو بن عبد ود[١].

والخلاصة

أن الشهامة هي مفتاح الخير كله، إليك ما فتح الله به على المعتصم لما استغاثت به امرأة وقالت: وامعتصماه، فبلغه الخبر فركب لوقته وتبعه الجيش، ففتح عمورية.

(١) أسد الغابة ٢ / ٢٧٥ .

٣٤ مكارم اليقين

هو سكون الفهم مع ثبات الحكم(١).

قال أبو بكر الوراق ـ رحمه الله ـ اليقين على ثلاثة أوجه: يقين خبر، ويقين مشاهدة، ويقين دلالة. يريد بيقين الخبر، سكون القلب إلى خبر المخبر ووثوقه به، ويقين الدلالة ما هو فوقه وهو أن يقيم له مع وثوقه بصدقه الأدلة على ما أخبر به وهذا كعامة الأخبار بالإيمان والتوحيد وهو القرآن، فإنه سبحانه مع كونه أصدق القائلين الصادقين يقيم لعباده الأدلة والبراهين على صدق أخباره، فيحمل لهم اليقين من الوجهين، من جهة الخبر ومن جهة التدليل، فيرتفعون من ذلك إلى الدرجة الثالثة، وهي يقين المكاشفة بحيث يكون المخبر به كالمرئي لعيونهم، فنسبة الإيمان بالغيب إلى القلب كنسبة المرئي إلى العين وهذا أعلى أنواع اليقين(٢).

١ ـ قال الله تعالى: **﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾** [المائدة: ٥٠].

◆ **والشاهد: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.**

◆ **والمعنى:** أنكر الله تعالى على اليهود طلبهم حكم أهل الجاهلية حيث لا وحي ولا شريعة من عند الله وإنما العادات والأهواء والشهوات معرضين عن حكم الكتاب والسنة حيث العدل والرحمة، فقال: **﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾**. ثم أخبر تعالى نافيًا أن يكون هناك حكم أعدل ولا أرحم من حكم الله تعالى للمؤمنين به الموقنين بعدله تعالى ورحمته فقال: ومن أحسن من الله حكمًا، لقوم يوقنون؟».

ولا يرى ذلك إلا من نور الله قلبة باليقين.

---

(١) الراغب في المفردات.

(٢) مدارج السالكين ٢/٤١٨.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾

[الذاريات: ٢٠، ٢١]

◆ والشاهد: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾.

◆ والمعنى: أي ﴿وَفِي الأَرْضِ﴾ وما خلق الله فيها من مخلوقات من جبال وأنهار وزروع وضروع وأنواع الثمار، وإنسان وحيوان، ﴿آيَاتٌ﴾ أي دلائل وعلامات على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وكلها موجبة له التوحيد ومقررة لقدرته على البعث الآخر والجزاء، وكون هذه الآيات ﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾ مبني على أن الموقنين ذوو بصائر وإدراك لما يشاهدون في الكون فكلما نظروا إلى آية في الكون ازداد إيمانهم وقوي فبلغوا اليقين فيه، فأصبحوا أكثر من غيرهم في الاهتداء والانتفاع بكل ما يسمعون ويشاهدون، ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ أي وفي أنفسكم أيها الناس من الدلائل والبراهين المتمثلة في خلق الإنسان وأطواره التي يمر بها من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى طفل إلى شاب فكهل، وفي إدراكه وسمعه وبصره ونطقه إنها آيات أخرى دالة على وجود الله وتوحيده وقدرته على البعث والجزاء والتفكر فيها والنظر فيها يؤدي إلى اليقين بالله، وقوله: ﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾. توبيخ لأهل الغفلة والإعراض عن التفكر والنظر؛ إذ لو نظروا بأبصارهم متفكرين ببصائرهم لاهتدوا إلى الإيمان والتوحيد والبعث والجزاء.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

◆والشـاهد : ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

◆والمعنى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً﴾ . أي لم نجعلهم بشراً ولا جنًّا حتى لا يرحموا أهل النار بخلاف ما لو كانوا بشراً فقد يرحمون بني جنسهم ولو كانوا جنًّا كذلك. وما يعلم جنود ربك إلا هو، وقوله:﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ . أي كونهم تسعة عشر ﴿إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . ليزدادوا ضلالاً وكفراً وقدتم هذا فإن أبا جهل قد فتن بهذا العدد وازداد ضلالاً وكفراً وقوله : ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ . أي أخبرنا عن عددهم ليستيقن الذين أوتوا الكتاب لموافقة القرآن لما عندهم في كتابهم، ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ فوق إيمانهم عندما يرون أن التوراة موافقة للقرآن الكريم كشاهد له. ﴿وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ . أي حتى لا يقعوا في ريب وشك في يوم من الأيام لما اكتسبوا من المناعة بتضافر الكتابين على حقيقة واحدة.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ : « سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. قال : ومن قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » . [رواه البخاري]

٢ ـ عن عبد الله بن حبيش الخثعمي ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ : « سئل : أي الأعمال أفضل؟ قال : إيمان لا شك فيه، وجهاد لا غلول فيه، وحجة مبرورة »

قيل: فأي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت، قيل: فأي الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقل، قيل: فأي الهجرة أفضل؟، قال: من هجر ما حرم الله عز وجل. قيل: فأي الجهاد أفضل؟ قال: من جاهد المشركين بماله ونفسه؟ قيل: فأي القتل أفضل؟ قال: من أهريق دمه وعقر جواده». [رواه أبو داود]

ورواه النسائي - وقال السيوطي في معناه: «والمراد تصديق بلغ حد اليقين بحيث لا يبقى معه أدنى توهم لخلافه».

والخلاصة

أن اليقين، ملاك القلب، وبه كمال الإيمان، وباليقين عرف الله، وبالعقل عقل عن الله[1].

وباليقين: تدرك المشتهيات في الدنيا والآخرة وبه يزيد المسلم من ربه قربًا، ويزداد خضوعًا واستكانة.

* * *

(١) (بصائر ذوي التميز) أبو بكر الوراق.

٣٥ مكارم أكل الطيبات

الطيب: هو ما أفتاك قلبك أن ليس فيه جناح.

قال ابن القيم - رحمه الله - اختار الله سبحانه من كل جنس من أجناس المخلوقات أطيبه، واختصه لنفسه وارتضاه دون غيره، فإنه تعالى طيب لا يحب إلا الطيب، ولا يقبل من العمل والكلام والصدقة إلا الطيب، فالطيب من كل شيء هو، مختاره تعالى. وأما خلقه تعالى، فعام للنوعين، وبهذا يُعلم عنوان سعادة العبد وشقاوته، فإن الطيب لا يناسبه إلا الطيب ولا يرضى إلا به، ولا يسكن إلا إليه، ولا يطمئن قلبه إلا به، فله من الكلام الكلم الطيب الذي لا يصعد إلى الله - تعالى - إلا هو وهو أشد شيء نفرة عن الفحش في المقال، والتفحش في اللسان والبذاء والكذب والغيبة والنميمة والبهت وقول الزور، وكل كلام خبيث.

وكذلك لا يألف من الأعمال التي أجمعت على حسنها الفطر السليمة مع الشرائع النبوية، وزكتها العقول الصحيحة، فاتفق على حسنها الشرع والعقل والفطرة، مثل أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا ويؤثر مرضاته على هواه، ويتحبب إليه جهده وطاقته، ويفعل بالناس ويعاملهم بما يحب أن يفعلوا به، ويعاملوه به، ويدعهم مما يحب أن يدعوه منه، وينصحهم بما ينصح به نفسه، ويحكم لهم بما يحب أن يحكم له به، ويحمل أذاهم ولا يحملهم أذاه، ويكف عن أعراضهم، ولا يقابلهم بما نالوا من عرض، وإذا رأى لهم حسنًا أذاعه، وإذا رأى لهم سيئًا كتمه، ويقيم أعذارهم ما استطاع فيما لا يبطل شريعة، ولا يناقض لله أمرًا ولا نهيًا[١].

---

(١) زاد المعاد الأول.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

والشاهد: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي من الحلال.

المعنى: بعد أن أكرم الله تعالى عيسى عليه السلام ووالدته بما أكرمهما به من إيوائهما إلى ربوة ذات قرار ومعين خاطب عيسى عبده ورسوله قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي الحلال فكان عيسى عليه السلام يأكل من غزل أمه إذ كانت تغزل الصوف بأجرة فكانا يأكلان من ذلك أكلاً من الطيب كما أمرهم الله تعالى.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

والشاهد: ﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾ أي من جيد أموالكم وأصلحها.

والمعنى: بعد ما رغب تعالى عباده المؤمنين في الإنفاق في سبيله في الآية السابقة ناداهم بإخراج زكاة أموالهم من جيد ما يكسبون.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب، إلا أخذها الله بيمينه، فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو قلوصه، حتى تكون مثل الجبل أو أعظم». [متفق عليه واللفظ لمسلم]

٢ ـ وقال رسول الله ﷺ : «لأن يأخذ أحدكم حبلاً فيأخذ حزمة من حطب فيبيع فيكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس أُعطي أو منع» . [رواه البخاري]

٣ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : «خير الكسب كسب العمل إذا نصح» أي إذا أخلص وصدق . [رواه أحمد ورواته ثقات]

والخلاصة

يكفي شرفًا في أكل الطيب أن الله سبحانه أمر به المؤمنين كما أمر به المرسلين، وجعله الله محل رضاه، وقرر الرسول ﷺ أنه مفتاح قبول الدعاء، فأطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والطيب طيب الكسب وليس طيب المطعم، روي عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه قال يومًا: إني أكلت حمصًا وعدسًا فنفخني، فقال له بعض القوم: يا أمير المؤمنين إن الله يقول في كتابه ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ فقال عمر: هيهات ذهبت به إلى غير مذهبه، إنما يريد به طيب الكسب ولا يريد به طيب الطعام[1] .

* * *

(١) الدر المنثور.

٣٦ مكارم الإخلاص

هو ألا تطلب لعملك شاهداً غير الله تعالى.

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص: الخلاص من هذين - وفي رواية عنه: والإخلاص: أن يعافيك الله منهما(١).

١ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

◆ والشاهد: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾.
﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾.

◆ والمعنى: يخبر تعالى أنه وحده أنزل الكتاب أي القرآن العظيم بالحق في كل ما جاء فيه ودعا إليه من العقائد والعبادات والأحكام وعليه فاعبد الله مخلصاً له الدين أي العبادة فلا تعبد معه غيره فإن العبادة لا تصلح لغيره أبداً، ألا لله الدين الخالص، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، أي شركاء يعبدونهم ويقولون، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾، والدين الخالص أي الذي ليس فيه شرك من رياء أو أن تجعل لبعض دينك مع الله شريك.

وقوله: ﴿لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾. أي تقريباً ويشفعوا لنا عند الله في قضاء حوائجنا هؤلاء يحكم الله بينهم في ما هم فيه مختلفون مع المؤمنين الموحدين

---

(١) مدارك السالكين.

وذلك يوم القيامة وسيجزي بعدله كلاً بما يستحق من إنعام وتكريم أو شقاء وتعذيب.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢].

والشاهد: ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

والمعنى: وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾. أي إذا غشي المشركين موج وهم على ظهر السفينة فخافوا ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾. أي دعوا الله وحده ولم يذكروا آلهتهم، ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ﴾ بفضله ﴿إِلَى الْبَرِّ﴾. فلم يغرقوا ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾. أي في إيمانه وكفره لا يغالي في كفره ولا يعلن عن إيمانه، وقوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآنية والكونية وهي مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته الموجبة لألوهيته، ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ أي غدار بالعهود ﴿كَفُورٍ﴾ للنعم لا خير فيه البتة والعياذ بالله تعالى من أهل الغدر والكفر.

٣ - وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

والشاهد: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾.

والمعنى: لما تساءل المشركون فقالوا للرسول ﷺ انسب لنا ربك وصفه لنا فقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ﴾، أي لمن سألوك ذلك، ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي ربي هو الله أي الإله الذي لا تنبغي الألوهية إلا له، ولا تصلح العبادة إلا له، أحد في ذاته وصفاته وأفعاله فليس له نظير ولا مثيل في ذلك؛ إذ هو خالق الكل ومالك الجميع فلن تكون المحدثات المخلوقات كخالقها ومحدثها الله أي المعبود، الذي لا معبود بحق إلا هو، ﴿الصَّمَدُ﴾ أي السيد المقصود في قضاء الحوائج الذي استغنى عن كل خلقه وافتقر الكل إليه، ﴿لَمْ يَلِدْ﴾، أي لم يكن

له ولد؛ لانتفاء من يجانسه، إذ الولد يجانس والده، والمجانسة منفية عنه تعالى؛ إذ ليس كمثله شيء، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لانتفاء الحدوث عنه تعالى، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ولم يكن أحد كفوًا له، ولا مثيلاً ولا نظيرًا ولا شبيهًا؛ إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلذا هو يعرف بالأحدية والصمدية فالأحدية: هي أنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا﴾ ولا شبيه ولا نظير، والصمدية: هي أنه المستغني عن كل ما سواه المفتقر إليه في وجوده وبقائه كل ما عداه، كما يعرف بأسمائه، وصفاته وآياته.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقًّا من قلبه إلا حُرم على النار» فقال له عمر به الخطاب ـ رضي الله عنه ـ «أنا أحدثك ما هي؟ هي كلمة الإخلاص التي أعز الله ـ تبارك وتعالى ـ بها محمداً ﷺ وأصحابه، وهي كلمة التقوى التي ألاص عليها نبي الله ﷺ عمه أبا طالب عند الموت، شهادة أن لا إله إلا الله».

[(رواه أحمد) قال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح]

٢ ـ عن عائشة زوج النبي ﷺ ـ رضي الله عنها ـ قالت سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾، قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات». [رواه الترمذي]

٣ ـ عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك

الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق، وقولك حق، ولقاؤك حق والجنة حق، والنار حق والساعة حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت، وبك آمنت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ». [متفق عليه]

والخلاصة

أن الإخلاص، هو التبري عن كل ما دون الله تعالى، وقال ابن القيم - رحمه الله - العمل بغير إخلاص، ولا امتداد كالمسافر يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه(١).

وهو سر القبول، وعليه قام الدين، وبالإخلاص وفت القلوب من خالقها.

* * *

(١) الفوائد.

٣٧ مكارم التقوى

التقوى هي حفظ النفس عما يؤثم وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات.

قال أبو الدرداء - رضي الله عنه - «تمام التقوى أن يتقي اللهَ العبدُ حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال؛ خشية أن يكون حرامًا يكون حجابًا بينه وبين الحرام»(١).

١ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

◆ **والشاهد**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾.

◆ **والمعنى**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي ربهم فلم يشركوا به أحدًا ولم يفرطوا في الواجبات ولم يغشوا المحرمات هؤلاء ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ بأن نزغهم بإثارة الغضب أو الشهوة فيهم ﴿تَذَكَّرُوا﴾ أمر الله ونهيه ووعده ووعيده ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ يرون قبح المعصية وسوء عاقبة فاعلها فكفوا عنها ولم يرتكبوها.

٢ - قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [الليل: ٥-١٧].

---

(١) الدر المنثور للسيوطي.

◈**والشاهد**: الآيات.

◈**والمعنى**: بعد أن قرر سبحانه أن أعمال الناس مختلفة من الحسنات الموجبة للسعادة والكمال في الدارين ومن السيئات الموجبة للشقاء في الدارين أي دار الدنيا ودار الآخرة، وبناءً على هذا ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى**﴾ حق الله في المال فأنفق وتصدق في سبيل الله. ﴿**وَاتَّقَى**﴾ الله تعالى فآمن به وعبده ولم يشرك به. ﴿**وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى**﴾ التي هي الخلف أي العوض المضاعف. الذي واعد به تعالى من ينفق في سبيله بقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ وفي قول رسوله ﷺ: «ما من يوم تطلع فيه الشمس إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقًا خلفًا. ويقول الآخر اللهم أعط ممسكًا تلفًا» ﴿**فَسَنُيَسِّرُهُ**﴾ نهيئه ﴿**لِلْيُسْرَى**﴾ أي للحكمة وحق العمل بما يرضاه الله منه في الدنيا ويثيبه عليه في الآخرة بالجنة.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

◈**والشاهد**: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.

◈**والمعنى**: تضمنت الآية دعوة كريمة ونصيحة غالية ثمينة للأمة الرحيمة بأن تصبر على الطاعات وعلى الشدائد والملمات فتصابر أعداءها حتى يسلموا أو يسلموا القياد لها، وترابط بخيولها وآلات حربها في حدودها وثغورها مرهبة عدوها حتى لا يطمع في غزوها ودخول ديارها، وتتقي الله تقوى تكون سببًا في فوزها وفلاحها، بهذه الرحمة الربانية.

٤ ـ قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝٦٥ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ**

لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٥، ٦٦].

◆والشـاهـد: ﴿آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾.

◆والمعنى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ من يهود ونصارى ﴿آمَنُوا﴾ بالله ورسوله ﷺ وبما جاء من الدين الحق وعملوا به، ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الكفر والشرك وكبائر الذنوب الفواحش، ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾. فلم يؤاخذهم ولم يفضحهم بها ولأدخلهم جنات النعيم، وهذا وعد الله تعالى اليهود والنصارى فلو أنهم آمنوا واتقوا لأنجزه لهم قطعًا وهو لا يخلف الميعاد ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ اتقوا ربهم بأنهم ﴿أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وهذا يشمل القرآن الكريم، ومعنى ﴿أَقَامُوا﴾ ذلك آمنوا بالعقائد الصحيحة الواردة في تلك الكتب وعملوا بالشرائع السليمة والآداب الرفيعة والأخلاق الفاضلة التي تضمنتها تلك الكتب لو فعلوا ذلك لبسط الله تعالى عليهم الرزق وأسبغ عليهم النعم ولأصبحوا في خيرات وبركات تحوطهم من كل جانب.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن».

[رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح]

٢ ـ عن أبي سعيد الخدرى ـ رضي الله عنه ـ قال: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا». [رواه الترمذي وحسنه الألباني]

٣ ـ عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال: «إن كان النبي ﷺ ليقوم، أو يصلي حتى ترم قدماه، أو ساقه فيقال له: لم تفعل ذلك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: أفلا أكون عبداً شكوراً». [رواه البخاري]

والخلاصة

إن التقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل.

وعلامات أهل التقوى هي من رضي بالقضاء وصبر على البلاء وشكر على العطاء، وصدق في اللسان، ووفى بالوعد والعهد وتلا لأحكام القرآن، وإنما الإمام سوق من الأسواق فإن كان من أهل الحق حمل إليه أهل الحق حقهم، وإن كان من أهل الباطل حمل إليه أهل الباطل باطلهم.

* * *

٣٨ مكارم العدل

هو الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط.

قال ابن تيمية - رحمه الله - إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يروى: أن الله ينصر الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة.

١ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

◆ والشاهد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾.

◆ والمعنى: يأمر الله في الكتاب الذي أنزله تبيانًا لكل شيء بالعدل وهو الإنصاف، ومن ذلك أن يعبد الله بذكره وشكره لأنه الخالق المنعم وتترك عبادة غيره لأن غيره لم يَخْلُق ولم يَرْزُق ولم يُنْعِم بشيء، ولذا فسر هذا اللفظ بلا إله إلا الله، ﴿وَالإِحْسَانِ﴾ وهو أداء الفرائض واجتناب المحرمات مع مراقبة الله تعالى في ذلك حتى يكون الأداء على الوجه المطلوب إتقانًا وجودة والاجتناب خوفًا من الله حياءً منه.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

◆ والشاهد: ﴿فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

◆ والمعنى: ما زال السياق الكريم في طلب تأديب المسلمين وتربيتهم وإعدادهم

للكمال الدنيوي والأخروي، فيرشد الله تعالى المسلمين إلى كيفية علاج مشكلة النزاع المسلح بين المسلمين الذي قد يحدث في المجتمع الإسلامي بحكم الضعف الإنساني، من الوقت إلى الوقت وهو مما يكاد يكون من ضروريات الحياة البشرية، وعوامله كثيرة لا حاجة إلى ذكرها، فقال تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ**﴾ أي جماعتان ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا**﴾ ولو كان ذلك بين اثنين ﴿**فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾ بالقضاء على أسباب الخلاف وترضية الطرفين بما هو حق وخير وليس هذا بصعب مع وجود قلوب مؤمنة وهداية ربانية وقوله: ﴿**فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا**﴾ أي اعتدت إحدي الطائفتين بعد الصلح ﴿**عَلَى الأُخْرَى**﴾ بأن رفضت حكم الله الذي قامت المصالحة بموجبه ﴿**فَقَاتِلُوا**﴾ مجتمعين ﴿**الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ أي إلى الحق، ﴿**فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا**﴾ في حكمكم دائمًا وأبدًا.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٩٧].

◆ **والشاهد**: ﴿**فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ**﴾.

◆ **والمعنى**: هذا وعد الله لأهل الإيمان والعمل الصالح، الإيمان الحق الذي يدفع إلى العمل الصالح، ولازم ذلك أنهم تخلوا عن الشرك والمعاصي، أن يحييهم في الدنيا حياة طيبة لا خبث فيها فيها قناعة وطيب طعام وشراب ورضا، هذا في الدنيا وفي الآخرة الجنة والجزاء يكون بحسب أحسن عمل عملوه من كل نوع.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ـ عز وجل ـ وكلتا يديه يمين». [رواه مسلم]

٢ ـ عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالعدل أين كنا، لا نخاف في الله لومة لائم». [رواه النسائي]

٣ ـ قال الرسول ﷺ: ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته». [متفق عليه]

٤ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل، ويقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» يعني القلب.

[رواه أبو داود والترمذي والنسائي]

والخلاصة

أن العدل من أكبر نعم الله على المرء وهو عدم الظلم، وهذا العدل هو الذي قام عليه الدين لنا، قال ربعي بن عامر رضي الله عنه ـ لرستم قائد الفرس لما سأله ما جاء بكم؟: قال: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي».

* * *

٣٩ مكارم المساواة

المساواة هي العدل في المعاملة بأن لا يأخذ من صاحبه إلا ما يعطيه ولا ينيله من المضار إلا كما ينيله.

قال أحمد شوقي: واصفًا الرسول ﷺ في همزيته:

أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى فالكل في حق الحياة سواء

فلو انّ إنسانًا تخير ملة ما اختار إلا دينك الفقراء

قال ابن القيم: كيف ينصف الخلق من لم ينصف الخالق؟ جاء في الأثر قول الله عز وجل: «ابن آدم ما أنصفتني، خيري إليك نازل وشرك إليّ صاعد، كم أتحبب إليك بالنعم وأنا غني عنك وكم تتبغض إليّ بالمعاصي وأنت فقير إليّ، ولا يزال الملك الكريم يعرج إلي منك بعمل قبيح»(١).

١ ـ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا﴾ الآية [النساء: ١٣٥].

والشاهد: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾.

والمعنى: أي كونوا قوامين بالعدل شهداء لله؛ إذ بشهادتكم ينتقل الحق من شخص إلى آخر حيث، أقامكم الله ربكم شهداء له في الأرض تؤدى بواسطتكم الحقوق إلى أهلها، وبناء على هذا فأقيموا الشهادة لله ولو شهادتكم على أنفسكم أو الوالدين لكم أو أقرب الناس إليكم وسواء كان المشهود عليه غنيًا أو فقيرًا فلا يحملنكم غنى الغني أو فقر الفقير على تحريف الشهادة أو كتمانها، فالله تعالى ربهما أولى بهما وهو يعطي بشهادتكم

(١) زاد المعاد.

فأقيموها وحسبكم ذلك واعلموا أنكم إن تلووا ألسنتكم بالشهادة تحريفًا لها خروجًا بها عن أداء ما يترتب عليها أو تعرضوا عنها فتتركوها أو تتركوا بعض كلماتها فيفسد معناها ويبطل مفعولها فإن الله بعملكم ذلك وبغيره خبير وسوف يجزيكم به فيعاقبكم في الدنيا أو في الآخرة ألا فاحذروا.

٢ ـ قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

◆ **والشاهد:** ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾.

◆ **والمعنى:** ما زال السياق في ذكر قصة داود عليه السلام للعظة والاعتبار وتثبيت فؤاد النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ﴾. وقلنا له بعد توبته يا داود ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾. خلفت من قبلك من الأنبياء تدبر أمر الناس ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾. أي العدل الموافق لشرع الله ورضاه، لا تتبع الهوى وهو ما تهواه نفسك دون ما هو شرع الله ﴿فَيُضِلَّكَ﴾. أي اتباع الهوى يضلك عن سبيل الله المفضية بالعباد إلى الإسعاد والكمال وذلك أن الأحكام إذا كانت مطابقة للشريعة الإلهية انتظمت بها مصالح العباد فنفعت العامة والخاصة أما إذا كانت على وفق الهوى وتحصيل مقاصد النفس للحاكم لا غير أفضت إلى تخريب العالم بوقوع الهرج والمرج بين الناس وفي ذلك هلاك الحاكم والمحكومين.

٢ ـ وقال جل شأنه: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

[الممتحنة: ٨]

◈ والشاهد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

◈ والمعنى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ ولم يضايقوكم لإخراجكم أن تبروهم أي بالإحسان إليهم بطعام أو كسوة أو إركاب وتقسطوا أي تعدلوا فيهم بأن تنصفوهم وهذا عام في كل الظروف الزمانية والمكانية وفي كل الكفار والشروط الماضية في الآية.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ: «وهو على المنبر: إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب: فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما هي بضعة مني يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها». [رواه البخاري]

٢ - وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار، ورجلين من قريش، فلما رهقوه قال: «من يردهم عنا وله الجنة» أو هو رفيقي في الجنة؟ فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضًا. فقال: «من يردهم عنا وله الجنة»، أو هو رفيقي في الجنة؟ فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل: فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة. فقال رسول الله ﷺ: «ما أنصفنا أصحابنا». [رواه مسلم]

والخلاصة

أن الإنصاف هو توأم العدل والقسط وعليه قام الدين ولم يفرق بين غني وفقير، ولا كبير وصغير ولا شريف ووضيع ولا بين قوى وضعيف وإليك من

خطبة أمير المؤمنين خليفة رسول الله ﷺ. «القوى فيكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه» وها هو نموذج للإنصاف. عن عبد الرحمن بن شماسة قال: دخلت على عائشة، فقالت: ممن أنت؟ قلت: من أهل مصر، قالت: كيف وجدتم ابن صديح في غزاتكم هذه؟ قلت: خير أمير، ما يقف الرجل منا فرس ولا بعير إلا أبدله مكانه بعيراً، ولا غلام إلا أبدل مكانه غلامًا، قالت: إنه لا يمنعني قَتْلُه أخي أن أحدثكم ما سمعت من رسول الله ﷺ إني سمعته يقول: اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به، ومن شق عليهم فاشقق عليه.

ووجه الإنصاف أنها رضي الله عنها أنصفت من قتل أخاها محمد بن أبي بكر.

* * *

٤٠ مكارم الوفاء

الوفاء هو ملازمة طريق المواساة، ومحافظة عهود الخلطاء(١).

قال الراغب: الوفاء بالعهد: إتمامه وعدم نقض حفظه وهو صدق اللسان والفعل معًا.

١ - قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

◈ **والشاهد:** ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ﴾ أي حافظوا على طرف المعادلة هذا تكن لكم هذه النتيجة المرجوة التي فرضها الله على نفسه.

◈ **والمعنى:** الوفاء بالعهد إتمامه. وعهد الله عليهم أن يبينوا أمر محمد ﷺ ويؤمنوا به، فإن أنتم فعلتم أوف بعهدكم، أتم لكم عهدكم بإدخالكم الجنة بعد إكرامكم في الدنيا وعزكم فيها.

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣، ٤].

◈ **والشاهد:** ﴿فَأَتِمُّوا﴾ أي وفوا، وأوفوا، وأكملوا.

◈ **والمعنى:** ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ﴾ من شروط المعاهدة ﴿شَيْئًا﴾ ولم يعاونوا عليكم أحدًا لا برجال ولا بسلاح ولا حتى

(١) التعريفات.

بمشورة ورأي فهؤلاء لم يبرأ الله تعالى منهم ولا رسوله ﷺ، وعليه ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ أي مدة أجلهم المحدد بزمن معين فوفوا لهم ولا تنقضوا لهم عهداً إلا أن ينقضوه هم بأنفسهم، أو تنتهي مدتهم حينئذ إما الإسلام وإما السيف إذ لم يبق مجال لبقاء الشرك في دار الإسلام وقبته.

٣ ـ ويقول سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

◆ **والشاهد**: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا﴾ أي هي أصل أتموا إذا وعدتم وعاهدتم ولا تخلوا.

◆ **والمعنى**: أمر الله عباده المؤمنين بالوفاء بالعهد فعلى كل مؤمن بايع إمامًا أو عاهد أحداً على شيء أن يفي له بالعهد ولا ينقضه. (إذ لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له) كما في الحديث الشريف.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «أوفوا بحلف الجاهلية فإن الإسلام لم يزده إلا شدة ولا تُحدثوا حلفًا في الإسلام». [رواه الترمذي وقال حسن صحيح]

٢ ـ عن علي بن الحسين: أنهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية لقيه المسور بن مخرمة فقال له: هل لك إليّ من حاجة تأمرني بها؟ قال: فقلت له لا. قال له: هل أنت معطي سيف رسول الله ﷺ؟ فإني أخاف أن يغلبك القوم عليه، وأيم الله؛ لئن أعطيتنيه لا يخلص إليه أبداً، حتى تبلغ نفسي، إن عليّ بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة، فسمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس في ذلك، على منبره هذا، وأنا يومئذ محتلم، فقال: «إن فاطمة مني، وإني أتخوف أن تفتن في دينها» قال: ثم ذكر صهراً له من بني عبد

شمس، فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن. قال: حدثني فصدقني، ووعدني فأوفى لي وإني لست أحرم حلالا ولا أحل حرامًا ولكن، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله مكانًا واحدًا أبدًا. [متفق عليه]

٣ - وعن أم هانئ ابنة أبي طالب - رضي الله عنها - قالت: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره، فسلمت عليه فقال: «من هذه؟» فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب، فقال: «مرحبًا بأم هانئ» فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعات ملتحفًا في ثوب واحد. فقلت: يا رسول الله زعم ابن أمي عليّ، أنه قاتل رجلاً قد أجرته، فلان ابن هبيرة فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء» قالت أم هانئ: وذلك ضحى. [متفق عليه]

والخلاصة

فالوفاء قيمة إنسانية وأخلاقية كبيرة لأنه يثري دعائم الثقة في الأفراد ويؤكد أواصر التعاون في المجتمع.

* * *

٤١ مكارم كتمان السر

« كتمان السر» كلمتان: « كتمان » أي صبر في إمساك الضمير « والسر» وهو الحديث المكتم في النفس.

قال الجاحظ: ومنها كتمان السر وهذا الخلق مركب من الوقار وأداء الأمانة، فإن إخراج السر من فضول الكلام وليس بوقور من تكلم بالفضول.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

◆ **والشاهد:** ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾.

◆ **والمعنى:** لما أمر الله بالإشهاد والكتابة في البيوع والسلم والقروض في الآيات التي سبقت هذه الآية أمر هنا بالاستعاضة عن الكتابة بالرهن وذلك بأن يضع المدين رهنًا لدى دائنه عوضًا عن الكتابة يستوثق به دينه هذا في حال عدم ائتمانه والخوف منه، وأما إن أمن بعضهم بعضًا فلا بأس بعدم الارتهان.

٢ ـ وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

◆ **والشاهد:** ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾.

◆ **والمعنى:** أي وكما وصاكم به أن توفوا بعهودكم التي بينكم وبين ربكم وبينكم وبين سائر الناس مؤمنهم وكافرهم فلا يحل لكم أن لا توفوا بالعهد وأنتم قادرون على الوفاء بحال من الأحوال، وقوله ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ تأكيدًا للنهي عن نكث العهد إذ أخبر تعالى أن العبد سيسأل عن عهده الذي لم يوف به يوم القيامة ومثل العهد سائر العقود.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ : « استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود » . [رواه الطبراني وصححه الألباني]

وقال ﷺ : « إن أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه ثم ينشر سرها » . [رواه مسلم (١٤٣٧)]

والخلاصة

أن كتمان السر أمانة وعهد ووعد وقد حث الشارع على الوفاء بهذه العهود وحفظ تلك الأمانات .

* * *

٤٢ مكارم العفة

العفة هي الكف عما لا يحل ويجمل.

قال الجاحظ: هي ضبط النفس عن الشهوات وقصرها على الاكتفاء بما يقيم أَوَدَ الجسم ويحفظ صحته فقط، واجتناب السرف في جميع الملذات وقصد الاعتدال، وأن يكون ما يقتصر عليه من الشهوات على الوجه المستحب المتفق على ارتضائه وفي أوقات الحاجة التي لا غنى عنها، وعلى القدر الذي لا يحتاج إلى أكثر منه، ولا يحرس النفس والقوة أقل منه، وهذه الحال هي غاية العفة.

وللعفة نوعان: أحدهما العفة عن المحارم، والثاني العفة عن المآثم، فأما العفة عن المحارم فنوعان: أحدهما ضبط الفرج عن الحرام، والثاني: كف اللسان عن الأعراض، فأما ضبط الفرج عن الحرام فلأن عدمه مع وعيد الشرع وزاجر العقل معرة فاضحة وهتكة واضحة، وأما كف اللسان عن الأعراض فلأن عدمه ملاذ السفهاء وانتقام أهل الغوغاء، وهو مستسهل الكف وإذا لم يقهر نفسه عنه برادع كاف، وزاجر صادٍّ، تلبط بمعَارّه، وتخبط بمضاره، وأما العفة عن المآثم فنوعان أيضًا. أحدهما: الكف عن المجاهرة بالظلم، والثاني: زجر النفس عن الإسرار بخيانة. فأما المجاهرة بالظلم فعتو مهلك وطغيان متلف، ويؤول إن استمر إلى فتنة تحيط في الغالب بصاحبها فلا تنكشف إلا وهو مصروع، وأما الاستسرار بالخيانة فضعة؛ لأنه بذُلِّ الخيانة مهين، ولقلة الثقة به مستكين، وقد قيل: من يَخُنْ يَهُنْ، هذا ولا يجعل ما يتظاهر به من الأمانة زورًا، ولا يبديه من العفة غرورًا، فينتهك الزور وينكشف الغرور، فيكون هتكه للتدليس أقبح، ولمعرة الرياء أفضح(١).

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

◈ **والشاهد**: ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أي يكف عن الأكل من مال اليتيم.

◈ **والمعنى**: نهى الله تعالى أن يأكلوا أموال اليتامى إسرافًا ﴿وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا﴾ ويريد لا تأكلوا أموال يتاماكم أيها الولاة والأوصياء، بطريق الإسراف وهو الإنفاق الزائد على قدر الحاجة، والمبادرة هي المسارعة قبل أن يرشد السفيه وينقل إليه المال، ثم أرشدهم إلى أقوم الطرق وأسدها في ذلك فقال: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا﴾ فليكف عن مال اليتيم ولا يأكل منه شيئًا، ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

٢ ـ وقال الله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠].

◈ **والشاهد**: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ أي أن لا يضعن ثيابهن خير لهن من الأخذ بالرخصة.

◈ **والمعنى**: والتي قعدت عن الحيض والولادة لكبر سنها بحيث أصبحت لا ترجو نكاحًا ولا يرجى منها ذلك فهذه ليس عليها إثم ولا حرج في أن تضع خمارها من فوق رأسها، أو عباءتها من فوق ثيابها التي على جسمها حال كونها غير متبرجة أي مظهرة زينة لها لخضاب اليدين والأساور في المعصمين والخلاخل في الرجلين وغيرذلك؛ فما هو زينة يجب ستره، ومن لازمت

(١) أدب الدنيا والدين ٣٨٤-٣٩٠.

خمارها وعجارها ولم تظهر للأجانب كاشفة وجهها ومحاسنها خير لها حالاً ومآلاً وحسبها أن يختار الله لها فما اختاره لها لن يكون إلا خيراً في الدنيا والآخرة فعلى المؤمنات، أن يخترن ما اختار الله لهن.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ وقال رسول الله ﷺ: «من استغنى أغناه الله ـ عز وجل ـ ومن استعف أعفه الله ـ عز وجل ـ ومن استكفى كفاه الله ـ عز وجل ـ ومن سأل وله قيمة أوقية، فقد ألحف» فقال أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ وهو راوي الحديث: ناقتي الياقوتة خير من أوقية فرجعت ولم أسأله. [رواه النسائي وصححه الألباني]

٢ ـ وقال الرسول ﷺ: «أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا، حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة».

[رواه أحمد والبيهقي، وصححه الألباني]

٣ ـ عن عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ، تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: «ألا تبايعون رسول الله؟» وكنا حديثي عهد ببيعة فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: «ألا تبايعون رسول الله؟» فقلنا قد بايعناك يا رسول الله ثم قال: «ألا تبايعون رسول الله؟». قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك؟ قال: «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس وتطيعوا (وأسر كلمة خفية) ولا تسألوا الناس شيئاً. فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم. فما يسأل أحداً يناوله إياه». [رواه مسلم]

والخلاصة

أن العفة جامعة لمعاني الخير كله، إذ هي عفة النظر وعفة السمع وعفة في مطعم وعفة في فرج وعفة عن كل ما يغضب الله تعالى وأخذ لكل ما يحبه الله ويرضاه.

قال أبو عمرو بن العلاء ـ رحمه الله تعالى ـ كان أهل الجاهلية لا يُوفِدُون إلا من كانت فيه ست خصال وتمامها في الإسلام سابعة: السخاء، والنجدة، والصبر، والحلم، والبنيان، والحسب، وفي الإسلام زيادة العفاف(١).

* * *

(١) الآداب الشرعية.

٤٣ مكارم النزاهة

النزاهة هي الترفُّع عن المطامع الدنية ومواقف الريبة.

قال الماوردي: النزاهة نوعان: أحدهما: النزاهة عن المطامع الدنية والثاني: النزاهة عن مواقف الريبة.

فأما المطامع الدنية، فلأن الطمع ذل، والدناءة لؤم، وهما أدفع شيء للمروءة، وقد كان النبي ﷺ يقول في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من طمع يهدي إلى طبع، أي شين وعيب».

والباعث على ذلك شيئان: الشّره، وقلة الأنفة، فلا يقنع بما أوتي وإن كان كثيراً، لأجل شرهه، ولا يستنكف مما منع وإن كان حقيراً، لقلة أنفته، وهذه حال من لا يرضى لنفسه قدراً. ولا يرى المال أعظم خطراً، فيرى بذل أهون الأمرين لأجلهما مغنمًا وليس لمن كان المال عنده أجلّ، ونفسه عليه أقل، إصغاءٌ لتأنيب ولا قبولٌ لتأديبٍ، وحسم هذه المطامع شيئان: اليأس والقناعة، وقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن روح القدس نفث من روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعاصي الله تعالى فإن ما عند الله لا يدرك ما عنده إلا بطاعته» فهذا شرط، وأما مواقف الريبة فهي التردد بين منزلتي حمد وذم، والوقوف بين حالتي سلامة وسقم، فتتوجه إليه لائمة المتوهمين، ويناله ذلة المريبين، وكفى بصاحبها موقفًا، إن صح افتضح، وإن لم يصح امتهن، وقد قال النبي ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

والداعي إلى هذه الحال: الاسترسال، وحسن الظن، والمانع منهما شيئان: الحياء والحذر. وربما انتفت الريبة بحسن الثقة وارتفعت التهمة بطول الخبرة(١).

١ ـ قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والشاهد: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي لا داعي للتردد فالله يحب المتوكلين الواثقين فيما عند الله.

٢ ـ وقال الله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾

[الذاريات: ٢١-٢٣]

والشاهد: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ أي بعد قسم العزيز الجبار على هذا الأمر ينبغي على كل مؤمن مُسَلِّم أن يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرقٍ من أرز، فذهب وتركه، وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أني اشتريت منه بقراً، وأنه أتاني يطلب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فَسُقْها، فقال لي:

(١) أدب الدنيا والدين.

إنما لي عندك فرق من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من ذلك الفرق، فساقها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت عنهم الصخرة، فقال الآخر: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عنهما ليلة، فجئت وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنّا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا. فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إليّ، وإني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمئة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها، فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركت المئة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا». [متفق عليه واللفظ للبخاري]

٢ ـ عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب». [متفق عليه واللفظ للبخاري]

٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إني لأنقلب إلى أهلي، فأجد التمرة ساقطة على فراشي فأرفعها لآكلها، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها». [متفق عليه واللفظ للبخاري]

والخلاصة

أن النزاهة وصف للمؤمن التقي الورع، الذي يترك جزءاً من الحلال مخافة الوقوع في الحرام ويترك مجالس اللهو، ومجالس اللعب، حتى ينعم بما عند الله من النعيم، ولله قول محمد بن المنكدر - رحمه الله - إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان، أسكنوهم بياض المسك، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم تمجيدي وتحميدي[1].

* * *

(١) في كتاب الورع لابن أبي الدنيا.

٤٤ مكارم العزة

العزة حالة مانعة للإنسان من أن يغلب.

قال ابن منظور: العز خلاف الذل، وفي الحديث قال ﷺ لعائشة: «هل تدرين لِمَ كان قومك رفعوا باب الكعبة؟» قالت: لا، قال: «تعززاً ألا يدخلها إلا من أرادوا، أي تكبراً وتشدداً على الناس»، والعز في الأصل القوة والشدة والغلبة.

وقال الإمام الغزالي: العزيز: هو الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة إليه، ويصعب الوصول إليه، فما لم يجتمع عليه هذه المعاني الثلاثة لم يطلق عليه اسم العزيز، فكم من شيء يقل وجوده، ولكن إذا لم يعظم خطره ولم يكثر نفعه، لم يسم عزيزاً، وكم من شيء يعظم خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره، ولكن إذا لم يصعب الوصول إليه، لم يسم عزيزاً، كالشمس، مثلاً فإنه لا نظير لها، والأرض كذلك والنفع عظيم في كل منهما، والحاجة شديدة إليهما، ولكن لا يوصفان بالعزة لأنه لا يصعب الوصول إلى مشاهدتهما، فلا بد إذن من اجتماع المعاني الثلاثة (ليصح الوصف بالعزة) ثم في كل واحد من المعاني الثلاثة كمال ونقصان، والكمال في قلة الوجود أن يرجع إلى واحد، إذ لا أقل من الواحد، ويكون بحيث يستحيل وجود مثله، وليس هذا إلا لله تعالى.

١ - قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

◈ **والشاهد**: قوله تعالى: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي الغالب ذو العزة التي لا تغلب، الحكيم في كل خلقه وفعله وسائر تصرفاته.

◈ **والمعنى**: يخبر الجبار عز وجل أنه شهد أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم يشهدون كذلك شهادة علم وحق قامت على مبدأ الحضور الذاتي والفعلي

وأنه تعالى قائم في الملكوت كله، علويه وسفليه، بالعدل فلا رب غيره ولا إله سواه، العزيز في ملكه وخلقه، الحكيم في تدبيره وتصريفه فلا يضع شيئًا في غير موضعه اللائق به، فردّ بهذه الشهادة على باطل نصارى نجران ومكر اليهود، وشرك العرب، وأبطل كل باطلهم سبحانه وتعالى.

٢ - وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾** [النساء:٥٦]

◆ **والشاهد**: **﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾** أي غالبًا يعذب من يستحق العذاب.

◆ **والمعنى**: ذكر الله تعالى الوعيد والوعد، والوعيد لأهل الكفر والوعد لأهل الإيمان فقال: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾** يريد يدخلهم نار جهنم يحترقون فيها ويصطلون بها كلما تهرأت وسقطت بدلهم الله تعالى فوراً جلوداً غيرها ليتجدد ذوقهم للعذاب وإحساسهم به، إن الله غالب لأنه العزيز الغالب لا يعجز عن إنفاذ ما توعد به أعداءه، كما أنه الحكيم في تدبيره يعذب أهل الكفر به والخروج عن طاعته، هذا هو الوعيد المتضمن في الآية.

٣ - وقال تعالي: **﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[الحديد:١]

◆ **والشاهد**: **﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** أي وجب تسبيح الله تعالى وتنزيهه على كل المخلوقات لأنه الغالب القادر، الحكيم المتصرف في ملكه بحكمته.

◆ **والمعنى**: يخبر تعالى في هذه الآية عن وجوده وعظمته من قدرة وعلم وحكمة ورحمة وتدبيره وملكه ومردّ الأمور إليه وكلها من مظاهر الربوبية الموجبة للألوهية فأولاً: تسبيح كل شيء في السموات والأرض أي تنزيهه عن نقص كالزوجة والولد والشريك والوزير المعين والعجز والجهل، ثانيًا إنه

تعالى العزيز ذو العزة التي لا ترام العظيم الانتقام، الحكيم في تدبير ملكه فلا شيء في خلقه هو عبث أو لهو أو باطل.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم، الصائم حتى يفطر والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين». [رواه الترمذي وقال: حديث حسن]

٢ - وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله - عز وجل - السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك. أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك. أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟». [متفق عليه واللفظ لمسلم]

٣ - قال الرسول ﷺ: «يقول الله سبحانه: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، من نازعني فيهما ألقيته في جهنم». [رواه مسلم]

والخلاصة

فالعزة المطلقة لله جل وعلا والكبرياء المطلق له وحده، وعزته سبحانه عزة فيها رحمة؛ إذ إنه العزيز الرحيم، وعزة بحكمة؛ إذ إنه العزيز الحكيم وعزة بعلم؛ إذ إنه العزيز العليم وعزة بقوة؛ إذ إنه القوي العزيز، وعزة بانتقام؛ إذ إنه العزيز ذو الانتقام وعزة بحمد إذ إنه العزيز الحميد، وعزة بمغفرة، إذ إنه العزيز الغفور، وعزة بهبة؛ إذ إنه العزيز الوهاب، يقول ابن القيم - رحمه الله - عن عزة الله عز وجل: إن عزة المولى سبحانه متضمنة لهذه الأنواع السابقة

كلها وهي:

١ـ عزة القوة. ٢ـ عزة الامتناع. ٣ـ عزة القهر والغلبة لكل الكائنات.

فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك فيها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله ـ تعالى ـ وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

٤٥ مكارم الشرف

الشرف هو العلو والمكان العالي.

قال أبو اسحاق الزجاج: أشرف آية في القرآن آية الكرسي. وقد شرفه وشرف عليه وشرفه، جعل له شرفًا. وشارفت الرجل: فاخرته أينما أشرف، وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «ما ذئبان عاديان أصابا فريقة غنم بأفسد من حب المرء المال والشرف لدينه».

١ ـ وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

◆ **والشاهد**: ﴿كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ أي شرفنا بني آدم.

◆ **والمعنى**: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ أي فضلناهم بالنطق والعقل والعلم واعتدال الخلق...

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

أي إنه لشرف لك ولقومك.

◆ **والمعنى**: كما ذكر سبحانه: ﴿واذكر في الكتاب مريم... الآية﴾.

﴿واذكر في الكتاب إبراهيم... الآية﴾.

﴿واذكر في الكتاب موسى... الآية﴾.

﴿واذكر في الكتاب إسماعيل... الآية﴾.

﴿واذكر في الكتاب إدريس... الآية﴾.

◆ **والشاهد** ﴿واذكر﴾ وشرف في الكتاب فلان.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

◈ **والشاهد**: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ أي أشرفكم وأحسنكم.

◈ **والمعنى**: ينادي الله الناس وهو آخر نداءات الله تعالى في هذه السورة وهو أعم من النداء بعنوان الإيمان قال: يأيها الناس من آدم وحواء باعتبار الأصل كما أن كل آدمي مخلوق من أبوين أحدهما ذكر والآخر أنثى، وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا، وبطونًا وأفخاذًا وفصائل، كل هذا لحكمة التعارف فلم يجعلكم كجنس الحيوان لا يعرف الحيوان الآخر ولكن جعلكم شعوبًا وقبائل وعائلات وأسرًا لحكمة التعارف المقتضى للتعاون؛ إذ التعاون بين الأفراد ضروري لقيام مجتمع صالح سعيد فتعارفوا وتعاونوا ولا تتفرقوا لأجل التفاخر بالأنساب؛ فإنه لا قيمة للحسب والنسب إذا كان المرء هابطًا في نفسه وفاسدًا في سلوكه إن أكرمكم عند الله أتقاكم.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «قال جبريل عليه السلام: عش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزي عنه وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس» [رواه الطبرني بإسناد حسن].

٢ ـ عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ قال: مر على النبي ﷺ يهودي محممًا مجلودًا. فدعاهم ﷺ قال: «هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: «أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» قال: لا، ولولا أن ناشدتني بهذا لم أخبرك. نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركنا

وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف وعلى الوضيع. فجعلنا التحميم والجلد وتركنا الرجم. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أول من أحيي أمرك وإذ أماتوه». فأمر به فرجم. فأنزل الله ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ**﴾ [المائدة: ٤١]

٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» [رواه مسلم].

والخلاصة

أن الشرف هبة من الله؛ إذ إنها توهب من الوهاب إلى من يستحقه ولا يورثه النسب فإن الله قال: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾. وإليك قول ابن القيم رحمه الله الموضح لذلك: قال في وصف إرادة الله رب العالمين: يا محمد! أنت تريد أبا طالب ونحن نريد سلمان، أبو طالب إذا سئل عن اسمه قال: عبد مناف، وإذا انتسب افتخر بالآباء وإذا ذكرت الأموال عد

الإبل، وسلمان إذا سئل عن اسمه قال: عبد الله، وعن نسبه قال: ابن الإسلام، وعن ماله قال: الفقر، وعن حانوته قال: المسجد، وعن كسبه قال: الصبر، وعن لباسه قال: التقوى والتواضع، وعن وساده قال: السهر، وعن فخره قال: سلمان منا وعن قصده قال: يريدون وجهه، وعن سيره قال: إلى الجنة وعن دليله في الطريق قال: إمام الخلق وهادي الأئمة[1].

* * *

(١) أدب الدنيا والدين.

٤٦ مكارم الأدب

الأدب هو رياضة النفوس ومحاسن الأخلاق ويقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل.

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ وحقيقة الأدب استعمال الخلق الجميل، ولهذا كان الأدب استخراجاً لما في الطبيعة من الكمال من القول إلى الفعل.

وقال رحمه الله في أنواع الأدب: أنواع الأدب ثلاثة: أدب مع الله سبحانه، وأدب مع رسول الله ﷺ وأدب مع خلقه.

١ ـ قال الله تعالى: **﴿وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [البقرة: ٢٢٤].

والشاهد: ﴿الآية﴾.

والمعنى: يأدب الله الخلق، بخلق محمود وهو أن لا يجعلوا الله سبحانه عرضة لإيمانهم بكثرة الحلف وغيره وهذا أدب مع الله، وأوصافه وكماله.

٢ ـ وقال تعالى: **﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [المائدة: ١١٨].

والشاهد: ﴿الآية﴾.

والمعنى: **﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾** أي من مات منهم على الشرك بأن تصليه نارك فأنت على ذلك قدير **﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾** أي لمن مات على التوحيد فتدخله جنتك فإنه لذلك أهل فإنك أنت العزيز الغالب على أمره الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه فلا ينعّم من أشرك به ولا يعذّب من أطاعه وحده. وذلك عدل منه سبحانه ومقدرة.

٣ ـ وقال تعالى: **﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا**

وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧-٩]

٤ - وقال سبحانه في الأدب مع الرسول ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].

٥ - وقال في الأدب العام مع الخلق: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء:٨٦].

٦ - وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور:٢٧].

٧ - وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور:٥٨].

وفي التربية:

٨ - قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا

وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٢-١٩].

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن معاذ ـ رضي الله عنه ـ قال: أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات، قال: «لا تشرك بالله شيئًا وإن قتلت وحرقت، ولا تعقن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمداً، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله، ولا تشربن الخمر، فإنه رأس كل فاحشة، وإياك والمعصية فإن بالمعصية حل سخط الله ـ عز وجل ـ وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس، وإن أصاب الناس موتان وأنت فيهم فاثبت، وأنفق على عيالك من طولك، ولا ترفع عنهم عصاك أدبًا، وأخفهم في الله». [رواه أحمد]

وآداب أدب رسول الله بها أصحابه كثيرة وألزمهم بها منها:

١ـ آداب الطعام:

«إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل ويشرب بشماله». [رواه مسلم]

«يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك».

٢ـ آداب دخول البيوت والخروج منها والجلوس فيها.

٣ـآداب مجالس العلم.

٤ـآداب الطريق.

٥ـآداب الأخوة في الله.

وآداب لو عددناها شملت البحث كله.

والخلاصة

أن الأدب هو كمال الخلق، وهو رياضة النفس لتتحلى بمكارم الأخلاق وعلى ذلك فإن الأدب كما أوردنا: أدب مع الله وأدب مع رسول الله ﷺ ثم أدب مع الخلق.وقد قيل: الأدب في العمل علامة قبول العمل.

وأدب الدعوة إلى الله هو تتمة الأدب وأهمه؛ لأنه يجمع به أنواع الآدب كلها:

قال الماوردي رحمه الله: اعلم أن النفس مجبولة على شيم مهملة وأخلاق مرسلة لا يستغني محمودها عن التأديب ولا يكتفي بالمرضي منها عن التهذيب، لأن لمحمودها أضداداً مقابلة، يساعدها هوى مطاع، وشهوة غالبة، فإن أغفل تأديبها تفويضًا إلى العقل أو توكلاً على أن تنقاد إلى الأحسن بالطبع، أعدمه التفويض درك المجتهدين، وأعقبه التوكل ندم الخائبين، فصار من الأدب عاطلاً، لأن الأدب مكتسب بالتجربة، أو مستحسن بالعادة ولكل قوم مواضعةٌ، وكل ذلك لا ينال بتوقيف العقل، ولا بالانقياد للطبع حتى يكتسب بالتجربة والمعاناة، ويستفاد بالدربة والمعاطاة ثم يكون العقل عليه قيماً، ولو كان العقل مغنيًا عن الأدب لكان أنبياء الله عن الأدب مستغنين، وبعقولهم مكتفين[١].

---

(١) أدب الدنيا والدين.

٤٧ مكارم المروءة

المروءة هي مراعاة الأحوال أن تكون على أفضلها حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد، ولا يتوجه إليها ذم باستحقاق.

قال زياد لبعض السادة، ما المروءة فيكم؟ قال: اجتناب الريب فإنه لا ينبل مريب، وإصلاح الرجل ماله فإنه من مروءته، وقيامه بحوائجه وحوائج أهله فإنه لا ينبل من احتاج إلى أهله ولا من احتاج أهله إلى غيره.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ [القصص: ٢٣،٢٤].

◆ **والشاهد**: ﴿مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾.

◆ **والمعنى**: وحين ورد موسى عليه السلام ماء مدين وهو بئر يسقي منها الناس مواشيهم وجد عليه أي على الماء ﴿أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ﴾. أي جماعة كبيرة يسقون أنعامهم ومواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾. وهما بنتا شعيب عليه السلام وهما يمنعان ماشيتهما من الاختلاط بمواشي الناس، فسألهما لا تطفلاً وإنما تلطفًا و حالهما دعاه إلى سؤالهما لأنه رأى الناس يسقون مواشيهم ويصدرون فوجًا بعد فوج والمرأتان قائمتان على ماشيتهما تذودانها عن الحوض حتى لا تختلط ولا تشرب فسألهما لذلك قائلا: ما خطبكما أي ما شأنكما فأجابتاه قائلتين: ﴿لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾. لضعفنا وعدم رغبتنا في الاختلاط بالرجال: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾. لا يقوى على سقي هذه الماشية بنفسه فنحن نسقيها ولكن بعد أن يصدر الرعاء ويبقى في الحوض ماء

نسقى به، فلما علم عذرهما سقى لهما ماشيتهما ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ﴾.

٢ - وقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠].

والشاهد: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾.

والمعنى: أنه بعد أن أخذ يوسف أخاه بالسرقة ولم يقبل استرحامهم له بأخذ غيره بدلاً عنه انحازوا ناحية يفكرون في أمرهم وهو ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا﴾. أي يئسوا ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾. أي اعتزلوا يتناجون في قضيتهم ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾. وهو روبيل مخاطبًا إياهم ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا﴾. يذكرهم بالميثاق الذي أخذه يعقوب عليهم لما طلبوا منه أن يرسل معهم بنيامين لأن عزيز مصر طلبه ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ أي وذكرهم بتفريطهم في يوسف يوم أَلْقَوْه في غيابة الجب وباعوه بعد خروجه من الجب، ومن هنا قال لهم ما أخبر تعالى به: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ: إن موسى كان رجلاً حييًّا ستيرًا لا يرى من جلده شيء؛ استحياءً منه، فآذاه أناس من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده. إما برص وإما أدرة وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يومًا وحده، فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل. فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأٍ من بني إسرائيل فرأوه عريانًا

أحسن ما خلقه الله وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا، فذلك قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا**﴾ [الأحزاب: ٦٩]

٢ - وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات. فأعطت كل واحدة منهما تمرة. ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها. فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ: فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار». [متفق عليه]

٣ - وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سوارى المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال عندي خير. يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فتركه حتى كان الغد، ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: ما قلت لك: وإن تنعم تنعم على شاكر. فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك. فقال، أطلقوا ثمامة. فانطلق إلى نخل قريب إلى المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. يا محمد والله، ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إليّ، وإن خيلك أخذتني، وأنا أريد العمرة فما ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر.

فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا والله، لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ». [متفق عليه]

والخلاصة

أن المرءوة خلق المسلم وهي تقواه لله تعالى وهي صلة الرحم ولكل شيء مروءة:

فمروءة اللسان: حلاوته وطيبه ولينه.

ومروءة الخلق: سعته وبسطه للحبيب والبغيض.

ومروءة المال: بذله في مواقعه المحمودة عقلاً وعرفًا وشرعًا.

ومروءة الجاه: بذله للمحتاج إليه.

ومروءة الإحسان والبذل: تعجيله وتيسيره، وتوفيره وعدم رؤيته حال وقوعه، ونسيانه بعد وقوعه.

وهي للإنسان نفسه، وللخلق، ولله سبحانه.

* * *

٤٨ مكارم الحلم

الحلم هو ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب.

يقال حلم فلان عن فلان إذا لم يقابله على إساءته ولم يجازه عليها.

فالله عز وجل حليم عن عباده، لأنه يعفو عن كثير من سيئاتهم ويمهلهم بعد المعصية ولا يعاجلهم بالعقوبة والانتقام ويقبل توبتهم بعد ذلك(١).

قال الإمام أبو حامد الغزالي (في المقصد الأسنى) الحليم: هو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاتّقاد.

كما قال الله تعالى: **﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** [يونس: ١١].

١ - قال الله تعالى: **﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾** [هود: ٨٧].

◆ **والشاهد:** **﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾** يقول المفسرون يستهزئ أهل مدين بشعيب فيقولون أصلاتك وعلاقتك بربك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟ ثم يتهكمون فيقولون إنك لأنت المتصف بالحلم فأنت الصبور الحليم، الرشيد الذي لا يأمر بغي، بل يأمر بالخير دائماً.

٢ - ويقول تعالى: **﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾** [هود: ٧٤، ٧٥].

◆ **والشاهد:** وصف الله تعالى لإبراهيم عليه السلام وهو خليل الرحمن **﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾** أي إن إبراهيم رقيق القلب حليم لا يعاجل بالعقوبة

(١) استقامة الأسماء الزجاجي..

فأراد تأخير العذاب عنهم لعلهم يتوبون، وكان أواهًا ضارعًا يكثر من قول آه إذا رأى أو سمع ما يسوء ومنيبًا أي توابًا رجاعًا إلى ربه في كل وقت ، ولما ألح إبراهيم في مراجعة الملائكة قالوا له : يا إبراهيم أعرض عن هذا؛ إنه قد جاء أمر ربك أي بهلاك القوم.

٣ ـ وقال تعالى : واصفًا نفسه بالحلم والرحمة والصبر على العصاة. **﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** [يونس: ١١].

والشاهد: تأخير العقوبة وهذا من الحلم.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ : «السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة». [رواه الترمذي وقال: حسن غريب]

٢ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البردة من شدة جبذته ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك ثم أمر له بعطاء. [متفق عليه]

قال لقمان الحكيم: ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة: لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاعة إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه(١).

ويصف عمر رضي الله عنه أبا بكر فيقول: كان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يوم السقيفة أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري الآمال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت. [رواه البخاري]

(١) من الإحياء للغزالي.

والخلاصة

فالحلم كما قال ابن حبان ـ رحمه الله ـ: الحلم منه ما يكون سجية طبعًا ومنه ما يكون تجربة وتكلفًا، ومنه ما يكون مركبًا منهما معًا. وأول الحلم: المعرفة ثم التثبت ثم العزم ثم التصبر، ثم الصبر، ثم الرضا، ثم الصمت والإغضاء، وما الفضل إلا للمحسن لمن أساء فأما من أحسن إلى المحسن، وحلم عمن لم يؤذه، فليس ذلك بحلم ولا إحسان، والناس بالنسبة للمرء ضروب ثلاثة: رجل أعز منك ورجل أنت أعز منه ورجل ساواك في العز.

وللحلم دوافع تدفع إليه:

١ـ الرحمة للجهال.

٢ـ الترفع عن السباب.

٣ـ القدرة على الانتصار.

٤ـ الاستهانة بالمسيء.

٥ـ الاستحياء من جزاء الجواب.

٦ـ التفضل على الساب.

٧ـ استنكاف الساب وقطع السباب.

وفي الحلم رد للسفيه عن الأذى وفي الحزم إغراء فلا تك أخرقًا(١)

وقد أورد الغزالي في الإحياء أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم، ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة ولكن إذا تعود ذلك صار ذلك اعتياداً فلا يهيجه الغيظ. وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب وهذا هو الحلم الطبيعي، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل، ويكون ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفًا ويعتاد ذلك حتى يصير خلقًا مكتسبًا.

---

(١) بتصرف من كتاب روضة العقلاء.

٤٩ مكارم الحياء

الحياء هو انقباض النفس من شيء وتركه حذراً عن اللوم فيه(١).

وفي التهذيب ذكر الجاحظ: الحياء من قبيل الوقار وغض الطرف والانقباض عن الكلام حشمة للمستحيا منه، وهو عادة محمودة ما لم تكن عن عِزّ، ولا عاجز.

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: قال الجنيد ـ رحمه الله ـ: الحياء رؤية الآلاء (النعم) ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى حياءً ومعنى هذه العبارة أن الحياء: حالة للنفس تتولد من رؤية أمرين هما: رؤية النعم من ناحية ورؤية التقصير من ناحية أخرى وهذا التصور خاص بالحياء من المولى عز وجل.

ومن صفات الله تعالى ـ الحيي ـ سبحانه وتعالى يستحيي حياء لا نستطيع تكييفه ولا تشبيهه فهو كما أخبر سبحانه وكما أخبر نبيه ﷺ يستحيي من عبده إذا رفع يديه بالسؤال أن يردهما صفراً، فهو الكريم، وحياؤه حياء كرم وبر وجود، ويستحيي أن يعذب شيبة في الإسلام.

١ ـ قال الله تعالى: **﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** [القصص: ٢٥].

◆ **والشاهد: ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾** أي واضعة كم درعها على وجهها؛ حياءً وقد قال عمر رضي الله عنه: إنها ليست سلفعًا من النساء خراجة ولاجة، وبلغت الرسالة المختصرة وكأنها برقية وبها (إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) وهذا مثال حياء النساء.

---

(١) الجرجاني في التعريفات.

وأما عن حياء النبي ﷺ :

٢ ـ قال الله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾** [الأحزاب : ٥٣] .

◆ **والشاهد :** **﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾** .

◆ **والمعنى :** لما أكلوا طعام الوليمة التي صنعها الرسول ﷺ بعد زواجه من زينب بنت جحش، وكان الحجاب ما فرض بعد على النساء مكثوا بعد انصراف الناس يتحدثون فقام رسول الله ﷺ وخرج أمامهم لعلهم يخرجون فما خرجوا وتردد رسول الله ﷺ على البيت فيدخل ويخرج واستحيا ﷺ أن يقول لهم هيا اخرجوا . فأنزل عليه هذه الآية .

٣ ـ وقال تعالى : **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾** [البقرة : ٢٦] .

◆ **والمعنى :** لا يمنعه حياؤه سبحانه أن يضرب مثلاً مثل البعوضة أو ما دونها، ولا يستبقي .

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ: «إن لكل دين خلقًا وخلق الإسلام الحياء». [رواه ابن ماجة]

٢ - وقال ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت». [رواه البخاري]

٣ - وعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النبي ﷺ: «إذا رأت الماء»، فغضت أم سلمة - تعني وجهها - وقالت: يا رسول الله، أو تحتلم المرأة؟ قال: «نعم، تربت يمينك فبم يشبهها ولدها».

[متفق عليه]

٤ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن الرجل شيء لم يقل لم قلت كذا وكذا؟ ولكنه يعم فيقول: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟». [رواه ابن أبي الدنيا]

٥ - وصدق أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها. [متفق عليه]

٦ - عن أبي بكر - رضي الله عنه - قال وهو يخطب الناس: يا معشر المسلمين استحيوا من الله فوالذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب الغائط في الفضاء متقنعًا بثوبي استحياءً من ربي عز وجل. [رواه ابن أبي الدنيا]

والخلاصة

فالحياء خير كله وهو من الدين بل هو الدين وهو أصل الخير قال ابن القيم - رحمه الله -: وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدراً

وأكثرها نفعًا، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق لم يُقْر الضيف ولم يوف بالوعد، ولم تؤد الأمانة ولم تقض لأحد حاجة، ولا تحري الرجل الجميل فآثره، والقبيح فتجنبه، ولا ستر له عورة ولا امتنع من فاحشة، وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يؤد شيئًا من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقًا، ولم يصل رحمًا ولا بر له والدًا، فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني، وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإما دنيوي علوي، وهو حياء فاعلها من الخلق. فقد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق أو من الخلائق لم يفعلها صاحبها، ثم قال رحمه الله: إن للإنسان آمرين وزاجرين: آمرًا وزاجرًا من جهة الحياء، فإذا امتنع من فعل كل ما يشتهي فله آمرًا وزاجرًا من جهة الهوى والطبيعة، فمن لم يطع آمر الحياء وزاجره، أطاع آمر الهوى والشهوة ولابد[1].

* * *

(١) مدارج السالكين.

٥٠ مكارم دعوة الناس

هي دعوة الناس إلى الإسلام بالقول والعمل.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: إذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لابد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد أقصى يصل إليه السعي ويكفي هذا في شرف العلم أن صاحبه يحوز به هذا المقام والله يؤتي فضله من يشاء(١).

١ ـ قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

[النحل: ١٢٥]

والشاهد: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾.

والمعنى: يخاطب الرب تعالى رسوله تشريفًا وتكليفا ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ أي دينه وهو الإسلام، سائر الناس وليكن دعاؤه ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ التي هي القرآن الحكيم، ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ وهي مواعظ القرآن وقصصه وأمثاله وترغيبه وترهيبه، ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي الطريقة الخالية من السب والشتم والتعريض بالسوء فإن ذلك أدعى لقبول الخصم الحق وما يدعى إليه.

٢ ـ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

[فصلت: ٣٣]

والشاهد: ﴿دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾. هذه شروط ثلاثة:

الأول: دعوته إلى الله تعالى بأنه يعبد فيطاع ولا يُعْصى ويذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر.

(١) التفسير القيم.

الثاني: وعمل صالحًا فأدى الفرائض واجتنب المحارم.

والثالث: وفاخر بالإسلام معتزًا به.

وقال إنني من المسلمين، فلا أحد أحسن قولاً من هذا الذي ذكرت شروط كماله، ويدخل في هذا أولاً الرسل وثانيًا العلماء وثالثًا المجاهدون ورابعًا المؤذنون وخامسًا الدعاة الهداة المهديون.

٣ ـ وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾** [الأنفال: ٢٤].

◈**الشاهد**: **﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾** ينادي الرب تبارك وتعالى خلقه الذين آمنوا ويشرفهم بندائه ليكرمهم بما يأمرهم به أو ينهاهم عنه تربية لهم وإعدادًا لهم لسعادتهم في الدارين فيقول: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** الآية **﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾** فيه إشعار بأن أوامر الله تعالى ورسوله ﷺ مثل النواهي لا تخلو أبدًا مما يحيي المؤمنين أو يزيد حياتهم أو يحفظها عليهم ويدعو المولى سبحانه إلى سرعة الاستجابة لأن الله تعالى قادر على أن يحول بين المرء وما يشتهي والمرء وقلبه.

من أقوال الرسول ﷺ

كانت لرسول الله ﷺ رسائل إلى أهل الجوار من المشركين وأهل الكتاب يدعوهم إلى دين الله، وكانت له ﷺ بعثات.

من البعثات:

١ ـ عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ في حديث هجرة الحبشة ومن كلام جعفر بن أبي طالب في كلامه مع النجاشي ملك الحبشة، فقال له: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيئ

الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله، لنوحده، ونعبده ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان. وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة وصلة الرحم، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ـ قال: فعدد عليه أمور الإسلام ـ فصدقناه وآمنا به، واتبعناه.. [الحديث رواه أحمد]

وكذلك بعثة معاذ إلى أهل اليمن:

ومثل الرسائل، رسالته إلى هرقل ملك الروم، ورسالته لكسرى وغيرهما.

٢ ـ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، قال: فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مأدبة، وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: الدار: الجنة والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس. [رواه البخاري]

والخلاصة

إن الدعوة إلى الله أصبحت ضرورة ملحة للناس كافة.

أولاً: لحاجة الناس إلى الدعوة.

ثانياً: للقيام بالواجب المنوط على أكتاف الدعاة.

وليست الأولى بأحق من الثانية.

وصدق ابن القيم حين أورد: الحمد لله الذي امتن على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون على الأذى، ويبصرون بكتاب الله وأهل العمى، كم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وضال قد هدوه - بفضل الله - بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، يغلبونهم في سالف الدهر وإلى يومنا هذا، فما نسيهم ربك، وما كان ربك نسيًّا، جعل قصصهم هدى، وأخبر عن حسن مقالاتهم، فلا تقصر عنهم فإنهم في منزلة رفيعة وإن أصابتهم الوضيعة.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

* * *

٥١ مكارم النصيحة

النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له لوجوه الخير إرادة وفعلاً، وتشمل النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

قال ابن رجب الحنبلي: إن الناصح ليس له غرض في إشاعة عيوب من ينصح له، وإنما غرضه إزالة المفسدة التي وقع فيها، ولذلك فإنه ينبغي أن تكون سرًّا فيما بين الآمر والمأمور، وأما الإشاعة وإظهار العيوب فهو مما حرمه الله ورسوله، ومن حب إشاعة الفاحشة في المؤمنين.

١ ـ قال الله تعالى: **﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾** [الأعراف:٩٣].

والشاهد: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾.

والمعنى: لقد أبيتم إلا تكذيبي وردّ قولي والإصرار على الشرك والفساد حتى هلكتم، فكيف أحزن ولا معنى للحزن والأسف على مثلكم.

٢ ـ وقال تعالى: **﴿وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** [هود: ٣٤].

والشاهد: ﴿وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾.

أي إن نصحي لا ينفعكم بمعنى أنكم لا تقبلونه مهما أردت ذلك وبالغت فيه إن كان الله جل جلاله يريد أن يغويكم لما فرط منكم وما أنتم عليه من عناد وكفر ومجاحدة ومكابرة؛ إذ مثل هؤلاء لا يستحقون هداية الله تعالى بل الأولى بهم الضلالة حتى يهلكوا ضالين فيشقوا في الدار الآخرة.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ...﴾ [التحريم: ٨].

◆ **الشاهد**: ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ وهو أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بنداء كريم من رب العالمين، بالتوبة العاجلة النصوح التي لا يعود صاحبها إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

٢ ـ وعن معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعيته فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنة». [متفق عليه]

٣ ـ قال رسول الله ﷺ: «إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق». [متفق عليه]

قال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يوصي ابنه عبد الملك بعد ما تولى الخلافة: أما بعد: فإن أحق من تعاهدت بالوصية والنصيحة بعد نفسي أنت، وإن من أحق من رعى ذلك وحفظه عني أنت، وإن الله تعالى له الحمد قد أحسن إلينا إحسانًا كثيرًا بالغًا في لطيف أمرنا وعامته إلى أن قال له: وإني لأعظك بهذا، وإني لكثير الإسراف على نفسي غير محكم لكثير من أمري، ولو أن المرء لم يعظ أخاه حتى يحكم نفسه، ويكمل في الذي خلقه له لعبادة ربه، إذًا تواكل الناس الخير،

وإذًا يرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستحلت المحارم وقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة في الأرض، فلله الحمد رب السموات والأرض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

* * *

٥٢ مكارم التعليم

هو أن يبلغ الرسول كل ما أمر بتبليغه فلا يخفي منه شيئًا ولا يكتم بحال من الأحوال ولا تحمله رهبة على أن يكتم بعضًا مما أوحي إليه وأمر بإبلاغه للناس.

قال القرطبي - رحمه الله - في قوله تعالي: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾** [المائدة:٦٧]. قيل معناه: أظهر التبليغ؛ لأنه كان في أول الإسلام يخفيه خوفًا من المشركين، ثم أمر بإظهاره في هذه الآية، وأعلمه الله أنه يعصمه من الناس، وكان عمر - رضي الله عنه - أول من أظهر إسلامه وقال: لا نعبد الله سراً، وفي ذلك نزلت **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**. فدلت الآية على رد قول من قال: إن النبي ﷺ كتم شيئًا من أمر الدين تقية، وعلى بطلانه، وهم الرافضة، ودلت على أنه ﷺ لم يسر إلى أحد شيئًا من أمر الدين، لأن المعنى: بلغ جميع ما أنزل إليك ظاهراً، ولولا هذا ما كان من قوله عز وجل: **﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾** [المائدة:٦٧] وقيل: بلغ ما أنزل إليك في أمر زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها وقيل غير هذا والصحيح، القول بالعموم.

١ - قال الله تعالى: **﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾** [آل عمران: ٢٠].

◆ **والشاهد: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾** وإن تولوا وأعرضوا فلا يضرك إعراضهم، إذ ما كلفت إلا البلاغ وقد بلغت، أما الحساب والجزاء فهو إلى الله تعالى البصير بأعمال عباده العليم بنياتهم وسوف يجزيهم بعلم ويقضي بينهم بحكم وهو العزيز الغالب على أمره الحكيم.

وفي صفة التبليغ قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ أي الواضح الذي ليس معه شبهه.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٢، ٩٣].

والشاهد: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ﴾.

أولا: البلاغ وظيفة الأنبياء.

ثانيًا: الرسالات كلها تبلغ «اعبدوا الله» فكأنها رسالة واحدة.

ثالثًا: الكفر برسالة يوجب الكفر بكل الرسائل لأن الإيمان لمن آمن بكل ما جاء من عند الله.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

والشاهد: ﴿هَٰذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ﴾ إعلام، وإعلان وإرشاد وإنذار ولينذروا به.

وهذا القرآن بلاغ للناس من رب الناس قد بلغه إليهم رسول رب الناس ﴿وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ أي بما فيه من العظات والعبر والعرض لألوان العذاب وصنوف الشقاء لأهل الإجرام والشر والفساد ﴿وَلِيَعْلَمُوا﴾ أي بما فيه من الحجج والدلائل والبراهين ﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أي معبود واحد لا ثاني له وهو الله جل جلاله فلا يعبدوا معه غيره إذ هو وحده الرب والإله الحق وما عداه فباطل.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ في حجة الوداع: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات ـ ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ـ ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان. أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم» فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس ذا الحجة؟» قلنا: بلى. قال: «فأي بلد هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: «أليس البلدة؟» قلنا: بلى قال: «فأي يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم .... الحديث ثم قال: «ألا هل بلغت، ألا هل بلغت». [رواه مسلم]

٢ ـ قام رسول الله ﷺ بالخيف من مني فقال: «نضر الله امرأً سمع مقالتي فبلغها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائهم». [رواه ابن ماجة]

٣ ـ عن عدي بن حاتم قال: بينا أنا عند النبي ﷺ، إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال: «يا عدي، هل رأيت الحيرة؟» قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها. قال: «فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله»، قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعّار طيء الذين قد سعروا البلاد؟ «ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى» قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليلقيه الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه

ترجمان يترجم له، فيقولن: ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالًا وأفضل عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم» قال عدي: سمعت النبي ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة» قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ: «يخرج ملء كفه». [رواه البخاري]

والخلاصة

أن التبليغ وظيفة الأنبياء كلفهم الله بها ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ وورثها العلماء بإذن من الله ورسوله وقد أشهد الرسول ﷺ الناس «ألا هل بلغت؟ ألا هل بلغت؟، اللهم اشهد».

* * *

٥٣ مكارم الاستئذان

هو فك الحجر وإطلاق التصرف لمن كان ممنوعًا شرعًا.

قال قتادة في معنى ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ هو الاستئذان ثلاثًا فمن لم يؤذن له فليرجع. أما الأولى: فليسمع الحيّ، وأما الثانية: فليأخذوا حذرهم، وأما الثالثة: فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا، ولا تقفن على باب قوم ردوك عن بابهم، فإن للناس حاجات ولهم أشغال والله أولى بالعذر(١).

١ - قال الله تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾**

[النساء: ٦٤]

الشاهد: **﴿لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾**.

والمعنى: بعد تقرير خطأ وضلال من أراد أن يتحاكما إلى الطاغوت كعب بن الأشرف اليهودي وهما اليهودي والمنافق في الآيات التي سبقت هذه الآية أخبر سبحانه في هذه الآية أنه تعالى ما أرسل رسولًا من رسله المئات إلا وأمر المرسل إليهم بطاعته واتباعه والتحاكم إليه وتحكيمه في كل ما يختلفون فيه وذلك أمره وقضاؤه وتقديره فما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن.

٢ - وقال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [النور: ٦٢].

---

(١) من تفسير ابن كثير.

◈ **والشاهد**: ﴿لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

◈ **والمعنى**: يُعَلِمُ الله رسوله والمؤمنين هذا الأدب الجم، أنه إذ كان الناس في أمر جامع كجمعة أو اجتماع لحرب أو أي أمر مجتمع فيه، لم يذهبوا حتى يستأذنوا رسول الله ﷺ فيأذن لمن يشاء، ويعرض سبحانه على المنافقين، فيقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وعرف أنه خلاف فعل المؤمنين هو فعل المنافقين.

٣ - قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾

[الأحزاب: ١٣]

◈ **والشاهد**: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾.

◈ **والمعنى**: أي يطلبون الإذن لهم بالعودة إلى منازلهم بالمدينة بدعوى أن بيوتهم عورة أي مكشوفة أمام العدو وهم لا يأمنون عليها وأكذبهم الله تعالى في قولهم فقال: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ أي ما يريدون بهذا إلا الفرار من وجه العدو.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس خلقك الله بيده.........الحديث» إلى أن يقول ﷺ: «فيأتوني، فأنطلق حتى استأذن على ربي فيؤذن، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء، ثم يقال أرفع رأسك ......الحديث»

[متفق عليه]

٢ ـ وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صدته، فلما استأذن عمر فمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ، فدخل عمر ـ ورسول الله ﷺ يضحك ـ فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب» قال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله، ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «إيهًا، يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا قط إلا سلك فجًا غير فجك». [رواه البخاري]

٣ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: إن النبي ﷺ كان يومًا يحدث ـ وعنده رجل من أهل البادية ـ أن رجلًا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال: أولست فيما شئت؟ قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع، فأسرع وبذر، فتبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: (دونك يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شيء)، فقال الأعرابي: يا رسول الله، لا تجد هذا إلا قرشيًا أو أنصاريًا فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ. [رواه البخاري]

والخلاصة

أن أدب الاستئذان، من الآداب التي أدب بها الله تعالى عباده قد رتب الله استئذان الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم.

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ...... الآية﴾ وقال تعالى في الذين بلغوا الحلم ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وقال في أمر استئذان الناس على الآخرين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ...... الآية﴾.

* * *

٥٤ مكارم إفشاء السلام

هو نشره سرًا أو جهرًا.

قال الغزالي: السلام هو الذي تسلم ذاته عن العيب وصفاته عن النقص، وأفعاله عن الشر، حتى إذا كان كذلك، لم يكن في الوجود سلامة إلا وكانت معزية إليه وصادرة منه.

وقال ابن منظور: السلام - عز وجل - اسم من أسمائه لسلامته من النقص والفناء، وقيل معناه: أنه سلم مما يلحقه الغير من آفات الغَيرِ والفناء، وأن الباقي الدائم الذي يفني الخلق ولا يفنى وهو على كل شيء قدير.

١ - قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

والشاهد: أنه اسم من أسماء الله تعالى.

والمعنى: ذو السلامة من كل نقص الذي لا يطرأ عليه النقص المصدق رسله بالمعجزات.

٢ - وقال الله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق: ٣٤].

أي ادخلوا الجنة بسلام أي مسلمًا عليكم وسالمين من كل خوف كالموت والمرض والألم والحزن وزوال النعمة بعد يوم الخلود، وهذا هو يوم الخلود.

٣ - وقال تعالى: ﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣]

والشاهد: ﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ﴾.

◈ **والمعنى**: أنه أخبر عليه السلام أن عليه السلام التام والأمان يوم ولد فلم يقربه شيطان ويوم يموت فلا يفتن في قبره ويوم يبعث حيًا فلا يحزنه الفزع الأكبر ويكون من الآمنين السعداء في دار السلام.

٤ - وقال الله تعالى: ﴿**دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [يونس: ١٠].

◈ **والشاهد**: ﴿**تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ**﴾.

◈ **والمعنى**: أن نعيم الجنة روحاني وجسماني، أما الجسماني يحصلون عليه بقولهم: سبحانك اللهم والروحاني يحصلون عليه بسلام الله تعالى عليهم وملائكته وهذا معنى تحيتهم فيها سلام وإذا فرغوا من المآكل والمشارب قالوا: الحمد لله رب العالمين.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ: «إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة». [رواه أبو داود وصححه الألباني]

٢ - وقال رسول الله ﷺ: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام». [رواه الطبراني في الأوسط]

٣ - عن أبي واقد الليثي - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، فلما وقفا على رسول الله ﷺ سلما، فأما أحدهما، فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الآخر فأدبر ذاهبًا فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه». [رواه البخاري]

والخلاصة

أن السلام اسم من أسماء الله تعالى وأمر سبحانه بإفشائه وسن الرسول ﷺ له سنن وآداب وجعله تحية المسلمين وهو فوق ذلك تحية أهل الجنة.

فإنه ﷺ كان يسلم على الصغير والكبير والنساء والعبيد وكان يأمر أن يسلم الماشي على الجالس والراكب على الماشي والقليل على الكثير، وسن له صيغة وهي السلام عليكم أو السلام عليكم ورحمة الله أو يزيد وبركاته.

وأمر الله تعالى بالصلاة والسلام على النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٦].

والسلام من أسماء الجنة فهي دار السلام.

* * *

55 مكارم الصلح

مأخوذ من الصلح: والصلح: عقد يرفع النزاع وهو بمعنى المصالحة.

قال ابن القيم - رحمه الله - فالصلح الجائز بين المسلمين هو الذي يعتمد فيه رضى الله سبحانه ورضى الخصمين، فهذا أعدل الصلح وأحقه، وهو يعتمد العلم والعدل، فيكون المصلح عالمًا بالوقائع، عارفًا بالواجب قاصداً للعدل، فدرجة هذا أفضل من درجة الصائم القائم(١).

١ - قال الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام:٤٨].

◈ **والشاهد**: ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

◈ **والمعنى**: لا نكلف المرسلين إلا بحمل البشارة بالنجاة ودخول الجنة، لمن آمن وعمل صالحًا والنزارة لمن كفر وعمل سوءاً ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

◈ **والشاهد**: ﴿أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾.

◈ **والمعنى**: أخبر سبحانه وتعالى أنه لا يآخذهم باللغو في أيمانهم وهو أن يحلف الرجل على الشيء يظنه كذا فيظهر على خلاف ما ظن، أو أن يجري على لسانه ما لا يقصده من الحلف كقوله، لا والله، وبلى والله، فهذا مما عفا الله عنه لعباده فلا إثم فيه ولا كفارة تجب فيه، ونهى الله تبارك وتعالى عباده

---

(١) من أعلام الموقعين.

المؤمنين أن يجلعوا الحلف به مانعًا من فعل الخير وذلك كأن يحلف العبد أن لا يتصدق على فلان أو أن لا يكلم فلانًا أو أن لا يصلح بين اثنين.

٣ - قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

والشاهد: ﴿وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

والمعنى: واعد الله تعالى موسى أن يناجيه بجبل الطور وجعل له الموعد الذي يلقاه فيه شهرًا ثلاثين يوماً وكانت شهر القعدة وزادها الله عشرًا من أول الحجة فتم الميقات أربعين ليلة. وعند خروجه عليه السلام استخلف في بني اسرائيل أخاه هارون وأوصاه بالإصلاح، ونهاه عن اتباع المفسدين، والإصلاح هنا بمعنى الرفق.

٤ - وقال سبحانه - ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

والشاهد: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾.

والمعنى: ويفتح الله باب الرجاء فيقول: (والذين يمسّكون بالكتاب) أي يعملون بحرص وشدة بما فيه من الأحكام والشرائع ولا يفرطون في شيء من ذلك وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين. ومعنى هذا أنهم مصلحون إن تمسكوا بالكتاب وأقاموا الصلاة، وأن الله تعالى سيجزيهم على إصلاحهم لأنفسهم ولغيرهم أعظم الجزاء وأوفره، لأنه تعالى لا يضيع أجر المصلحين.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ : « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا » .

[رواه مسلم]

٢ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهم، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء وهو يقول : والله لا أفعل فخرج عليهما رسول الله ﷺ فقال : « أين المُتألي على الله لا يفعل المعروف؟ فقال : يارسول الله فله أي ذلك أحب » . [رواه البخاري]

٣ ـ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال : « توفي أبي وعليه دين فعرضت على غرمائه أن يأخذوا التمر بما عليه فأبوا، ولم يروا أن فيه وفاء فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال : إذا جددته فوضعته في المربد اذنت رسول الله ﷺ . فجاء ومعه أبو بكر وعمر فجلس عليه ودعا بالبركة ثم قال : « ادع غرمائك فأوفهم » فما تركت أحداً له على أبى دين إلا قضيته وفضل ثلاثة عشر وسقًا : سبعة عجون وستة لون، فوافيت مع رسول الله ﷺ المغرب فذكرت ذلك له فضحك فقال : ائت أبا بكر وعمر فأخبرهما فقالا : لقد علمنا ـ إذ صنع رسول الله ﷺ ما صنع ـ أنه سيكون ذلك » . [رواه البخاري]

والخلاصة

إن الإصلاح خير كله إذ قال ربنا تبارك وتعالى: «والصلح خير وقال: اتركوا هذين حتي يصطلحا وسوى بينهما وبين المشركين في عدم الغفران، إذ تأخر غفران ذنوبهما حتى يصطلحا.

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - إذا أتاك رجل ليشكو إليك رجلاً فقل يا أخي اعف عنه فإن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو ولكن أنتصر كما أمرني الله - عز وجل - قل: فإن كنت تحسن تنتصر مثلاً بمثل وإلا فارجع إلى باب العفو فإنه باب أوسع، فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله، وصاحب العفو ينام الليل على فراشه، وصاحب الانتصار يقلب الأمور[1].

* * *

(١) حلية الأولياء.

٥٦ مكارم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

هو الأمر بكل خير والنهي عن كل شر. أو هو الدلالة على الخير والمنع عن الشر.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه **﴿وَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [النور: ٦٣].

فينبغي لطلب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله ـ عز وجل ـ أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم لاسيما وقد ذهب معظمه، وعلى الآمر بالمعروف أن يخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته لأن الله تعالى قال: **﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾**، وقال تعالى: **﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**. وقال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾**. وقال تعالى: **﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾** واعلم أن الأجر على قدر النصب ولا يتركه أيضاً لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقاً ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته. ثم قال: لا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه الأمر والنهي لا القبول، كما قال عز وجل: **﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾**.

وعلى الآمر الناهي أن يكون كامل الحال ممتثلًا ما يأمر به مجتنبًا ما ينهى عنه، فإنه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر، قال العلماء: ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات، بل ذلك جائز لآحاد المسلمين.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والشاهد: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ أي أنتم خير أمة ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ بشرط ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

٢ ـ وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]

والشاهد: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾.

والمعنى: علّم الله تعالى رسوله ﷺ كيف يحاج المشركين لإبطال باطلهم في عبادة غير الله تعالى والإشراك به عز وجل علم في هذه الآية أسمى الآداب وأرفعها وأفضل الأخلاق وأكملها فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ أي خذ ما سهل من أخلاق الناس وتيسر لهم فعله، ولا تطالبهم بما لا يملكون أو بما لا يعلمون أمرهم بالمعروف وأعرض عن الجاهلين منهم لا تعنفهم ولا تغلظ القول لهم فقد سأل ﷺ جبريل عليه السلام عنها فقال: تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

◆والشـاهد: ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

◆والمعنى: أي إن الله يأمر في الكتاب الذي أنزله تبيانًا لكل شيء، يأمر بالعدل وهو الإنصاف ومن ذلك أن يعبد الله بذكره وشكره لأنه الخالق المنعم وتترك عبادة غيره لأن غيره لم يخلق ولم يرزق ولم ينعم بشيء والإحسان وهو أداء الفرائض واجتناب المحرمات مع مراقبة الله في ذلك حتى يكون الأداء على الوجه المطلوب اتقانًا وجودة والاجتناب خوفًا من الله حياءً منه، وينهى عن الفحشاء (جميعها) والمنكر غير المستساغ لدى الطباع السلمية والبغي (الظلم).

من أقوال الرسول ﷺ

١ـ قال الرسول ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم».

[رواه الترمذي وقال: حديث حسن وحسنه الألباني]

٢ـ وعن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «على كل مسلم صدقة» قالوا: فإن لم يستطع، أو لم يفعل؟ قال: «فليأمر بالخير» أو قال: «بالمعروف» قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «فيمسك عن الشر، فإنه له صدقة».

[متفق عليه واللفظ للبخاري]

٣ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل». [رواه مسلم]

والخلاصة

كما جمعها الإمام الغزالي - رحمه الله - إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه، وأهمل علمه وعمله لتعطبت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة، وفشت الضلالة وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخزق، وخربت البلاد وهلكت العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد، وقد كان الذي خفنا، فإنا لله وإنا إليه راجعون إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم، فمن سعى في تلاقي هذه الفترة، وسد هذه الثملة إما متكلفًا بعملها أو متقلداً لتنفيذها مجدداً لهذه السنة الدائرة ناهضًا بأعبائها ومستثمراً في إحيائها، كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها، ومستبداً بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها.

* * *

٥٧ مكارم الولاء والبراء

والولاء ضد البراء، **والولاء**: هو التقرب وإظهار الود بالأقوال والأفعال والنوايا، لمن يتخذه الإنسان وليًا.

والبراءة: هي انقطاع العصمة.

قال ابن حجر: والمراد لولي الله العالم بالله تعالى المواظب على طاعتة المخلص في عبادته وقيل إن لفظ الموالاة مشتق من الولاء، وهو الدنو والتقرب والولاية ضد العداوة، والولي عكس العدو، والمؤمنون أولياء الرحمن، والكافرون أولياء الطاغوت والشيطان، لقرب الفريق الأولى من الله بطاعته وعبادته، وقرب الفريق الثاني من الشيطان بطاعتهم أوامره وبعدهم عن الله بعصيان ومخالفة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: على المؤمن أن يعادي في الله ويوالى في الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه ـ وإن ظلمه ـ فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية. وإذا اجتمع في الرجل الواحد: خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ**﴾

[آل عمران: ١٤٩ ـ ١٥٠]

◆ **والمعنى**: إن المنافقين لما رؤوا هزيمة المؤمنين في أحد قالوا في المؤمنين: ارجعوا إلى دينكم وإخوانكم ولو كان محمد ﷺ نبيًا لما قتل إلى آخر ما من شأنه أن يقال في تلك الساعة الصعبة من الاقتراحات التي قد كشف عنها هذا النداء

الإلهي للمؤمنين وهو يحذرهم من طاعة الكافرين فأنزل سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾. فلا شك أن الكافرين قد طالبوا المؤمنين بطاعتهم بتنفيذ بعض الاقتراحات التي ظاهرها النصح وباطنها الغش والخديعة، فنهاهم الله تعالى عن طاعتهم في ذلك وهذا النهى وإن نزل في حالة خاصة فإنه عام في المسلمين على مدى الحياة فلا يحل طاعة الكافرين من أهل الكتاب وغيرهم وفي كل ما يأمرون به أو يقترحونه، ومن أطاعهم ردوه عن دينه إلى دينهم فينقلب: يرجع خاسراً في دنياه وآخرته والعياذ بالله، ثم أمر سبحانه بطاعته تعالى إذ هو أولى بذلك لأنه ربهم ووليهم ومولاهم فهو أحق بطاعتهم من الكافرين فقال تعالى: ﴿**بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ**﴾.

فأطيعوه ولا تطيعوا أعداءه وإن أردتم أن تطلبوا النصر بطاعة الكافرين فإن الله تعالى خير الناصرين فاطلبوا النصر منه بطاعته فإنه ينصركم.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [التوبة: ٥١].

◆ **والمعنى**: علّم الله سبحان رسوله ﷺ ما يقوله إغاظة لأولئك المنافقين وإخباراً لهم بما يسؤهم فقال: ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**﴾. أى من حسنة أو سيئة وما يكتبه ربنا لنا لن يكون إلا خيراً لأنه مولانا، ونحن مؤمنون وعلى ربنا متوكلون.

٣ ـ قال تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾

[الممتحنة: ٤]

◆ **والمعنى**: إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ـ من أصنام وأوثان «كفرنا بكم فلم نعترف لكم بوجود يقتضي مودتنا ونصرتنا لكم وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء بصورة مكشوفة لاستار عليها لأننا موحدون وأنتم مشركون لأننا مؤمنون وأنتم كافرون وسوف تستمر هذه المعاداة وهذه البغضاء بيننا وبينكم حتى تؤمنوا بالله وحده ربًا وإلهًا لارب غيره ولا إله سواه إذًا فأتسوا أيها المسلمون بإمام الموحدين إبراهيم عليه السلام اللهم إلا ما كان من استغفار إبراهيم لابنه فلا تأتسوا به فتستغفروا الموتاكم فإن إبراهيم قد ترك ذلك لما علم أن أباه لا يؤمن وأنه يموت كافراً.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: إن الله قال: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدى بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها. ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت عن شيءٍ أنا فاعله ترددى عن المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته». [رواه البخاري]

٢ ـ عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه ومعاذا راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته فلما فرغ قال: يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا أو لعلك أن تمر بمسجدي هذا، أو قبري «فبكى معاذ جشعًا لفراق رسول الله ﷺ ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: إن أولى الناس لي المتقون من كانوا وحيث كانوا». [رواه أحمد]

٣ ـ وعن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ قال: « لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر ـ اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها. الهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها ». [رواه مسلم]

والخلاصة

إن الولاء والبراء هو حياة قلب المؤمن إذا لا يكون مؤمنًا إلا من أحب في الله وأبغض في الله وهي أوثق عرى الإيمان ورحمه الله الإمام ابن تيمية إذ يقول: ليس للقلوب سرور ولا لذة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه، ولا تمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله وهى ملة إبراهيم الخليل عليه السلام، وسائر الأنبياء والمرسلين صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين، أما شقها الثاني .محمد رسول الله: فمعناه تجريد متابعته ﷺ فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر ومن هنا كانت لا إله إلا الله ولاءًا وبراءًا نفيًا وإثباتًا.

* * *

٥٨ مكارم الشكر

هو عرفان الإحسان ونشره.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في مدارج السالكين: الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبةً، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة..

ومن الأسماء الحسنى المتصف بها الله تعالى الشكور. وهو الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقي النافع، ويعفو عن الكثير من الزلل ولا يضيع أجر من أحسن عملاً، بل يضاعفه أضعافًا مضاعفة بغير عد ولا حساب. ومن شكره أنه يجزي بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. وقد يجزي الله العبد على العمل بأنواع من الثواب العاجل قبل الأجل، وليس عليه حق واجب بمقضي أعمال العباد، وإنما هو الذي أوجب الحق على نفسه كرمًا منه وجودًا، والله لا يضيع أجر العاملين إذا أحسنوا في أعمالهم وأخلصوها لله تعالى(١). شرح الشافية الكافية.

١ - قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥١].

◈**والشاهد**: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

◈**والمعنى**: أمر تعالى المؤمنين بذكره وشكره ونهاهم عن نسيانه وكفره لما في ذكره بأسمائه وصفاته ووعده ووعيده من موجبات محبته ورضاه، ولما في شكره بإقامة الصلاة وأداء سائر العبادات من مقتضيات رحمته وفضله، ولما في نسيانه وكفران من التعرض لغضبه وشديد عقابه وأليم عذابه.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨].

◆ والشاهد: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

◆ والمعنى: أن حقيقة الخلق هذه حقيقة لا تنكر، الله الذي أخرجنا من بطون أمهاتنا بعد أن صورنا في الأرحام ونمانا حتى صرنا بشراً ثم أذن بإخراجنا، وخرجنا لانعلم شيئًا قط، هذه أية القدرة الإلهية والعلم والإلهي والتدبير الإلهي، فهل للأصنام شيء من ذلك؟ والجواب لا، وثانيًا جعل الله تعالى لنا الأسماع والأبصار والأفئدة نعمة أخرى، إذ لولا ذلك ما سمعنا ولا أبصرنا ولا عقلنا وما قيمة حياتنا يومئذ، إذ العدم خير منها. وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. كشف كامل عن سر هذه النعمة وهى أن جعلنا نسمع ونبصر ونعقل ليكلفنا فيأمرنا وينهانا فنطيعه بامتثال أوامره واجتناب نواحيه وذلك شكره منا مع ما في ذلك الشكر من خير، إنه إعداد للسعادة في الدارين، فهل من متذكر يا عباد الله؟.

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ [القمر: ٣٥].

◆ والشاهد: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾. أي كان إنجاؤهم إنعامًا منا عليهم ورحمة منا بهم، وقوله: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾. أي كهذا الإنجاء أي من العذاب الدنيوى نجزى من شكرنا فأمن بنا وعمل صالحًا طاعة لنا وتقربًا إلينا.

٤ ـ وقال عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].

◆ والشاهد: ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾.

◆ والمعنى: ولما ذكر تعالى إنعامه على آل داود وشكرهم له أخبر أنه قليل من عباده من يشكر إنعامه عليه ذكر أولاد سبأ وأنه أنعم عليهم بنعم عظيمة

وأنهم ما شكروها فأنزل بهم نقمته وسلبهم نعمته وذلك جزاء لكل كفور؛ لقد كان لسبإٍ وهم الأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار، ومن أنمار جنعم وبجيلة ومن أولاد سبأ أربعة سكنوا في الشام وهم: لخمه وجدام وغسان وعاملة، وأبوهم سبأ هو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ﴾. أي في مسكنهم علامة على قدرة الله وإفضاله على عباده وهي ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾. الوادي أي جنتان عن يمين الوادي وأخرى عن شماله كلها فواكه وخضر، تسقى بماء سد مأ رب ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾. أي قلنا لهم كلوا من رزق ربكم ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾. أي هذا الإنعام بالإيمان به وبرسله وطاعته وطاعة رسله. وقوله ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾. أي هذه بلدة طيبة وهي صنعاء اليمن مناخها طيب وتربتها طيبة لا يوجد بها وباء ولا الهوام ولا حشرات ولا العقارب ونحوها، ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾. يغفر ذنوبكم متى أذنبتم وتبتم واستغفرتم. ولكن أبطرتهم هذه النعمة فكفروها ولم يشكروا.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «خصلتان من كانت فيه كتبه الله شاكراً صابراً، ومن لم تكن فيه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، ونظر في دنياه إلى من هو دونه، فحمد الله على ما فضله به عليه كتبه الله شاكراً صابراً، ومن نظر في دينه إلى من هو دونه، ونظر في دنياه إلى من فوقه فأسف على ما فاته منه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً. [رواه الترمذي وقال حسن]

٢ ـ قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة: يا ابن آدم حملتك على الخيل والإبل، وزوجتك النساء وجعلتك تربع وترأس، فأين شكر الله؟».

[رواه مسلم]

٣ ـ وقال ﷺ: «لا أحد أغير من الله، ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شيء أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه». [رواه مسلم]

والخلاصة

أن الشكر تقوى الله تعالى والعمل الصالح، وأنواعه ثلاثة :ـ شكر القلب وشكر اللسان وشكر سائر الجوارح. وقواعده خمس: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته والثناء عليه بها وألا يستعملها فيما يكره.

قال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ عليكم بملازمة الشكر على النعم فقلّ نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم».

* * *

٥٩ مكارم الثناء

هو الكلام الجميل وقل: هو الذكر بالخير. قال الزجاج: سميت الفاتحة بالمثاني لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه(١).

١ ـ قال الله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

◆ **والمعنى**: من المناسبات التي قيلت في نزول هاتين الآيتين: أن الرسول ﷺ لما أخبر أصحابه أن ملك أمته سيبلغ كذا وكذا في أحاديث صحاح سخر اليهود والمنافقون من إخبار الرسول ﷺ بذلك مستبعدن له غاية البعد لجهلهم وكفرهم فأنزل الله تعالى هاتين الآيتين ضمن الرد على نصارى نجران فأمره أن يقول: ﴿**اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ**﴾. الآية أمره أن يقول ذلك ليعطيه ما وعده به من اتساع ملك أمته حتى يشمل ملك فارس والروم وليرد على ضلال النصارى في تأليه عيسى عليه السلام، إذ المعبود بحق المستحق للعبادة والتأليه دون سواه من هو مالك الملك كله، ويتصرف فيه وحده يؤتي منه ما يشاء لمن يشاء، وينزع ممن أعطاهم ما شاء متى شاء لا يحول دون تصرفه حائل، ولا يقف دون إعطائه أو نزعه واقف، يعز الذليل متى شاء ويذل العزيز متى شاء واقف بيده الخير لا بيد غيره يفيضه على من يشاء، ويمنعه عمن شاء وهو على كل شيء قدير. يولج الليل في النهار فلا يبقى ليل ويولج النهار في الليل فلا يبقى

---

(١) التفسير الكبير.

نهار، مظهر من مظاهر القدرة الموجبة لألوهيته وطاعته ومحبته، ويدخل ساعات من الليل في النهار فيقصر الليل ويطول النهار، ويدخل ساعات من النهار في الليل فيطول، مظهر من مظاهر الحكمة والقدرة والرحمة، يخرج الحي من الميت الإنسان من النطفة والنبتة من الحبة ويخرج الميت من الحي النطفة من الإنسان الحي والبيضة من الدجاجة، والكافر الميت من المؤمن الحي، والعكس كذلك، هذه مظاهر ربوبيته المستلزمة لألوهيته فتقرر أنه الإله الحق، لا رب غيره ولا إله سواه، وبذلك تأكد أمران: الأول: أن الله قادر على إعطاء رسوله ﷺ ما وعده لأمته، وقد فعل، والثاني: إن عيسى لم يكن إلا عبداً مربوباً لله بالعبودية وشرفه بالرسالة وأيده بالمعجزات.

٢ ـ وقال تعالى: **﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾**

[النساء: ٤٥]

◆ **والشاهد: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾.**

◆ **والمعنى**: والله أعلم بأعدائكم الذين يودون ضركم ولا يودون نفعكم، أخبركم بهم لتعرفوهم وتجتنبوهم فتنجوا من مكرهم وتضليلهم، **﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾**. لكم تعتمدون عليه وتفوضون أمركم إليه وكفى بالله نصيراً ينصركم عليهم وعلى غيرهم فاعبدوه وتوكلوا عليه.

٣ ـ قال تعالى: **﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا**

وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٥٩-٦٥].

أخبر تعالى أنه أعلم بالظالمين المستحقين للعقوبة وهو سبحانه أعلم بالصغيرة والكبيرة وهو عز وجل يعلم أكثر من ذلك فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ودليل ذلك أنه عنده مفاتح الغيب أي خزائن الغيب وهو الغيب الذي استأثر بعلمه فلا يعلمه سواه، ويعلم ما في البر والبحر وهذا من عالم الشهادة، إضافة إلى ذلك أن كل شيء كان أو يكون من أحداث العالم قد حواه كتاب له اسمه اللوح المحفوظ، وهو ما نزل عليه قوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾. وما كتبه قبل وجوده فقد علم إذًا عالم الغيب والشهادة وأحصى كل شيء علمًا، فكيف إذًا لا يعبد ولا يرغب ولا يرهب منه وأين هو في كماله وجلاله من أولئك الأموات من أصنام وأوثان؟ ثم قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾. حال نومكم إذ روح النائم تقبض ما دام نائمًا ثم يرسل إليه عند إرادة الله بعثه من نومه أي يقظته، وقوله: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾. أي في النهار المقابل وعلة هذا أن يقضى ويتم الأجل الذي حدده تعالى للإنسان يعيشه وهو مدة عمره طالت أو قصرت وهو معنى ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾. وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾. لا محالة وذلك بعد نهاية الأجل، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم﴾. بعلم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. من خير وشر ويجازيكم بذلك وهو خير

الفاصلين. وفي الآية الثالثة يخبر تعالى عن نفسه أيضًا تقريرًا لعظيم سلطانه الموجب له بالعبادة والرغبة والرهبة إذ قال مخبراً عن نفسه . وهو القاهر فوق عباده ذو القهر التام والسلطان الكامل على الخلق أجمعين.

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

والشاهد: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾.

والمعنى: أي محصين لأعمال العباد لعلمنا المحيط بكل شيء قدرتنا التي لا يعجزها شيء ـ ألا فلنتق الله أيها العقلاء!!

٥ ـ وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧]

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ وقال الرسول ﷺ: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج ثلاثًا غير تام. فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام. فقال: اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله ﷺ قل: قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل. فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي وإذا قال: ما لك يوم الدين. قال: مجدنى عبدي (وقال مرة): فوض إليّ عبدى. فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بينى وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل». [رواه مسلم]

٢ ـ وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء. قالت: فغرت يومًا فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشرق قد أبدلك الله ـ عز وجل ـ بها خيراً منها قال: ما أبدلني الله ـ عز وجل ـ خيراً منها ـ قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ـ عز وجل ـ ولدها إذ حرمني أولاد النساء». [رواه أحمد]

٣ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته، فوقعت يدى على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: «اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناءاً عليك أنت كما أثنيت على نفسك». [رواه مسلم]

٤ ـ عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان النبي ﷺ، إذا رفع مائدته قال: الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا». [رواه البخاري]

والخلاصة

والثناء على الله هو الإخبار عن محاسن المحمود مع حبه تعظيمه فلا بد فيه من اقتران الإرادة بالخير بخلاف المدح فإنه إخبار مجرد. قال الشافعي: رحمه الله تعالى: أحب أن يقدم المرء حمد الله تعالى والثناء عليه سبحانه وتعالى والصلاة على رسول الله ﷺ.

* * *

٦٠ مكارم الاعتصام

هو الاستمساك بالكتاب والسنة والتمسك بعهد الله على عباده وهو الإيمان والطاعة.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - الاعتصام نوعان اعتصام بالله واعتصام بحبل الله - قال الله تعالي: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]. ومدار السعادة الدنيوية والأخروية على الاعتصام بالله، والاعتصام بحبله، ولا نجاة إلا لمن تمسك بهاتين العصمتين. فأما الاعتصام بحبله؛ فإنه عصمة من الضلالة، والاعتصام به سبحانه. يعصمه من الهلكة، فإن السائر إلى الله كا لسائر على طريق نحو مقصده، فهو محتاج إلى هداية الطريق والسلامة فيها، فلا يصل إلى مقصده إلا بعد حصول هذين الأمرين له. فالدليل كفيل بعصمته من الضلالة، وأن يهديه إلى الطريق، والعدة والقوة والسلاح التي بها تحصل له السلامة من قطاع الطريق وآفاتها.

فالاعتصام بحبل الله يوجب له الهداية واتباع الدليل. والاعتصام بالله يوجب له القوة والعدة والسلاح.

١ - قال الله تعالى: **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**

[آل عمران: ١٠٣]

◆ **والشاهد: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾.**

والمعنى: أرشد الله عباده إلى الاعتصام بدين الله وبشر المعتصمين بالهداية إلى طريق السعادة وأمرهم بالتمسك بالإسلام عقيدة وشريعة ونهاهم عن التفرق والاختلاف وأرشدهم إلى ذكر نعمته تعالى عليهم بالألفة والمحبة التي كانت ثمرة هدايتهم للإيمان والإسلام، بعد أن كانوا أعداء متناحرين مختلفين فألف بين قلوبهم فأصبحوا بها إخوانًا متحابين متعاونيين كما كانوا قبل نعمة الهداية إلى الإيمان على شفا جهنم لومات أحدهم يومئذ لوقع فيها خالداً أبداً، وكما أنعم عليهم وأنقذهم من النار مازال يبين لهم الآيات الدالة على طريق الهداية الداعية إليه ليثبتهم على الهداية ويكلمهم فيها.

٢ - وقال الله تعالى: **﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**.

والشاهد: **﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**.

٣ - قال الله تعالى: **﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾** [لقمان: ٢٢].

والشاهد: **﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾**. والمعنى بعد إقامة الحجة على المشركين في عبادتهم غير الله وتقليدهم لآبائهم في الشرك والشر والفساد. قال تعالى مرغبًا في النجاة داعيًا إلى الإصلاح: **﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾**. أي يقبل بوجهه وقلبه على ربه يعبده متذللاً له خاضعًا لأمره ونهيه **﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾**. أي والحال أنه محسن في عبادته إخلاصًا فيها لله. واتباعًا في أدائها لرسوله ﷺ **﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾**. أي قد أخذ بالطرف الأوثق فلا يخاف انقطاعًا أبداً وقوله تعالي: **﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾**. يخبر تعالى أن راد الأمور كلها لله تعالى يقضي فيها بما يشاء فيفوض العبد أموره كلها لله إذ هي عائدة إليه فيتخذ بذلك له يداً عند ربه.

٤ ـ وقال الله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].

◈ **والشاهد:** ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾.

◈ **والمعنى:** أي استمسك يا رسولنا بما يأمرك به هذا القرآن الذي أوحاه إليك ربك إنك على طراط مستقيم وهو الإسلام الذي لا شقي من تمسك به فعاش عليه ومات عليهم.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال». [رواه مسلم]

٢ ـ عن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ قال: قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا، بماء يدعى خما بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقليه: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به فحث على كتاب الله، ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتى، أذركركم الله في أهل بيتى، أذكركم الله في أهل بيتى، أذكركم الله في أهل بيتى». [رواه مسلم]

والخلاصة

فإن الاعتصام بالله وبدينه ـ سبحانه وتعالى ـ هو الاستعانة به سبحانه والاستمساك بدينه وشرعه.

وقال ابن بطال: لا عصمة لأحد إلا في كتاب الله، أو في سنة رسوله، أو في إجماع العلماء على معنى في أحدهما. [فتح الباري]

* * *

٦١ مكارم الولاء والبراء

هي حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى أو هي بذل المستطاع في أمر المطاع.

قال ابن بطال: جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل، قال الله تعالى: **﴿أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾** [النازعات: ٤٠]. ويقع بمنع النفس عن المعاصي، وبمنعها من الشبهات، وبمنعها من الإكثار من الشهوات المباحة لتتوفرلها في الآخرة.

١ - قال الله تعالى: **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾** [الكهف: ٢٨].

والشاهد: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾.

والمعنى: أن الله تعالى يوجه الرسول الله ﷺ أن لا يقبل من المشركين أن يبعد الفقراء كبلال، وصهيب وغيرهما ليجلسوا إليه ويسمعوا منه، وأمره أن يحبس نفسه مع أولئك الفقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم في صلاتهم في الصباح والمساء لا يريدون بصلاتهم وتسبيحهم ودعائهم عرضًا من أعراض الدنيا وإنما يريدون رضا الله ومحبته بطاعته في ليلهم ونهارهم. ولا تعد عيناك عنهم أي لا تتجاوز ببصرك هؤلاء المؤمنين الفقراء إلى أولئك الأغنياء تريد مجالستهم للشرف والفخر.

٢ - قال الله تعالى: **﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾** [الشمس: ٧-٩].

◆والشاهد: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾.

◆والمعنى: أي خلقها وسوى خلقها، وألهمها، أي بين لها الخير والشر أي ما تعلمه من الصالحات ما تجنبه من المفسدات فأقسم تعالى بأربع من مخلوقاته العظام وبنفسه وهو العلي العظيم على ما دل عليه قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾. وهو المقسم عليه وهو أن من وفقه الله وأعانه فزكى نفسه أي طهرها بالإيمان والعمل الصالح مبعداً لها عما يدنسها من الشرك والمعاصي فقد أفلح بمعنى فاز يوم القيامة وذلك بالنجاة من النار ودخول الجنة لأن معنى الفوز لغة هو السلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب وأن من خذله الله تعالى لما له من سوابق من الشر والفساد فلم يزكي نفسه بالإيمان والعمل الصالح، ودسها أي دسها أخفاها وأضمحلها بما أفرغ عليها من الذنوب وما غطاها من آثار الخطايا والآثام فقد خاب بمعنى خسر في آخرته فلم يفلح فخسر نفسه وأهله وهو الخسران المبين.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن سبرة بن أبي فاكه ـ رضي الله عنه ـ قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، قعد في طريق الإسلام فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك؛ فعصاه وأسلم، وقعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر وتزر أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول، فعصاه فهاجر، ثم قعدله بطريق الجهاد، فقال: تجاهد، فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل، فتنكح المرأة ويقسم المال؟ فعصاه فجاهد، قال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، وإن غَرِق كان حقًا على الله أن

يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقًا على الله أن يدخله الجنة».

[رواه النسائي وصحيحه ابن حبابه]

٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله ـ عز وجل ـ: «أنا عند ظن عبدي به، وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكري في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم. وإن تقرب إليّ شبراً، تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا. وإن أتاني يمشي أتيته هروله». [متفق عليه]

٣ ـ وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ: «إذا صلى، قام حتى تفطر رجلاه، فقالت عائشة: يا رسول الله، أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً». [متفق عليه]

والخلاصة

أن مجاهدة النفس رياضات مطلوبة، يتخطى بها من درجة إلى درجة، ولها أوجه وهي القوت من الطعام، والغمض من المنام، والحاجة من الكلام، وحمل الأذى من جميع الأنام، فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات، ومن قلة المنام صفو الإرادات.

ومن قلة الكلام السلامة من الآفات. ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات. وليس على عبد شيء أشد من الحلم عند الجفاء، والصبر على الأذى، وإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام، وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت جردت سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام، وضربتها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام

فتأمن من بوائقها من بين سائر الأنام وتصفيتها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها، فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية، فتجول في ميدان الخيرات، وتسير في مسالك الطاعات، كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان[1].

* * *

(١) إحياء علوم الدين.

٦٢ مكارم الاجتماع

هو أن يجتمع المسلمون على كتاب الله وسنة رسول ﷺ.

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. إن الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة لأن الفرقة هلكة والجماعة نجاة، روى عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في الآية الكريمة أن حبل الله هو الجماعة، وقال: «القرطبى»: يجوز أن يكون المعنى: ولا تفرقوا متابعين الهوى والأغراض المختلفة بدليل قولة تعالى بعد ذلك: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾. وليس في الآية دليل على تحريم الاختلاف في الفروع؛ لأن الاختلاف يتعذر معه الائتلاف والجمع، وليست كذلك مسائل الاجتهاد، لأن الاختلاف فيها يسبب إستخراج الفرائض ودقائق معاني الشرع، وما زالت الصحابة ـ رضوان الله عليهم، يختلفون في أحكام الحوادث وهم مع ذلك متألفون». [تفسير القرطبي (٤/١٥٩)]

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

◆ **والشاهد**: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

◆ **والمعنى**: ومن يشاقق (يعادي ويقاطع ويحاد) الرسول ﷺ من بعد ما تبين له أن رسول الله ﷺ حقًا جاء بالهدى ودين الحق، ثم هو مع معاداته للرسول ﷺ يخرج من جماعة المسلمين ويتبع غير سبيلهم ـ هذا الشقى الخاسر ـ قوله ما قوله: أي نتركه لكفره وضلاله خذلانًا له في الدنيا ثم نصله نار جهنم يحترق فيها، وبئس المصير، جهنم يصير إليها المرء ويخلد فيها.

٣ - وقال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

◆ **والشاهد**: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾.

◆ **والمعنى**: جمع الله بين القلوب المتنافرة المنطوية على الإحن والعداوات ولأقل الأسباب وأتفهها، لقد كان الأنصار يعيشون على عداوة عظيمة فيما بينهم حتى إن حربًا وقعت بينهم مائة وعشرون سنة فلما دخلوا الإسلام اصطلحوا وزالت كل الآثار التي سببتها العداوة والبغضاء وأصبحوا جسمًا واحداً من فعل هذا سوى الله تعالى؟ اللهم لا أحد، ولذا قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾. أي من مال صامت وناطق ﴿مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه...... الحديث». [متفق عليه]

٢ - عن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». [متفق عليه]

٣ - وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: خطبنا عمر بالجابية، فقال: يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا، فقال: «أوصيكم بأصحابي، ثم

الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يفشوا الكذب، حتى يحلف الرجل ولا يستخلف ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا وكان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن» . [رواه الترمذي وقال حسن صحيح]

والخلاصة

أن الاجتماع (جمع كلمة المسلمين على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ) من أسمى القيم التي جاءت بالإسلام، وروحه لذا قال الإمام الشافعي في الأم أحب كراهية من كره الصلاة في المسجد الذي فيه إمام راتب بعد الجماعة الأولى خلف إمام آخر - إنما كان لتفرقة الكلمة، وأن يرغب الرجل عن الصلاة خلف إمام جماعة فيخلف هو من أراد عن المسجد في وقت الصلاة، فإذا قضيت دخلوا فجمعوا، فيكن في هذا اختلاف وتفرق كلمة.

* * *

٦٣ مكارم الألفة

هي ميلان القلب إلى المألوف.

قال الماوردي: إن الألفة الجامعة هي إحدى القواعد المهمة التي يصلح بها حال الإنسان، وذلك أن الإنسان المقصود بالأذية محسود بالنعمة، فإذا لم يكن آلفًا مألوفًا تخطفته أيدى حاسديه، وتحكمت فيه أهواء أعاديه، فلم تسلم له نعمة، ولم تصف له مدة فإذا كان ألفًا مألوفًا انتصر بالألفة على أعادية، وامتنع من حاسديه، فسلمت نعمته منهم، وصفت له مدته (فعيشته) عنهم، وإن كان صفو الزمان عسرًا وسلمه خطرًا.

١ ـ قال الله تعالى: **﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [الأنفال: ٦٢ ـ ٦٣].

◆ والشاهد: **﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾**.

◆ والمعنى: **﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ﴾**. أي بالميل إلى السلم والجنوح إليها **﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾**. أي كافيك إنه **﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾**. أي في بدر **﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾**. أي جمع بين تلك القلوب المتنافرة المنطوية على الإحن والعداوات وكانت نعمة الإسلام هي سبب ذلك التأليف وتلكم الألفة وهي التي تحدث عنها ربنا فقال **﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾**.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣].

◈ والشاهد: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾.

◈ **والمعنى**: ما زال السياق في عرض مظاهر القدرة والعلم والحكمة الإلهية وهي الموجبة لله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾. أي ألم ينته إلى علمك يا رسول الله أن الله يزجي سحباً أي يسوقه برفق وسهولة ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ﴾. أي يجمع بين أجزائه فيجعله ركامًا أي متراكمًا بعض على بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾. أي المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾. أي من فتوقه وشقوقه. والخلال جمل خلل كجبال جمع جبل وهو الفتوح بين أجزاء السحاب وهو مظهر من مظاهر القدرة والعلم.

وقوله: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾. أي ينزل بردًا من جبال البرد المتراكمة في السماء فصيب بذلك البرد من يشاء فيهلك به زرعه أو ماشيته، ويصرفه عن من شاء من عباده فلا يصيبه شيء من ذلك وهذا مظهر آخر من مظاهر القدرة واللطف الإلهي.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: «بعث عليّ ـ رضي الله عنه ـ إلى النبي ﷺ بذهبية، فقسمها بين الأربعة: الأفزع بن جابر الحظلي ثم الجاشعي، وعينيه بن بدر الفزاري، وزيد الطائي، ثم أحد بني ثبها، وعلقة بن علاثة العامري، أحد بني كلاب، فغضبت قريش والأنصار، قالوا: يعطس صناديد أهل نجد ويدعنا، قال: «إنما أتالفهم، فأقبل رجل غائر العنينين مشرف

الوجنتين، نائيء الجبين، كث اللحية محلوق، فقال: اتق الله يا محمد، فقال: من يطع الله إذا عصيت؟ يأمنني الله على أهل الأرض ولا تأمنوني؟ فسأله رجل قتله - أحسبه خالد بن الوليد - فمنعه، فلما ولى قال: إن من ضئضئ هذا - أو: في عقب هذا - قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد». [متفق عليه]

والخلاصة

إن الألفة يضعها الله في قلوب عباده المؤمنين يَألفون ويُألفون ويتحابون، ولا يتنافرون، وهي من علامة حب الله أن وضع للعبد القبول في الأرض وهى تؤدي إلى الاجتماع والجماعة وإذا ألفك الناس وحبوك فلست من المنافقين لأن المؤمن، من يألف يألف، ولا خير في ....

* * *

٦٤ مكارم الإخاء

هو المساواة والمعادلة

قال ابن حجر في قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾. يعني في التوادد وشمول الدعوة.

وقد آخى النبي ﷺ بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعالي ويستعين الأعلى بالأدنى، وبهذا تظهر مؤاخاته ﷺ لعليّ لأنه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا من فقبل البعثة واستمر، وكذا مؤاخاه حمزة وزيد بن حارثة لأن زيداً مولاهم.

١ - قال الله تعالى: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [البقرة: ٢٢٠]

◆ **والشاهد: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾.**

◆ **والمعنى**: لما نزل قول الله في سورة النساء: **﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون﴾**. خاف المؤمنون والمؤمنات من هذا الوعيد الشديد وفضل من كان في بيته يتيم يكفله فصل طعامه وشرابه وحصل بذلك عنت ومشقة كبيرة وتساءلوا عن المخرج فزلت هذه الآية وبينت لهم أن المقصود هو إصلاح مال اليتيم وليس هو فصله أو خلطه فقال تعالى: **﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾**. مع الخلط خير من الفصل مع عدم الإصلاح ودفع الحرج في الخلط فقال: **﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾**. والأخ يخالط أخاه في ماله، وأعلمهم أنه تعالى يعلم المفسد لمال اليتيم من المصلح له ليكونوا دائمًا على حذر، وكل حماية لمال اليتيم الذي فقد والده، ثم زاد الله في مننه عليهم برفع الحرج في المخالطة فقال

تعـالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ﴾. أي أبقاكم في المشقة المترتبة على فصل أموالكم عن أموال يتاماكم.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١].

والشاهد: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾.

والمعنى: أي أن الله تعالى يبين ويوضح أحكام المشركين الذين أسلموا بيّن الحجج والبراهين على توحيد الله تعالى وتقرير نبوة رسول ﷺ. وعلى الأحكام الشرعية في الحرب السلم.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء. فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا ـ أنظروا هذين حتى يصطلحا ـ أنظروا هذين حتى يصطلحا». [رواه مسلم]

٢ ـ وقال ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولايبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله أخوانًا. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات. بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه». [متفق عليه]

٣ ـ وقال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا

والآخرة ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا الآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله تعالى، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه». [رواه مسلم]

٤ ـ وفي الحديث: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه الحديث». [متفق عليه]

والخلاصة

أن الإخاء خصلة أحبها الله للمؤمنين وحض عليها رسوله ﷺ وهي موصلة للمنابر المنيرة يوم القيامة، وهي مقياس التقوى.

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه».

وقال ابن الحسن الوراق: وقد سأل أبا عثمان عن الصحبة، قال: «هي مع الله بالأدب، ومع الرسول ﷺ بملازمة العلم واتباع السنة، ومع الأولياء بالاحترام والخدمة، ومع الإخوان بالبشر والانبساط وترك وجوه الإنكار عليهم، ما لم يكن خرق شريعة أو هتك حرمة ـ قال الله تعالى: **﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾** [الأعراف: ١٩٩]. والصحبة مع الجهال بالنظر إليهم بعين الرحمة، ورؤية نعمة الله عليك إذ لم يجعلك مثلهم، والدعاء لله أن يعافيك من بلاء الجهل». [آداب العشرة]

٦٥ مكارم التناصر

هو التعاون على النصر.

قال الشيخ أبو بكر الطرطوشي ـ رحمه الله تعالى ـ دخلت على الأفضل بن أمير الجيوش، وهو أمير على مصر فقلت: السلام عليكم ورحمة الله بركاته، فرد على السلام على نحو ما سلمت رداً جميلاً، وأكرمني إكرامًا جزيلاً، وأمرني بدخول مجلسه وأمرني بالجلوس فيه، فقلت: أيها الملك إن الله تعالى قد أحلك محلاً عليًا شامخًا، وأنزلك منزلاً شريفًا باذخًا، وملكك طائفة من ملكه، وأشركك في حكمه، ولم يرض أن يكون أمر أحد فوق أمرك فلا يرض أن يكون أمر أحد أولى بالشكر منك، وليس الشكر باللسان، وإنما هو بالفعال والإحسان قال الله تعالى: **﴿اعملوا آل داود شكرًا﴾**.

١ ـ قال الله تعالى: **﴿إِلاَّ تنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [التوابة: ٤٠].

◆ **والشاهد: ﴿إِلاَّ تنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾**.

◆ **والمعنى**: أي إن خذلتموه ولم تخرجوا معه في هذا الظرف الصعب فقد نصره الله تعالى في ظرف أصعب منه، نصره في الوقت الذي أخرجه الذين كفروا **﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾**. أي هو وأبو بكر لا غير **﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾**. أي غار ثور، **﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾**. لما قال لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا يا رسول الله **﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾**. فسكنت نفسه واطمأن وذهب الخوف من قلبه **﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ﴾**. وهو

دعوتهم إلى الشرك، وجعلها سفلى مغلوبة هابطة، ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾. كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿هِيَ الْعُلْيَا﴾. الغالبة الظاهرة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾. غالب لا يغالب ﴿حَكِيمٌ﴾. في تصرفه وتدبيره، ينصر من أراد نصره بلا ممانع ويهزم من أراد هزيمته بلا مغالب.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

◆ والشاهد: ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

◆ والمعنى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾. يا رسول: ﴿رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾. كنوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام فجاءوا أقوامهم بالبينات والحجج النيرات كما جئت أنت قومك فكذبت تلك الأقوام رسلهم ﴿فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾. فأهلكناهم ونجينا الذين آمنوا ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ألا فلتعتبر قريش بهذا وإلا فستحل بهم نقمة الله فيهلك الله المجرمين وينجى رسوله ﷺ والمؤمنين كما هي سنته في الأولين والحمد لله رب العالمين.

٣ ـ وقال الله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠].

فدعا ربه أني مغلوب فانتصر لي يا ربي، فاستجاب الله تعالى له ففتح. أبواب السماء بماء منهمر.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» فقال رجل: يا رسول الله إذا كان مظلومًا، أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره». [رواه البخاري]

٢ ـ عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: «جاء رجل مستصرخ إلى النبي ﷺ فقال: جارية له يا رسول الله!، فقال: «ويحك مالك؟»، قال: شراً، أبصر لسيده جارية له فغار فجب ذاكيره فقال رسول الله ﷺ: وعليّ بالرجل. فطُلب فلم يقدر عليه فقال رسول الله ﷺ: اذهب فأنت حر» فقال: يا رسول الله على من نصرته؟ قال: «على كل مؤمن» أو قال: كل مسلم».

[رواه أبو داود وحسن الألباني]

٣ ـ قال الرسول ﷺ: الدين النصيحة: «ثلاث مرات، قالوا: يا رسول الله لمن؟ قال: لله ولكتابه، ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، المسلم أخو المسلم، لا يخذله ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى هاهنا بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، إن أحدكم مرآة أخيه: فإن رأى به أذى فليمطه عنه». [رواه الترمذي وقال حسن]

٤ ـ عن أبي إسحاق قال: قال رجل للبراء: يا أبا عمارة أقررتم يوم حنين؟ قال: لا والله ما ولى رسول الله ﷺ ولكنه خرج شبان أصحابه وخفافهم حسراً، ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح، فلقوا قوماً رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبني نضر، فرشقوهم رشقاً ما يكادون يخطئون، فأقبلوا هناك إلى رسول الله ﷺ، ورسول الله على بغلته البيضاء، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به، فنزل فاستنصر، وقال: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم صفهم». [متفق عليه]

والخلاصة

فإن التناصر خلق المسلم الذي عرف أن لا يقام مجتمع إلا بتناصر وتكاتف، والتناصر والتعاون يساعد على انتشار الحق وهزيمة الباطل، وهو العامل على انتشاء المحبة بين المؤمنين وهو القوة المانعة التى أمر بها عباده في قوله: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخليل﴾**.

ويكفي التناصر مدحًا أنه مرضاة للرب عز وجل.

* * *

٦٦ التعاون على البر والتقوى

هو مؤازرة وإعانة المسلم أخاه في فعل الخيرات وتجنب المعاصي:

قال الماودوي - رحمه الله تعالى: تنقسم أحوال من دخل في عداد الإخوان أربعة أقسام؛ منهم من يعين ويستعين، ومنهم من لا يعين ولا يستعين، ومنهم من يستعين ولا يعين، ومنهم من يعين ولا يستعين.

فأما المعين والمستعين فهو معارض منصف يؤدي ما عليه ويستوفي ماله كالمقرض يستعف عند الحاجة ويسترد عند الاستغناء وهو مشكور في معونته، ومعذور في استعانته، فهذا أعدل الإخوان.

وأما من لا يعين ولا يستعين فهو متروك قد منع خيره وقمع شره، فهو لا صديق يرجى، ولا عدو يخشى، وإذا كان الأمر كذلك فهو كالصورة الممثلة، يروقك حسنها، ويخونك نفعها، فلا هو مذموم لقمع شره ولا هو مشكور لمنع خيره، وإن كان باللوم أجدر.

وأما من يستعين ولا يعين فهو لئيم كَلٌّ، ومهين مستذل، قد قطع عن الرعية وبسط فيه الرهبة، فلا خيره يرجى ولا شره يؤمن، وحسبك مهانة من رجل مستثقل عند إقلاله، ويستقل عند استقلاله فليس لمثله في الإخاء خط، ولا في الوداد نصيب.

وأما من يعين ولا يستعين فهو كريم الطبع، مشكور الصنع، وقد حاز فضيلتى الابتداء والاكتفاء، فلا يرى ثقيلاً في نائبة، ولا يقعد عن نهضة في معونة. فهذا أشرف الإخوان نفسًا وأكرمهم طبعًا، فينبغى لمن أوجد له الزمان مثله، وقل أن يكون له مثل؛ لأنه البر الكريم والدار اليتيم، أن يثنى عليه خنصره، ويعض عليه

بنواجذه ويكون به أشد ضنًّا منه بنفائس أمواله وسن ذخائره؛ لأن نفع الإخوان عام، ونفع المال خاص، ومن كان أعم نفعًا فهو بالادخار أحق، ثم لا ينبغي أن يزهد فيه لخلق أو خلقين ينكرهما منه إذا رضي سائر أخلاقه وحمد أكثر شيمه؛ لأن اليسير مغفور والكمال معوز. [أدب الدنيا والدين (٢١١-٢١٣)]

١ - قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦].

◆ **والشاهد**: ﴿فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً﴾.

◆ **والمعنى**: هذا النداء الكريم موجه إلى المؤمنين وقد أذن لهم في قتال الكافرين وبدأ بسرية عبد الله بن جحش - رضي الله عنه - وثنى بهذه الغزوة غزوة بدر الكبرى، فلذا هم في حاجة إلى تعليم رباني وهداية إلهية يعرفون بموجبها كيف يخوضون المعارك ينتصرون فيها، وفي هذه الآيات تعليم عال جداً لخوض المعارك والانتصار فيها متعاونين على الخير والبر وهو الجهاد في سبيل الله؛ **أولها**: الثبات في وجه العدو والصمود في القتال حتى لكأن المجاهدين جبل شامخ لا يتحرك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾. أي جماعة مقاتلة ﴿فَاثْبُتُوا﴾.

ثانيها: ذكر الله تعالى، تهليلاً وتكبيراً وتسبيحًا ودعاءً وضراعة ووعداً ووعيداً ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. أي تفوزون بالنصر في الدنيا والجنة في الأخرة بعد النجاة من الهزيمة والمذلة في الدنيا، والنار والعذاب في الآخرة.

٢ - وقال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا

حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

◆والشاهد: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

◆والمعنى: أمر الله عباده بالتعاون على البر والتقوى، أي على أداء الواجبات والفضائل، وترك المحرمات والرذائل، ونهاهم عن التعاون على ضدها فقال: ﴿وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً. قالت: فغرت عليه. فجاء فرأى ما أصنع، فقال: «مالك يا عائشة أغرت؟». فقلت: ومالي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد جارك شيطاك؟». قالت: يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال: «نعم». قلت: «ومع كل إنسان». قال: «نعم». قالت: ومعك يا رسول الله؟ قال: «نعم إلا أن الله أعانني عليه حتى أسلم». [رواه مسلم]

٢ - عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها قالت: «كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي أولات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها. حتى فجأه الحق، وهو في غار، حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ قال: «ما أنا بقارئ». قال: «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد،

ثم أرسلني». فقال: اقرأ. قال: قلت: «ما أنا بقارئ». حتى قال في الثالثة، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]. فرجع رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة، فقال: «زملوني زملوني». فزملوه حتى ذهب عنه الروع، ثم قال لخديجة: «أي خديجة، مالي». وأخبرها الخبر، قال: «لقد خشيت على نفسي». قالت له خديجة: كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتى ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزي وهو ابن عم خديجة أخى أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: أي عم اسمع من ابن أخيك. قال ورقة بن نوفل: يا ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رآه، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى ﷺ، ياليتني معك حين يخرجك قومك. قال رسول الله ﷺ: «أوَ مخرجي هم؟». قال ورقة: نعم؛ لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. [متفق عليه]

٣ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: إن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أي الناس أحب إلى الله تعالى؟ أي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن تمشي مع أخ في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد ـ يعني مسجد المدينة ـ شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيام، ومن

مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام». [رواه الطبراني وصححه الألباني]

٤ ـ عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أعمر بطنه أو اغبر بطنه يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا   ولا تصدقـا ولا صلينا
فأنزلن سكينــة علينا   وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأولى قد بغوا علينا   إذا أرادوا فتنــة أبينـا

ويرفع بها صوته: «أبينا أبينا». [متفق عليه]

والخلاصة

أن التعاون على البر والتقوى جماع كل خير وهو أمر الله تعالى الذي أوجبه على عباده المؤمنين، وهو البعد النفسي والعملي لكل فرد حتى يعشر أنه ليس مفرداً بل هو جماعة، يسعى بذمتهم أدناهم، وذلك الشعور ينزع الغل والحقد والحسد من الصدور، فإن ما وصل إليه أخى يصيبنى وما وصلت إليه يصل إلى أخي إن أراد.

* * *

٦٧ حسن العشرة

هو المعاملة الحسنة للأزواج وهو عامة للناس أجمعين وقد قال الله تعالى: **﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾**.

قال الإمام القرطبي: إذا تعلقت العشرة بعامة الناس فقد قالوا: إذا أردت حسن العشرة فَالقَ عدوك وصديقك بالطلاقة، ووجه الرضا والبشاشة، ولا تكثر الالتفات، ولا تقف على الجماعات، وإذا جلست فلا تتكبر على أحد.

ولا تشجع أحداً على الظلم، وإذا خاصمت فأنصف، وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك، وتفكر في حاجتك، ولا تكثر الإشارة بيدك، ولا الالتفات إلى من وراءك، وأهدئ غضبك وتكلم، وإذا قربك سلطان فكن منه على حذر، واحذر انقلابه عليك.

١ - قال الله تعالي: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾**

[النساء: ١٩]

◆ **والشاهد: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.**

◆ **والمعنى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾.** بينت هذه الآية بطلان ما كان شائعًا بين الناس قبل الإسلام من الظلم اللاحق بالنساء، فقد كان الرجل إذا مات والده على زوجته ورثها أكبر الأولاد من غيرها، فإن شاء زوجها وأخذ مهرها، وإن شاء استبقاها حتى تعطيه ما يطلب منها من

مال. فأنزل الله هذه الآية، فبطل ذلك الحكم الجاهلي بحكم الله في الآية الكريمة، وأصبحت المرأة إذا مات زوجها اعتدت في بيت زوجها، فإذا انقضت العدة ذهبت حيث شاءت ولها مالها وماورثته من زوجها أيضًا، وقوله تعالى: **﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾**. أي: يا عباد الله عليكم بحسن العشرة مع الزوجات بالمعروف وهو العدل والإحسان، وإن فرض أن أحداً منكم كره زوجته وهي لم تأت بفاحشة مبينة، فليصبر عليها ولا يطلقها، فلعل الله تعالى يجعل في بقائها في عصمته خيراً كثيراً له نتيجة الصبر عليها وتقوى الله تعالى فيها وفي غيرها، فقد يرزق منها ولد ينفعه، وقد يذهب من نفسه ذلك الكره ويحل محله الحب والمورة، والمراد أن الله تعالى أرشد المؤمن إن كره زوجته أن يصير ولا يطلق لما في ذلك من العاقبة الحسنة؛ لأن الطلاق بغير موجب غير صالح ولا مرغوب للشارع، وقال تعالى: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [الروم: ٢١]

والشاهد: **﴿لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾**.

والمعنى: ومن حججه وأدلته الدالة على وجوده وعلمه ورحمته المستوجبة لعبادته وتوحيده فيها، الدالة أيضًا على قدرته على البعث والجزاء خلقه لكم أيها الناس من أنفسكم -أي من جنسكم الآدمي- أزواجًا أي زوجات لتسكنوا إليها بعامل التجانس، إذ كل جنس من المخلوقات يطمئن إلى جعل بين الزوجين مودة، أي: محبة ورحمة، أي شفقة إلا إذا ظلم أحدهما الآخر، فإن تلك المودة وتلك الرحمة قد ترتفع حتى يرتفع الظلم ويسود العدل والحق: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾** أي دلائل وحجج واضحة **﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** باستعمال عقولهم في النظر والفكر، فإنهم يجدون تلك الأدلة على قدرة الله

وعلمه ورحمته وكلها مقتضية لتوحيد الله ومحبته وطاعته بفعل محابه وترك مساخطه، مع تقرير عقيدة البعث والجزاء التى أنكرها المجرمون المكذبون، قال الرسول ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين؛ رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ، فآمن به واتبعه وصدقه، فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله تعالى وحق سيده، فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها، ثم أدبها فأحسن أدبها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران». [رواه مسلم]

من أقوال الرسول ﷺ

١ - عن أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «للعبد الصالح أجران». فوالذي نفس أبي هريرة بيده لولا الجهاد في سبيل الله، والحج وبر أمي: لأحبب أن أموت وأنا مملوك. ولم يكن يحج أبو هريرة حتى ماتت أمه، لصحبتها». [متفق عليه]

٢ - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودى. فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكى فقال: «ما يبكيك؟». قالت: قالت لي حفصة: إني بنت يهودى. فقال النبي ﷺ: «إنك لابنة وإن عمك نبي وإنك لتحت نبي، فقيم تفخر عليك؟».

[رواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب]

والخلاصة

أن حسن العشرة المعاملة بالمعروف والإحسان لأن الله أمر بها، ورضيها خلقًا للمسلمين، وهو الجنة الأولى في الدنيا، فبها تكون المودة والرحمة وهناء العيش وأرغده، وبها وعليها ينبت الولد ويرتع ويأمن في خلالها.

وتزداد الألفة بين طبقات المجتمع إذ هو ينعم في أسباب الخير والرحمة.

٦٨ حسن المعاملة

هو الدين والنظام الذي فرضه تعالى على عباده وسنة نبيه وسار عليه.

قال النووي ـ رحمه الله ـ : والمساقاة (المعاملة) على إطلاقها أن يدفع الرجل إلى آخر شجرة ليقوم بسقيها وعمل سائر ما يحتاج إليه بجزء معلوم له من ثمره. وقيد الشافعي ـ رحمه الله ـ بقوله: «على ما يكلف الرفق بالعامل وصاحب العمل».

١ ـ قال الله تعالى: **﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: ٢٨٠].

◈ **والشاهد**: **﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾**.

◈ **والمعنى**: أي من حسن المعاملة انتظار المدين إلى أن ييسر الله عليه فيعطيكم رأس مالكم الذي أخذ منكم **﴿وَأَن تَصَدَّقُوا﴾**. وأن تصدقوا على المعسر بترك مالكم عليه فذلك خير لكم.

٢ ـ وقال تعالى: **﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾** [المطففين: ١ ـ ٣].

◈ **الشاهد**: ذم الله وتوعده للمطففين.

◈ **والمعنى**: قال أحد الأنصار ـ رضي الله عنه ـ كنا أسوأ الناس كيلاً حتى أنه ليكون لأحدنا مكيالان؛ مكيال يشترى به ومكيال آخر يبيع به، وما إن نزلت فينا: **﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾**. حتى أصبحنا أحسن كيلاً ووزنًا، فالويل (وهو واد في جهنم) للذين إذا اشتروا منهم يأخذون كيلهم وافيًا، وكذا إذا وزنوا **﴿إِذَا اكْتَالُوا﴾**. أي: كالوا لهم أو وزنوا لهم **﴿يُخْسِرُونَ﴾**. أي: ينقصون.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ : «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم». [رواه مسلم]

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ، فهم به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ : «دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً». ثم قال: أعطوه سنًّا مثل سنه». قالوا: يا رسول الله إلا أمثل من سنه. قال: «أعطوه فإن من خيركم أحسنكم قضاءاً». [متفق عليه]

وقال رسول الله ﷺ : «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليرح أحدكم ذبيحته وليحد شفرته».

[رواه مسلم]

والخلاصة

أن حسن المعاملة هي أداء الواجب على أكمل وجه، وأمرنا أن نعامل الناس بما نحب أن يعاملونا به.

وحسن المعاملة دعوة وهي من شيم رسول الله ﷺ، فعل رجل يؤثر في ألف رجل، وكلام ألف رجل لا يؤثر في رجل.

* * *

٦٩ مكارم الستر

هو إخفاء عيوب المسلم.

قال ابن حجر في «فتح الباري»: (**ستر مسلما**) أي رآه على قبيح فلم يظهره للناس، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبين، ومن الستر أيضًا أن يستتر الإنسان إذا وقع منه شيء. وقال: والذي يظهر أن الستر محله في معصية قد انقضت، والإنكار في معصية قد حصل التلبس بها فيجب عليه الإنكار وإلا رفعه إلى الحاكم.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [فصلت: ٢٢].

◆ **والشاهد**: ﴿ **وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ** ﴾.

◆ **والمعنى**: ﴿ **وَمَا كُنتُمْ** ﴾ تستخفون أن تتركوا محارم الله بل كنتم تجاهرون بذلك لعدم إيمانكم بالبعث والجزاء.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا** ﴾ [الإسراء: ٤٥].

◆ **والشاهد**: ﴿ **جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا** ﴾.

◆ **والمعني**: يخبر تعالى رسوله ﷺ أنه إذا قرأ القرآن على المشركين ليدعوهم به إلى الله تعالى ليؤمنوا به ويعبدوه وحده جعل الله تعالى بينه وبين المشركين حجابًا ساترًا أو مستورًا لا يُرى، وهو حقًّا حائل بينهم وبين الرسول ﷺ حتى لا يسمعوا القرآن الذي يُقرأ عليهم فلا ينتفعون به، وهذا الحجاب ناتج عن شدة بغضهم للرسول ﷺ وكراهيتهم لدعوته، فهم لذلك لا يرونه ولا يسمعون قراءته.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: جائتني امرأة ومعها ابنتان لها، فسألتني فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئًا، ثم قامت فخرجت وابنتاها، فدخل عليّ النبي ﷺ فحدثته حديثها، فقال النبي ﷺ: «من ابتلى من البنات بشيء، فأحسن إليهن كن له ستراً من النار». [متفق عليه]

٢ ـ قال الرسول ﷺ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرون، وإن من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً ثم يصبح قد ستره ربه، فيقول: يا فلان! قد عملت البارحة كذا وكذا. وقد بات يستره ربه فيبيت يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه». [متفق عليه]

٣ ـ قال النبي ﷺ: «لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأن ينظر إليها».

[رواه البخاري]

والخلاصة

أن الستر هو إخفاء معايب المسلمين.

وأنه من الأخلاق التي يحبها الله ورسوله، ومن أسمائه سبحانه الستير، كما ورد في السنة.

وأن في الستر علاج للمجتمعات يشفي أسقامها، إذا قال الله تعالى في حادثة الإفك: ﴿**لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ**﴾ [النور: ١٢].

وقال تعالى: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم**﴾ وحفظ الفرج هنا الاستتار.

٧٠ حسن الظن

هو أخذ طرفي الشك بصفة الرجحان، وقال ابن العربي: الظن تجويز أمرين في النفس لأحدهما ترجيح على الآخر(١). [أحكام القرآن]

قال الكفوى (معنى الظن في القرآن):

عن مجاهد قال: كل ظن في القرآن فهو يقين، وهذا يشكل في كثير من الآيات. وقال الزركشي: للفرق بينهما ـ أي الظن بمعنى اليقين والظن بمعنى الشك ـ ضابطان في القرآن:

١ ـ أنه حيث وجد الظن محموداً مثاباً عليه فهو اليقين، وحيث وجد مذموماً متوعداً عليه بالعذاب فهو الشك.

٢ ـ أن كل ظن يتصل به «أن» المخففة فهو شك، نحو قوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ﴾ [الفتح: ١٢]. وكل ظن يتصل به «أنّ» المشددة فهو يقين، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ﴾. والمعنى في ذلك أنّ «أنّ» المشددة للتأكيد، فدخلت في اليقين، والمخففة بخلافها فدخلت في الشك.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

---

(١) أحكام القرآن.

◈الشاهد: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ﴾.

◈والمعنى: إنه لما خرج طالوت بالجيش أخبرهم أن الله تعالى مختبرهم في سيرهم هذا إلى قتال عدوهم بنهر ينتهون إليه وهم في حر شديد وعطش شديد، ولم يأذن لهم في الشرب منه إلا ما كان من غرفة واحدة، فمن أطاع ولم يشرب فهو المؤمن، ومن عصى وشرب غير المأذون به فهو الكافر، ولما وصلوا إلى النهر شربوا منه يكرعون كالبهائم إلا قليلاً منهم، وواصل طالوت السير، فجاوز النهر هو ومن معه، ولما كانوا على مقربة من جيش العدو، وكان قرابة مائة ألف قال الكافرون والمنافقون: ﴿لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾. فأعلنوا انهزامهم، وانصرفوا فارين، وقال المؤمنون الصادقون وهم الذين قال الله فيهم: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. فكان المعنى في يظنون الذين أيقنوا أنهم ملاقوا الله.

٢ - وقال تعالى: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

هذه الآية في حادثة الإفك وملخصها ما يلي:

من أقوال الرسول ﷺ

١ - أن رسول الله ﷺ بعد أن فُرض الحجاب على النساء والمؤمنات خرج إلى غزوة بني المصطلق أو المريسيع، ولما كان عائداً منها وقارب المدينة النبوية نزل ليلاً وارتحل، ولما كان الرجال يرحلون النساء على الهوادج وجدوا هودج عائشة - رضي الله عنها - فظنوها فيه موضوعة على البعير، وساقوه ضمن الجيش ظانين أن عائشة فيه وما هي فيه؛ لأنها ذكرت عقداً لها سقط منها في مكان تبرزت فيه، فعادت تلتمس عقدها، فوجدت الجيش قد رحل، فجلست في مكانها

لعلهم إذا افتقدوها رجعوا إليها، ومازالت جالسة تنظر حتى جاء صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه، وكان الرسول ﷺ قد عينه في الساقة ـ وهم جماعة يمشون وراء الجيش بعيداً عنه حتى إذا تأخر شخص أو ترك متاعا أو ضاع شيء يأخذونه ويصلون به إلى المعسكر ـ فنظر فرآها من بعيد، فأخذ يسترجع ـ أي يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون ـ آسفًا لتخلف عائشة عن الركب، قالت رضي الله عنها: فتجلببت ثيابي وغطيت وجهي، وجاء فأناخ راحلته، فركبتها وقادها بي حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ في المعسكر، وما إن رأى أُبيٌّ لعنة الله عليه حتى قال: والله ما نجت منه ولا نجا منها. وروج للفتنة، فاستجاب له ثلاثة أنفار، فرددوا ما قال؛ وهم حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش.

وقد حض الله على حسن الظن بالمسلمين، فقال **﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾**.

٢ ـ قال الرسول ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم، وإن تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا، تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». [متفق عليه]

٣ ـ عن عتبان بن ملك ـ رضي الله عنه ـ وهو ممن شهد بدراً، قال: كنت أصلي لقومي بني سالم، وكان يحول بيني وبينهم واد إذا جاءت الأمطار، فيشق عليّ اجتيازه قبل مسجدهم، فجئت رسول الله ﷺ، فقلت له: إني أنكرت بعدي، وإن الوادي الذي بيني وبين قومي يسيل إذا جاءت الأمطار، فيشق عليّ اجتيازه، فوددت أنك تأتي فتصلي من بيتي مكانًا اتخذه مصلى. فقال رسول الله ﷺ: «سأفعل». فغدا عليّ رسول الله ﷺ وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بعدما

اشتد النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له، فلم يجلس حتى قال: «أين تحب أن تصلي من بيتك؟». فأشرت له إلى المكان الذي أحب أن أصلي فيه، فقام رسول الله ﷺ، فكبر وصففنا وراءه، فصلى ركعتين ثم سلم وسلمنا حين سلم، فحبسته على ضرير يصنع له، فسمع أهل الدار أن رسول الله ﷺ في بيتي، فثاب رجال منهم حتى كثر الرجال في البيت، فقال رجل: ما فعل مالك؟ لا أراه. فقال رجل منهم: ذاك رجل منافق لا يحب الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: «لا تقل ذاك؛ ألا تراه قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله؟». فقال: الله ورسوله أعلم ......الحديث». [رواه البخاري]

والخلاصة

أن حسن الظن هو السريرة النقية للمسلمين بعضهم لبعض؛ تصديقًا لقوله تعالى: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾. ولقوله ﷺ: «لا يبلغني أحد عن أحد شيئًا؛ فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر». وفيه أن حسن الظن من كمال الإيمان، وفيه سلامة الصدر، وهو لا يأتي إلا عن معرفة قدر الله ومدى مغفرته ورحمته.

* * *

٧١ بـــر الوالديـــن

هو الإحسان إلى الوالدين والتعطف عليهما والرفق بهما والرعاية لأحوالهما وعدم الإساءة إليهما وإكرام صديقهما.

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وقال: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾.

وقد أخبر رسول الله ﷺ أن برالوالدين أفضل الأعمال بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام.

ومن برهما والإحسان إليهما أن لا يقول لهما ما يكون فيه أدنى تبرم، وأن يكون الولد في خير ذلة في أقواله وسكناته ونظره، ولا يحد إليهما بصره، فإن تلك نظرة الغاضب، ومن برهما الترحم عليهما، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً، ومن برهما صلة أهل برهما.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

◆ **والشاهد**: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

◆ **والمعنى**: أمر الله تعالى المؤمنين أن يعبدوه بغاية الذل وغاية الحب والتعظيم ويوحدوه، والإحسان إلى الوالدين، وذلك بطاعتهما في المعروف وإسداء الجميل لهما، ودفع الأذى عنهما، وكذا الأقرباء، واليتامى، والمساكين والجيران مطلقًا أقرباء أو أجانب، والصاحب الملازم الذي لا يفارق كالزوجة والمرافق في السفر والعمل والتلمذة والطلب ونحو ذلك من الملازمة التي لا تفارق إلا

نادراً، إذ الكل يصدق عليه لفظ الصاحب بالجنب وكذا ابن السبيل وما ملكت اليمين من أمة أو عبد، والمذكورون الإحسان إليهم آكد وإلا فالإحسان معروف يبذل لكل الناس كما قال تعالى: ﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾، وقال: ﴿ **وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾. وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً** ﴾ دال على أن منع الإحسان الذي هو كف الأذى وبذل المعروف ناتج عن خلق البخل والكبر وهما من شر الأخلاق.

٢ ـ وقال الله تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** ﴾ [لقمان: ١٤].

والشاهد: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ** ﴾.

والمعنى: عهد الله تعالى إلى الإنسان آمراً إياه ببر والديه أي أمه وأبيه، وبرهما بذل المعروف وكف الأذى عنهما وطاعتهما في المعروف، وقوله تعالى: ﴿ **حَمَلَتْهُ** ﴾ أي الإنسان ﴿ **أُمُّهُ** ﴾ أي والدته ﴿ **وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ** ﴾ أي ضعفاً على ضعف وشدة على أخرى، وهي آلام وأتعاب الحمل والطلق والولادة والإرضاع، فلهذا تأكد برها فوق بر الوالد مرتين.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ وفي الحديث الصحيح: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك». وقوله: ﴿ **وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ** ﴾ أي فطام الولد من الرضاع في عامين، فأول الرضاع ساعة الولادة وآخره تمام الحولين، ويجوز فصله في خلال العامين، وقوله: ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** ﴾ هذا الموحى به وهو أن يشكر لله تعالى وذلك بطاعته تعالى فيما يأمره به وينهاه عنه، وذكره بقلبه ولسانه. وقوله: ﴿ **وَلِوَالِدَيْكَ** ﴾ إذ هما قدما معروفاً وجميلاً فوجب شكرهما، وذلك ببرهما

وصلتهما، وطاعتهما في غير معصية الله ورسوله ﷺ؛ لأن طاعة الله كشكره قبل طاعة الوالدين وشكرهما. وقوله: ﴿إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ أي الرجوع بعد الموت، وهذه الجملة مؤكدة لواجب شكر الله تعالى وبر الوالدين لما تحمله من الترغيب والترهيب، فالمطيع إذا رجع إلى الله أكرمه والعاصي إذا رجع أهانه - وما دام الرجوع إليه تعالى حتميًا فطاعته بشكره وشكر الوالدين متأكدة متعينة.

٢ - عن معاوية بن حيدة - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله! من أبر؟ قال: «أمك». قال: قلت: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب». [رواه الترمذي وقال: حديث حسن]

٣ - عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن خير التابعين رجل يقال له: أويس وله والدة، وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم».

وفي رواية: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس، فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم. قال: من مُرَادٍ ثم من قرن؟ قال: نعم. قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدة؟ قال: نعم. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول.... وذكر الحديث، ثم قال: «له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل». فاستغفر لي. فاستغفر له، فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة. قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إليّ. قال: فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم، فوافق عمر، فسأله عن أويس، قال: تركته رث البيت، قليل المتاع. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول.... الحديث، فأتى أويسًا، فقال: استغفر لي. قال: أنت أحدث عهداً بسفر صالح، فاستغفر لي. فأعاد عليه، فقال مثل ما

قال، ثم قال: لقيت عمر؟ قال: نعم. فاستغفر له، ففطن له الناس، فانطلق على وجهه، قال: أسير وكسوته بردة. فكان كلما رآه إنسان قال: من أين لأويس هذه البردة؟. [رواه مسلم]

٤ ـ عن المقدام بن معد يكرب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يوصيكم بأمهاتكم ـ ثلاثًا ـ وإن الله يوصيكم بآبائكم، إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب». [رواه ابن ماجه وصححه الألباني]

٥ ـ عن أبي الطفيل ـ رضي الله عنه ـ قال: رأيت رسول الله ﷺ يقسم لحمًا بالجعرانة وأنا غلام شاب، فأقبلت امرأة، فلما رآها رسول الله ﷺ بسط لها رداءه فقعدت عليه، فقلت: من هذه؟ قالوا: أمه التي أرضعته. [أخرجه أبو داود والحاكم]

والخلاصة

فإن بر الوالدين من أعظم الأعمال بعد الصلاة، وهي أعظمها بعد توحيد الله تعالى، والبر بالوالدين هو الإحسان إليهما، ويكفيك قول الرسول ﷺ في الصحيح: «رغم أنف ـ ثلاثًا ـ، من أدرك أحد والديه أو كليهما ولم يدخلاه الجنة».

وفي بر الوالدين زيادة في العمر، والستر في الدنيا والآخرة، والشرف في الآخرة وحسن السيرة في الدنيا.

* * *

٧٢ صلة الرحم

هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام. قال القاضى عياض: لاخلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة والأحاديث تشهد لهذا، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة؛ فمنها واجب ومنها مستحب، ولو وصل بعض الصلة، ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعًا، ولو قصر عما يقدر عليه، وينبغي له لا يسمى واصلاً.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٩٠].

◆ **والشاهد**: ﴿**وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ**﴾.

◆ **والمعنى**: فالله تعالى يأمر في كتابه الذي أنزله تبيانًا لكل شيء بالعدل وهو الإنصاف، ومن ذلك أن يعبد الله بذكره وشكره؛ لأنه الخالق المنعم وترك عبادة غيره؛ لأن غيره لم يخلق ولم يرزق ولم ينعم بشيء، ولذا فسر هذا اللفظ بلا إله إلا الله ﴿**وَالإِحْسَانِ**﴾. والإحسان مصدر أحسن إحسانًا وهو متعد بنفسه؛ نحو: أحسنت كذا. ومتعد بحرف الجر؛ نحو: أحسنت إلى فلان. أي: أوصلت إليه ما ينفعه أو دفعت عنه ما يضره، وهو أداء الفرائض واجتناب المحرمات مع مراقبة الله عز وجل. وقوله: ﴿**وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ**﴾. أي: ذوى القرابات حقوقهم من البر والصلة، هذا مما أمر الله تعالى به في كتابه.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿**أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾**

وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ١٩، ٢٠].

◆ **والشاهد**: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾.

◆ **والمعنى**: هذه مقارنة بين شخصيتين؛ الأولى حمزة بن عبد المطلب، والثانية أبو جهل المخزومي، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾. وهو حمزة بن عبد المطلب، فعمل بما علم، واستقام على منهجه في عقيدته وعباداته ومعاملاته وسلوكه، هذه الشخصية كمن هو أعمى، لم يعلم الحق ولم يؤمن به، ولم يعمل بما أنزل الله وهو أبو جهل المخزومي، والجواب قطعًا لا يستويان ولا يكونان في ميزان واحد، إنما يتذكر أولوا الألباب، أي: يتعظ بمثل هذه المقارنة أصحاب العقول المدركة للحقائق والمفرقة بين المتضادات كالحق والباطل، ووصف الله أؤلو الألباب الذين يتصفون بهذه الصفات: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾. إذ لادين لمن لا عهد له.

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾. من الإيمان والإسلام و الإحسان والأرحام.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - أورد البخاري في «الأدب المفرد» أن الرسول ﷺ قال: «احفظوا أنسابكم تصلوا أرحامكم فإن لا بعد بالرحم إذا قربت وإن كانت بعيدة، ولا قرب بها إذا بعدت وإن كانت قريبة، وكل رحم آتية يوم القيامة أمام صاحبها، تشهد له بصلة إن كان وصلها وعليه بقطيعة إذا كان قطعها».

[رواه الحاكم وقال على شرط الشيخين]

٢ ـ قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يارب. قال: فذاك لك». ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرءوا ابن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾» [محمد: ٢٢ ـ ٢٤].

٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال لما نزلت هذه الآية: «﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا، فعم وخص، فقال: يابنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئًا، غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلا لها». [رواه مسلم]

والخلاصة

أن صلة الرحم أن تحسن إلى الأقارب أو ذوي الأرحام، ومن الإحسان الوصل ومن الوصل، أن تمنع عنهم الشر.

وفي صلة الرحم مرضاة للرب، وتقوية لأواصر العلاقات الاجتماعية بين الناس، تجلب سعة الرزق والبركة فيه، وتؤدي إلى طول العمر، وهي من كمال الإيمان إذ أن من وصل وصل بفضل الله ومن قطع قطع بعدل الله.

٧٣ مكارم الخشوع

هو الخضوع والانقياد للحق.

قال ابن حجر - رحمه الله - قال الفخر الرازى في « تفسيره » - والحق أن الخشوع تارة يكون من فعل القلب كالخشية، وتارةً من فعل البدن كالسكون. وقيل: لابد من اعتبارهما. وقال غيره: هو معنى يقوم بالنفس يظهر عنه سكون في الإطراف يلائم مقصود العبادة.

١ - قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]

والشاهد: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾.

والمعنى: يخبر تعالى وهو صادق الوعد بفلاح المؤمنين، وقد بين تعالى في آية «آل عمران» معنى الفلاح وهو الفوز والنجاة من النار ودخول الجنة، ووصف هؤلاء المؤمنين المفلحين بصفات من جمعها متصفًا بها، فقد ثبت له الفلاح وأصبح من الوارثين الذين يرثون الفردوس يخلدون فيها، وتلك الصفات هي:

١- الخشوع في الصلاة بأن يسكن فيها المصلي فلا يلتفت فيها برأسه ولا بطرفه ولا بقلبه مع رقة قلب ودموع عين، وهذه أكمل حالات الخشوع في الصلاة، ودونها أن يطمئن و لا يلتفت برأسه ولا بعينه ولا بقلبه في أكثرها.

٢ - وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

◈والشاهد: ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾.

◈والمعنى: ألم يأن للذين آمنوا بالله ربًا وإلهًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً وبوعد الله ووعيده صدقًا، ألم يحن الوقت لهم أن تخشع قلوبهم، فتلين وتطمئن إلى ذكر الله وتخشع كذلك ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾. في الكتاب الكريم، فيعرفون المعروف ويأمرون به ويعرفون المنكر وينهون عنه إنها لموعظة إلهية عظيمة، وزادها عظمة أن تنزل إلى أصحاب رسول الله تستبطئ قلوبهم، فكيف بمن بعدهم: ﴿وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ﴾. أي من قبل البعثة المحمدية وهم اليهود والنصارى، فطال عليهم الأمد وهو الزمان الطويل بينهم وبين أنبيائهم فلم يذكروا ولم يرشدوا، فقست قلوبهم من أجل ذلك، وأصبح أكثرهم فاسقين عن دين الله خارجين عن شرائعه لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

◈والشاهد: ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾.

◈والمعنى: أن هذه الآية نزلت في النجاشي عندما صلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب لما مات، فانتقد المنافقون ذلك على رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، وجاء في وصفهم ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾. أي خاضعين لله، لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلاً كسائر اليهود والنصارى حيث يحرفون كلام الله ويبدلونه.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ : « ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب مالم يؤت كبيرة، وذلك ادهر كله » . [رواه مسلم]

٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ :« إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » . [رواه مسلم]

٣ ـ عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ، أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت . اصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك » . وإذا ركع قال: « اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي » . وإذا رفع قال: « اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد » . وإذا سجد قال: « اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين » . ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: « اللهم اغفر لي ما قدمت وما

أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ». [رواه مسلم]

والخلاصة

أن الخشوع هو الخضوع والانقياد للحق، وهو روح الصلاة، وهو في القلب مكانه وعلى الجوارح أثره، ويحصل الخشوع بترقب آفات النفس والعمل، ورؤية فضل كل ذي فضل عليك، ولقد خشع عروة بن الزبير في الصلاة، فكان من الأطباء أن قطعوا بعض ساقه ولم يشعر وما تضور ولا اختلج، فلما انصرف من الصلاة عزاه الوليد في رجله، فقال: اللهم لك الحمد، كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً، فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت، وإن كنت قد ابتليت فلطالما عافيت، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت.

* * *

٧٤ مكارم الخشية

هي خوف يشوبه تعظيم.

قال الراغب: الخشية هي خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، ولذلك خص العلماء بها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. وقوله سبحانه: ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ [ق: ٣٣]، أي: لمن خاف خوفًا اقتضاه معرفته بذلك من نفسه.

١ - قال الله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

- **والشاهد**: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا﴾.
- **والمعنى**: هذا نداء عام لكل البشر يدعوهم فيه ربهم تعالى ناصحًا لهم بأن يتقوه بالإيمان به وبعبادته وحده لا شريك له، وأن يخشوا يومًا عظيمًا فيه من الأهوال والعظائم ما لا يقادر قدره بحيث: ﴿لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾. إذ كل واحد لا يريد إلا نجاة نفسه، فيقول: نفسي نفسي. وهذا لشدة الهول، يوم لا يغني أحد عن أحد شيئًا ولو كان أقرب قريب، وهو يوم آتٍ لا محالة، حيث وعد الله به الناس ووعد الله حق، والله لا يخلف الميعاد.

٢ - وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

◆ **والشاهد**: ﴿وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ﴾.

◆ **والمعنى**: أي هؤلاء الأنبياء السابقون طريقتهم التي سنها الله لهم هي أنهم ينفذون أمر الله ولا يتلفتون إلى الناس يقولون ما يقولون، ويخشون ربهم فيما فرض عليهم ولا يخشون غيره ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾. أي حافظًا لأعمال عباده ومحاسبًا عليها ومجاز بها.

٣ ـ وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

◆ **والشاهد**: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾.

◆ **والمعنى** لما قال أصحاب الرسول ﷺ: حدثنا يا رسول الله. فأنزل الله تعالى قوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾. وهو القرآن ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾. أي يشبه بعضه بعضًا في حسن اللفظ وصحة المعانى ﴿مَّثَانِيَ﴾. أي يثنى فيه الوعد والوعيد والأمر النهي والقصص، ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾. أي عند سماع آيات الوعيد فيه ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ﴾. إذا سمعوا آيات الوعد وتطمئن قلوبهم إذا سمعوا حججه وأدلته. وقوله: ﴿ذِكْرِ اللَّهِ﴾. أي القرآن وذكر الله بوعده ووعيده وأسمائه وصفاته، ويشهد له قوله تعالى من سورة «الرعد». ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.ذلك هدى الله يهدي به من يشاء، أي: ذلك المذكور وهو القرآن الكريم هدى الله إذ هو الذي أنزله وجعله هاديًا.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ : « إن رجلاً حضره الموت، فلما يئس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت فاجمعوا لي حطبًا كثيرًا وأوقدوا فيه نارًا، حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحشت، فخذوها فاطحنوها، ثم انظروا يومًا راحًا فذروه في اليم . ففعلوا، فجمعه الله فقال له : لم فعلت ذلك؟ قال : من خشيتك . فغفر الله له » . [متفق عليه]

٢ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « عينان لا تمسهما النار؛ عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله » . [رواه الترمذي وقال حسن]

٣ ـ عن العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ قال : وعظنا رسول الله ﷺ يومًا بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل : إن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال : « أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة . . . . » . [رواه الترمذي وقال : حسن صحيح]

٤ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « إني لأنقلب إلى أهلي، فأجد التمرة ساقطة على فراشي فأرفعها لآكلها، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها » . [متفق عليه]

والخلاصة

فإن الخشية خوف يشوبه تعظيم لله عز وجل، وأن للخائف عشر مقامات منها؛ الحزن اللازم، والهم الغالب، والخشية المقلقة، وكثرة البكاء، والتضرع في الليل والنهار، والهرب من مواطن الراحة، ووجل القلب(١).

وفيها النجاة من عذاب الله والفوز بالجنة، والأنس بما عند الكريم من فضل ومناجاة - إذ إن العبادة لا تكون سهلة يسيرة إلا على الخاشعين - والأمن من الفزع الأكبر، وعلو المنزلة عند الله تعالى، إذ يعافي الخائف من عذابه من أن يقع في المعاصي.

* * *

(١) حلية الأولياء.

٧٥ مكارم الخوف

هو اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف.

قال ابن رجب الحنبلي في كتابه «التخويف من النار»: إن الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه، ونصب لهم الأدلة على عظمته وكبريائه ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه ليتقوه بصالح الأعمال، ولهذا كرر ـ سبحان ـ في كتابه ذكر النار؛ وما أعده فيها لأعدائه من العذاب والنكال، وما احتوت عليه من الزقوم والضريع والحميم والسلاسل والأغلال، إلى غير ذلك مما فيها من العظائم والأهوال، ودعا عباده بذلك إلى خشيته وتقواه والمسارعة إلى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه، واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه، فمن تأمل كتاب الله وأدار فكره فيه وجد من ذلك العجب العجاب، وكذلك السنة الصحيحة التي هي مفسرة ومبينة لمعاني الكتاب، وكذلك سير السلف الصالح أهل العلم والإيمان من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾

[النحل: ٤٩ ـ ٥١]

◆ والشاهد: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾.

◈ **والمعنى**: أنه لله يسجد . أي: يخضع وينقاد لما يريده الله تعالى من إحياء أو إماتة أو صحة أو مرض أو خير أو غيره من دابة، أي: من كل ما يدب من كائن على هذه الأرض **﴿وَالْمَلائِكَةُ﴾** . على شرفهم يسجدون وهم لا يستكبرون عن عبادة ربهم، ومالهم يخافون ربهم من فوقهم إذ هو العلي الأعلى وكل الخلق تحته، ويفعلون ما يؤمرون فلا يعصون ربهم ما أمرهم، إذا كان هذا حال الملائكة فما بال هؤلاء المشركين يلجون في الفساد والاستكبار .

وقوله: **﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾** . أي ارهبوني وحدى ولا ترهبوا سواي، إن بيدي كل شيء وليس بيد غيري شيء فأنا المحيي المميت، الضار النافع، يوبخهم على رهبتهم غيره سبحان وتعالى من لا يستحق أن يرهب لعجزه وعدم قدرته على أن ينفع أو يضر.

٢ - وقال تعالى: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾** [هود: ١٠٣].

◈ **والشاهد**: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ﴾** .

◈ **والمعنى**: إن في أخذ الله تعالى للأمم الظالمة وتعذيبها بأشد أنواع العذاب آية، على أن من عذب في الدنيا قادر على أن يعذب في الآخرة، فالمؤمنون بلقاء الله تعالى يجدون فيما أخبر الله به من هلاك الأمم الظالمة آية هي عبرة لهم، فيواصلون تقواهم لله تعالى حتى يلاقوه وهم به مؤمنون ولأوامره ونواهيه مطيعون.

٣ - وقال تعالى: **﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾** [ق: ٤٥].

◈ والشاهد: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

◈ والمعنى: أن الله يقوله تسلية للرسول ﷺ، وفيه تهديد لكفار قريش. وقوله: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾. أي: بذى قوة وقدرة فائقة يجبرهم بها على الإيمان والاستقامة، وعليه فمهمتك ليست الإجبار وأنت عاجز عنه، وإنما هي التذكير ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ﴾. إذًا من يخاف وعيدى وهم المؤمنون الصادقون والمسلمون الصالحون.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا».

[رواه مسلم]

٢ ـ عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال: «كيف تجدك؟». قال: والله يا رسول الله أني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف». [رواه الترمذي وقال النووي: إسناده حسن]

٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. قال رسول الله ﷺ: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه». [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح]

٤ ـ وعن عائشة رضي الله عنها، أنها ذكرت النار فبكت، فقالت: يا رسول الله، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «أما في ثلاثة مواطن

فلا يذكر أحد أحداً؛ عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند الكتاب حين يقال: ﴿**هاؤم اقرءوا كتابيه**﴾ حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم». [رواه أحمد وأبو داود]

٥ - وعنها أيضاً - رضي الله عنها - قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: «اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءاً عليك أنت كما أثنيت على نفسك». [رواه مسلم]

والخلاصة

أن الخوف من المقامات العلية، وهو من لوازم الإيمان، قال تعالى: ﴿**وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾. وقال رسول الله ﷺ: «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية». وكلما كان العبد أقرب إلى ربه كان أشد له خشية ممن دونه، وقد وصف الله تعالى الملائكة فقال: «يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمنون».

وفيه: أن من كان متصفاً بالخوف كان مؤمناً كامل الإيمان، وكانت نفسه طاهرة، ويجعل المسلم مخلصاً في عمله، منتهياً عن المعاصي لا يقربها.

* * *

٧٦ مكارم الرهبة

هي مخافة مع تحرز واضطراب.

قال النيسابوري: «الرهبة هي الخوف، والخوف إما من العقاب وهو نصيب أهل الظاهر، وإما من الجلال وهو وظيفة أرباب القلوب، والأول يزول والثاني لا يزول، ومن كان خوفه في الدنيا أشد كان أمنه يوم القيامة أكثر، وبالعكس(١). [غرائب القرآن المنشور بها من تفسير الطبري]

١ - قال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف:١٥٤].

◆ **والشاهد**: ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾.

◆ **والمعنى**: أخبر الله تعالى عن موسى عليه السلام أنه لما سكت عنه الغضب، أي: ذهب عنه أخذ الألواح التي ألقاها من شدة الغضب، وأخبر تعالى أن في نسخة تلك الألواح: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾. وهم المؤمنون المتقون، وخصوا بالذكر؛ لأنهم الذين يجدون الهدى والرحمة في نسخة الألواح؛ لأنهم يقرؤون ويفهمون ويعلمون؛ وذلك لإيمانهم وتقواهم.

٢ - قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا

تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ١٩ - ٢٤]

◆ **الشاهد**: ﴿فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾.

◆ **والمعنى**: فإن يصبر أعداء الله الذين شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم فالنار مثوى لهم، أي: مأوى لهم لا يخرجون منها أبداً، وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين، أي: إن يطلبوا العتبى أي الرضا فيرضى عنهم فيدخلوا الجنة ﴿فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾. أي: فما هو بحاصل لهم أبداً، فهم إذاً بشر التقديرين والعياذ بالله تعالى من حال أهل النار.

٣ - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

◆ **والشاهد**: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾.

◆ **والمعنى**: هذا نداء الله إلى عباده المؤمنين يعظهم وينصح لهم في أن يقوا أنفسهم وأهليهم من زوجة وولد، ناراً عظيمة وقودها، أي: ما توقد به الناس من المشركين والحجارة التي هي أصنامهم التي كانوا يعبدونها يقون أنفسهم بطاعة الله ورسوله، تلك الطاعة التي تزكي أنفسهم وتؤهلهم لدخول الجنة بعد النجاة من النار.

٤ - وقال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل: ١٤ - ١٦].

◈ والشاهد: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾.

◈ والمعنى: بعد ما بين تعالى جزاء الأتقى، وجزاء من بخل واستغنى قال: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ أي: خوفتكم نارًا ﴿تَلَظَّى﴾ أي تتوقد التهابًا ﴿لا يَصْلاهَا﴾ لا يدخلها ولا يصطلي بحرها خالدًا فيها أبدًا ﴿إِلاَّ الأَشْقَى﴾ أي الأكثر شقاوة وهو المشرك، وقد يدخلها الشقي من أهل التوحيد ويخرج منها بتوحيده، حيث لم يكذب ولم يقول، ولكن فجر وعصى وما أشرك وتولى.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «يحشر الناس على ثلاثة طرائق راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا».

[متفق عليه]

٢ ـ وعن أبي هرير رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة سقطت، فقال النبي ﷺ: «أتدرون ما هذا؟». قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها». [رواه مسلم]

٣ ـ عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: صلى رسول الله ﷺ يومًا، صلاة، فأطال فيها، فلما انصرف قلنا ـ أو قالوا ـ: يا رسول الله، أطالت اليوم الصلاة. قال: «إني صليت صلاة رغبة ورهبة، سألت الله عز وجل لأمتي ثلاثًا فأعطاني اثنين ورد عليّ واحدة؛ سألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها،

وسألته أن لا يهلكهم غرقًا فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بنيهم فردها عليّ» . [رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حسن صحيح]

والخلاصة

أن الرهبة هي مخافة مع تحرز واضطراب .

وفيها سبب سعادة العبد في الدنيا والآخرة، وحسن الخلق وطهارة النفس والعزوف عن التنافس في الدنيا، وهي تثمر كمال الإيمان وحسن الإسلام .

* * *

٧٧ مكارم السكينة

هي نور في القلب يسكن إليه شاهده ويطمئن.

قال ابن القيم رحمه الله: هي الطمأنينة والوقار والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة الخوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ [الفتح: ٤].

◆ **والشاهد**: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

◆ **والمعنى**: أي هو الله المنعم عليك بما ذكر لك الذي أنزل السكينة، أي: الطمأنينة على قلوب المؤمنين من أصحابك ـ وكان عددهم ألفًا وأربعمائة صحابيٍّ ـ أنزل السكينة عليهم بعد اضطراب شديد أصاب نفوسهم، دل عليه قول عمر رضي الله عنه للرسول ﷺ: ألست نبيًا حقًا؟ قال: «بلى». قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى». قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا إذًا؟ قال: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري». قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقًا؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا؟ قال: أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه ـ أي سر على نهجه ولا تخالفه ـ فوالله إنه لعلى الحق. قلت: أليس كان يحدثنا أنه سيأتي البيت ويطوف به؟ قال: بلى. قال: فهل أخبرك أنه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك تأتيه وتطوف به.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿إلاَّ تنصرُوهُ فقَدْ نصَرَهُ اللَّهُ إذْ أَخْرجَهُ الَّذِينَ كَفرُوا ثَانيَ اثْنَيْنِ إذْ هُمَا فِي الْغَارِ إذْ يَقُولُ لصَاحبه لا تحْزَنْ إنَّ اللَّهَ معنا فَأَنزلَ اللَّهُ سكينتَهُ عليْه وأَيَّدَهُ بجنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجعَلَ كَلمَةَ الَّذِينَ كفرُوا السُّفْلَىٰ وكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

◈ والشاهد: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾.

◈ والمعنى: إن خذلتموه ولم تخرجوا معه في هذا الظرف الصعب فقد نصره الله تعالى في ظرف أصعب منه، نصره الله تعالى إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين أي: هو وأبو بكر لا غير، إذ هما في الغار. أي: غار ثور ﴿إذْ يَقُولُ لصَاحبه﴾. لما قال: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا يا سول الله: ﴿لا تَحْزَنْ إنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾. فسكنت نفسه واطمأن وذهب الخوف.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتحْيَاءٍ قَالَتْ إنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥].

◈ والشاهد: ﴿نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

◈ المعنى: أي أتت بنت الرجل الصالح موسي عليه السلام فقالت الرسالة المختصرة؛ لأنها الحيية ﴿إنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾. وقد ورد ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ﴾. أي: أخبره بشأنه كله من قتله القبطي خطأ ،وطلب السلطان له، ونصح مؤمن آل فرعون له بالخروج من البلاد، ووصوله إلى ماء مدين، قال له شعيب عندئذ: ﴿لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. يعني: فرعون وحكومته، وهذا ما يعرف الآن باللجوء السياسي، فاطمأن وسكن وأحس بالنجاة.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن البراء ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رجل يقرأ سورة «الكهف»، وعنده فرس مربوط بشطنيه فتغشته سحابة، فجعلت تدور وتدنوا، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال: «تلك السكينة تنزلت للقرآن». [رواه البخاري ومسلم]

٢ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا». [متفق عليه]

٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا». [متفق عليه]

والخلاصة

أن السكينة هي نور في القلب يسكن إليه ويطمأن، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: جاء في صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة: إني باعث نبيًا أميًّا، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش، ولا قوال الخنا ـ قول الفحش ـ، أجعل السكينة لباسه والبر شعاره»(١).

وفيها: أنها تؤدي إلى اللطف في معاملة الناس، وهي الخشوع والاطمئنان، وهي محل الرضا بالله ومن الله، وهي صفة الأنبياء والعلماء وتنزل بها الملائكة.

(١) في مدارك السالكين.

٧٨ مكارم الطمأنينة

هي السكون بعد الانزعاج (سكون أمن فيه استراحة أنس).

قال الفيروزآبادى: الطمأنينة والسكينة كل منهما تستلزم الأخرى؛ ودرجات الطمأنينة، طمأنينة القلب بذكر الله، وهي طمأنينة الخائف إلى الرجاء، والطمأنينة، سكون أمن فيه استراحة أنس، والسكينة تكون: حيناً بعد حين، والطمأنينة لا تفارق صاحبها وكأنها نهاية السكينة.

١ - قال الله تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾** [الرعد: ٢٨].

◆ والشاهد: **﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾**.

◆ والمعنى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾**. أولئك الذين أنابوا إليه تعالى إيماناً وتوحيداً فهداهم إليه صراطاً مستقيماً، هؤلاء تطمئن قلوبهم، أي: تسكن وتستأنس بذكر الله وذكر وعده وذكر صالحى عباده محمد ﷺ وأصحابه، **﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**. أي قلوب المؤمنين، أما قلوب الكافرين فإنها تطمئن لذكر الدنيا وملاذها، وقلوب المشركين تطمئن لذكر أصنامهم.

٢ - وقال تعالى: **﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾** [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

◆ والشاهد: **﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾**.

◆ والمعنى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾. إلى صادق وعد الله ووعيده في كتابه وعلى لسان رسوله، فآمنت واتقت وتخلت عن الشرك والشر، فكانت مطمئنة بالإيمان وذكر الله، قريرة العين بحب الله ورسوله وما وعدها الرحمن، ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ أي: إلى جواره في دار كرامته حال كونك راضية ثواب الله لك مرضيًا عنك من قبل مولاك.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب، وإن أفتاك المفتون».

[رواه أحمد وفي الصحيح أوله]

٢ ـ وقال ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح]

٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل فصلى، ثم جاء فسلم على رسول الله ﷺ فرد السلام، قال: «ارجع فصل فإنك لم تصل». فرجع الرجل فصلى كما كان يصلي، ثم جاء إلى النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «وعليك السلام» ثم قال: «ارجع فصل، فإنك لم تصل». حتى فعل ذلك ثلاث مرات، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا، علمني. قال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها». [متفق عليه] (وهذا الحديث معروف بالمسيء صلاته).

والخلاصة

أن الطمأنينة هي السكينة بعد إزعاج، وأنها دأب الصالحين، وأنها سمت المؤمن الذي أيقن أن الله ربه وعلم به، والرسول ﷺ أعلمه أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما عجله الله لم يكن لأحد حول ولا قوة أن يؤخره، وما أخره لم يكن لأحد أن يعجله.

وأن في الطمأنينة دليل الوقار، وعلامة الحياء، وهي سبب من أسباب سعادة الإنسان، وهي إشارة إلى قدر اليقين وصحة الدين، وهي بالخشوع ركن من أركان الصلاة، كما بين ﷺ في حديث المسيء صلاته.

* * *

٧٩ مكارم العفو

هو كف الضرر مع القدرة عليه

قال الغزالي: والعفو صفة من صفات الله تعالى، وهو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريب من الغفور ولكنه أبلغ منه، فإن الغفران ينبئ عن الستر، والعفو ينبئ عن المحو، والمحو أبلغ من الستر، وحظ العبد من ذلك لا يخفى وهو أن يعفو عن كل من ظلمه، بل يحسن إليه كما يرى الله تعالى محسناً في الدنيا على العصاة والكفرة غير معاجل لهم بالعقوبة، بل ربما يعفوعنهم بأن يتوب عليهم، وإذا تاب عليهم محا سيئاتهم، وإذا التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وهذا غاية المحو للجناية.

١ ـ قال الله تعالى: **﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾** [النساء: ١٤٩].

◆ **الشاهد: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.**

◆ **والمعنى**: انتدب الله تعالى عباده المؤمنين إلي فعل الخير في السر أو العلن، وإلى العفو عن صاحب السوء، فقال: **﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾**، فسيكسب فاعل الخير خيراً أبداه أو أخفاه، وسيعفو عن صاحب العفو حينما تزل قدمه، فيجني بيده أو بلسانه ما يستوجب به المؤاخذة، فيشكر الله تعالى له عفوه السابق فيعفو عنه، فإن الله كان عفواً قديراً.

٢ ـ وقال تعالى: **﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ**

عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

◆ **والشاهد: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾.**

◆ **والمعنى**: أخبر تعالى أنه من رحمته بخلقه وحكمته في تصرفه لا يكلف الله نفساً إلا ما تتسع له طاقتها وتقدر على فعله، **﴿مَا كَسَبَتْ﴾** من الخير فتجزى خيراً **﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾** من الشر فتجزى به شرًّا، إلا أن يعفو عنها ويغفر لها، فقال: **﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾** وعلمهم كيف يدعونه ليقول لهم قد فعلت، كما صح به الخبر، فقال قولوا: **﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾** وفعلاً قد عفا عنهم في النسيان والخطأ وخفف عنهم في التشريع، فما جعل عليهم في الدين من حرج وعفا عنهم وغفر لهم ورحمهم، ونصرهم على الكافرين بالحجة والبيان وفي المعارك بالسيف والسنان، فله الحمد والمنة وهو الكبير المتعال.

٣ ـ وقال تعالى: **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾** [المائدة: ١٥].

◆ **والشاهد: ﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾.**

◆ **والمعنى**: بعد أن بين الله تعالى باطل أهل الكتاب الموجودين في المدينة وما هم عليه من شر وسوء، دعاهم وهو ربهم وأرحم بهم من أنفسهم إلى سبيل نجاتهم وكمالهم، دعاهم إلى الإيمان برسوله ﷺ وكتاب ذلك الرسول الذي ما اتبعه أحد وندم وخزي، والكتاب الذي ما ائتم به أحد وضل أو شقي، فقال:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ أي محمد ﷺ يبين لكم بوحينا ﴿كَثِيرًا﴾ من مسائل الشرع والدين التي تخفونها خشية الفضيحة، لأنها حق جحدتموه، وذلك كنعوت النبي الأمي ﷺ وصفاته حتى لا يؤمن به الناس، وكحكم الرجم في التوراة وما إلي ذلك ﴿وَيَعْفُو﴾ يترك كثيرًا لم يذكر لعدم الداعي إلى ذكره ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ﴾ من الله ربكم نور هو رسولنا محمد ﷺ وكتاب مبين وهو القرآن؛ إذ بين كل شيء من أمور الدين والدنيا، وكل ما تتوقف سعادة الإنسان وكماله عليه في الدنيا والآخرة :-

٤ ـ وقال جل شأنه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

◆ **والشاهد :** ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾.

◆ **والمعنى :** كانت عادة الجاهلية التفاضل بين الشريف والأشرف والعزيز والأعز، فيقتل الحر بالعبد، والرجل بالمراة، فنزلت هذه الآية تبطل ذلك الزعم من المشركين، وتقرر مبدأ المساواة في الإسلام، فقال تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فلا يقتل بالرجل رجلان، ولا بالمرأة رجل ولا امرأتان، ولا بالعبد حر ولا عبدان، فمن تنازل له أخوه وهو ولي الدم عن القصاص إلي الدية أو العفو مطلقًا، فليتبع ذلك ولا يقل لا أقبل إلا القصاص، بل عليه أن يقبل ما عفى عنه أخوه، من قصاص أودية أو عفو،

وليطلب ولي الدم الدية بالرفق والأدب، وليؤدي القاتل الدية بإحسان بحيث لا يماطل ولا ينقص منها شيئًا.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى، قال الله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [آل عمران:١٨٦] وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [البقرة] فكان رسول الله ﷺ يتأول في العفو عنهم ما أمر الله به......الحديث. [رواه البخارى]

٢ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه». [رواه مسلم]

٣ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «صعد النبي ﷺ المنبر وكان آخر مجلس جلسه متعطفًا ملحفة على منكبيه، قد عصب رأسه بعصابة دسمة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس! إليّ». فثابوا إليه، ثم قال: «أما بعد، فإن هذا الحي من الأنصار يقلون ويكثر الناس، فمن ولي شيئًا من أمة محمد صلى اله عليه وسلم فاستطاع أن يضر فيه أحداً، أو ينفع فيه أحداً، فليتقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم». [رواه البخاري]

٤ ـ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: كأنى أنظر إلي النبي ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». [متفق عليه]

والخلاصة

أن العفو هو كف الضرر مع القدرة عليه، والعفو من صفات الله تعالى، أحب الله من عفى وأجزل له العطاء، فهو سبحانه عفو كريم يحب العفو.

وقد قال أبو بكر رضي الله عنه بلغنا أن الله تعالى يأمر منادياً يوم القيامة فينادي: من كان له عند الله شيء فليقم فيقوم أهل العفو، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس.

ولذا قالوا: ليس الحليم من ظلم فحلم، حتى إذا قدر انتقم، ولكن الحليم من ظلم فحلم، حتى إذا قدر عفى.

* * *

٨٠ مكارم السماحة

هي الجود عن كرم وسخاء.

قال الإمام علي - رضي الله عنه -: «أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم، فما يعثر منهم عاثر إلا ويده بيد الله يرفعه»(١).

١ - قال الله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

◆ **والشاهد:** ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

◆ **والمعنى:** يخبر تعالى أنه لا إكراه في الدين، وذلك حين أراد بعض الأنصار إكراه من تهود أو تنصر من أولادهم على الدخول في دين الله، ولذا فإن أهل الكتابين ومن شابههم تؤخذ منهم الجزية ويقرون على دينهم، فلا يخرجون منه إلا باختيارهم وإرادتهم الحرة، أما الوثنيون والذين لادين لهم سوى الشرك والكفر، فيقاتلون حتى يدخلوا في الإسلام إنقاذاً لهم من الجهل والكفر وما لازمهم من الضلال والشقاء.

ثم أخبر تعالى أنه بإنزال كتابه وبعثه رسوله ﷺ ونصره أوليائه قد تبين الهدى من الضلال والحق من الباطل، وعليه فمن يكفر بالطاغوت - وهو الشيطان الذي زين عبادة الأصنام - ويؤمن بالله فيشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقد استمسك من الدين بأمتن عروة وأوثقها، ومن يصر على

---

(١) المستطرف.

الكفر بالله والإيمان بالطاغوت، فقد تمسك بأوهى من خيط العنكبوت، والله سميع لأقوال عباده عليم بنياتهم وخفيات أعمالهم وسيجزي كلاً بكسبه.

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧].

◆ الشاهد: ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾.

◆ والمعنى: أخبر تعالى المؤمنين أن يلتزموا السماحة والصبر؛ لأنه خوفهم الله به ويهددهم بأن حكمًا عدلاً هو الله سيحكم بينهم، وعندها يعلمون من هو المحق ومن هو المبطل، فقال: ﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ﴾ أي جماعة ﴿آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ من التوحيد والطاعة وترك الشرك والمعاصي ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ أخرى ﴿لَّمْ يُؤْمِنُوا﴾ وبهذا كنا متخاصمين نحتاج إلى من يحكم بيننا إذًا ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

٣ ـ وقال الله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

◆ والشاهد: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾.

◆ والمعنى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ﴾ أي فإنه ذلك الدين الحق الذي هو الإسلام الذي شرعه الله لكم ووصى به نوحًا وأوحاه إليك، فادع جميع الناس عربهم وعجمهم، فإن دين الله الذي لا يقبل دينًا سواه، ولا يكمّل الإنسان في أخلاقه ومعارفه وآدابه، ولا يسعد في الدارين إلا عليه كما أمرك ربك، فلا تزغ عنه ولا تعدل به غيره، فإنه الصراط المستقيم، الذي لا يزيغ عنه إلا هالك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ وأعلمهم في صراحة ﴿آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ﴾

وقل لهم: أمرني ربي لأعدل بينكم في الحكم إذا تحاكمتم إليّ. كما أني لا أفرق بينكم إذ أعتبركم على الكفر سواء، فكل من لم يكن على الإسلام الذي كان عليه نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، والذي عليه أنا وأصحابي اليوم فهو كافر من أهل النار.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى». [رواه البخاري]

٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة». [رواه البخاري]

٣ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمع رسول الله ﷺ: صوت خصوم بالباب عالية أصواتهم، وإذا أحدهم يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء، وهو يقول: والله إلا أفعل. فخرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: «أين المتألي على الله، لا يفعل المعروف؟». فقال: أنا يارسول الله! فله أي ذلك أحد». [متفق عليه]

٤ ـ عن البراء ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ لما أراد أن يعتمر أرسل إلى أهل مكة يستأذنهم ليدخل مكة، فاشترطوا عليه أن لا يقيم بها إلا ثلاث ليالي، ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح، ولا يدعومنهم أحدًا، قال: فأخذ يكتب الشرط بينهم عليّ بن أبي طالب، فكتب:

هذا ما قاضى عليه محمد ﷺ. فقالوا: لو علمنا أنك رسول الله لم نمنعك ولتابعناك، ولكن اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله. فقال: «أنا

والله محمد بن عبد الله، وأنا والله رسول الله». قال: وكان لا يكتب، قال: فقال لعلي: «امح رسول الله». فقال عليّ: والله لا أمحوه أبدًا، قال: «فأرنيه». قال: فأراه إياه، فمحاه النبي ﷺ بيده، فلما دخل ومضت الأيام أتوا عليًا، فقالوا: مر صاحبك فليرتحل. فذكر ذلك عليّ - رضي الله عنه - لرسول الله ﷺ، فقال: «نعم». فارتحل. [متفق عليه]

والخلاصة

إن السماحة هي الجود عن كرم وسخاء، ومن مظاهر السماحة، طلاقة الوجه واستقبال الناس بالبشر وحسن الصحبة والمعاشرة، ومبادرة الناس بالتحية، إذن فكيف تكون عندك سماحة؟

١ - التأمل فيما يرغب في هذا الخلق

٢ - التأمل فيما يحذر من ضد هذا الخلق.

٣ - الرضا بالقضاء.

* * *

٨١ الصبر والمصابرة

هي حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسهما عنه(١).

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: قد ذكر الله الصبر في كتابه الكريم في أكثر من تسعين موضعًا، وقرن بالصلاة في قوله تعالى: **﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾** [البقرة:٤٥]، وجعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله: **﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾** [السجدة: ٢٤]، فإن الدين كله علم بالحق وعمل به، والعمل به لابد فيه من الصبر، بل وطلب علمه يحتاج إلى الصبر، كما قال معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ: عليكم بالعلم فإن طلبه لله عبادة، ومعرفته خشية، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، ومذاكرته تسبيح، وبه يعرف الله ويعبد، وبه يمجد الله ويوحد، يرفع الله بالعلم أقوامًا يجعلهم للناس قادة **﴿أئمة يهتدون بهم﴾** وينتمون إلى رأيهم.

فجعل البحث عن العلم جهاد، ولا بد للجهاد من صبر، ولهذا قال الله تعالى: **﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾**. [البصائر]

والمصابرة هي زيادة في الصبر، أو كما فسرها ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى: **﴿اصبروا وصابروا﴾** اصبروا في الله وصابروا بالله، أي: الصبر في طاعة الله، والمصابرة تكون في الاستعانة بالله.

---

(١) قول الراغب.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

◆ **والشاهد**: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾.

◆ **والمعنى**: يكشف تعالى للمؤمنين عن هذا الكنز في المعونة، ألا وهو الصبر والصلاة، ﴿بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾، يستطيع المؤمن أن يواجه الحقيقة والتصريح بها وهي الإيمان بمحمد ﷺ والدخول في دينه، ثم يعلمهم أن المواجهة شاقة وصعبة على النفس لا يقدر عليها إلا المخبتون لربهم الموقنون بلقاء الله والرجوع إليه.

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

◆ **الشاهد**: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.

◆ **والمعنى**: أنكر تعالى على المؤمنين ظنهم أنهم بمجرد إيمانهم يدخلون الجنة بدون أن يبتلوا بالجهاد والشدائد تمحيصًا لهم وإظهاراً للصادقين منهم في دعوى الإيمان والكاذبين فيها، كما يظهر الصابرين الثابتين والج

٣ ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

◆ **والشاهد**: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

◆ **والمعنى**: يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للمؤمنين: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية، وذلك بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، ويعلمهم معللا أمره إياهم بالتقوى بأن ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالطاعة المطلوبة

الجنة، كما يعلمهم أنهم إذا لم يقدروا على الطاعة بين المشركين، فليهاجروا إلى أرض يتمكنون فيها من طاعة الله ورسوله ﷺ، فيقول: ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ أي فهاجروا فيها ويشجعهم على الهجرة لأجل الطاعة، فيقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾ أي: على الاغتراب والهجرة لأجل طاعة الله والرسول ﷺ: ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي بلا كيل ولا وزن ولا عد وذلك لأنه فوق ذلك.

٤ ـ وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

◆ **والشاهد**: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾.

◆ **والمعنى**: يأمر الله رسوله أن يصبر على ما يلقى من أذى قومه من تكذيب وأذى، وأمره بالثبات لذلك كما ثبت أولوا العزم من قبلك، أولوا العزم هم محمد ﷺ، نوح، إبراهيم، موسى، وعيسى بن مريم، ومن الجائز أن يكون عدد أولي العزم أكثر من ذكر، وقوله: ﴿وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ لما أمره بالصبر نهاه عن استعجال العذاب؛ لقوله فقال: ﴿فَاصْبِرْ﴾. ولا تستجعل العذاب لهم ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ تعليل لعدم استعجال العذاب؛ لأنه قريب جداً إنهم يوم ينزل بهم ويرونه كأنهم لم يلبثوا إلا ساعة من نهار؛ وقوله تعالى: بلاغ أي هذا القرآن وما حواه من تعليم وبيان للهدى تبليغ للناس، وقوله: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ينفي تعالى هلاك غير الفاسقين عن أوامره الخارجين عن طاعته وطاعة رسوله ﷺ.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني. قال: «إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك». قال: فادعه. وقال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربه في حاجتي هذه لتقضي لي، اللهم فشفعه فيّ». [رواه الترمذي، حسن صحيح]

٢ ـ عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قام موسى ـ عليه السلام ـ خطيبًا في بنى إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم. قال: فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى أي رب! كيف لي به؟ فقيل له: احمل حوتا في مكتل فحيث تفقد الحوت فهو ثمّ. فانطلق وانطلق معه فتاه، وهو يوشع بن نون، فحمل موسى عليه السلام ـ حوتًا في مكتل، وانطلق هو وفتاه يمشيان حتى أتيا الصخرة، فرقد موسى عليه السلام وفتاه، فاضطرب الحوت في المكتل حتى خرج من المكتل فسقط في البحر، قال: وأمسك الله عنه جريه الماء حتى كان مثل الطاق فكان للحوت سربًا، وكان لموسى وفتاه عجبًا، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، ونسي صاحب موسى أن يخبره، فلما أصبح موسى ـ عليه السلام ـ قال لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ـ قال: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في الحبر عجباً، قال موسى: ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصًا، قال: يقصان آثارهما حتى أتيا الصخرة، فرأى

رجلاً مسجى عليه بثوب فسلم عليه موسى، فقال له الخضر: إني بأرضك السلام؛ قال: أنا موسى. قال: موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم. قال: إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، وأنا على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه. قال له موسى ـ عليه السلام ـ : هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً؟ قال: إنك لن تستطيع معي صبراً.......الحديث». [متفق عليه]

٣ ـ قال الرسول ﷺ : «ليس أحد ـ أو ليس شيء ـ أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولداً وإنه لا يعاقبهم». [متفق عليه]

٤ ـ عن أبي موسى الأشعرى ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله: ابنو لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد». [رواه الترمذي وقال: حسن غريب]

٥ ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك، فقلت: يارسول الله إنك توعك وعكاً شديداً. قال: «أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم». قلت: ذلك بأن لك أجرين. قال: «أجل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى ـ شوكة فما فوقها ـ إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها». [متفق عليه]

والخلاصة

أن الصبر هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع.

وهو يأتى بالتصبر، فإن الصبر بالتصبر كما إن العلم بالتعلم. قال ابن تيمية رحمه الله : ذكر الله تعالى في كتابه : الصبر الجميل، والصفح الجميل والهجر الجميل.

الصبر الجميل: هو الذي لا شكوى فيه ولا معه، والصفح الجميل هو الذي لاعتاب معه، والهجر الجميل: هو الذي لا أذى معه.

وهو صمام الاتباع والامتناع.

* * *

٨٢ مكارم البر

هو الصلاح أو هو الخير أو هو حسن الخلق.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: لفظ البر إذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ وقوله: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾، وأيضًا فإن البر إذا أطلق كان مسماه مسمى التقوى، والتقوى إذا أطلقت كان مسماها مسمى البر، ثم قد يجمع بينهما كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ فعطف التقوى على البر، وعطف الشيء على الشيء في القرآن الكريم وسائر الكلام يقتضي مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع اشتراكهما في الحكم الذي ذكر لهما، وقد يكون مسماه إذا أطلق هو مسمى الإيمان؛ فقد روى أنهم سألوه عن الإيمان، فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى.... الآية﴾. وقد فسر البر بالإيمان، وفسر بالتقوى وفسر بالعمل الذي يقرب إلى الله.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

◈ **والشاهد**: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

◈ **والمعنى**: يخبر تعالى عباده المؤمنين الراغبين في بره تعالى وإفضاله بأنه ينجيهم من النار، ويدخلهم الجنة بأنهم لله يظفروا بمطلوبهم من بر ربهم حتى ينفقوا من أطيب أموالهم وأنفسها عندهم وأحبها إليهم، ثم أخبرهم مطمئنًا لهم على إنفاقهم أفضل أموالهم بأن ما ينفقون من قليل أو كثير نفيس أو خسيس هو به عليم وسيجزيهم به، وبهذا حبب إليهم الإنفاق ورغبهم فيه، فجاء أبو

طلحة رضي الله عنه يقول: يارسول الله إن الله تعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن من أحب أموالي إليّ بيرحاء (حديقة)، فاجعلها حيث أراك الله يارسول الله. فقال له ﷺ: «مال رابح - أو رائح - اجعلها في أقربائك». فجعلها في أقربائه حسان بن ثابت وأبي بن كعب رضي الله عنه أجمعين.

٢ - قال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

◆ **والشاهد:** ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾.

◆ **والمعنى:** قرر تعالى إباحة المعاملة مع المسالمين الذين ليسوا محاربين، وبأي أسلوب لم يخرجوكم من دياركم، فحكم معاملتهم الإباحة، والمعاملة معهم بالبر أي بالإحسان إليهم بطعام وكسوة أو إركاب، وتقسطوا أي: تعدلوا فيهم بأن تنصفوهم، وهذا عام في كل الظروف الزمانية والمكانية وفي كل الكفار.

٣ - وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [المطففين: ١٨ - ٢٢].

◆ **والشاهد:** الآيات.

◆ **والمعنى:** بعد أن ذكر تعالى كتاب الفجار وما ختم له به، ذكر كتاب الأبرار وما ختم له به، فقال: ﴿كَلَّا﴾ أي حقًّا إن كتاب الأبرار - وهو جمع بر أو بار وهو المؤمن الذي بر ربه بطاعته في أداء فرائضة واجتناب نواهيه وكان صادقًا في ذلك كتاب أعمال هؤلاء الأبرار - في عليين وما أدراك يا رسولنا: ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾ إنه موضع في أعلى الجنان، كتاب مرقوم، يريد كتاب الأبرار الموضوع في عليين كتاب مرقوم بأمان من الله لصاحبه من النار والفوز بالجنة، ويشهد

هذا الكتاب المقربون من كل سماء، يحضرونه ويحفظون له ويشهدون بما فيه من الأمان لصاحبه من النار والفوز بالجنة، إن الأبرار وأصحاب الكتب الموزعة في عليين لفي نعيم، يريد يوم القيام والنعيم هو نعيم الجنة وهذا لون منه.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحري الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا». [متفق عليه]

٢ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن عمر بن الخطاب أصاب أرضًا بخيبر لم أصب مالاً قط أنفس عندي منه، فما تأمرني؟ قال: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها». قال: فتصدق بها عمر أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث وتصدق بها في الفقراء وفي القربة وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف ولا جناح على وليها أن يأكل نها بالمعروف ويطعم غير متمول.

[متفق عليه]

٣ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع كثير المال فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالاً، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان فأنظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها. فقال عبد الرحمن: بارك الله في أهلك، فلم يرجع يومئذ حتى أفضل شيئًا من سمن أو أقط، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى جاء رسول الله ﷺ، وعليه وضر من صفرة، فقال له رسول الله ﷺ «مَهْيَم».

قال: تزوجت امرأة من الأنصار .قال: «ماسُقت فيها؟». قال: وزن نواة من ذهب - أو نواة من ذهب - فقال: «أولم ولو بشاة». [رواه البخاري]

والخلاصة

أن البر اسم جامع لكثير أو لكل صفات الخير.

وللبر نوعان: صلة، ومعروف

فأما الصلة، فهي التبرع ببذل المال في الجهات المحدودة، لغير عوض مطلوب.

والثاني: وهو المعروف، وينقسم نوعين؛ قولاً وعملاً، فالقول: فهو طيب الكلام وحسن البشر، والتودد بجميل القول: وأما العمل، فهو بذل الجاه والمساعدة بالنفس والمعونة في النائبة وفي البر خصال الخير كله، وفي ضده وهو الفجور خصال الشر كله والبر يُدخل الناس الجنة، وبضده تكون النار.

* * *

٨٣ كفالة اليتيم

هي أن تقوم بأمره ومصالحه وتربيته والإحسان إليه.

قال ابن بطال: حق على من سمع هذا الحديث - يعني قول الرسول ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة» - أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك».

١ - قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

◈ والشاهد: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

◈ والمعنى: قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾. أي: عند علماء بني إسرائيل وصلحائهم وفي حضرتهم، وهم يقترعون على (النذيرة) مريم من يكفلها: فرموا بأقلامهم في النهر فمن وقف قلمه في الماء كان كافلها بأذن الله فألقوا أقلامهم، تلك الأقلام التي كانت تكتب الحق، والهدى لا الباطل والضلال.

ففاز بكفالتها بإذن الله تعالى زكريا عليه السلام، وهو الذي حظي بالقيام بمصالحها.

٢ - قال تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢].

◈ والشاهد: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾.

◈ والمعنى: لما أمر الله تعالى بصلة الأرحام وحرّم قطعها في الآية التي قبلها، أمر في هذه الآية أوصياء اليتامى أن يعطوا اليتامى أموالهم إذا بلغوا سن الرشد

وآنسوا منهم رشداً، فقال تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ ونهاهم مُحَرِّمًا عليهم أن يستبدلوا أموال اليتامى الجيدة بأموالهم الرديئة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾. لما في ذلك من أذية اليتيم في ماله ونهاهم أيضًا أن يأكلوا أموال اليتامى مخلوطة مع أموالهم، كما في ذلك من أكل مال اليتيم بغير حق.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ١، ٢].

◈ **والشاهد**: ﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾.

◈ **والمعنى**: أرأيت يا رسولنا الذي يكذب بالدين وهو الجزاء في الآخرة على الحسنات والسيئات، فهو ذاك الذي يدع اليتيم أي يدفعه بشده عن حقه، ولا يعطيه إياه احتقاراً له وتكبراً عليه، ولا يحض على طعام المسكين، أي ولا يحث ولا يحض نفسه ولا غيره على طعام الفقراء والمساكين وذلك ناتج عن عدم إيمانه بالدين أي بالحساب والجزاء في الدار الآخرة، وهذه صفة كل ظالم مانع للحق لا يرحم ولا يشفق، إذ لو آمن لرحم وأشفق.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن زينب امرأة عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قالت: كنت في المسجد فرأيت النبي ﷺ فقال: «تصدقن ولو من حليكن». وكانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام في حجرها، فقالت لعبد الله: سل رسول الله ﷺ أيجزئ عني أن أنفق عليك وعلى أيتام في حجري من الصدقة؟ فقال: سلي أنت رسول الله ﷺ. فانطلقتُ إلى النبي ﷺ فوجدتُ امرأة من الأنصار على الباب، حاجتها مثل حاجتي، فمر علينا بلال، فقلنا: سل النبي ﷺ: أيجزئ عني أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري؟ وقلنا: لا تخبر بنا ـ فدخل عليه فسأله، فقال:

«من هما؟». قال: زينب. قال: «أي الزيانب؟». قال: امرأة عبد الله. قال: «نعم لها أجران؛ أجر القرابة وأجر الصدقة». [متفق عليه]

٢ - عن ابن عباس قال: لما أنزل الله ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾. انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفصل له الشيء من طعامه، فيجلس له حتى يأكله أو يفسد فيرمي به، فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾. فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم. [رواه ابو داود والنسائي]

والخلاصة

أن كفالته اليتيم من أعظم القربات إلى الله؛ إذ جعل فاعلها بجانب النبي ﷺ في الجنة.

وفيها من الأمور المستحبة والفاضلة ما يحص عليها منها:-

البركة التي تحل على البيت الذي فيه يتيم.

وأن يخرج هذا النبت الذي ليس له عائل سويًّا قويمًا يستفاد منه.

وهي أيضًا تزكي المال وتطهره.

* * *

٨٤ كفالة المشورة

هي استنباط المرء الرأى من غيره فيما يعرض له من مشكلات الأمور، ويكون ذلك في الأمور الجزئية التي يتردد المرء فيها بين فعلها وتركها(١).

قال ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة، وعزائم الأحكام من لايستشير أهل العلم والدين فعزله واحب، هذا مالا خلاف فيه، وقد مدح الله المؤمنين بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]. قال أعرابي: ما غبنت قط حتى يغبن قومي. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا أفعل شيئًا حتى أشاورهم. وقال ابن خويز منداد: واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وما أشكل عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح ووجوه الكُتَاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها، وكان يقال: ما ندم من استشار. وكان يقال: من أعجب برأيه ضل.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

◆ **والشاهد**: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

◆ **والمعنى**: هذه تتمت الآداب والنتائج المترتبة على غزوة أحد، يخبر تعالى عما وهب رسوله ﷺ من الكمال الخلقي الذي هوقوام الأمر، فيقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ أي: فبرحمة من الله رحمناهم بها لنت لهم ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ﴾ أي: قاسيًا جافًا جافيًا قاسي القلب غليظ ﴿لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أي:

(١) الراغب.

تفرقوا عنك، وحرموا بذلك سعادة الدارين، وبناءاً على هذا، اعف عنهم (المسيئين) واستغفر لذنبهم وشاور ذوى الرأى منهم، وإذا بدا لك راجح المصلحة، فاعزم على تنفيذه متوكلاً على ربك، فإنه يحب المتوكلين، والتوكل الإقدام.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

◆ **والشاهد: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.**

◆ **والمعنى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾** عندما ناداهم ودعاهم لكل ما طلبه منهم، والذين أقاموا الصلاة فأدوها على وجهها المطلوب لها من خشوع، مراعين شرائطها وأركانها وواجباتها وسننها وآدابها، والذين أمرهم شورى بينهم، أي: أمرهم الذي يهمهم في حياتهم أفراداً وجماعات وأمماً وشعوباً يجتمعون عليه ويتشاورون فيه ويأخذون بما يلهمهم ربهم بوجه الصواب فيه.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن الزبير رضي الله عنه أنه خاصم رجلاً من الأنصار، قد شهد بدراً إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرة كانا يسقيان به كلاهما، فقال رسول الله ﷺ للزبير: «اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك». فغضب الأنصاري، فقال: يا رسول الله! أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: «اسق، ثم احبس حتى يبلغ الجدر». فاستوعى رسول الله ﷺ حينئذ حقه للزبير، وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك أشار على الزبير برأي سعة له وللأنصاري، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله ﷺ استوعى للزبير حقه في صريح الحكم، قال عروة: والله

ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾.

٢ - وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «من تقوّل عليّ مالم أقل فليتبوأ مقعده من النار، ومن استشاره أخوه المسلم فأشار عليه بغير رشده فقد خانه، ومن أفتى بفتيا غير ثبت فإنما إثمه على من أفتاه».

[رواه أحمد والحاكم وصححه]

٣ - عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن معاذ، فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أن نخوض البحر لخضناه ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغمام لفعلنا. قال: فندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى وصلوا بدراً ووردت عليهم روايا قريش، وفيهم غلام أسود لبني الحجاج فأخذوه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه؟ فيقول: ما لي علم بأبي سفيان، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف، فإذا قال ذلك ضربوه. فقال: نعم أنا أخبركم؛ هذا أبو سفيان. فإذا تركوه فسألوه فقال: ما لي بأبي سفيان علم، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف في الناس، فإذا قال هذا أيضاً ضربوه، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فلما رأى ذلك انصرف، قال: والذي نفسي بيده لتضربوه إذا صدقكم، وتتركوه إذا كذبكم قال: فقال رسول الله ﷺ: «هذا مصرع فلان». قال: ويضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا. قال: فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ.

والخلاصة

أن الشورى أو المشاورة هي طلب سديد الرأي من الغير، وهي تذهب ما في النفوس من مظنة الاستبداد بالرأي. قال الشافعي ـ رحمه الله ـ: إنما يؤمر الحاكم بالمشورة لكون المشير ينبهه على ما يفعل عنه، ويدله على ما لا يستحضره من الدليل لا ليقلد المشير فيما يقوله، فإن الله لم يجعل هذا لأحد بعد رسول الله ﷺ.

وتختلف الشورى عن الديمقراطية، إذ الشورى في مشاورة العلماء الأتقياء المخلصين من رجال الأمة، أما الديمقراطية فتعتمد على عدد الآراء من عامة الناس وهذا خطأ.

وتنتفي الشورى بالنص القاطع الذي ليس فيه رأي.

* * *

٨٥ كفالة الاستخارة

هى طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما.

قال ابن أبي حمزة - رحمه الله تعالى: الاستخارة في الأمور المباحة، وفي المستحبات إذا تعارضا في البدأ بأحدهما، أما الواجبات وأصل المستحبات والمحرمات والمكروهات كل ذلك لا يستخار فيه».

١ - قال الله تعالى: **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾**

[البقرة: ٢١٦]

◈ **والشاهد**: **﴿تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾**.

◈ **والمعنى**: يخبر تعالى رسول ﷺ وعباده المومنين بأن فرض عليهم قتال المشركين والكفار، وهو يعلم أنه مكروه لهم بطبعهم لما فيه من الآلام والأتعاب وإضاعة المال والنفس، وأخبرهم أن ما يكرهونه قد يكون خيراً، وأن ما يحبونه قد يكون شرًّا، من ذلك الجهاد فإنه مكروه لهم وهو خير لهم لما فيه من عزتهم ونصرتهم ونصرة دينهم مع حسن الثواب وعظم الجزاء في الدار الآخرة، كما أن ترك الجهاد محبوب لهم وهو شر لهم؛ لأنه يشجع عدوهم على قتالهم واستباحة بيضتهم وانتهاك حرمات دينهم مع سوء الجزاء في الدار الآخر، وهذا الذي أخبرهم تعالى به من حبهم لأشياء وهي شر لهم، وكراهيتهم لأشياء وهي خير لهم هو كما أخبر لعلم الله به قبل خلقه، والله يعلم وهم لا يعلمون، فيجب التسليم لله تعالى في أمره وشرعه مع حب ما أمر به وما شرعه واعتقاد أنه خير لا شر فيه.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

◆ والشاهد: ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

◆ والمعني: أمر الله تعالى عباده المؤمنين بمعاشرة الزوجات بالمعروف وهو العدل والإحسان، فقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وإن فرض أن أحداً منكم كره زوجته وهي لم تأت بفاحشة مبينة فليصبر عليها ولا يطلقها، فلعل الله تعالى يجعل في بقائها في عصمته خيراً كثيراً له نتيجة الصبر عليها وتقوى الله تعالى فيها وفي غيرها، فقد يرزق منها ولداً ينفعه وقد يذهب من نفسه ذلك الكره ويحل محله الحب والمودة، والمراد أن الله تعالى أرشد المؤمن إن كره زوجته أن يصبر ولا يطلق، لما في ذلك من العاقبة الحسنة؛ لأن الطلاق بغير موجب غير صالح ولا مرغوب للشارع، وكم من أمر يكرهه العبد ويصبر عليه فيجعل الله تعالى فيه الخير الكثير.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال عاجل أمري وآجله ـ فاقدره لي ويسرّه لي، وإن

كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال عاجل أمري وآجله ـ فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به، ويسمي حاجته». [رواه البخاري]

والخلاصة

أن الاستخارة هي طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما، والاستخارة مفتاح الخير كله. قال بعض الأدباء: ما خاب من استشار وما ندم من استخار».

ولو لم يوجد في الاستخارة إلا الاتباع لكفى، والاستخارة خير وبركة.

* * *

٨٦ كفالة الدعاء

هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له.

قال يحيى الغساني - رحمه الله - أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام، فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم، فقال أحدهم: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعفو عمن ظلمنا، اللهم إنا ظلمنا أنفسنا فاعف عنا. وقال الثاني: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعتق أرقاءنا، اللهم إنا أرقاؤك فاعتقنا. وقال الثالث: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن لا نرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا، اللهم إنا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا **﴿فسقوا﴾**(١).

١ - قال الله تعالى: **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾** [البقرة: ١٨٦].

◆ والشاهد: **﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾**.

◆ **والمعنى**: ورد أن جماعة من الصحابة سألوا النبي ﷺ: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى قوله: **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾** ومعنى المناجاة المكالمة بخفض الصوت، والمناداة برفع الصوت، وإجابة الله دعوة عبده قبول طلبه وإعطاؤه مطلوبه، وما على العباد إلا أن يستجيبوا لربهم بالإيمان به وبطاعته في أمره ونهيه وبذلك يتم رشدهم ويتأهلون للكمال والإسعاد في الدارين: الدنيا والآخرة.

٢ - وقال تعالى: **﴿لِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٨٠].

---

(١) من كتاب الأذكار للنووي.

◆ **الشاهد**: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

◆ **والمعنى**: أخبر تعالى أن له الأسماء الحسنى، لا يشاركه فيها أحد من خلقه، وأمر تعالى عباده أن يدعوه بها ؛ بيا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا رب، يا حي، يا قيوم، وذلك عند سؤالهم إياه وطلبهم منه، كما يتركوا أهل الزيغ والضلال الذين يلحدون في أسماء الله، فيؤلونها أو يعطلونها أو يشبهونها، أمر عباده المؤمنين به أن يتركوا هؤلاء له ليجزيهم الجزاء العادل على ما كانوا يقولون ويعملون؛ لأن جدالهم غير نافع فيهم ولا مجد للمؤمنين ولا لهم.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١].

◆ **والشاهد**: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ﴾.

◆ **والمعنى**: أراد الله تعالى هداية أولئك الذين يعدلون بربهم أصنامًا وأحجاراً، فيقول الله تعالى لرسوله ﷺ: قل لأولئك الذين يعدلون بنا الأصنام: ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾ أي: أخبروني إن أتاكم عذاب الله اليوم انتقامًا منكم أو أتتكم الساعة وفيها عذاب يوم القيامة، أغير الله تدعون ليقيكم العذاب ويصرفه عنكم إن كنتم صادقين في أن آلهتكم تنفع وتضر، تقي السوء وتجلب الخير؟ والجواب معلوم أنكم لا تدعونها ليأسكم من إجابتها بل الله وحده هو الذي تدعونه فيكشف ما تدعون به إن شاء، وتنسون عندها ما تشركون به من الأصنام، فلا تدعونها ليأسكم من إجابتها وضعفها وحقارتها.

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۝٤١

تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر: ٤١].

◆ **والشاهد:** ﴿أَدْعُوكُمْ﴾. ﴿تَدْعُونَنِي﴾. (ليس له دعوة).

◆ **والمعنى:** هذه الآيات تضمنت إرشادات ونصائح مؤمن آل فرعون، فقد قال ما أخبر به تعالى عنه: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ﴾ أي: من النار، وذلك بالإيمان والعمل الصالح مع ترك الشرك والمعاصي وتدعونني إلى النار، وذلك بدعوتكم لي إلى الشرك والكفر، تدعونني لأكفر وأنا أدعوكم لتؤمنوا بالعزيز الغفار، لا جرم أن ما تدعونني إليه، ليس له دعوة، أي: ليس له حق يوجب له العبادة، وإنه لايستجيب له دعاء أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة، وفي النهاية إن مردنا إلى الله أي لا محالة نرجع إليه فالواجب أن نؤمن به ونعبده ونوحده مادام رجوعنا إليه، وفي النهاية إن المسرفين هم أصحاب النار.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ: «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني. فإنه لا مُسْتَكْرِهَ له». [رواه البخاري]

٢ - عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: اللهم اغفر لي، أودعا استجيب له، فإن توضأ قبلت صلاته».

[رواه البخاري]

٣ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أوى أحدكم إلى فراشة فليأخذ داخلة إزاره، فينفض بها فراشه وليسم الله، فإنه لا يعلم ما خلف بعده على فراشه، فإذا أراد أن يضطجع فليضطجع على شقه الأيمن، وليقل: سبحانك اللهم ربي بك وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين». [متفق عليه]

٤ - وعن على بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت. أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك تباركت وتعاليت. أستغفرك وأتوب إليك». وإذا ركع قال: «اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي». وإذا رفع قال: «اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد». وإذا سجد قال: «اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين. ثم يكون من آخر التشهد والتسليم: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت». [رواه مسلم]

والخلاصة

أن الدعاء هو العبادة، إذ قال الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ وللدعاء آداب وأوقات يستحب فيها:

ومن الآداب: أن يكون على طهارة، أن يستقبل القبلة، أن يكون حاضر القلب، أن يرفع يديه متخشعًا، أن يدعو بصوت خافت، أن يبدأ الدعاء بالحمد ثم الصلاة على الرسول ﷺ، ثم يختمه بالصلاة على الحبيب ﷺ.

ومن أوقات الاستجابة: بين الأذان والإقامة والثلث الأخير من الليل و آخر ساعة يوم الجمعة، وأوقات المطر، وعند المريض، وفي السفر.

* * *

٨٧ كفالة الابتهال

هو أن تمد يديك إلى الله بالدعاء مخلصًا متضرعًا.

١ ـ قال الطبرى في تفسير قوله تعالى: ﴿بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

فمن جاء لك يا محمد في المسيح عيسى بن مريم، ويعني بقوله: ﴿بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾. الذي بينته لك في عيسى أنه عبد الله وقوله سبحانه: «ثم تبتهل» ثم نلتعن ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ منا ومنكم في أنه عيسى ـ عليه السلام ـ الطبري.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

- **والشاهد:** ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾.
- **والمعنى:** لما أكثر النصارى على رسول الله ﷺ من التردد والمجادلة أرشده ربه تعالى إلى طريق التخلص منهم وهو المباهلة بأن يجتمعوا ويقول كل فريق: اللهم العن الكاذب منا، ومن كان كاذبًا منهم يهلك على الفور، فقال له ربه جل شأنه: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ أي: هلم وندع أبناءنا، وخرج في الغد رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين، إلا أن النصارى عرفوا الحق وخافوا إن لاعنوا هلكوا فهربوا، من الملاعنة ودعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأبوا

ورضوا بالكفر إبقاءاً على زعامتهم ودنياهم، ورضوا بالمصالحة فالتزموا بأداء الجزية للمسلمين والبقاء على دينهم.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «رأيت رسول الله ﷺ يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بياض إبطيه». [رواه مسلم]

٢ ـ وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن وفد نجران من النصارى قدموا على رسول الله ﷺ، وهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم؛ منهم السيد وهو الكبير والعاقب، وهو الذي يكون بعده، وصاحب رأيهم، فقال رسول الله ﷺ لهما: «أسلما». قال: قد أسلمنا قبلك. قال: «ما أسلمتما»، قالا: بلى قد أسلمنا قبلك. قال: «كذبتما، يمنعكم من الإسلام ثلاث فيكما؛ عبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير، وزعمكما أن لله ولداً». ونزل ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ.....الآية**﴾ فلما قرأها عليهم قالوا: ما نعرف ما تقول. ونزل قول الله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**﴾، يقول: من جادلك في أمر عيسى من بعد ما جاءك من العلم من القرآن ﴿**فقل تعالوا**﴾ يقول نجتهد في الدعاء أن الذي جاء به محمد هو الحق، وأن الذي يقولون هو الباطل. فقال لهم إن الله قد أمرنا إن لم تقبلوا هذا أن نباهلكم. فقالوا: يا أبا القاسم بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك، فخلا بعضهم ببعض ـ قال السيد للعاقب: قد والله علمتم أن الرجل نبي مرسل، ولئن لاعنتموه ليستأصلكم، وما لاعن قوم قط نبيًّا، فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، فإن أنتم لم تتبعوه وأبيتم إلا إلف دينكم فواعدوه وارجعوا إلى دياركم (بلادكم).

وقد كان رسول الله ﷺ خرج ومعه عليّ والحسن والحسين وفاطمة، فقال رسول الله ﷺ: «إن أنا دعوت فأمنّوا أنتم، فأبوا أن يلاعنوه، وصالحوه على الجزية».

[من سيرة ابن هشام وأصله رواه البخاري]

٣ - عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض». فما زال يهتف بربه مادًّا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من درائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] فأمده الله بالملائكة.

والخلاصة

أن الابتهال هو مد اليدين إلى الله بالدعاء مخلصًا متضرعًا، وفيه كمال الذل لله تعالى، وهو مظهر من مظاهر الإنكسار والخشوع بين يدى الله سبحانه وتعالى.

وفيه كثرة الإلحاح بالسؤال، وفيه الثقة بأن لا أحد يستطيع الإجابة إلا الله، فهو الصمد سبحانه.

٨٨ كفالة القنوت

هو لزوم الطاعة مع الخضوع.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: القنوت الذي يعم المخلوقات أنواع؛ أحدها طاعة كل شيء لمشيئته وقدرته وخلقه (قد لا يشعر به القانت) والمراد بقنوته هنا مُسَيِر، وكونه مدبراً مصرفًا تحت مشيئة الرب.

الثاني: وهو (يشعر به القانت) وهو اعترافهم كلهم بأنهم مخلوقون مربوبون.

الثالث: أنهم يضطرون إليه وقت حوائجهم فيسألونه ويخضعون له.

والرابع: أنهم يسلمون له ويخضعون طوعًا أو كرها.

الخامس: أنهم خاضعون للجزاء الإلهي في الدنيا والآخرة.

١ ـ قال الله تعالى: **﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾** [البقرة: ١١٥، ١١٦].

◆ **والشاهد**: **﴿كُلٌّ لَّه قَانِتُونٌ﴾**.

◆ **والمعنى**: يخبر تعالى ردًّا على اليهود الذين انتقدوا أمر تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، مؤذنًا بجواز صلاة من جهل القبلة أو خفيت عليه إلى أي جهة كانت، فأخبر تعالى أن له **﴿الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾** خلقًا وملكًا وتصرفًا، يوجه عباده إلى الوجهة التي يشاءوها شرقًا أو غربًا، فلا اعتراض عليه ولا إنكار، وأن الله تعالى محيط بالكائنات؛ فحيثما توجه العبد في صلاته فهو متوجه إلى الله تعالى، إلا أنه تعالى أمر بالتوجه في الصلاة إلى الكعبة، فمن عرف جهتها لا يجوز له أن يتجه إلا إليها.

وكل الكائنات في السموات والأرض يعلمها ربنا كما خلقها وعليه رزقهم وذلت لعظمته كل المخلوقات، لذلك قال: ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾

[الزمر: ٩]

◈ **والشاهد**: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾.

◈ **والمعنى**: أمن هو مطيع لله ورسوله ﷺ في أمرهما ونهيهما آناء الليل، أي: ساعات الليل تراه ساجداً في صلاته وفي نفس الوقت هو يحذر عذاب الآخرة ويسأل الله تعالى أن يقيه منه، ﴿وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ وهي الجنة أن يجعله الله من أهلها أهذا خير أم ذلك الكافر الذي قيل له: تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار. والجواب معلوم للعقلاء.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

[النحل: ١٢٠]

◈ **والشاهد**: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلَّهِ حَنِيفاً﴾.

◈ **والمعنى**: لما أشكل المشركون على أنفسهم بأنهم على ملة أبيهم إبراهيم حتى لا يدخلوا الإسلام، وهو أبو الأنبياء باني البيت وشارع المناسك ومحرم الحرم، واليهود والنصارى كذلك يدعون أنهم على ملة إبراهيم، فأصر الجميع على أنه متبع لملة إبراهيم، فمن باب إبطال الباطل وإزاحة ستار الشبه وتنقية الحق والدين الحق ذكر تعالى جملة من حياة إبراهيم الروحية والدينية كمثال حي ناطق لكل عاقل، إذا نظر إليه عرف هل هو متبع لإبراهيم يعيش على ملته أو هو على غير ذلك، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ أي: إمامًا صالحًا جامعًا لخصال الخير، يقتدي به كل راغب في الخير وأنه كان قانتًا، أي: مطيعًا لربه فلا يعصي له أمرًا ولا نهيًا، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن عمرو بن عبسة ـ رضي الله عنه ـ قال: أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، من تبعك على هذا الأمر؟ قال: «حر وعبد». قلت: ما الإسلام؟ قال: «طيب الكلام وإطعام الطعام». قلت: ما الإيمان؟ قال: «الصبر والسماحة». قال: قلت: أي الإسلام أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده». قال: قلت: أي الإيمان أفضل؟ قال: «خلق حسن». قال: قلت: أي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت». قال: قلت: أي الهجرة أفضل؟ قال: «أن تهجر ما هجر ربك عز وجل».

٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مثل المجاهد في سبيل الله ـ والله أعلم بمن يجاهد في سبيله ـ كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد». [رواه مسلم]

٣ ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: صليت مع النبي ﷺ ليلةً فلم يزل قائمًا حتى هممت بأمر سوء. قيل له: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ». [متفق عليه]

والخلاصة

أن القنوت هو لزوم الطاعة مع الخشوع، وهو سمت الصالحين المخلصين، وهو دليل صلاح العبد واستقامته وهو الموصل لرضا الله على عباده، وهو باب من أبواب اللجوء إلى الله.

قال مجاهد ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾، قال: من القنوت الركوع، والخشوع، وغض البصر، وخفض الجناح من رهبة الله.

٨٩ الضراعة والتضرع

هي الخضوع والتذلل، والتضرع دعاء الله بضراعة. قال عون بن عبد الله: بينا رجل في بستان بمصر في فتنة ابن الزبير مكتئبًا، معه شيء ينكت به في الأرض، إذ رفع رأسه فسنح له صاحب مسحاة، فقال له: يا هذا ما لي أراك مكتئبًا حزينًا؟ قال: فكأنه ازدراه، فقال: لا شيء. فقال صاحب المسحاة: أللدنيا فإن الدنيا عرض حاضر، يأكل منه البر والفاجر، والآخرة أجل صادق يحكم فيها ملك قادر، يفصل بين الحق والباطل. فلما سمع ذلك منه كأنه أعجبه، قال: فقال: لما فيه المسلمون، قال: فإن الله سينجيك بشفقتك علي المسلمين، وسل، فمن ذا الذي سأل الله -عز وجل- فلم يعطه؟! ودعاه فلم يجبه؟! وتوكل عليه فلم يكفه؟! أو وثق به فلم ينجه؟ قال: فعلقت للدعاء: اللهم سلمني وسلم مني فتمحلت ولم تصب منه أحداً.

١ - قال الله تعالى: **﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾** [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

◆ **والشاهد: ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾.**

◆ **والمعنى**: يناقش الله تعالى المشركين العادلين بربهم، فيقول لرسوله ﷺ قل لهم: **﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾** إذا ضل أحدكم طريقه في الصحراء ودخل عليه ظلام الليل، أو ركب البحر واضطربت نفسه من الخوف يدعو من؟ إنه يدعو الله وحده لعلمه أنه لا ينجيه إلا هو يدعوه ويتضرع إليه جهرًا وسرًا قائلاً: وعزتك لئن أنجيتنا من هذه الهلكة التي حاقت بنا لنكونن من الشاكرين لك، ثم إذا أنجاكم استجابة لدعائكم وأمنتم المخاوف وعدتم فجأة إلى الشرك به بدعاء غيره.

٢ ـ وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾

[المؤمنون: ٧٥، ٧٦]

◆ **والشاهد**: ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾.

◆ **والمعنى**: يخبر تعالي ويكشف سوء حال المشركين المكذبين، أنه لو رحمهم وكشف ما بهم من ضر أصابهم من قحط وجدب وجوع ومرض لا يشكرون الله، بل يتمادون في عتوهم وضلالهم وظلمهم يعمهون، حيارى يترددون: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ وهي سنوات الجدب والقحط بدعوة الرسول ﷺ، وما أصابهم من قتل وجراحات وهزائم في بدر، ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ فما ذلوا لربهم وما دعوه ولا تضرعوا إليه، بل بقوا على طغيانهم في ضلالهم ومرد هذا ظلمة النفوس الناتجة عن الشرك والمعاصي.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا، قلت: لا يارب، ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا ـ وقال ثلاثًا أو نحو هذا ـ فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك». [رواه الترمذي وقال: حسن]

٢ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ، قال: «بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه. فقال واحد منهم، اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز، فذهب وتركه، وأني عمدت إلى ذلك الفرق

فزرعته، فصار من أمره أنى اشتريت منه بقراً وذكر الثاني، وذكر الثالث.
وتلحظ ما فيها من تفرغ وتبتل وتذلل حتى أزاح الله الصخرة وخرجوا يمشون.

٣ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ خرج متبذلاً متواضعًا، حتى أتى المصلى، فلم يخطب خطبتكم هذه ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير وصلى ركعتين كما يصلي في العيد». [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح]

٤ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ، فصلى رسول الله ﷺ بالناس فقام فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم قام فأطال القيام وهو دون القيام الأول، ثم سجد فأطال السجود، ثم فعل في الركعة الثانية مثل ما فعل في الأولى، ثم انصرف وقد انجلت الشمس، فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا». ثم قال: يا أمة محمد، والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته، يا أمة محمد، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً». [متفق عليه]

والخلاصة

أن التضرع والتذلل والخضوع في الدعاء كان صفة رسول الله ﷺ في حاله مع الله في الدعاء، وفي التضرع الخلاص والنجاة من البأس والضرر. وفيه القرب إلي الله لمن لزم هذا الحال.

* * *

٩٠ مكارم الاتباع

هو أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، ثم هو من بعد في التابعين مخير.

قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: باب ما أبان الله لخلقه من فرضه على رسوله اتباع ما أوحى إليه، وما شهد له به من اتباع ما أمر به، وأنه ﷺ هاد لمن اتبعه، ثم ساق الآيات الدالة على هذه المعاني، ومنها قوله تعالى: **﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليمًا حكيمًا﴾**، واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعلمون خبيراً، وقوله تعالى: **﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾**.

وما سن رسول الله ﷺ فيما ليس لله فيه حكم فبحكم الله سنه، وكذلك أخبرنا الله في قوله: **﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**.

١ - قال الله تعالى: **﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾** [يونس: ٣٥].

- **والشاهد**: **﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى﴾**.
- **والمعنى**: قل لهم **﴿هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾**؟ والجواب لا يوجد؛ لأنها لا تتكلم ولا تعلم إذاً فقل لهم الله يهدى إلى الحق أي بواسطة نبيه ﷺ ووحيه وآياته، وقل لهم: **﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى﴾** والجواب معروف الذي يهدي إلى الحق أحق أن يتبع ممن

لا يهتدى إلا أن يهدى، إذًا لم لا تتقون الله فتوحدوه وتؤمنوا برسوله ﷺ وكتابه فتهتدوا، وتتركوا آلهتكم التي لا تهدى إلى الحق؟ ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ أي: أي شيء ثبت لديكم في ترك عبادة الله لعبادة غيره من هذه الأوثان، ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: حكم هذا تحكمون به؟ وهو اتباع من لا يهدي وترك عبادة من يهدي إلى الحق.

٢ - وقال تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢].

◆ والشاهد: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾.

◆ والمعنى: ينفي تعالى أن تكون حال المتبع لرضوان الله تعالى بالإيمان به ورسوله ﷺ وطاعتهما بفعل الأمر واجتناب النهي، كمال المتبع لسخط الله تعالى بتكذيبه تعالى وتكذيب رسول الله ﷺ ومعصيتهما بترك الواجبات وفعل المحرمات فكانت جهنم مأواه وبئس المصير جهنم.

٣ - وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

◆ والشاهد: ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ﴾.

◆ والمعنى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ أي: ويوم القيامة فينشرون يدعوهم الداعي هلموا إلي أرض المحشر، فلا يميلون عن صوته يمنة ولا يسرة، وهو معني لا عوج له، ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ أي: ذلت وسكنت ﴿فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا﴾ وهو صوت خفي كأصوات خفاف الإبل إذا مشت.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ: «إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه، فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاة. فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم (وفي البخاري على مهلهم)، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش، فأهلكهم واجتباحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق». [متفق عليه]

٢ - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء. وقال بعضهم: لا آكل اللحم. وقال بعضهم: لا أنام على فراش. فحمد الله وأثنى عليه فقال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، ولكنى أصلي وأنام وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني». [رواه مسلم]

٣ - وقال الرسول ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه. ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذى ناب من السبع، ولا لُقَطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه».

[رواه أبو داود وصحيحه الألباني]

٤ - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: اتخذ النبي ﷺ خاتماً من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فقال النبي ﷺ: «إني اتخذت خاتماً من ذهب». فنبذه، وقال: «إني لن ألبسه أبداً» فنبذ الناس خواتيمهم». [رواه البخاري]

والخلاصة

أن الاتباع: التأسي بالرسول ﷺ في الأقوال والأفعال.

والاتباع دليل محبة الله عز وجل ورسوله ﷺ، وللمحبة طرفان هما المحب والمحبوب، وفيما يتعلق بمحبة الله عز وجل ،فإن طرفيها هما محبة العبد لربه ومحبة الرب لعبده، ودليل الأولى هي اتباع المصطفى ﷺ، أما الثانية فهي ثمرة ذلك الاتباع، ويؤكد ذلك قول الله تعالى: **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**.

* * *

٩١ القدوة الحسنة

هي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسنًا وإن قبيحًا وإن سارًا وإن ضارًا.

قال القرطبي: واختلف في هذه الأسوة بالرسول ﷺ هل هي على الإيجاب أو على الاستحباب؟ على قولين: أحدهما على الإيجاب حتى يقوم الدليل على الاستحباب. الثاني: على الاستحباب حتى يقوم الدليل على الإيجاب، ويحتمل أن يحمل على الإيجاب في أمور الدين وعلى الاستحباب في أمور الدنيا.

١ - قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١].

- **والشاهد**: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

- **والمعنى**: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ أيها المسلمون، أي: من مؤمنين صادقين، ومنافقين كاذبين في رسول الله محمد ﷺ أسوة حسنة أي: قدوة صالحة فاقتدوا به في جهاده وصبره وثباته، فقد جاع حتى شد بطنه بعصابة وقاتل حتى شج وجهه وكسرت رباعيته، ومات عمه، وحفر الخندق بيديه وثبت في سفح سلع أمام العدو قرابة شهر فائتوا به في الصبر والجهاد والثبات ﴿إن كنتم ترجون﴾ أي: تنظرون ما عنده من خير في مستقبل أيامكم في الدنيا والآخرة وترجون اليوم الآخر أي ترتقبونه وما فيه من سعادة وشقاء، ونعيم مقيم، أو جحيم وعذاب أليم، وتذكرون الله تعالى كثيراً في كل حالاتكم وأوقاتكم، فاقتدوا بنبيكم ﷺ فإن الاقتداء به واجب لا يسقط إلا عن عجز والله المستعان.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩، ٩٠].

◆ والشاهد: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾.

◆ والمعنى: يأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقتدي بأولئك الأنبياء المرسلين في كمالاتهم كلها حتى يجمع ﷺ كل كمال فيهم، فيصبح بذلك أكملهم على الإطلاق، وكذلك كان وقوله تعالى في ختام الآية الكريمة: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ يأمره تعالى أن يقول لأولئك العادلين بربهم الأصنام والأوثان المكذبين بنبوته وكتابه، ما أسألكم على القرآن الذي أمرت أن أقرأه عليكم لهدايتكم ﴿أَجْرًا﴾ أي: مالاً مقابل تبليغه إياكم ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي ما القرآن إلا موعظة للعالمين يتعظون بها إن هم ألقوا أسماعهم وتجردوا من أهوائهم وأرادوا الهداية ورغبوا فيها.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت سبعًا، وصلى خلف المقام ركعتين، وطاف بين الصفا والمروة وقال: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة». [رواه النسائي]

٢ ـ عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، أنه بات ليلة عند ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالة ابن عباس قال: فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في منام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله ﷺ فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة «آل عمران»، ثم قام إلى شنٍّ معنقة، فتوضأ

منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلي، قال ابن عباس: فقمت فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه، فوضع ﷺ يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذنه اليمنى يفتلها، فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر. ثم اضطجع حتى أتاه المؤذن فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح». [متفق عليه]

٣ ـ قال الرسول ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبله إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون، من جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل». [رواه مسلم]

والخلاصة

أن الأسوة الحسنة هي الاقتداء واقتفاء أثر النبي ﷺ في الأقوال والأفعال والهيئات.

﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ ففي التأسي برسول الله ﷺ الهداية، وفيها وبها دخول الجنة.

وهي دليل الحب لله ولرسوله ﷺ.

* * *

٩٢ مكارم الطاعة

هي الامتثال ظاهراً، والرضا باطنًا لحكم الله ورسوله وما يقوله من دعا إلى ذلك(١).

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] قال: يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يُحكِم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهراً، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلموا لذلك تسليمًا كليًا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة.

١ - قال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

◆ **والشاهد**: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

◆ **والمعنى**: لما اضطربت نفوس المؤمنين لقول الله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ فلما قولوا سمعنا وأطعنا ولا تكونوا كاليهود: قالوا ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ فلما قالوا صادقين أنزل الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ فأخبر عن إيمانهم مقرونًا بإيمانهم بنبيهم ﷺ تكريمًا لهم وتطمينًا، وأخبرهم تعالى أن لرحمته بهم وحكمته في تصرفه في خلقه لا يكلف نفسًا إلا وسعها أي ما تتسع له طاقتها وتقدر على فعله إن لها ما كسبت من الخير

(١) التعريفات للجرجاني.

فتجزى به خيراً وعليها ما اكسبت من الشر فتجزى به شرًا إلا أن يعفو عنها ويغفر لها.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩].

والشاهد: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

والمعنى: لما أمر تعالى ولاة أمور المسلمين بأداء الأمانات التي هي حقوق الرعية، وبالحكم بينهم بالعدل أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ﷺ أولاً ثم بطاعة ولاته ثانيًا، والطاعة لأولي الأمر مقيدة بما كان معروفًا للشرع أما في غير المعروف فلا طاعة في الاختيار لحديث: «إنما الطاعة في المعروف» «ولا طاعة لمخلوق في معطية الخالق» وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ فهو خطاب عام للولاة والرعية فمتى حصل خلاف في أمرين من أمور الدين والدنيا وجب رد ذلك إلى كتاب الله وسنة رسوله الله ﷺ فبما حكما فيه وجب قبوله حلواً كان أو مرًا، وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾. يريد ذلك الرد والرجوع بالمسائل والقضايا المختلف فيها إى الكتاب والسنة هو خير حالاً ومآلاً، لما فيه من قطع النزاع والسير بالأمة متحدة متحابة متعاونة.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

والشاهد: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾.

والمعنى: لما قال بعض الصحابة: يا رسول الله ما ينبغي لنا أن تفارقك في الدنيا فإنك إذا فارقتنا، رفعت فوقنا فلم نرك فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ

وَالرَّسُولَ... الآية﴾ وما أنعم الله تعالى عليهم هو الايمان بالله تعالى ومعرفته عز وجل ومعرفة محابه ومساخطه والتوفيق لفعل المحاب وترك المساخط هذا في الدنيا، وأما ما أنعم به عليهم في الآخرة فهو الجوار الكريم في دار النعيم.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة». [رواه البخاري]

٢ ـ وقال الرسول ﷺ: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، قيل: يارسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: لا. ما أقاموا فيكم الصلاة، ولا تنزعوا يداً من طاعة». [رواه مسلم]

٣ ـ قال النبي ﷺ: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية. يغضب لعصبة أو يدعو إلي عصبة. أو ينصر عصبة، فقتله جاهلية. ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى، من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه».

[رواه مسلم]

٤ ـ لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ: قال: «ما هذا يا معاذ؟ قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فودرت في نفسي أن فعل ذلك بك، فقال رسول الله ﷺ، فلا تفعلوا، فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله، لأمرت المرأة تسجد لزوجها. واللذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه».

[رواه الترمذي،حديث حسن]

والخلاصة

أن الطاعة هي الامتثال ظاهراً، والرضا باطناً.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قدر الربح من معاملة ثم تعامل غيره، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته، وأن تذوق عصرة القلب عن الخوص في غير حديثه والحديث عنه ثم لا تشتاق إلى انشراح الصدر بذكره ومناجاته وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ولا تهرب منه إلى نعمتي الإقبال عليه والإنابة إليه.

* * *

٩٣ الحكم بما أنزل الله

الحكم بما أنزل الله: هو خطاب الله تعالى المتعلقة بفعل المكلف من حيث كونه كذلك (بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع).

قال الإمام الشافعي في «الرسالة»: ومن البيان المشار إليه في الآية من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ما سنه رسول الله ﷺ مما ليس فيه نص حكم إذ قد فرض الله في كتابه طاعة نبيه ﷺ والانتهاء إلى حكمه، فمن قبل عن رسول الله ﷺ فبفرض الله قبل.

١ - قال الله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩].

◈ **والشاهد**: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾.

◈ **والمعنى**: أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يحكم بين من يتحاكمون إليه بما أنزل عليه من القرآن فقال: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ ونهاه أن يتبع أهواءهم فقال: ﴿وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ وحذره من أن يتبع بعض أراءهم فيترك بعض ما أنزل الله عليه، وأعلمه أن اليهود إن تولوا أي أعرضوا عن قبول حكمه وهو الحكم الحق العادل فإنما يريد الله تعالى أن ينزل بهم عقوبة نتيجة ما قارفوا من الذنوب وما ارتكبوا من الخطايا فقال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ وندد بأعدائه حيث أخبر أن أكثرهم فاسقون أي عصاة خارجون عن طاعة الله تعالى ورسله.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

◆ والشاهد: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ﴾.

◆ والمعنى: يأمر الله نبيه ﷺ ليقول: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي على علم يقيني من وجوب الإيمان بالله ووجوب الدعوة إلى ذلك، وكذبتم أنتم بهذا كله وبالعذاب إذ أدرتكم به وأنا ما عندي ما تستعجلون به من العذاب، ولو كان عندي لحل بكم وانتهى أمركم، ولكن الحكم لله ليس لأحد غيره، وقد قص عليكم أخبار السابقين المطالبين رسلهم بالعذاب ورأيتم كيف حل بهم العذاب، ويقص الحق وهو خير الفاصلين.

٣ ـ وقال الله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠].

◆ والشاهد: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾.

◆ والمعنى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾ من أمور الدين والدنيا أيها الناس فحكمه إلى الله تعالى هو الذي يحكم فيه بالعدل فردوه إليه سبحانه وتعالى فإنه يقضي بينكم بالحق، وهنا أمر رسول ﷺ، أن يقول للمشركين ذلكم المذكور بصفات الجلال والكمال الحكم العدل الذي يقضي ولا يقضى عليه، الله ربي الذي ليس لي رب سواه عليه توكلت ففوضت أمري إليه واثقًا في كفايته وإليه وحده أنيب أي أرجع في أموري كلها.

٤ ـ وقال جل شأنه: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٤٨ - ٥١].

والشاهد: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

والمعنى: إنما كان قول المؤمنين الصادقين في إيمانهم إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا، أي لم يكن للمؤمنين الصادقين من قول يقولون إذا دعوا إلى كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم إلا قولهم سمعنا وأطعنا فيجيبون الدعوة ويسلمون بالحق قال تعالى في الثناء عليهم: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الناجحون في دنياهم وآخرتهم دون غيرهم من أهل النفاق.

٥ - وقال تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

◆ والشاهد: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾.

◆ والمعنى: وتتوالى إنعامات الله على من يشاء من عباده، وفي ذلك تقرير لنبوة نبيه محمد ﷺ التي كذبت بها قريش فقال تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ أي واذكر يا نبينا داود وسليمان ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ أي اذكرهما في الحرث الذي ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ أي رعت فيه ليلاً بدون راع فأكلته وأتلفته ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ حاضرين لا يخفى علينا ما حكم به كل منهما، إذ حكم داود بأن يأخذ صاحب الحرث الماشية مقابل ما أتلفته لأن المتلف يعادل قيمة الغنم التي أتلفته، وحكم سليمان بأن يأخذ صاحب الحرث الماشية يستغل صوفها ولبنها وسخللها فإذا ردت إليه كرومه كما كانت أخذها ورد الماشية لصاحبها لم ينقص منها شيء، هذا الحكم هو الأصح، بإخبار الله تعالى.

٦ ـ وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾

[الطور: ٤٨]

◆ والشاهد: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾.

◆ والمعنى: واصبر لحكم ربك وقضائه بتأخير العذاب عن هؤلاء المشركين، ولا تخف ولا تحزن فإنك بأعيننا أي بمرأ منا، نراك ونحفظك وجمع لفظ العين على أعين مراعاة لنون العظمة وهو المضاف إليه بأعيننا وسبح بحمد ربك أي قل سبحان الله وبحمده حين تقوم من نومك ومن مجلسك ومن الليل أيضًا فسبحه بصلاة المغرب والعشاء والتهجد وكذا إدبار النجوم أي بعد طلوع الفجر فسبح بصلاة الصبح وغيرها.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر». [متفق عليه]

٢ ـ وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد». [متفق عليه]

٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلين اختصما إلى رسول الله ﷺ، فقال أحدهما: اقض بيننا بكتاب الله، وقال الآخر وهو أفقههما أجل يا رسول الله، فاقض بيننا بكتاب الله، وأذن لي أن أتكلم. قال: تكلم، قال: إن ابني كان عسيفًا على هذا، قال مالك والعسيف الأجير، زنى بامرأته، فأخبروني أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة وجارية لي، ثم إني سألت أهل العلم

فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريبه عام، وإنما الرجم على امرأته، فقال رسول الله ﷺ ، أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، أما غنمك وجاريتك فرد عليك، وجلد ابنه مائة وغربه عاماً، وأمر أنيسًا الأسلمي أن يأتي امرأة الآخر فإن اعترفت رجمها، فاعترفت فرجمها » . [متفق عليه]

والخلاصة

أن الحكم بما أنزل الله هو سياسة الناس والقضاء بينهم وتدبير أمورهم طبقًا للأحكام الشرعية.

ومن أسمائه تعالى: الحكم والحكيم، وهو سبحانه أحكم الحاكمين وهو الحكيم له الحكم.

ويتضمن الحكم بما أنزل الله أيضا الحكم بما أجمعت عليه الأمة أو قيس على حكم جاء به الكتاب أو أوردته السنة.

وللحكم الشرعي نوعان: تكليفي ووضعي ولكل منهما أقسام:

أقسام التكليفي:

١) الإيجاب. ٢) الندب. ٣) التحريم.

٤) الكراهة. ٥) الإباحة.

أقسام الوضعي المتعلق بأفعال العباد المكلفين، الطلب والتخيير وخطاب الوضع.

وقال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ... آية﴾ يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم

الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهراً، ولهذا قال ﴿**ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليمًا كليًا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة.

* * *

٩٤ مكارم القوة

هي تمكن الكائن الحيّ من الأفعال الشاقة، فإن كان الكائن نباتًا سميت قوته قوة طبيعية، وإن كان حيوانًا سميت قوته قوة نفسائية وإن كان إنسانًا سميت قوته قوة عقلية، والقوى العقلية باعتبار إدراكها للكليات تسمى القوة النظرية، وباعتبار استنباطها للصناعات الفكرية من أدلتها بالرأي تسمى القوة العملية.

قال مجاهد: في قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣]. بقوة أي بعمل ما فيه.

١ - قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥]

◆ **والشاهد**: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾.

◆ **والمعنى**: أمر الله بكتب ﴿الأَلْوَاحِ﴾، فكتب فيها من أمور الدين والدنيا موعظة لقومه من أمر ونهي وترغيب وترهيب، وتفصيلاً لكل شيء يحتاجون إلى بيان وتفصيله، قال الله: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ أي بعزم وجد وذلك بالعمل بحلالها وحرامها فعلاً وتركًا. ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ﴾ أيضًا ﴿يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ أي بما هو عزائم فيها وليس برخص، تربية لهم وتعويداً لهم على تحمل العظائم لما لازمهم من الضعف والخور دهرًا طويلاً.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

◆ والشاهد: ﴿الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

◆ والمعنى: لما تقرر أن إله الناس ومعبودهم واحد ولا يستحق ذلك إلا الله بين أن مع هذا البيان والوضوح يوجد أناس يتخذون من دون الله آلهة أصنامًا ورؤساء ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ كحبهم لله تعالى أي يسوون بين حبهم وحب الله تعالى، كما أخبر تعالى أنه لو يرى المشركون عند معاينتهم العذاب يوم القيامة لرأوا أمرًا فظيعًا يعجز الوصف عنه، واعلموا أن القوة لله وأن الله شديد العذاب.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

◆ والشاهد: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾.

◆ والمعنى: بمناسبة انتهاء معركة بدر وهزيمة المشركين فيها، وعودتهم إلى مكة وكلهم تغيظ على المؤمنين وفعلاً أخذ أبو سفيان يعد العدة للانتقام، وما كانت غزوة أحد إلا نتيجة لذلك هنا أمر الله تعالي رسوله ﷺ والمؤمنين بإعداد القوة وبذل الطاقة وما في الوسع، فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ وقد فسر النبي ﷺ القوة بالرمي فقال: «ألا إن القوة الرمي» قالها ثلاثًا، ثم يخبر تعالى عبادة المؤمنين بعد أن أمرهم بإعداد القوة على اختلافها بأن رباطهم للخيل وحبسها أمام دورهم معدة للغزو والجهاد عليها، يرهب أعداء الله من الكافرين والمنافقين أي يخوفهم حتى لا يفكروا في غزو المسلمين وقتالهم، وهذا ما يعرف بالسلم المسلح وهو أن الأمة إذا كانت مسلحة قادرة على القتال يرهبها أعداؤها فلا يحاربونها.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن عثمان بن أبي العاص ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «أتاني رسول الله ﷺ وبي وجع قد كاد يهلكني، فقال رسول الله ﷺ امسح بيمينك سبع مرات وقل: «أعوذ بعزة الله وقوته من شر ما أجد» قال: فقلت ـ فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم». [رواه مسلم]

٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان».

[رواه مسلم]

والخلاصة

أن القوة هي تمكن الكاذن الحي من الأفعال الشاقة.

وأن الله أمر بها في الطاعة، وأمر بها استعداد للعدو وهي من الأشياء التي مدحها رسول الله ﷺ في المؤمن أن يكون قويًا.

* * *

٩٥ مكارم الثبات

هو عدم احتمال الزوال بتشكيك المشكك.

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره: وقيل معنى «يثبت الله» يديمهم الله على القول الثابت، ومنه قول عبد الله بن رواحة:

يثبت الله ما آتاك من حسن ... تثبيت موسى ونصراً كالذي نصرا

١ - قال الله تعالى: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢٦٥].

◆ **والشاهد**: ﴿**وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ**﴾.

◆ **والمعنى**: لما ذكر الله تعالى خيبة المنافقين أموالهم رياء الناس محذراً المؤمنين من ذلك ذكر تعالى مرغباً في النفقة التي يريد بها العبد رضا الله وما عنده من الثواب الأخروى فقال ضاربًا لذلك مثلاً: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ**﴾ أي تحققًا وتيقنًا منهم بأن الله تعالى سيثيبهم عليها مثلهم في الحصول على ما أملوا من رضا الله وعظيم الأجر، كمثل ربوة بمكان مرتفع عالٍ أصابها مطر غزير فأعطت ثمرها، ضعفي ما يعطيه غيرها من البساتين ولما كانت هذه الجنة بمكان عال مرتفع فإنها يصبها المطر الغزير فإن الندي والمطر اللين الخفيف كافٍ في سقيها وريها حتى تؤتي ثمارها مضاعفًا مرتين.

٢ - وقال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً**﴾ [الفرقان: ٣٢].

◆ **والشاهد**: ﴿**كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾.

◈ والمعنى: وقال المكذبون بالبعث المنكرون للنبوة المحمدية المشركون بالله آلهة من الأصنام هلا نزل عليه القرآن مرة واحدة مع بعضه بعضًا لا مفرقًا آيات وسوراً أي كما نزلت التوراة جملة واحدة والإنجيل والزبور وهذا من باب التعنت منهم والاقتراحات التي لا معنى لها إذ هذا ليس من شأنهم ولا مما يحق لهم الخوض فيه، ولكنه الكفر والعناد. ولما كان هذا مما قد يؤلم الرسول ﷺ رد تعالى عليهم بقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي أنزلناه كذلك منجمًا ومفرقًا لحكمة عالية وهي تقوية قلبك وتثبيته لأنه كالغيث كلما أنزل أحيا موات الأرض وازدهرت به ونزوله مرة بعد مرة أنفع من نزول المطر دفعة واحدة.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه» وكان رسول الله ﷺ يقول: «يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك، وقال والميزان بيد الرحمن يرفع أقوامًا ويخفض آخرين إلى يوم القيامة». [رواه ابن ماجة]

٢ ـ وقال الرسول ﷺ: «إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها» قالوا: يا رسول الله! كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم». [رواه مسلم]

٣ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً أثبته، وكان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة، قالت: وما رأيت رسول الله ﷺ قام ليلة حتى الصباح وما صام شهرًا متتابعًا إلا رمضان». [رواه مسلم]

والخلاصة

الثبات: هو عدم احتمال الزوال بتشكيك المشكك قال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ السنة ـ والذي لا إله إلا هو بين الغالي والجافي. فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي: الذين لم يذهبوا مع آأهل الاتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم فكذلك إن شاء الله فكونوا وفي الثبات دليل على كمال التوكل على الله.

وفيه قوة في الجهاد، وقوة في التأسي برسول الله ﷺ.

* * *

٩٦ مكارم المجاهدة

هي بذل الجهد في قتال الكفار، أو مجاهدة الشيطان والفساق والكفار.

أما مجاهد النفس: فعلى تعلم أمور الدين ثم على العمل بها ثم على تعليمها. ومجاهدة الشيطان: فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات.

وأما مجاهدة الكفار: فتقع باليد والمال واللسان والقلب.

قال ابن القيم رحمه الله ـ لما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعًا على جهاد العبد نفسه في ذات الله، كما قال النبي ﷺ: المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، كان جهاد النفس مقدمًا على جهاد العدو في الخارج وأصلاً له، فإنه ما لم يجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أمرت به، وتترك ما نهيت عنه، ويحاربها في الله، لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج.

١ ـ قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [التوبة: ١١١].

◆ **والشاهد**: **﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ﴾**.

◆ **والمعنى**: لما ذكر الله تعالى حال المتخلفين عن الجهاد ذكر فضل الجهاد ترغيبًا فيه وفيما أعد لأهله فقال: **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ... الآية﴾** وهذا هو الثمن الذي أعطى الله تعالى فيه الثمن وهو الجنة، وقوله: **﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ﴾** أي أعداء الله المشركين **﴿وَيُقْتَلُونَ﴾** أي يستشهدون في

معارك القتال وقوله: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ أي وعدهم بذلك وعداً وأحق حقًا أي أثبته في الكتب الثلاثة التوراة والإنجيل والقرأن تقريراً له وتثبيتًا، وقوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ استفهام بمعنى النفي أي لا أحد مطلقًا أوفى بعهده إذا عاهد من الله تعالى.

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

◆ **والشاهد**: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾.

◆ **والمعنى**: وهذه من أوائل ما نزل في شأن قتال المشركين وهي متضمنة الأذن لرسول الله ﷺ والمؤمنين بقتال من يقاتلهم والكف عمن يكف عنهم وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي في سبيل إعلاء كلمة الله ليعبد وحده. الذين يقاتلونكم واقتلوهم حيث تمكنتم منهم، وأخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم أيها المهاجرون من دياركم، ولا تتحرجوا من القتل، فإن فتنهم للمؤمنين لحملهم على الكفر بالاضطهار والتعذيب أشد من القتل.

٣ - وقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

◆ **والشاهد**: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾.

◆ **والمعنى**: هذه الآية نزلت في غزوة تبوك فقد بلغ النبي ﷺ أن هرقل ملك الروم قد جمع جموعه لحرب الرسول ﷺ، فأعلن النبي ﷺ التعبئة العامة، وكان الزمن صيفًا حاراً وبالبلاد جدب ومجاعة، وكان ذلك في شوال من سنة تسع، وسميت هذه الغزوة بغزوة العسرة فاستحث الرب تعالى المؤمنين ليخرجوا مع نبيهم ﷺ لقتال أعدائه الذين عزموا على غزوه في عقر داره

فأنزل تعالى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا﴾ والقائل هو رسول الله ﷺ: ﴿انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي اخرجوا للجهاد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي لأجل رضاه سبحانه وتعالى وما عنده من نعيم مقيم، وقوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾ أي شيء يجعلكم لا تنفرون وأنتم المؤمنون طلاب الكمال والإسعاد في الدارين. وقوله: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾ أي تباطأتم عن الخروج راضين ببقائكم في دوركم وبلادكم ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾ أي ما كل ما يوجد فيها من متاع على اختلاف أنواعها بالنسبة إلى ما في الآخرة من نعيم مقيم في جوار رب العالمين تافه لا قيمة له، فكيف تؤثرون القليل على الكثير والفاني على الباقي.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - في حديث معاذ الطويل. قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد». [رواه الترمذي وقال حسن صحيح]

٢ - قال الرسول ﷺ: «مثل المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالمًا مع أجر أو غنيمة» (متفق عليه).

٣ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله، حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم» (رواه الترمذي وقال حسن صحيح).

٤ - وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: والذي نفسي بيده، لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما

أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل الله، والذي نفس بيده، لوددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيا ثم أُقتل، ثم أحيا ثم أُقتل ، ثم أحيا ثم أُقتل». [رواه البخاري]

والخلاصة

أن مجاهدة الأعداء هي بذل الجهد في قتال الكفار.

وللجهاد أقسام: قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: أقسام الجهاد أربعة: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

١ ـ جهاد النفس: أربع مراتب: مجاهدتها على تعلم الهدى ودين الحق ثم مجاهدتها على العمل. والدعوة، ثم الصبر.

٣ ـ جهاد الشيطان: قال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾

ولجهاد الشيطان ـ كما يقول ابن القيم ـ مرتبتين:

الأولى: جهاده على دفع ما يلقى إلى العبد من الشبهات والشكوك.

والثانية: جهاده على ما يلقى إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات فالمرتبة الأولي يكون بعدها اليقين والثانية يكون بعدها الصبر، قال تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾**

[السجدة: ٢٤]

الثالثة: جهاد الكفار والمنافقين ومن في حكمهم: أربعة مراتب.

١ ـ القلب واللسان، والمال، والنفس، وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان، وأما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات فعلى

ثلاث مراتب: اليد إذا قدر، اللسان إذا عجزت اليد، ثم بالقلب إذا عجز اللسان.

حكم الجهاد: جهاد النفس في ذات الله تعالى وجهاد الشيطان فرض عين لا ينوب فيه أحد عن أحد.

أما جهاد الكفار والمنافقين ومن في حكمهم من أهل البدع، فهو فرض كفاية قد يكتفى فيه ببعض الأمة إذا حصل منهم مقصود الجهاد.

* * *

٩٧ علو الهمة

هو استصغار مادون النهاية من معالي الأمور(١).

قال الشيخ/ محمد أحمد المقدم.

ولعلو الهمة مجالات خمس: طلب المعلم، العبادة والاستقامة البحث عن الحق، الدعوة إلي الله تعالى، والجهاد في سبيل الله وسنوجز القول في هذه المجالات كما يلي:

المجال الأول: طلب العلم: يتمثل علو الهمة في طلب العلم في:

١ـ غيرة على الوقت.

٢ ـ عزم يبلي الليل والنهار.

٣ ـ الحرص على الاغتراف من العلوم.

٤ ـ الغوص في البحث لا تحول بينه وبين نفائس العلوم وعورة المسلك.

٥ ـ ألسنة مهذبة لا تقع في لغو ولا مهاترة.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا**﴾ [نوح: ٥ ـ ٧].

◆ **والشاهد**: ﴿**دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا**﴾.

◆ **المعنى**: هذه الآيات تضمنت لوحة مشرفة يهتدي بضوئها الهداة الدعاة إلى الله عز وجل إذ هي تمثل عرض حال قدمه نوح لربه عز وجل هو خلاصة دعوة

---

(١) وسائل الإصلاح ـ للخضر حسين.

دامت قرابة تسعمائة وخمسين سنة ولنصغ إلى نوح عليه السلام وهو يشكو إلى ربه ويعرض عليه ما قام به من دعوة إليه، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي﴾ وهم أهل الأرض كلهم يومئذ ﴿لَيْلاً وَنَهَارًا﴾ أي بالليل والنهار إذ بعض الناس لا يمكنه الاتصال بهم إلا ليلاً. فلم يزدهم دعائي لهم إلى عبادتك وحدك إلا فراراً مني ومما أدعوهم إليه، وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم بأن يستغفروك ويتوبوا إليك لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعوا ما أقول لهم، واستغشوا ثيابهم أي تغطوا بها حتى لا يروني ولا ينظروا إلى وجهي كراهة لي وبغضاً فيّ، وأصروا على الشرك والكفر إصراً متزايداً.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٦-١٩].

◆ **والشاهد**: ﴿اذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

◆ **والمعنى**: وقالوا أي ﴿المشركون﴾ لما نزل ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ الآيات من سورة الحاقة. قال غلاة الكافرين، كأبي جهل وغيره استهزاءاً، ربنا عجل لنا قطنا أي كتابنا لنرى ما فيه من حسنات وسيئات قبل يوم القيامة والحساب. والجزاء وهم لا يؤمنون ببعث ولا جزاء، وإنما قالوا هذا استهزاءاً فقال الله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ واذكر عبدنا داود ذا الأيد إن أواب، أي القوة في دين الله، وهو رجاع إلى الله تعالى، اذكره لتتأسى به في صبره وقوته في الحق، ﴿إنا سخرنا﴾ الأيات بيان لإنعام الله تعالى على داود ليتعظم الرغبة في الاقتداء به، والرغبة إلى الله تعالى فيما لديه من إفضالات. إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق. أي إذا سبح داود في المساء من بعد العصر إلى المغروب وفي الإشراق وهو وقت الضحى سبحت الجبال معه أي رددت تسبيحه كرامة له،

والطير محشورة أي وسخرنا الطير مجموعة تردد التسبيح معه، كل من الجبال والطير أواب، رجاع بالتسبيح.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ، فقال: «ماذا عندك ياثمامة؟» فقال: عندي خير، يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم، تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فتُرك حتى كان الغد، ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: ما قلت لك، إن تنعم، تنعم على شاكر. فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله لا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ دينك فأصبح دينك أحب الدين إليّ والله ما كان من بلد أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا والله، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ ولا، والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ». [متفق عليه]

٢ - عن سعد - رضي الله عنه - قال: «رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخي؟ قال: إني

أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني فيردني، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة، قال: فعرض على رسول الله ﷺ فرده، فبكى فأجازه، فكان سعد - رضي الله عنه - يقول فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره فقتل وهو ابن ست عشرة سنة». [رواه الطبراني]

والخلاصة

أن علو الهمة استصغار ما دون النهاية، وهي دأب الصالحين إذ أنهم ما استحقوا ذلك إلا بعلو همتهم وصبرهم على متاعب الطريق.

الأمثلة في علو الهمة في أنواع كثيرة:

١ - في طلب العلم «وموسى عليه السلام لما صحب الرجل الصالح.

٢ - في العبادة والاستقامة: ومثله داود عليه السلام خير الصيام صيام داود كان يصوم يومًا ويفطر يومًا خير القيام قيام داود كان يقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه.

٣ - في البحث عن الحق: كل الذين تقصوا أثر بعثة النبي ﷺ في انتظاره ليؤمنوا به، الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم.

٤ - علو الهمة في الدعوة: ومثاله سيد الدعاة محمد ﷺ ثم نوح عليه السلام ثم الأمثل فالأمثل.

٥ - الجهاد في سبيل الله: ومثاله أيضًا سيد المجاهدين محمد ﷺ ثم موسى ثم الأمثل فالأمثل.

* * *

٩٨ مكارم الوقار

هو الإمساك عن فضول الكلام والعبث وكثرة الإشارة والحركة، فيما يُستغنى عن التحرك فيه، وقلة الغضب، والإصغاء عند الاستفهام، والتوقف عن الجواب والتحفظ من التسرع، والمباكرة في جميع الأمور.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - على قدر المعرفة يكون تعظيم الرب - تعالى - في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيمًا وإجلالاً، وقد ذم الله - تعالى من لم يعظمه حق عظمته ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته، وأقوال السلف تدور على هذا، فقال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] أي لا تعاملونه معاملة من توقرونه».

١ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفتح: ٨، ٩].

◈ **والشاهد**: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾.

◈ **والمعنى**: يبين الله تعالى بعض ما أنعم به على رسوله ﷺ فيقول تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ لله تعالى بالوحدانية والكمال المطلق له عز وجل وشاهدًا على هذه الأمة التي أرسلت فيها وإليها عربها وعجمها ومبشرًا لأهل الإيمان والتقوى بالجنة ونذيرًا لأهل الكفر والمعاصي أي مخوفًا لهم من عذاب الله يوم القيامة، ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي أرسلناه كذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ بمعنى تنصروه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ بمعنى تجلوه وتعظموه وهذه واجبة لله ولرسوله الإيمان والتعزير والتوقير، وأما التسبيح والتقديس فهو لله تعالى وحده ويكون بكلمة سبحان الله وبالصلاة وبالذكر ولا إله إلا الله، وبدعاء الله وحده

وقوله: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ أي تسبحون الله ﴿بُكْرَةً﴾ أي صباحًا ﴿وَأَصِيلاً﴾ أي مساءًا (عشية).

٢ - وقال الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾

[نوح: ١٠ - ١٤]

◆ **والشاهد**: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾.

◆ **والمعنى**: ينكر تعالى على الذين لم يؤمنوا بالله وحده وأشركوا واتخذوا آلهة، ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي ما دهاكم، أي شيء جعلكم لا ترجون لله وقارًا لا تخافون عظمته وقدرته وكبرياءه. ولفت نظرهم إلى مظاهر قدرته تعالى فقال: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ: «أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبًا، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل والسكينة والوقارة في أهل الغنم». [متفق عليه]

٢ - قال الرسول ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال، يغفر له أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين - ويشفع في سبعين من أقاربه».

[رواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب]

والخلاصة

أن الوقار: هو الإمساك عن فضول الكلام، والعبث وكثرة الإشارة والحركة، فيما يستغنى عن التحرك فيه، وقلة الغضب والإصغاء عند الاستفهام، والتوقف عن الجواب والتحفظ من التسرع والمباكرة في جميع الأمور.

وقال الإمام النووى رحمه الله ـ: الفرق بين السكينة والوقار أن السكينة هي التأني في الحركات واجتناب العبث، والوقار في الهيئة كغض البصر، وخفض الصوت وعدم الالتفات.

وفي الوقار البعد عن الرذيلة، وفيه إدراك معاني العز والشرف.

٩٩ حسن السمت

هو حسن الصورة والسريرة، وأن يوصف مَنْ هذه صفته بالخير والصلاح.

قال عبد الله ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا، حكيمًا حليمًا عليمًا سكيتًا، وينبغى لحامل القرآن أن لا يكون جافيًا، ولا غافلاً، ولا صخابًا، ولا صياحًا ولا حديداً»(١).

١ ـ قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

◆ **والشاهد**: ﴿أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾.

◆ **والمعنى**: أي قابلت مكرهن بمكر أعظم منه فأعدت لهن حفلة طعام وشراب فلما أخذن في الأكل يقطعن بالسكاكين الفواكه كالأترج وغيره، أمرته أن يخرج عليهن ليرينه فيعجبن برؤيته فيذهلن عن أنفسهن ويقطعن أيديهن بدل الفاكهة التي يقطعنها للأكل وبذلك تكون قد دفعت عن نفسها المعرة والملامة، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ أي ما هذا إلا ملك كريم وذلك لجماله وما وهبه الله تعالى من حسن جمال في خَلقه وخُلقه وهنا قالت، فذاكلن الذي لمتنني فيه.

(١) حلية الأولياء.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ : «إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة» . [رواه أبو داود وأحمد، قال أحمد شاكر إسناده صحيح]

٢ - وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : كان الناس ينتابون يوم الجمعة من منازلهم والعوالي فيأتون في الغبار يصبهم الغبار والعرق، فيخرج منهم العرق، فأتى النبي ﷺ إنسان منهم، وهو عندي فقال النبي ﷺ : لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا» . [متفق عليه]

٣ - وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : «كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش، يقول : صبحكم ومساكم . ويقول : «بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقول بين إصبعيه السبابة والوسطى، ويقول : أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله . وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» ثم يقول : أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ» . [رواه مسلم]

والخلاصة

أن حسن السمت هو حسن الصورة والسريرة، وهو اتباع الهدى في الحركة والسكن .

وقال ابن الجوزي رحمه الله - الكمال عزيز، والكامل قليل الوجود . فأول أسباب الكمال تناسب أعضاء البدن، وحسن صورة الباطن، وصورة البدن

تسمى خَلقًا، وصورة الباطن تسمى خُلقًا، ودليل كمال صورة البدن حسن السمت، واستعمال الأدب، ودليل صورة الباطن حسن الطبائع، والأخلاق، فالطبائع: العفة والنزاهة والأنفة من الجهل، ومباعدة الشر، والأخلاق: الكرم والإيثار وستر العيوب، وابتداء المعروف والحلم عن الجهل»[1].

وفي السمت الحسن أو حسن السمت كمال الإيمان ورجاحة العقل وفيه احترام الآدمية والواجب العام.

* * *

(١) صيد الخاطر.

١٠٠ حفظ الفم

الصمت: هو إمساك عن قول الباطل دون الحق.

وحفظ اللسان: هو صون اللسان عن الكذب، والغيبة والنميمة وقول الزور، وغير ذلك مما نهى عنه الشارع الحكيم.

قال أبو بكر بن عياش: اجتمع أربعة ملوك، فقال أحدهم: أنا أندم على ما قلت، ولا أندم على مالم أقل، وقال آخر: إني إذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها، وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني، وقال ثالث: عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمته ضرته، وإن لم ترجع لم تنفعه، وقال الرابع: أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت.

١ - قال الله تعالى: **﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾** [مريم: ٢٦].

◆ والشاهد: **﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾**.

◆ **والمعنى**: بين تعالى لمريم (رضي الله عنها) أن تأكل وتشرب وتفرح بوليدها **﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾** أي فسألك عن حالك أو عن ولدك فلا تكلميه واكتفي بقولك: **﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾** أي صمتًا **﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾** هذا كله من قول عيسى لها أنطقه الله كرامة لها ليذهب عنها حزنها وألمها النفس من جراء الولادة وهي بكر لم تتزوج.

٢ - وقال تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾** [آل عمران: ٤١].

◆ والشاهد: **﴿أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا﴾**.

◆ **والمعنى**: لما سأل زكريا عليه السلام ربه آية على الحمل (أي علامة) يستدل بها علي وجود الحمل ليستقبل النعمة بالشكر فأجابه ربه قائلاً: ﴿آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ﴾ يريد أنك تصبح وأنت عاجز عن الكلام لمدة ثلاثة أيام، فلا تقدر أن تخاطب أحداً إلا بالإشارة وهي الرمز فيفهم عنك، وأمره تعالى أن يقابل هذا الإنعام بالشكر التام.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - عن عبد الله - رضي الله عنه - «عن رسول الله ﷺ أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب، وعمر يحلف بأبيه، فناداهم رسول الله ﷺ: ألا إن الله - عز وجل - ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت».

[متفق عليه]

٢ - عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: «يا رسول الله إن البكر تستحي، قال: رضاها صمتها». [متفق عليه]

٣ - قال الرسول ﷺ: «من حسن إسلام المرء، تركه مالا يعنيه».

[رواه مالك والترمذي، وصححه الألباني]

٤ - عن عبد الله بن أبي أوفي - رضي الله عنهما - قال: «كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له حاجة». [رواه النسائي وصححه الألباني].

والخلاصة

أن حفظ الفم هو صون اللسان أن ينطق مادون الحق وأن لا يكذب.

قال الإمام الغزالي - رحمه الله - إن اللسان من نعم الله العظيمة، ولطائف صنعه الغريبة، فإنه صغير جرمه، عظيم طاعته وجرمه، إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان، وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان، فإنه لا تعب في إطلاقه، ولا مؤنة في تحريكه، وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله، والحذر من مصائده وحبائله، وإنه أعظم آلة للشيطان في استغواء الإنسان.

واللسان رحب الميدان، ليس له مراد، ولا لمجاله منتهى وحد. له في الخير مجال رحب، وله في الشر ذيل سحب، فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرض العنان سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار، إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس في النار علي مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، ويكفه عن كل ما يخش غائلته في عاجله وآجله - ذلك أن خطر اللسان عظيم، ولا نجاة من خطره إلا بالصمت، فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه، فقال ﷺ: من صمت نجا». [رواه الترمذي]

* * *

١٠١ حفظ الفرج

هو التعفف عن الحرام.

قال ابن القيم رحمه الله ـ أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يأمر المؤمنين بغض الأبصار وحفظ الفروج، ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الأمر بغضه مقدماً على حفظ الفرج، فإن الحوادث مبدؤها من النظر، فتكون نظرة ثم خطرة ثم خطوة ثم خطيئة، ولهذا قيل: من حفظ الأربعة أحرز دينه، اللحظات والخطرات واللفظات والخطوات.

١ ـ قال الله تعالى: **﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾** [النور: ٣٠].

◈ **والشاهد: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾.**

◈ **والمعنى**: إن لقبح وفساد الزنى وسوء أثره على النفس والحياة البشرية وضع الشارع عدة أسباب واقية من الوقوع فيه ومنها الأمر بغض البصر، للرجال والنساء فقوله تعالى: **﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾** أي مر يا رسولنا المؤمنين بأن يحفظوا أجفانهم على أعينهم حتى لا ينظروا إلى الأجنبيات عنهم من النساء ويحفظوا فروجهم عن النظر إليها فلا يكشفوها لأحد إلا ما كان من الزوج لزوجه فلا حرج وعدم النظر أولى وأطيب وقوله: **﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾** أي أطهر لنفسوهم من نوافل العبادات **﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾** فليراقبوه تعالى في ذلك المأمور به من غض البصر، وحفظ الفرج إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

٢ ـ وقال تعالى: **﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ**

فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النساء: ٢٥].

- **والشاهد:** ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾.
- **والمعنى:** بَيّن الله تعالى رحمته في الترخيص لعباده المؤمنين لمن لم يسطتع نكاح الحرائر لقلة ذات يده، مع خوفه العنت الذي هو الضرر في دينه بالزنا، أو في بدنه بإقامة الحد عليه رخص له أن يتزوج المملوكة بشرط أن تكون مؤمنة، وأن يتزوجها بإذن مالكها وأن يؤتيها صداقها وأن يتم ذلك على مبدأ الإحصان الذي هو الزواج بشروطه لا السفاح، الذي هو الزنى العلني المشار إليه بكلمة ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ ولا الخفي المشار إليه بكلمة ﴿وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ أي أخلاء.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبوابها شئت». [رواه أحمد في المسند وصححه الألباني]

٢ ـ وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ «أن فتى من قريش أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله! ائذن لي في الزنا. فأقبل القوم عليه وزجروه فقالوا: مه مه، فقال: ادنه. فدنا منه قريبًا فقال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله! جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم». قال: افتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم» قال: افتحبه لأختك؟ قال:

لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم» قال: «افتحبه لعمتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه» فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء».

[رواه أحمد ورجالة رجال الصحيح]

٣ ـ قال الرسول ﷺ: «إذا أحدكم أعجبته المرأة، فوقعت في قلبه، فليعمد إلى امرأته فليواقعها، فإن ذلك يرد ما في نفسه». [رواه مسلم]

والخلاصة

أن حفظ البصر هو التعفف عن الحرام.

ولحفظ البصر أهمية عظمى بالنسبة للفرد والمجتمع، لأن حفظ الفرج وغض البصر والعفة عن المحارم يؤدي إلى تماسك بنيان المجتمع وحفظ الأنساب، والعصمة من الأمراض التي جعلها الله عقابًا دنيويًا يفتك بالمذنب الذي لا يرجع من قريب ويتأله على الله، ولا يرضى بما قسمه الله له من فرج حلال، ونظر حلال.

وتحفظ الفروج بالآتي: بالعفة ويأتي تحتها: الزواج وغض البصر. والصوم لمن لم يقدر على الزواج.

* * *

١٠٢ مكارم الفطنة

هي التنبه للشيء الذي يقصد معرفته.

حدّث الشعبي قال: جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقالت أشكو إليك خير أهل الدنيا إلا رجل سبقه بعمل أو عمل مثل عمله، يقوم الليل حتى يصبح، ويصوم النهار حتى يمسي، ثم أخذها الحياء فقالت: أقلني أمير المؤمنين. فقال جزاك الله خيراً فقد أحسنت الثناء. قد أقلتك. فلما ولت، قال كعب بن سور: يا أمير المؤمنين؟ لقد أبلغت إليك الشكوى، فقال: ما اشتكت؟ قال: زوجها، قال: عليّ بالمرأة وزوجها، فجيء بهما، فقال لكعب. اقض بينهما. قال: أأقض وأنت شاهد؟ قال: إنك قد فطنت ما لم أفطن إليه قال: فإن الله يقول: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣] صم ثلاثة أيام وأفطر يومًا عندها. وقم ثلاث ليال وبت عندها ليلة، فقال عمر: لهذا أعجب إليّ من الأول، فرحله بدابة وبعثه قاضيًا.

١ - قال الله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٢، ٢٣].

◆ **والشاهد:** ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾.

◆ **والمعنى:** فمكث الهدهد غير بعيد أي زمنًا قليلاً، وجاء فقال في تواضع رافعًا عنقه مرصيًا زنبه وجناحيه ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ أي اطلعت على ما لم تطلع عليه، ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ وسبأ قبيلة من قبائل اليمن، والنبأ اليقين الخبر الصادق الذي لا شك فيه.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٣-٨٨].

◈ والشاهد: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ﴾.

◈ والمعنى: يخبر الله تعالى نبيه عن ذي القرنين في سورة الكهف إجابة للمشركين الذين سألوا عنه لاختبار النبي ﷺ: ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ أي سأقرأ عليكم من أمره وشأنه العظيم ﴿ذِكْرًا﴾ أي خبرًا يحمل الموعظة والعلم والمعرفة، وقد مكن الله له في الأرض بالملك والسلطان، وأعطاه من كل شيء يحتاج إليه فيها سببًا إلى ذلك، وموضع الفطنة في القصة أنه قال: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أي بالشرك والكفر فسوف نعذبه بالقتل والأسر، ثم يرد إلى ربه بعد موته فيعذبه عذابًا نكرًا أي فظيعًا أليمًا، وأما من أسلم وحسن إسلامه فله جزاء على إيمانه وصالح أعماله الحسنى أي الجنة في الآخرة.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «بينما رسول الله ﷺ بفناء بيته بمكة جالس، إذ مر به عثمان بن مظعون، فكشر إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «لا تجلس؟ قال: بلى، قال: فجلس رسول الله ﷺ مستقبله، فبينما هو يحدثه إذ شخص رسول الله ﷺ بصره إلى السماء، فنظر ساعة إلى

السماء، فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض، فتحرف رسول الله ﷺ عن جليسه عقمان إلى حيث وضع بصره، وأخذ ينغض رأسه كأنه يستفقه ما يقال له، وابن مظعون ينظر، فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له، شخص بصر رسول الله ﷺ إلى السماء كما شخص أول مرة، فأتبعه بصره حتى توارى في السماء، فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى، قال: يا محمد، فيم كنت أجالسك وآتيك؟ ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة، قال: وما رأيتني فعلت؟ قال: رأيتك تشخص ببصرك إلى السماء، ثم وضعته حيث وضعته على يمينك، فتحرفت إليه، وتركتني فأخذت تنغض رأسك أنك تستفقه شيئًا يقال لك، قال: وفطنت لذلك؟ قال عثمان: نعم، قال رسول الله ﷺ: «أتاني رسول الله آنفًا وأنت جالس»، قال رسول الله؟ قال: نعم، قال: فما قال لك؟، قال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٩٠] قال عثمان: فذلك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمداً». [رواه أحمد، وقال أحمد شاكر إسناده صحيح]

٢ ـ قال النبي ﷺ: «بينما أمرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحدهما، فقالت هذه لصاحبتها، إنما ذهب بابنك أنت. وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام، فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينكما فقالت الصغرى: لا، يرحمك الله هو ابنها، فقضى للصغرى». [رواه مسلم]

والخلاصة

أن الفطنة هي التنبه للشيء الذي يقصد معرفته.

قال الأبشيهي: يستدل على رجاحة عقل الرجل بأمور متعددة منها: ميله إلى محاسن الأخلاق، وإعراض عن رذائل الأعمال، ورغبته في إسداء صنائع المعروف، وتجنبه ما يكسبه عاراً أو يورثه سوء السمعة» وفي الفطنة: كلما كنت أكثر فطنة كنت أقرب من الله، وفيها المحبة للفرد الفطن من المجتمع ومن الأفراد وهي سبب سببه الله حتى لا تقع في مأزق، وإن وقعت خرجت منه بفضل الله.

* * *

١٠٣ مكارم اليقظة

هي كمال التنبه والتحرز عما لا ينبغي.

قال ابن القيم رحمه الله ـ: اليقظة أول منازل العبودية، وهي انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين، ولله ما أنفع هذه الروعة، وما أعظم قدرها وخطرها، وما أقوى إعانتها على السلوك، فمن أحسن بها فقد أحسن ـ والله ـ بالفلاح، وإلا فهو في سكرات الغفلة، فإذا انتبه وتيقظ شمر بهمته إلى السفر إلى منازله الأولى، فأخذ في أهبة السفر وانتقل إلى منزلة العزم وهو العقد الجازم على الشيء، ومفارقة كل قاطع ومعوق، ومرافقة كل معين وموصل، وبحسب كمال انتباهه ويقظته تكون عزيمته، وبحسب قوة عزمه يكون استعداده، فإنا استيقظ أوجبت اليقظة الفكرة وهي تحديق القلب نحو المطلوب الذي قد استعد له مجملاً.

١ ـ قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨].

◈ **والشاهد**: ﴿تَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾.

◈ **والمعنى**: أي إنك إذا نظرت إليهم تظنهم ﴿أَيْقَاظًا﴾ أي منتبهين لأن أعينهم متفتحة وهم رقود نائمون لا يحسون بأحد ولا يشعرون، وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ أي جهة اليمين ﴿وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ جهة الشمال، حتى لا تعدو التربة على أجسادهم فتبليها.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١]

◆ والشاهد: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا﴾.

◆ والمعنى: انظر صفة الحذر.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ.... الآية﴾ [الأعراف:١٧٩] وقال الرسول ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم بعدى كل منافق عليم اللسان». [رواه البزار وأحمد وأبو يعلي]

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ وقال الرسول ﷺ: «إذا قاتل أحدكم أخاه، فليتق الوجه». [متفق عليه]

٢ ـ وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ يقول جاءت ملائكة... الحديث في وصف النبي ﷺ وفيه» إن العين نائمة والقلب يقظان وقال رسول الله ﷺ: إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر، فإن الله إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيبه إلا بشق الأنفس، وجعل الأرض، فعليها فاقضوا حاجتكم». [رواه أبو داود]

والخلاصة

أن اليقظة كمال التنبه والتحرز عما لا ينبغي، وهي ضد الغفلة وفي الغفلة الخسران المبين، وفي اليقظة ودوام الذكر الفلاح المبين.

قال العزي: إن العبد إذا نهض من ورطة الغفلة واستنار قلبه برؤية نور التنبيه فأوجب له ملاحظة نعمة الله الباطنة والظاهرة وكلما صدق قلبه وطرفه فيها شاهد عظمتها وكثرتها فيئس من عدها والوقوف على حدها»(١).

(١) تهذيب مدارج الساكين.

١٠٤ حق الجار

هو امتثال الوصية بالجار بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة، كالهدية، والسلام وطلاقة الوجه عند اللقاء، وتفقد حاله، ومعاونته فيما احتاج إليه إلى غير ذلك، وكف أسباب الأذى عنه على اختلاف أنواعه حسية كانت أو معتوية.

قال ابن حجر - رحمه الله - واختلف في حق الجوار: فجاء عن عليّ - رضي الله عنه - من سمع النداء فهو جار، وقيل من صلى معك صلاة الصبح في المسجد فهو جار، وعن عائشة رضي الله عنها - حد الجوار أربعون داراً من كل جانب.

١ - قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

◆ **والشاهد**: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾.

◆ **والمعنى**: يأمر الله تعالى المؤمنين بعبادته وتوحيده وبالإحسان إلى الوالدين وذلك بطاعتهم في المعروف وإسداء الجميل لهم، ودفع الأذى عنهم، وكذا الأقرباء، واليتامى والمساكين والجيران مطلقًا أقرباء أو أجانب وصح في الإحسان إلى الجار العديد من الأحاديث منها «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه، ووصى أيضًا بالصاحب الملازم الذي لا يفارق كالزوجة والمرافق في السفر والعمل والتلمذة والطلب ونحو ذلك من الملازمة التي لا تفارق إلا نادراً إذ الكل يصدق عليه لفظ الصاحب بالجنب، وكذا ابن السبيل، وما ملكت اليمين من أمة أو عبد والمذكورون الإحسان إليهم آكد

وإلا فالإحسان معروف يبذل لكل الناس كما قال الله تعالى: ﴿**وقولوا للناس حسنًا**﴾، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «إذا طبخت مرقًا فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فأصبهم منها بمعروف». [رواه مسلم]

٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبه من جداره». ثم يقول أبو هريرة مالي أراكم عنها معرضين؟ والله لأرمين بها بين أكنافكم». [متفق عليه]

والخلاصة

أن حق الجار قد خصه الإسلام بكثير حتى قال الرسول ﷺ، ولا يزال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه.

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ في الإحياء: ـ يُمن المسكن سعتة وحسن جوار أهله، وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله».

وقال: وجملة حق الجار: أن يبدأه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره، ولا مصهب الماء في ميزابه، ولا في مطرح التراب في فنائه، ولا يضيق طرقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما

ينكشف له من عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلامًا، ويغض بصره عن حرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه.

* * *

١٠٥ تفريج الكربات

هو كشف الهم وإذهاب الغم ورفع الضرر عن كل مسلم (إيمانًا واحتسابًا).

قال الحسن: «أرسل إليّ الحجاج فقلت: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين فقال الحجاج» والله لقد أرسلت إليك وأنا أريد قتلك فلأنت اليوم أحب إليّ من كذا وكذا. وفي لفظ سل حاجتك» (فضل الصمد).

١ - قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

والشاهد: ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾.

والمعنى: يخاطب الله المشركين عن طريق سيد البشر ﷺ فيقول: قل لهم ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾. إذا ضل أحدكم طريقه في الصحراء ودخل عليه ظلام الليل، أو ركب البحر فغشية ظلمة السحاب والليل والبحر واضطربت نفسه من الخوف يدعو من؟ إنه يدعو الله وحده لعلمه أنه لا ينجيه إلا هو يدعوه ويتضرع إليه جهراً وسراً قائلاً وعزتك لئن أنجيتنا من هذه الهلكة التي حاقت بنا لنكون من الشاكرين لك ثم إذا أنجاكم استجابة لدعائكم وأمنتم المخاوف عدتم فجأة إلى الشرك به بدعاء غيره وفي الآية الثانية يأمر تعالى الرسول بأن يجيب المسئولون بقوله: ﴿اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾. أي من تلك الحالة التي اضطربت لها نفوسكم وخشيتم فيها الهلاك وينجيكم أيضًا من كل كرب ثم مع هذا يا للعجب أنتم تشركون به تعالى أصنامكم - قل لهم يا

رسولنا أن الله الذي ينجيكم من كل كرب هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من السماء فوقكم أو من الأرض تحتكم أو يخلط إليكم أمركم فتتنازعوا فتختلفوا.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

الشاهد: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾.

والمعنى: أمن يجيب المضطر إذا دعاه ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾. أي يبعده والسوء هو كل ما يسوء المرء من مرض وجوع وعطش وقحط وجدب ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ﴾. جعل جيلاً يخلف جيلاً وهكذا الوجود خلف لمن سلف وسيكون سلفًا لمن خلف ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾. والجواب لا إله مع الله ﴿قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾. أي ما تتعظون إلا قليلاً بما تسمعون وترون من آيات الله.

من أقوال الرسول ﷺ

١ ـ قال الرسول ﷺ: «من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر، أو يضع عنه».

وإليك دعاء الكرب أو الدعاء إذا نزل الكرب:

٢ ـ كان يقول ﷺ: لا إله إلا الله العظيم الحليم: لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم». [متفق عليه]

٣ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: خسفت الشمس في حياة رسول الله ﷺ: فخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد، فقام وكبر وصف الناس وراءه. فاقترأ رسول الله ﷺ قراءة طويلة ثم كبر فركع ركوعًا طويلاً، ثم رفع رأسه فقال:

« سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد » ثم قام فاقترأ قراءة طويلة، هي أدنى من القراءة الأولى ثم كبر فركع ركوعًا طويلاً هي أدنى من الركوع الأول ثم قال: « سمع الله لمن حمده. ربنا ولك الحمد » ثم سجد ثم فعل في الركعة الأخرى مثل ذلك. حتى استكمل أربع ركعات. وأربع سجدات واجلت الشمس قبل أن ينصرف. ثم قام فخطب الناس. فأثنى على الله بما هو أهله. ثم قال: إن الشمس والقمر آتيان من آيات الله. لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته. فإذا رأيتموها فافزعوا إلى الصلاة وقال أيضًا: فصلوا حتى يفرج الله عنكم ».

[متفق عليه]

٣ ـ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ « قال توفي أبي وعليه دين، فعرضت على غرمائه أن يأخذوا التمر بما عليه فأبوا، ولم يروا أن فيه وفاء، فأتيت النبي ﷺ، فذكرت ذلك له فقال: إذا جددته فوضعته في المربد آذنت رسول الله ﷺ. فجاء ومعه أبو بكر وعمر، فجلس عليه ودعا بالبركة ثم قال: ادع غرماءك فأوفهم فما تركت أحداً له على أبي دين إلا قضيته، وفضل ثلاثة عشر وسقًا، سبعة عجوة وستة لون، فوافيت مع رسول الله ﷺ والمعرب فذكرت ذلك له، فضحك فقال: ائت أبا بكر وعمر فأخبرهما فقالا: لقد علمنا إذ صنع رسول الله ﷺ ما صنع أن سيكون ذلك ». [رواه البخاري]

والخلاصة

أن تفريج الكربات هو كشف الهم وإزالة الغم ورد السوء عن عباد الله إيماناً واحتساباً، وفيه أن الله يجازي باليسير منه الكثير لأن الكريم الذي لا يضاهى عطاؤه عطاء ومن أدعية تفريج الكرب كما علم رسول الله ﷺ أصحابه «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم.

وفيه أن الله يجيب كل من دعاه وهو سبحانه أسرع إجابة لمن كان حاله «داعياً في السراء والضراء» ذاكراً في السر والعلن مستعيناً بالله في كل أمره، مجتنبا لكل محرم، متحرياً في مطعمه ومشربه وملبسه.

* * *

١٠٦ عيادة المريض

هي الزيارة والافتقاد (التفقد) للمريض وهو ما اتصف بالمرض.

قال ابن حجر: ويلحق بعيادة المريض تعهده وتفقد أحواله والتلطف به، وربما كان ذلك ـ في العيادة ـ سببًا لوجود نشاطه وانتعاش قوته.

حكم عيادة لمريض:

وعيادة المريض سنة وإعادتها نافلة، قال الجمهور هي في الأصل ندب، وقد تصل إلى الوجوب في حق بعض دون بعض وعن الطبري أنها (العيادة للمريض) تتأكد في حق ترجى بركته وتسن فيمن يراعى حاله، وتباح في غير ذلك.

روى البخاري في صحيحه: (وعودوا المريض..........) وقد استدل بذلك على مشروعية العيادة في كل مريض رجلًا كان أو امرأة أو طفلًا، مسلمًا أو كافرًا أيًا كان مرضه.

قال ابن حجر في فتح الباري: واسثنى بعضهم الأرمد لكون عائده قد يرى ما لا يراه هو، قال: وهذا الأمر خارجي قد يأتي مثله في بقية الأمراض كالمغمى عليه، وقد جاء في عيادة الأرمد حديث زيد بن الأرقم أعادني رسول الله من وجع كان بعيني، وفي ذلك رد لمن زعم أن لا يعاد منه وثبوت العيادة فيه يدل على ثبوتها فيما هو أشد منه.

آداب الزيارة:

هي آداب أي زيارة من التلطف في الطرقة وإعلام عن نفسك، وتحين الوقت المناسب وعدم استقبال الباب وغيره ولعيادة المريض زيادة:

١ـ بث الأمل وإشاعة الفرحة في نفس المريض.

٢ـ الدعاء له بالمأثور وطلب الدعاء منه.

٣ـ عدم الكلام بما يروع المريض في ذكر أحوال المرضى وتهويل آثار المريض وغيرها.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

◆ والشاهد: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

وقد خفف الله عن المريض وغير المستطيع عمومًا في كل أنواع العبادات ورعاه فقال: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣].

وذلك لتغدر استعمال الماء

وفي الصيام: في أمر استطاعة الصيام.

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

[البقرة: ١٨٥]

وفي الحج والجهاد وباقي العبادات.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

هذا هو الشعار الذي شمل جميع الأمة وخص المعذورين منها بالعناية والترخيص.

ورفع عنهم الحرج فقال عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٧].

◆ **والشاهد**: لما خاف أصحاب الأعذار من مريض وغيره وبكوا خوفًا أنزل الله الآية تخفيفًا عليهم ورأفة بهم.

٢ - قال الله تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

من أقوال الرسول ﷺ

١ - قال الرسول ﷺ: «خمس تجب للمسلم على أخيه رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز» [رواه مسلم].

٢ - وقال ﷺ: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني. قال: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم، استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي» [رواه مسلم].

٣ - وقال ﷺ في ثواب من عاد مريضًا: «أيما رجل يعود مريضًا فإنما يخوض في الرحمة، فإذا قعد عند المريض غمرته الرحمة» قال الراوي: فقلت يا رسول الله، هذا للصحيح الذي يعود المريض، فالمريض ماله؟ قال: «تحط عنه ذنوبه».

٤ - وقال ﷺ في بركة الزيارة بالنسبة للمريض: «ما من عبد مسلم يعود مريضًا لم أجله فيقول سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلا عوفي». [رواه أبو داود وأحمد].

والخلاصة

أن الله يحب عيادة المريض ويأمر بها وقد أمر بها الرسول ﷺ ووضح ثوابها وآدابها وقد أجملها الإمام أبو حامد الغزالي فقال: من حقوق المسلم على المسلم، أن يعود مرضاهم....، وأدب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال، وإظهار الرقة والدعاء بالعافية، وغض البصر عن عورات الموضع، وعند الاستئذان لا يقابل الباب، ويدق برفق، ولا يقول: أنا، إذا قيل له: من؟ ولا يقول: يا غلام، ولكن يحمد ويسبح. [إحياء علوم الدين]

ولا أستطيع ترك كلام الإمام الشافعي من رقته وحلاوته:

مرض الحبيب فعدته ... فمرضت من حذري عليه

فأتى الحبيب يعودني ... فشفيت من نظري إليه

* * *

١٠٧ تكريم الإنسان

هو تفضيله في خلقه على أحسن صورة وأكملها وفي أن يجعل له سمعًا وبصرًا وفؤادًا، يفقه بذلك كله، وينتفع به ويفرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية. [ابن كثير التفسير]

ولمعنى التكريم أنواع:

١ـ تكريم الله للإنسان.

٢ـ تكريم الإنسان لنفسه.

٣ـ تكريم الإنسان لأخيه الإنسان.

أما النوع الأول: وهو تكريم ا ^ للإنسان:

ويتمثل في أن الله سبحانه خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأودعه العقل الذي يميز به الأشياء وجعل فيه الاختيار والتكلف وسخر له المخلوقات وأرسل إليه الرسل لهدايته حتى لا يضل فيعذب، وأحبه سبحانه وذكره في الملأ الأعلى وحفظه وجعله عبداً لله وحده وليس لأحد غير الله فيه شيئًا (أي تحريره من الأسباب) ووعده بالثواب بعد الموت في الآخرة إذ أعد للطائعين جنة عرضها السموات والأرض.

ثانيًا: تكريم الإنسان لنفسه:

وهو بالاختيار الأمثل إذ أكرمك الله وسواك وحررك فلا أقل من أن تكون عبداً له وحده، ثم يكون منهجه ما يحب الله ويرضاه، ويأخذ بأسباب الحياة.

ثالثًا: تكريم الإنسان لأخيه الإنسان.

١ـ الإحسان إليه.

٢ـ حسن الظن به .

٣ـ حسن معاملته .

٤ـ النصح له .

ودرجات الإنسان الآخر هي :

١ـ الوالدان .

٢ـ الإخوان والأخوات، والصاحبة والأبناء .

٣ـ الأقارب .

٤ـ المسلمون .

٥ـ الذين على غير الملة (وهم أهل كتاب) .

٦ـ المشركون .

١ ـ قال الله تعالى : **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾** [الإسراء: ٧٠] .

◆ **والشاهد** : **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾** وهذه تكريم الله للإنسان .

٢ ـ وقال تعالى : **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** [البقرة: ٢٩] .

◆ **والشاهد** : تسخير الكون كله للإنسان إذ خلق الله الإنسان وخلق له كل شيء ثم أمره بعبادته وحده .

وخلقه في أحسن صورة فقال سبحانه : **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾**

[التين: ٤]

◆ **والشـاهد:** ﴿**فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ وهذه منة عظيمة إذ جعله ليس كالحيوانات، بل هو سميع، بصير، عاقل مخير، يستعمل يده، ورجله، وينام ليس كالبهائم، جعله في أحسن تقويم.

٣ - وقال الله - سبحانه - حفظ الإنسان فقال: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ**﴾ [المائدة: ٣٢].

والشاهد: تحريم الدم والعرض والمال.

من أقوال الرسول ﷺ

١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قيل للنبي ﷺ: من أكرم الناس؟ قال: «أكرمهم أتقاهم» قالوا: يا نبي الله، ليس عن هذا نسألك، قال: «فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله»، قالوا: ليس عن هذا نسأل، قال: «أفعن معادن العرب تسألونني؟» قالوا: نعم، قال: «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا». [رواه البخاري]

٢ - عن عمرو بن يحيى بن سعيد قال: أخبرني جدي، أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبي ﷺ: فسلم عليه، فقال أبو هريرة: يا رسول الله هذا قاتل ابن قوقل. وقال أبان لأبي هريرة: واعجبًا لك وبر تدأدأ من قدم ضأن، ينعي عليّ امرأ أكرمه الله بيدي، ومنعه أن يهينني بيده. [رواه البخاري]

٣ - وعن خارجة بن زيد بن ثابت، أن أم العلاء - امرأة من نسائهم - بايعت الرسول ﷺ، أخبرته أن عثمان بن مظعون طار لهم في السكنى حين اقترعت

الأنصار على سكنى المهاجرين. قالت أم العلاء: فاشتكى عثمان عندنا، فمرضته حتى توفي، وجعلناه في أثوابه، فدخل علينا النبي ﷺ فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، شهادتي عليك لقد أكرمك الله........ الحديث.

[رواه البخاري]

وفيه إكرام آخر وقد تفرد به الإنسان وأصبح المعنى الذي يتبادر للذهن عند سماع تكريم الإنسان ألا وهو (الغسل والتكفين والدفن) وهذا من إكرام الله للإنسان ومن إكرام الإنسان لأخيه الإنسان.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧-٣١].

٤ - وقال ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعًا في بني سعد فقتلته هزيل، وربا الجاهلية موضوع وأول ربًا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، .... الحديث». [رواه مسلم]

٥ - عن أنس - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب. وفي نفسي أن أذهب لما أمرني ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا

رسـول الله ﷺ قد قبض بقفـاي من ورائي، قـال: فنظرت إليـه وهو يضحك فقال: «يا أنيس، أذهبت حيث أمرتك؟» قلت: نعم أنا ذاهب يا رسول الله.

[رواه مسلم]

والخلاصة

أن الله فضل بني آدم بما أوردنا وأمر بتكريم الإنسان لنفسه وللآخرين، ويروى عن زيد بن أسامة أن الملائكة قالت: ربنا أعطيت بني آدم الدنيا، يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطناه في الآخرة؟ فقال: وعزتي وجلالي، لا أجعل ذرية من خلقت بيدي، كمن قلت له كن فيكون(١).

* * * * *

(١) (غرائب القرآن). وذلك موقوف.





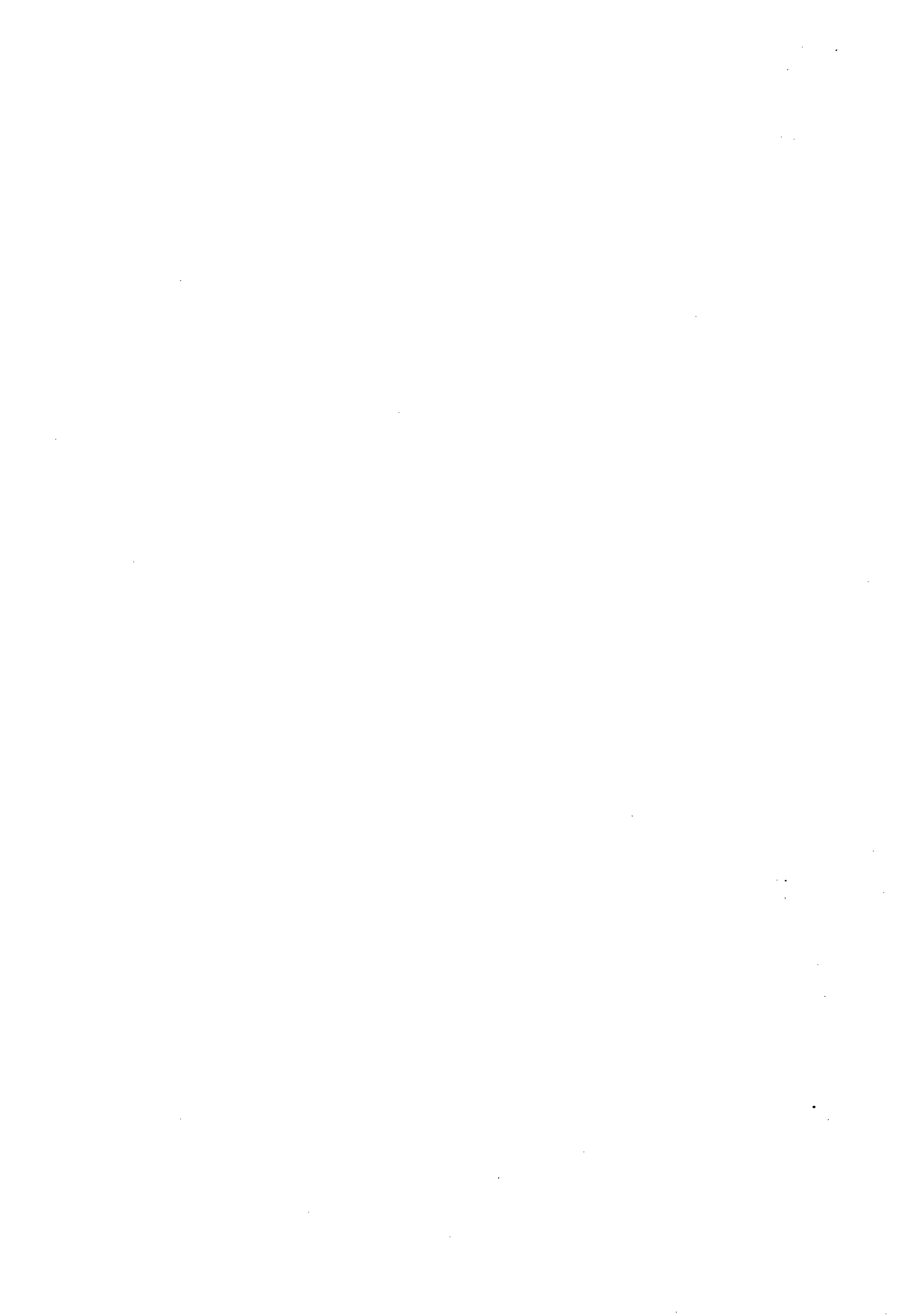
الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

الجزء الثاني

الفصل الثاني

كف الأذى

أكثر من ٤٠٠ أذى يجب كفهم عن الناس



تمهيد

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نَوى، فمن كانت هِجرتهُ إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبُها، أو إلى امرأةٍ يَنكِحُها، فَهِجرتُهُ إلى ما هاجرَ إليه»(١).

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ المُسلم على المسلم حرامٌ؛ دمه، ومالُه، وعرضه»(٢).

الحمد لله العزيز الجبار، القوي القهار، مكوِّر الليل على النهار، عالم الخفيات والأسرار، خلق الخلق بقدرته، ودبَّر معاشهم بحكمته، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة بمنَّته، وأضعف ملكهم بقوته، وأذلَّ سلطانهم بعزَّته، فهم في أمسِّ الحاجة إليه، وأعظم الرغبة فيه، فحياتهم ومماتهم في قبضته، يكلؤهم بحفظه، ويحرسهم بعنايته، ويغمرهم بفضله، ويقهرهم بعظمته، يغفر زلأتهم ويستر سوءاتهم، ويمدهم بعنايته، يتفضل على من يشاء منهم برحمته فيدخلهم في رحمته، ويعاقب من يشاء منهم بنقمته، فويلٌ لهم من نقمته!

وسع سمعه الأصوات، وأحاط علمه بالمغيبات، فالكون وما فيه في قبضته، والدنيا وما فيها وعليها في حوزته، والآخرة وما يقع فيها تحت سطوته، فسبحانه من إله!

---

(١) صحيح البخاري (١) (١/٣).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٦٤) (٤/٢٥٦٤).

لا خير إلا منه، ولا فضل إلا من لدنه، بيده الخلق والأمر، وله الملك والقهر، ومنه الثواب والأجر، أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، ورَّغب في الخير وحذَّر من الشَّر، وحثَّ على بذل المعروف وكف الأذى عن البشر .

والصلاة والسلام على خير الورى، وأفضل من وطئ الثرى، أكرم الخلق على الخالق، وأعظم العبيد لدى الحميد المجيد، سيد ولد آدم، غُرَّة البشر، وشفيع الخلائق يوم المحشر، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله، وحده لا شريك له، عليه المعتمد، وإليه المرد، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، هادي البشرية بسنته، ومعادي الوثنية بملَّته، أبان الطريق، وأوضح المسالك، وأنار الدروب، فأشرقت الدنيا ببعثته، وطابت الحياة بطلعته، فصلَّى عليه الإله!

أما بعد :

فقد اختلف الناس في الطباع؛ لاختلافهم في الرغبات والأطماع، وتباينوا في الأخلاق لتباين الأمزجة والأذواق، وتفرقوا في الميول والمأمول لتفرق الأصل الذي خُلقوا منه ونتجوا عنه .

فعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن خلق آدم قبضة قَبضَها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قَدرِ الأرض، فجاء منهم الأحمرُ، والأبيضُ، والأسود، وبين ذلك، والسَّهلُ، والحزن، والخبيث، والطيِّب»(١).

وما دام المرء مع غيره يساكنه ويجالسه، ويعامله ويؤانسه، ويسابقه وينافسه، فالتصادم أمر لازم، و المواجهة أكيدة للمخالفات العديدة .

ومن عاش بين الناس لم يخل من أذى ... بما قال واش أو تكلم حاسد(٢)

---

(١) صحيح سنن أبي داود ـ بتحقيق الألباني (٣٩٢٦) (٣/٨٨٧) وصحيح سنن الترمذي (٢٣٥٥) (٣/٢٠).

(٢) أبو العلاء المعري.

والخلق أخلاط، والناس أجناس، والبشر ليسوا على حدٍّ سواء:

الناس أخلاقهم شتى وإن جبلوا — على تشابه أرواح وأجساد

للخير والشر أهل وكلوا بهما — كل له من دواعي نفسه هاد[1]

فمنهم جالبٌ للخير، موسوم به، ومنسوب له، ومعروف بفعله، وحريص عليه، وداع إليه، ومرغب فيه، قد عفَّ نفسه عن أذى الناس، وكفَّ يده عن التعدي عليهم والإساءة إليهم، وهذا هو المسلم حقًّا والمؤمن صدقاً.

فعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[2].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»[3].

ومنهم ـ عياذاً بالله ـ معروفٌ بالشرِّ، موصوف بالأذى، ديدنُه التعدي، وطبعه الإساءة، قد كثر شاكُوه، وقلَّ شاكروه، لأنه نصب راية التعدي والجور، والظلم والقهر، فخاف الناس شرّه، واتَّقوا ضرره، وتحاذروا خطره ...

وإنما الناس؛ مُستريح من العناء، ومُستراَح من عنائه وبلائه وإيذائه، فعن أبي قتادة الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ أنَّه كان يُحدِّثُ أنَّ رسولَ الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازةٍ، فقال ﷺ: «مستريحٌ ومُستراحٌ منهُ»، قالوا: يا رسول الله! ما المُستريحُ والمُستراحُ منه؟ قال ﷺ: «العبدُ المؤمنُ يستريحُ من نصبِ الدنيا وأذاها إلى رحمةِ الله عزَّ وجلَّ، والعبدُ الفاجرُ يستريحُ منهُ العبادُ والبلادُ والشَّجرُ والدَّوابُّ»[4].

---

(١) الخريمي.

(٢) صحيح البخاري (١٠) (١/١٠).

(٣) صحيح سنن الترمذي (٢١١٨) (٢/٣٣١).

(٤) صحيح البخاري (٦٥١٢) (٧/٢٤٦).

كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع وما ترى بشراً لم يؤذه بشر(١)

وفي هؤلاء حقَّ قول الحقِّ: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾** [الأحزاب:٥٨].

وعن معاذ بن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من ضيَّق منزِلاً، أو قطعَ طريقاً، أو آذى مؤمناً، فلا جهادَ له»(٢).

ومنهم عوانٌ بين ذلك، فتارة إلى هؤلاء وتارة إلى أولئك، وأيّهما غلَبَ عليه، نُسبَ إليه.

فسعداً لمن كان مفتاح خير مغلاق شر!

وتعساً لمن كان مفتاح شر مغلاق خير!

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإنَّ من الناس ناساً مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»(٣).

وعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «عند الله خزائنُ الخير والشرِّ، مفاتيحُها الرِّجال، فطوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر، وويلٌ لمن جعله الله مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير»(٤).

والواجب المتحتم على كلِّ مسلم؛ كفُّ الأذى عن البرايا، وحبس النفس

---

(١) محمد الخطابي.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، للسيوطي - تحقيق الألباني (٦٣٧٨) (٢/١٠٩٠).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه، انظر: السلسلة الصحيحة (١٣٣٢) (٣/٣٢٠).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط، انظر: صحيح الجامع (٤١٠٨) (٢/٧٥٥).

عن السوء، ثم المندوب المحبوب لمن أراد رضى الله وقُربه، وأجره وحُبَّه؛ الصبر على البلايا، واحتمال أنواع الرزايا، والرد على الخطايا بالعطايا، وعلى الظلم بالحلم.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أدِّ الأمانَةَ إلى من ائتَمَنَكَ، ولا تخن من خانك»(١).

و عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك»(٢).

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: لما ضممت إليَّ سلاح رسول الله ﷺ وجدت في قائم سيف رسول الله ﷺ رقعة فيها: «صِل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحقَّ ولو على نفسِك»(٣).

وهذا - والله - من شيم الكرام، وطبائع العظام، وأخلاق الأماجد من الناس، قال أبو عبد الله الجدلي: سألت عائشة - رضي الله عنها - عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح(٤).

فعليك بالرد على الإساءة بالسماحة، والمدافعة بالتي هي أحسن؛ بالرد الهين والقول اللين.

قال تعالى: **﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾**

[فصلت: ٣٥]

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣٠١٩) (٢/٦٧٥).

(٢) رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في أخبار أصبهان، انظر: السلسلة الصحيحة (٨٩١) (٢/٥٨٢).

(٣) رواه أبو عمرو بن السماك في حديثه، انظر: السلسلة الصحيحة (١٩١١) (٤/٥٤٢).

(٤) صحيح سنن الترمذي (١٦٤٠) (٢/١٩٦).

عن ابن عـمـر ـ رضي الله عنهـمـا ـ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «المسلم الذي يخـالط الناس ويصـبـر على آذاهم، أفضل من الذي لا يخـالطهم ولا يصـبـر على آذاهم»(١).

وعنه ـ رضي الله عنهـمـا ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمنُ الذي يُخالطُ الناسَ ويصبـر على أذاهم، أعظمُ أجراً من المؤمنِ الذي لا يُخالط الناس، ولا يصبـر على أذاهُم»(٢).

قال تعالى: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾

[إبراهيم:١٢]

ومن علم أن الجنة جزاء الصبر، لم يُغلها المهر!

تهون علينا في المعالي نفوسنا ... ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر(٣)

ومن مسَّه الناس بنُصبٍ وعذاب، فليتذكر ما أُوذي به ربُّ الأرباب، وله بذلك مبلغ السلوى وإن عظمت البلوى و فحشت الشكوى، فليس أحدٌ أصبر على أذى من الله تعالى.

فـعن أبي مـوسى الأشـعـري ـ رضي الله عنه ـ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «ليس أحـدٌ ـ أو ليس شيء ـ أصبرَ على أذى سـمـعَـهُ من الله؛ إنهم ليـدعـونَ له ولداً، وإنه ليُعافيهم ويرزُقُهم»(٤).

وليتأمل حلم الله على من عصاه، وسِتره على من خالف أمره، وصبره على من تعدَّى حـدوده، فـخـيـر الله إليـهـم نازلٌ، وشـرّهـم إليـه صـاعـد، ولم يقطعـه عنهـم

(١) صحيح سنن الترمذي (٢٠٣٥) (٢/٣٠٦).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٥٧) (٢/٣٧٣).

(٣) أبو فراس الحمدتني.

(٤) صحيح البخاري (٦٠٩٩) (٧/١٢٥).

لعصيانهم، ولم يحجبه عنهم لتمردهم، وإنما يمهلُ عاصيهم، ويُملي لظالمهم، ويصبرُ على جحود معرضهم، ويغفر زلاّت مسيئهم، فسبحانه من رحيم حليم!

فهو أرحمُ بهم من أنفسهم، وأكرمُ معهم من أقاربهم، وأحلم عليهم من ذوي رحمِهم، والله رؤوف بالعباد .

وليتذكر كم عانى الأنبياء الأصفياء - عليهم الصلاة والسلام - من صنوف الأذى ما لا يخطر ببال ولا يُوصف بحالٍ، مع أنَّهم جاءوا بالنور من ربهم ليُخرجوا الناس من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة، وليسوقوهم إلى جنة عرضها السموات والأرض، ولم يسألوا الناسَ أجراً، ولم يطلبوهم مغرماً، فلحقهم من أجل ذلك أذى كثيرٌ، وعذابٌ كبيرٌ، ﴿**وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾[الأنعام:٣٤]

ومن ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: لَمَّا قسَّم النبي ﷺ قسمة حنينٍ قال رجلٌ: ما أرادَ بها وجه الله ! فأتيتُ النبي ﷺ فأخبرتُه، فتغيَّر وجهه، ثم قال ﷺ : « رحمةُ الله على موسى لقد أُوذي بأكثر من هذا فصبر »(١) .

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : « ما أوذي أحدٌ ما أوذيتُ في الله »(٢) .

وعن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : « ما أوذيَ أحدٌ ما أوذيتُ »(٣) .

ومادمنا في دار الكمد والنكد، والتعب والنصب، والمشاكل والقلاقل، فلا بدَّ من الصبر على زلاّت الناس، والإعراض عن جهالاتهم، والإغضاء عن هفواتهم، وحسن مداراتهم، وعند الله يجتمع الخصوم!

---

(١) صحيح البخاري (٤٣٣٥) (١٢٦/٥).

(٢) أخرجه الديلمي وأبو نعيم في الحلية ، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٢٢٢) (٢٥٩/٥).

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل وابن عساكر ، انظر: صحيح الجامع (٥٥٦٧) (٩٧٥/٢).

ما دمتَ حيًّا فدارِ الناس كلَّهُم فإنما أنت في دار المداراة[1]

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ شرَّ النَّاسِ منزلةً عند الله مَن تركَهُ النَّاسُ اتِّقاءَ فُحشِه»[2].

وعنها - رضي الله عنها - قالت: أنّ رجلاً استأذنَ على النبي ﷺ فلمّا رآهُ، قال: «بئس أخُو العشيرةِ، وبئسَ ابنُ العشيرةِ». فلمّا جلسَ تطلَّقَ النبي ﷺ في وجههِ وانبسطَ إليهِ فلماً انطلقَ الرَّجُلُ، قالت له عائشة: يا رسول الله! حين رأيت الرَّجلَ قلتَ لهُ كذا وكذا، ثمَّ تطلَّقتَ في وجههِ وانبسطت إليهِ، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشةُ متى عهدتني فاحِشاً؟ إنَّ شرَّ النَّاسِ عند الله منزلةً يوم القيامةِ من تركهُ النَّاسُ اتِّقاء شرِّهِ»[3].

وعن المِسورَ بن مخرمَةَ - رضي الله عنه - أنه قالَ: قدمَت على رسولُ الله ﷺ أقبيةٌ، فقال لي أبي مخرَمةُ: انطلق بنا إليه عسى أن يُعطينا منها شيئاً، قال: فقام أبي على البابِ فتكلَّمَ، فعرفَ النبيُّ ﷺ صوتَهُ - وفي رواية البخاري[4]: وكان في خُلُقه شيءٌ - فخرجَ ومعهُ قباءٌ، وهو يُريهِ محاسِنَهُ، وهو يقولُ ﷺ: «خَبَأتُ هذا لكَ، خبأت هذا لك»[5].

وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ أعطى رهطًا وسعد - رضي الله عنه - جالس فترك رسول الله ﷺ رجلا هو أعجبهم إليَّ، فقلت: يا رسول الله! مالك عن فلان؟ فو الله إني لأراه مؤمناً. فقال: «أو مسلماً». فسكتُّ قليلا ثم غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي فقلت: مالك عن فلان؟

---

(١) أبو سليمان الخطابي.

(٢) صحيح البخاري (٦١٣١) (٧/١٣٤).

(٣) صحيح البخاري (٦٠٣٢) (٧/١٠٧).

(٤) صحيح البخاري (٦١٣٢) (٧/١٣٤).

(٥) صحيح مسلم (١٠٥٨) (٢/٦٠٣).

فوالله إني لأراه مؤمناً . فقال: «أو مسلماً» ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي وعاد رسول الله ﷺ ثم قال: «يا سعد! إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه خشية أن يكبه الله في النار»(١).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سألتُ النبيَّ ﷺ عن الجدرِ أمِنَ البيتِ هُوَ؟ قال ﷺ: «نعم». قلتُ: فما لهم لم يُدخِلُوهُ في البيت؟ قال ﷺ: «إنَّ قومَكِ قصُرت بهم النَّفقةُ». قلتُ: فما شأنُ بابِه مُرتفعاً؟ قال ﷺ: «فعلَ ذلك قومُكِ ليُدخِلوا من شاؤُوا ويمنعوا من شاؤُوا، ولولا أنَّ قومَكِ حديثٌ عهدُهم بالجاهليَّةِ فأخاف أن تُنكِر قُلُوبُهُم أن أُدخلَ الحِجْرَ في البيتِ وأن أُلصِقَ بابَهُ في الأرضِ»(٢).

ومن الناس من يُذكر بشرِّه، ويحذَّر من خطره، حتى بعد موته وانصرام أمره!

فتراه يموت ويظل أذاه مستمرًّا من بعده، يلحق به في قبره، تتبعه ألسنة الشاكين، ودعوات المتضررين، وسيئات المتبعين، إلى يوم بعثه ونشره.

فهنيئًا لمن مات وماتت سيئاته معه !

ومن عجز عن فعل الخير وبذل المعروف، فلا أقلَّ من أن يكفَّ شرَّه عن الخلق، فلا يلحقهم أذاه، ولا يمسَّهم سوؤه، وتلك ـ لو يعلم المعتدون ـ صدقة منهم على أنفسهم، ورحمة ـ منهم ـ بهم!

فعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كُفَّ شرَّك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك»(٣).

---

(١) صحيح البخاري (٢٧) (١/٩٩).

(٢) صحيح البخاري (٧٢٤٣) (٨/٤٧٩).

(٣) صحيح مسلم (٨٤) (١/٨٦).

وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الناس مؤمن يجاهدُ في سبيل الله بنفسه وماله، ثم مؤمنٌ في شِعبٍ من الشِّعاب يتَّقي الله ويدعُ الناس من شرِّه»(١).

«فلا يشاورهم ولا يخاصمهم بل ينفرد بمحل بعيد عنهم، لأن من خالط الأنام قلَّما يسلم من ارتكاب الآثام»(٢).

وإذا عجزت عن الخيرات تفعلها   فلا يكن دون ترك الشر إعجاز(٣)

وفي النفس شغلٌ عن كل شغلٍ!

المرء إن كان عاقلاً ورعاً   أشغله عن عيوبهم ورعه

كما السقيم المريض يشغله   عن وجع الناس كلهم وجعه

عن ثوبان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «طُوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته»(٤).

وليس بضائري ما قد أتوه   إذا ما الله أصلح ما لديَّه

على ربي حسابهم إليه   تناهى علم ذلك لا إليه(٥)

«فإن ضعفتَ عن الخير، فامسك عن الشر، وإن كنت لا تستطيع أن تنفع الناس فامسك عنهم ضرك، و إن كنت لا تستطيع أن تصوم فلا تأكل لحوم الناس»(٦).

---

(١) صحيح البخاري (٦٠٨٨) (٧/١٢٣).

(٢) فيض القدير - المناوي (٢/٦٤).

(٣) أبو العلاء المعري.

(٤) أخرجه الطبراني في الصغير وأبو نعيم في الحلية، انظر: صحيح الجامع (٣٩٢٩) (٢/٧٢٩).

(٥) الرياشي.

(٦) تنبيه الغافلين - السمرقندي (١/١٧٩).

ودعهم مما تُحبُّ أن يدعوك منه!

فعن أبي المنتفق - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اعبدِ الله، لا تشرك به شيئاً، وأقم الصلاةَ المكتوبةَ، وأد الزكاةَ المفروضةَ، وحُجَّ واعتمر، وصم رمضانَ، وانظر ما تُحبُّ للناس أن يأتوهُ إليكَ فافعلهُ بهم، وما تكرهُ أن يأتوهُ إليكَ فذرهم منهُ»(١).

ولمَّا علمَ الرحمة المهداة والنعمة المسداة - ﷺ خطورة الأمر وعظمة الوزر، وجلالة الخطب وفداحة الذنب، جعل يستعيذ بالله من أن يجر السوء للناس، أو يسبب لهم ما يؤذيهم في دينهم أو دنياهم، أو يظلمهم ويتعدى عليهم.

فكان من دعائه عند خروجه من منزله ما روته أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: ما خرج النبي ﷺ من بيتي قط إلا رفع طرفه إلى السماء، فقال: «اللهم إني أعوذ بك أن أضِلَّ أو أُضل، أو أَزل أو أُزل، أو أَظلم أو أُظلم، أو أَجهل أو يُجهل عليَّ»(٢).

ومن أذكار الصباح والمساء ما ذكره عمرو بن العاص - رضي الله عنه -: أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - قال: يا رسول الله! علمني ما أقول إذا أصبحت، وإذا أمسيت، قال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر قل: «اللهمَّ فاطرَ السماوات والأرض عالم الغيبِ والشهادة لا إله إلا أنت ربَّ كلِّ شيء ومليكَهُ أعوذُ بك من شرِّ نفسي ومن شرِّ الشيطانِ وشركِهِ وأن أقترفَ على نفسي سوءاً أو أجُرَّهُ إلى مسلم»(٣).

وكان من جملة دعائه ورجائه ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذُ بك من الفقر، وأعوذ بك من القلَّة والذلَّة، و أعوذ بك أن أظلم أو أُظلم»(٤).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: صحيح الجامع (١٠٣٩) (١/٢٣٨).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٣٨٤٨) (٢/٩٥٩).

(٣) صحيح سنن الترمذي (٢٧٩٨) (٢/١٧٢).

(٤) صحيح سنن النسائي (٥٠٤٦) (٣/١١١١).

فيا باغيَ الخير؛ كُفَّ كفَّكَ عن الأذى، وأمسك لسانكَ عن السوء، واخطم خُطاك عن الخطأ، واحفظ بطنك من التخليط، ونقِّ قلبكَ من كلِّ دغلٍ، وأحجم بجوارحك عن جرح الناس، وكن ذكراً حسناً، وخبراً يروق للناس جميلاً!

والمرء في الدنيا حديث سائرٌ ... تقضي الرفاق بها مدى أوقاتها

فاختر لنفسك ما يقال ضحى غدٍ ... إذ تُطلب الأخبار عند رواتها(١)

استعملنا الله وإياك في طاعته، وسخرنا في مرضاته، وجنبنا أسباب سخطه ونقمته، بفضله وجوده ومِنَّته، والحمد لله على نعمته.

(١) علي بن المقرب.

الهدف من هذا الفصل

لَمّا رأيتُ القومَ قد ضعفت أواصرهم، ورقَّت روابطهم، وخفَّت محبتهم، وانقطعت وشائجهم، ولم أدرِ برأس من أعصب هذه الجناية، وبعنق من أعلِّق تلك الغواية، فتلمستُ السبب، وتعقبت العلَّة، وسبرت أحوال الناس، ونقَّبت في سجل حياتهم، وفتَّشت بين دفتي معاشهم، فرأيت ما أدهشني! وأبصرت ما آلمني!

فالبعض قد سَلِمَ اليهود والنصارى من آذاه، ولم يسلم منه إخوانُه المسلمون في دينهم وأموالهم وأعراضهم ودمائهم، وغير ذلك مما يطول شرحه، ويصعب وصفه، ويتعذر بسطه، والحال يغني عن المقال، والواقع يكفي عن السؤال!

فعجباً لمن سلم منه الأعداء ولم يسلم منه الأصدقاء والأقرباء!!

قال سفيان بن الحصين: كنت جالساً عند إياس بن معاوية، فمرَّ رجل، فنلتُ منه، فقال: اسكت! ثمَّ قال لي: يا سفيان: هل غزوت الروم؟ قلت: لا. قال: هل غزوت الترك؟ قلت: لا. قال: سلِمَ منك الروم، وسلم منك الترك، ولم يسلم منك أخوك المسلم؟!(١).

وفي أخرى، قال: كنت عند إياس بن معاوية وعنده رجل، تخوفت إن قمت من عنده أن يقع فيَّ، قال: فجلست حتى قام، فلما ذكرته لإياس، قال: فجعل ينظر في وجهي، فلا يقول شيئاً حتى فرغت، فقال لي: أغزوت الديلم؟ قلت: لا، قال: فغزوت السند؟ قلت: لا، قال: فغزوت الهند؟ قلت: لا، قال: فغزوت الروم؟ قلت: لا، قال: فسلم منك الديلم، والسند، والهند، والروم، وليس يسلم منك أخوك هذا؟!(٢).

---

(١) تنبيه الغافلين ـ السمرقندي (١٧٨/١).

(٢) شعب الإيمان ـ البيهقي (٣١٤/٥) والبداية والنهاية ـ ابن كثير (٣٣٦/٩).

وخلصتُ إلى أنَّ أهم سببٍ لهذه الهوَّة السحيقة، والفجوة العميقة في علاقات الناس ببعضهم، هو أن البعضَ منهم لم يكف شرَّه عنهم، ولم يمنع آذاه لهم، جهلاً منه ونسياناً، وحباً لنفسه، وإيثاراً لمصلحته، وحفاظاً على أمر دنياه، وغفلة عن شأن آخرته، و ذلك لضعف إيمانه، ورقَّة يقينه، وقلَّة دينه، وضعف الوازع في قلبه، وغياب الرادع من عقله .

ولذا رأيت ـ من باب إنكار المنكر وتحذير البشر من الشر ـ أن أجمع بين دفتي هذا الكتاب بعض أسباب الشرور، وأنواع الأذى، وأصناف السوء، حتى نكون على علمٍ بها، وحذرٍ منها، وبُعدٍ عنها، لشناعة عقابها وسوء عاقبتها، وفي العلم دفعٌ لجحافل الجرم!

وكما أن المسلم متعبد بفعل المأمور، فهو كذلك متعبدٌ بترك المحظور، وكما أنه ملزمٌ بفعل الخير فهو ملزمٌ بالكفِّ عن الشر، والاحتساب في كلِّ ما يأتي ويذر، وعند الله يكون المستقر، فيضاعف لمن شكر، ويعوِّض من صبر، ويعاقب من تجاوز وكفر، والله لن يضيع أجر من أحسن عملاً .

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : « قالت الملائكةُ: ربِّ ! ذاك عبدُكَ يريد أن يعملَ سيئةً (وهو أبصرُ به) فقال: ارقُبُوهُ. فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة. إنما تركها من جرَّايَ »(١) .

والحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره، وتجنب الأذى ناتجٌ عن معرفة آثاره وثماره، والوقوف على أخطاره وأضراره .

قال حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشرِّ مخافة أن يدركني(٢) .

---

(١) صحيح مسلم (١٢٩) (١/١٠٩).

(٢) صحيح البخاري (٧٠٨٤) (٨/٤٢٩).

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه[1]

والله المسؤول -وهو خير مأمول- أن يصلح أحوال المسلمين، ويؤلف بين قلوبهم، ويجمع كلمتهم، ويوحد صفهم، ويربط بينهم برباط الإيمان والتقوى والعروة الوثقى.. إن ربي على كل شيء قدير، و بالإجابة جدير، نعم المولى ونعم النصير...

(١) ابو فراس الحمداني.



قبح الأذى وسوء الاعتداء

ومن رحمة الله الخالق بالخلق، وعنايته بهم، ورعايته لهم، ولعلمه ـ سبحانه ـ بقبح الأذى عندهم، وعاقبته عليهم، وسوئه لديهم، منع ما يؤدي إلى جلبه لهم، أو جرِّه إليهم، أو التعدي به عليهم، وليست تلك الحماية والرعاية والعناية خاصّة بالناس فقط، بل شملت الملائكة والحيوان والجان والجماد، وإليك نزر يسير وأمثلة قليلة من هذه الحقيقة الجليلة، لندرك بعدها قبح الأذى، فيكون بيننا وبينه بُعد المشرقين وطول الخافقين!

فقد نُهينا عن الإفساد في الأرض بغير الحق وإتلاف ما ينفع، وإفساد ما فيه نفع للبلاد والعباد.

قال تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾** [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

وحتَّى الجمادات الهامدات أصابت من العطف واللطف ما يفوق الوصف، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: إن النبيَّ ﷺ كان يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد، فيخطب الناس، فجاءه رومي، فقال: ألا أصنع لك شيئاً تقعد عليه وكأنك قائم؟ فصنع له منبراً له درجتان، ويقعد على الثالثة، فلما قعد نبيُّ الله ﷺ على ذلك المنبر خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد؛ حزناً على رسول الله ﷺ .

وفي رواية: فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشارِ[1] وفي أخرى: حنَّت الخشبة حنين الواله[2].

فنزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر، فالتزمه وهو يخور، فلما التزمه رسول الله ﷺ سكن.

وفي رواية: فضمَّهُ إليه، تَئِنُّ أنينَ الصبي الذي يُسكَّنُ[3].

ثم قال ﷺ: «أما والذي نفسي بيده! لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزناً على رسول الله ﷺ. فأمر به رسول الله ﷺ فدفن[4].

و نُهينا عن إيذاء عباد الله الطائعين من ملائكته المقربين، حتى لو كان ذلك بالرائحة الكريهة والمظهر القبيح ...

فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكل من هذه البقلة ؛ الثوم والبصل والكُرَّاث، فلا يقربنا في مسجدنا، فإنَّ الملائكة تتأذَّى مما يتأذى منه بنو آدم»[5].

وعن أمِّ أيوب الأنصاري - رضي الله عنها - قالت: نزل علينا رسول الله ﷺ فتكلَّفنا له طعاماً فيه بعض البقول، فقال لأصحابه: «كُلوا ؛ فإني لست كأحد منكم؛ إنِّي أخاف أن أوذي صاحبي»[6].

وأمرنا أن نُطهِّر أفواهنا بالسواك حتى لا تتأذى ملائكة الرحمن من الروائح الكريهة التي يمكن أن تكون في الفم، فعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -

(١) صحيح البخاري (٣٥٨٥) (٤/٥٣٦).

(٢) صحيح موارد الظمآن لزوائد ابن حبان (٤٧٨) (١/٢٧٢).

(٣) صحيح البخاري (٣٥٨٤) (٤/٥٣٦).

(٤) أخرجه البخاري في التاريخ والدارمي وغيرهما، انظر: السلسلة الصحيحة (٢١٧٤) (٥/٢٠٦).

(٥) صحيح مسلم (٥٦٤) (١/٣٣٠).

(٦) صحيح موارد الظمآن لزوائد ابن حبان - للألباني (٢٧٨) (١/١٩٩).

قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبدَ إذا تسوَّكَ ثم قامَ يُصلي، قام المَلَكُ خلفَه، فيستَمعُ لقراءته، فيدنو منه حتى يضعُ فاه على فيه، فما يخرجُ من فيه شيءٌ من القرآن إلا صارَ في جوفِ الملكِ، فطَهِّروا أفواهكم»(١).

ونُهينا عن البصاق تجاه القبلة لما فيه من أذيَّة لربِّ البريَّة وللملائكة المقربين، فعبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: أمر رسول الله ﷺ رجلاً يصلي بالناس صلاة الظهر، فتفل في القبلة وهو يصلي للناس، فلما كان صلاة العصر؛ أرسل إلى آخر، فأشفق الرجل الأول، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أنزل فيَّ؟ فقال ﷺ: «لا، ولكنك تَفلتَ بين يديكَ، وأنتَ تؤُمُّ الناسَ، فآذيتَ اللهَ وملائكتَه»(٢).

وفي رواية عن السائب بن خلاّد: أن رجلاً أمَّ قوماً، فبصق في القبلة؛ ورسول الله ﷺ ينظر إليه، فقال ﷺ حين فرغ: «لا يُصلي لكم هذا». فأراد بعد ذلك أن يصلي لهم، فمنعوه، وأخبروه بقول رسول الله ﷺ فذكر ذلك لرسول الله فقال ﷺ: «نعم إنَّك آذيتَ اللهَ ورَسُولَه»(٣).

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن النبيَّ ﷺ كان يحب العَرَاجين، ولا يزال في يده منها، فدخل المسجد، فرأى نخامة في قبلة المسجد، فحكَّها، ثم أقبل على الناس مغضباً، فقال ﷺ: «أيَسُرُّ أحدكُم أن يبصَقَ في وجهِه؟ إنَّ أحدكُم إذا استقبل القبلة فإنما يستقبل ربَّهُ جلَّ وعز، والمَلَكُ عن يمينه، فلا يتفل عن يمينه، ولا في قبلته، وليبصق عن يساره أو تحت قدمه..»(٤).

---

(١) رواه البزار وغيره، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢١٥) (١/٢٠٤) وفي الصحيحة (١٢١٣) (٣/٢١٤) بلفظ مقارب.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٣٧٦) (٧/١١٢٤).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٤٥٦) (١/٩٥) وصحيح موارد الظمآن لزوائد ابن حبان (٢٩١٩) (١/٢٠٣).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٤٥٥) (١/٩٥).

ونُهينا أن نبقى متلطِّخين بالجنابة دون تخفيف الحدث الأكبر بالطهارة الصغرى على الأقل، حتى لا نؤذي الملائكة بالقذارة فهم يحبُون الطهارة والنظارة.

فعن عمار بن ياسر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا تقربُهُمُ الملائكة: جيفَةُ الكافر، والمتضمِّخُ بالخَلُوقِ، والجنب إلا أن يتوضأ»(١).

قال الحافظ - رحمه الله: المراد بالملائكة هنا هم الذين ينزلون بالرحمة والبركة، دون الحفظة، فإنَّهم لا يفارقونه على حال من الأحوال، ثم قيل: هذا في كلّ مَن أخّر الغسل لغير عذر؛ ولعذر إذا أمكنه الوضوء فلم يتوضّأ، وقيل: هو الذي يؤخِّره تهاوناً وكسلاً، ويتخذ ذلك عادة(٢).

ونُهينا أن نؤذي الجنِّ فيما أعطاهم مولاهم من بقايا طعامنا، فلا يجوز لنا أن نستنجي بعظم أو روث، لأن العظم طعامهم، والروث طعام دوابِّهم، فتأمل، تعجب!

فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني داعي الجنِّ، فذهبتُ معَهُ، فقرأتُ عليهِم القرآن» قال: فانطلقَ بنا فأرَانا آثارَهُم وآثارَ نيرانِهم، وسألوه الزَّاد، فقال: «لكُم كلُّ عظمٍ ذُكِرَ اسمُ الله عليه يقعُ في أيديكُم، أوفرَ ما يكونُ لحماً، وكلُّ بعرةٍ علفٌ لدوابِّكُم». فقال رسولُ الله ﷺ: «فلا تستنجُوا بهما، فإنَّهما طعامُ إخوانِكُم»(٣).

وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تستَنْجُوا بالرَّوثِ ولا بالعِظام، فإنه زادُ إخوانِكُم من الجنِّ»(٤).

(١) صحيح سنن أبي داود (٣٥٢٢) (٢/٧٨٨).

(٢) صحيح الترغيب والترهيب (١/١٨٤).

(٣) صحيح مسلم (٤٥٠) (١/٢٧٨) مختصراً.

(٤) صحيح سنن الترمذي (١٨) (١/٨).

ومن حرص النبيِّ ﷺ على أن لا نؤذي إخواننا من المسلمين الجنِّ، نهانا عن قتل الحيات في البيوت قبل أن نحرِّج عليها ثلاثاً حتى لا نؤذي عوامر البيوت من الجنِّ المسلمين، فأيّ رحمةٍ أعظم من هذه الرَّحمة؟!

فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: أنه سمع النبيَّ ﷺ يخطُب على المنبر، يقول: «اقتُلوا الحيَّاتِ واقتلوا ذا الطُّفيتين والأبترَ، فإنَّهما يطمسانِ البصَرَ ويَستسقِطان الحَبَل».

قال عبد الله: فبينا أنا أُطاردُ حيَّةً لأقتُلَها، فناداني أبو لبابة: لا تقتُلها. فقلتُ: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد أمرَ بقتلِ الحيات. قال: إنَّه ﷺ نهى بعدَ ذلك عن ذواتِ البيوت، وهي العوامر (١).

وعن أبي السائب مولى هشام بن زهرة أنه دخل على أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ في بيته، قال: فوجدته يُصلِّي، فجلستُ أنتظره حتى يقضي صلاتَهُ، فسمعتُ تحريكاً في عراجينَ في ناحية البيت، فالتفتُّ فإذا حيَّةٌ، فوثبت لأقتلها، فأشار إليَّ: أن اجلس. فجلستُ، فلمَّا انصرفَ أشارَ إلى بيتٍ في الدَّار. فقال: أترى هذا البيت؟ فقلت: نعم. قال. كان فيه فتىً منّا حديثُ عهد بعُرسٍ. قال: فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذنُ رسول الله ﷺ بأنصافِ النهار فيرجعُ إلى أهله، فاستأذنه يوماً، فقال له رسول الله ﷺ: «خُذ عليكَ سلاحَكَ، فإني أخشى عليك قُريظةَ». فأخذ الرَّجلُ سلاحه، ثم رجع فإذا امرأتُهُ بين البابين قائمةً، فأهوى إليها الرُّمحَ ليطعنها به، وأصابتهُ غَيرةٌ. فقالت لهُ: اكفُف عليك رُمحَكَ، وادخُلِ البيتَ حتى تنظُر ما الذي أخرجني. فدخلَ فإذا بحيَّةٍ عظيمةٍ مُنطَويةٍ على الفِراش، فأهوى إليها بالرُّمح فانتظَمَها به، ثُمَّ خرجَ فركزَهُ في الدَّارِ، فاضطربت عليه، فما يُدرى أيُّهُما كان أسرعَ مَوتاً؛ الحيَّةُ أم الفتى؟ قال:

---

(١) صحيح البخاري (٣٢٩٨) (٤/٤٣٨).

فجئنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له، وقلنا: ادعُ الله يحييه لنا. فقال ﷺ: «استغفروا لصاحبكم» ثم قال ﷺ: «إنَّ بالمدينة جنّاً قد أسلموا، فإذا رأيتم منهُم شيئاً فآذِنوهُ ثلاثةَ أيامٍ، فإن بدا لكم بعدَ ذلك فاقتُلُوهُ فإنما هو شيطانٌ»(١).

ومن عرف مساءة الإيذاء، ووقف على مغبَّةِ الاعتداء لم يتجرأ على بذله لحيوان بهيم فكيف بإنسانٍ كريم؟!

قال الفضيل بن عياض: والله !ما يحلُّ لك أن تُؤذيَ كلباً ولا خنزيراً بغير حقٍّ، فكيف تُؤذي مسلماً(٢).

وتأمل معي بعض النصوص الشرعية في حُرمة إيذاء الحيوان، لندرك أن ديننا العظيم وشريعتنا الغرَّاء جاءت بحفظ الحقوق ورعاية المخلوق، حتَّى للدواب العجماوات والبهائم الرُّتَّع والطيور المحلِّقات في الفضاء المُتَّسع!

فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرةً معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي ﷺ فقال: «من فَجَعَ هذهِ بولدها؟! رُدُّوا ولَدَها إليها».

ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: «مَن حَرقَ هذه؟» قلنا: نحن، قال: «إِنَّهُ لا ينبغي أن يُعذِّبُ بالنَّارِ إلا ربُّ النار»(٣).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلَ نبيٌّ من الأنبياءِ تحتَ شجرةٍ فلَدغتهُ نملة، فأمرَ بجَهازِهِ فأُخرجَ من تحتها، ثمَّ أمرَ ببيتِها فأُحرقَ بالنار، فأوحى الله إليه: فهَلا نملةً واحدة؟»(٤).

---

(١) صحيح مسلم (٢٢٣٦) (٤/١٤٠١).

(٢) سير أعلام النبلاء ـ الذهبي (٨/٤٤٣).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٢٣٢٩) (٢/٥٠٨).

(٤) صحيح البخاري (٣٣١٩) (٤/٤٤٢).

فلا ظلم ولا هضم و لو قيد أُنْمُلة، حتَّى لو كان على نملة!

وعن سهل بن الحنظلية، قال: مرَّ رسولُ الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: «اتَّقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة، وكُلُوها صالحة»(١).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم أن تتخذوا ظهور دَوابِّكُم منابرَ، فإن الله إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بِشقِّ الأنفس، وجعل لكم الأرض، فعليها فاقضوا حاجتكم»(٢).

وخرج رسول الله ﷺ في حاجة فمرَّ ببعير مناخ على باب المسجد من أول النهار، ثم مرَّ به آخر النهار وهو على حاله، فقال: «أين صاحب هذا البعير؟!» فابتغي فلم يوجد، فقال رسول الله ﷺ: «اتقوا الله في هذه البهائم، ثم اركبوها صحاحاً، واركبوها سماناً» كالمتسخط آنفاً(٣).

وعن عبد الله بن جعفر، قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، ..، فدخل حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جملٌ، فلمَّا رأى النبي ﷺ حَنَّ وذَرَفَت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفرَاهُ فسَكَتَ، فقال: «مَن ربُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟» فجاء فتى من الأنصار، فقال: لي يا رسول الله، فقال: «أفلا تتَّقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكَكَ الله إياها، فإنه شكى إليَّ أنك تجيعه وتُدئبه»(٤).

وعن يعلى بن مُرَّةَ ـ قال: كنتُ مع النبيِّ ﷺ جالساً ذاتَ يومٍ، إذ جاءَ جملٌ يُخَبِّبُ حتى ضَرَبَ بِجرانه بين يديه، ثمَّ ذرفت عيناهُ، فقال: «ويحك! انظُر لمن هذا الجملُ، إنَّ له لشأناً». قال: فخرجتُ ألتمسُ صاحبهُ، فوجدتُه لرجلٍ من الأنصارِ، فدعوتُه إليه، فقال: «ما شأنُ جملك هذا؟». فقال: وما شأنُه؟ قال: لا

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٢٢٢١) (٢/٤٨٤).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٢٢٣٨) (٢/٤٨٨).

(٣) رواه ابن حبان وأحمد، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٢) (١/٣١).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٢٢٢٢) (٢/٤٨٥) وأصله في مسلم.

أدري والله ما شأنُه، عملنا عليه ونَضحنا عليه حتَّى عَجزَ عن السِّقاية، فأتمرنا البارحةَ أن نَنحَره ونُقسِّمَ لَحمَهُ. قال: «فلا تفعَل، هبهُ لي أو بِعنيه». قال: بل هو لك يا رسولَ الله .قال: فوسمه بميسم الصدقةَ ثُمَّ بعثَ به.

وفي رواية، قال: بل أهبُهُ لكَ، وإنَّه لأهلِ بيتٍ ما لهم معيشَةٌ غيرهُ، فقال: «أما إذ ذكرتَ هذا من أمرِه، فإنه شكا كثرةَ العَملِ، وقِلَّة العلفِ، فأحسِنوا إليه»[1].

وبلغت الرحمة بالحيوان منتهاها حتى إذا احتاج الإنسان إلى قتلها والاستفادة مما لابُدَّ له منها، أمره بالإحسان إليها، ومنعه من التعدي عليها ..

فلا يؤذيها برؤية ما يحزنها ويجلب الخوف لها..

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما: قال: مرَّ رسول الله ﷺ على رجلٍ واضعٍ رجلَه على صفحة شاة، وهو يُحِدُّ شفرته، وهي تلحظ إليه ببصرها، قال: «أفلا قبل هذا؟ أوَ تريد أن تميتها موتات؟!».

وفي رواية، قال: «أتريد أن تُميتَها موتات؟! هلا أحددت شفرتك قبل أن تُميتَها موتاتٍ؟! هلا أحددت شفرتك قبل أن تُضجعَها»[2].

ونهى عن إطالة وقت الذبح والتمادي فيه والتمهُّل في إيقاعه، وإنما يجهز عليها بعد التجهُّز لها، فعن ابن عمر - رضي الله عنها - قال: أمر النبيُّ ﷺ بحَدِّ الشِّفار، وأن توارى عن البهائم، وقال: «إذا ذبح أحدكم فليُجهز»[3].

ونهى عن ذبحها للعبث واللعب والمتعة والتسلِّي، فإنها أمَّة تُسبِّح الله تعالى، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أعظم الذنوب عند

(١) رواه أحمد في المسند ، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٧٠) (٢/٥٥٥).

(٢) رواه الطبراني في الكبير والأوسط والحاكم في المستدرك ، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٠٩٠) (١/٦٣١).

(٣) رواه ابن ماجه ، السلسلة الصحيحة (٣١٣٠).

الله رجلٌ تزوج امرأةً؛ فلما قضى منها حاجته طلَّقها وذهب بمهرها، ورجلٌ استعمل رجلاً فذهب بأُجرته، وآخر يقتل دابَّةً عبثاً»(١).

وعن ابن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «ما من إنسان يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها، إلا سأله الله عزَّ وجلَّ عنها». قيل: يا رسولَ الله! وما حقها؟ قال: «يذبحها فيأكلها، ولا يقطع رأسها ويرمي بها»(٢).

ونهى عن شقِّ جلودها وقطع آذانها وجدع أنوفها لأنه تعذيب لها..

فعن مالك بن نضلة - رضي الله عنه - قال: أتيت النبيَّ ﷺ فقال: «هل تُنتجُ إبلُ قومِك صِحاحاً آذانها، فتعمد إلى الموسى فتقطع آذانها، وتشقُ جلودها، وتقول: هذه صُرم (٣)، فتحرمها عليك وعلى أهلك؟» قلتُ: نعم. قال: «فكلُّ ما آتاك الله حِلٌّ، ساعِدُ اللهِ أشدُّ من ساعدِك، وموسى اللهِ أحَدُّ من موساك»(٤).

وحرَّم أذية الحيوانات للتسلي عليها واللعب بها وقتلها بتعذيبها..

فعن سعيد بن جبير قال: مر ابن عمر - رضي الله عنهما - بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً، وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كلَّ خاطئةٍ من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر - رضي الله عنهما - تفرَّقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا. إن رسول الله ﷺ: «لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا»(٥).

وعنه - رضي الله عنهما - أنه دخل على يحيى بن سعيد وغلام من بني يحيى رابط دجاجة يرميها، فمشى إليها ابن عمر - رضي الله عنهما - حتى حلَّها، ثم أقبل

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، انظر: السلسلة الصحيحة (٩٩٩) (٢/٧٣٦).

(٢) رواه النسائي والحاكم، انظر: صحيح الترغيب (١٠٩٢) (١/٦٣١).

(٣) كان أهل الجاهلية يوقفونها لأصنامهم ويحرمونها على أنفسهم، فيسيبونها ليس لها راع، وهي (البحيرة) المذكورة في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

(٤) رواه ابن حبان، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٠٩٣) (١/٦٣٢).

(٥) صحيح مسلم (١٩٥٨) (٣/١٢٣٢).

بها وبالغلام معه، فقال: ازجروا غلامكم على أن يَصبرَ هذا الطير للقتل، فإني سمعت النبي ﷺ نهى أن تُصبرَ بهيمة أو غيرها للقتل»(١).

ومنع من التحريش بينها، كمهارشة الكلاب، ومصارعة الدِّيكة والثيران...

وندب إلى رحمتها، واللطف بها، والعطف عليها..

فعن معاوية بن قرة عن ابيه ـ قال: قال رجل: يا رسول الله! إني لأذبح الشاة فأرحمها . وفي رواية، قال: إنِّي آخذُ شاةً وأريدُ أن أذبَحَها فأرحَمُها؟(٢) قال ﷺ: «والشاةُ إن رَحمتَها رحمك الله»(٣).

وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله يوم القيامة»(٤).

وكم الناس عن هذا غافلون، لا يتورَّعون عن أذية البهائم لأنَّهم لا يشعرون بألمها، ولا يُحسُّون بوجعها، فيتمادون في تعذيبها، وإيقاع الأذى بها!

عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو غُفرَ لكم ما تأتون إلى البهائم لغفر لكم كثيراً»(٥).

فإن كانت هذه الرحمة والحنان والشفقة مع الحيوان البهيم والحيوانات الرُّتع، فما الواجب مع الإنسان الذي كرَّمه الله على سائر المخلوقات؟

بل كيف بالمسلم الموحِّد، والمؤمن الصادق؟!

بل كيف بأولياء الله وأحبائه وأصفيائه؟!

إن الأمر يحتاج منا إلى مراجعة حقيقية لكثير من علاقاتنا بمن حولنا على ضوء هذه النصوص العجيبة...

(١) صحيح البخاري (٥٥١٤) (٦/٥٨١).

(٢) صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٦٤) (٢/٥٥٢).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد والطبراني في الصغير، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٦) (١/٣٣).

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد وتمام في الفوائد، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٧) (١/٣٤).

(٥) أخرجه أحمد في المسند، انظر: السلسلة الصحيحة (٥١٤) (٢/٢٧).

منهج هذا الفصل

جمعت في هذا الفصل بعضاً من صنوف الشر والأذى التي يجب على المسلم أن يكف عنها، فلا يقرب منها، ولم أحصها عدداً لكثرتها، وفي ذلك ما لا يخفى من الابتلاء والتمحيص من الله لعباده، فقد حفَّت النار بالشهوات، وكثرت حولها الظلمات، ليتميز الخبيث من الطيب، وليعلم الله ـ وهو العليم ـ من ينصره ويخشاه بالجلاء والخفاء، وعند القدرة على البطش والإيذاء، وتلك رحى البلاء!

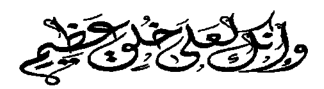
* قرأت الكتب الستَّة كلها ـ بفضل الله وكرمه ـ وما وقع تحت يدي من كتب العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، ومن هذه الكتب جميعاً جاءت مادة هذا الكتاب .

* وضعت تحت كل باب حديثاً أو أكثر لمعانٍ جليلة أو دلالات خفيةٍ، تزيد الموضوع نوراً وبهاء وإشراقاً وجلاء، ولم أجمع كلَّ ما ذُكر من آيا ت وأحاديث وآثار تحت كل باب بغية الاختصار، ولو أني فعلت ذلك لتضاعف الحجم عمَّا هو واقع، ولاتسع الخرق على الراقع!

* جمعت من صحاح الأحاديث وحسنها ـ دون سقيمهما ـ ما فيه الغُنية عن غيره والكافية عمَّا سواه، وفي بزوغ الشمس بالصباح ما يغنيك عن وهج المصباح!

* عدلت ـ في بعض المواقع ـ عن روايتي البخاري ومسلم ـ رحم الله علماء المسلمين سلفاً وخلفاً ـ إلى من هو دونهما لزيادة فائدة في متن الحديث أو فقهه .

* خرَّجت الأحاديث ولم أسهب في التخريج حتى لا أخرج عن هدف الكتاب وهو الاختصار ـ ما أمكن ـ فاقتصرت على نسبة الحديث إلى واحدٍ من كتب السنة وهو في غيره بدلاً من تتبع مواضعه، وجمع رواياته ـ وإن كان هو



الأولى ـ دفعاً لطول الكتاب، وحرصاً على تحقيق هدفه الذي من أجله جمع وطبع ووزع .

* نقلت في الروايات التي في غير «الصحيحين» قول العلامة المحقق محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ محدث عصره ومحقق زمانه، وأحلت على كتبه المفيدة السديدة إلى تحقيقاته الكافية الشافية، وقد أحلتك على مليء، ومن أُحيل على مليء فليتبع!

* رتبت الكتاب على ما درج عليه علماؤنا ـ رحم الله الجميع ـ على هيئة كتب، وتحت كل كتاب فصول وأبواب، ثم رتبتها هجائيًّا على حسب عنوانها الذي يدل عليها .

* شرحت بعض المبهمات الغامضة، وبينت بعض المفردات الصعبة، من غير توسع في الشرح أو تشعب في الطرح، والمرجع في ذلك لكتب الشروحات، ففيها الكفاية لمن أراد الهداية .

* ذكرت بعض الشواهد والشوارد من حياة سلفنا الصالح تحت بعض الأبواب، ولم أطل النفس في ذلك خشية الإطالة، فاقتصرت على الشواهد والكلمات القصيرة في بعض الأبواب دون غيرها، وكتب التراجم والسير مليئة بالجواهر والدرر والعظات والعبر، فإليها أشير وألفت النظر!

وعلى الله نتوكل وبه نستعين، وبه نصول ونجول ونسأله القبول، فبسم الله نبدأ، فمنه المبتدأ وإليه المنتهى :

كتاب الإيمان

١ ـ الإحداث في الدين ودعوة الناس إليه:

١ ـ ١ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»(١).

١ ـ ٢ ـ عن جرير ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»(٢).

١ ـ ٣ ـ عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «المدينة حرمٌ ما بين عائرٍ إلى كذا، من أحدثَ فيها حدثاً أو آوى مُحدثا فعليه لعنة الله والملائكةِ والناس أجمعينَ، لا يقبلُ منه صرفٌ و لا عدل»(٣).

والصرف هو الفريضة والعدل التطوع. وقال الحسن: الصرف النافلة والعدل الفريضة. وقال الأصمعي: الصرف التوبة والعدل الفدية»(٤).

ومن أعظم الحدث تعطيل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإحداث ما خالفهما، ونصر من أحدث ذلك والذب عنه، ومعاداة من دعا إلى كتاب الله وسنة رسوله»(٥).

(١) صحيح مسلم (١٧١٨) (٣/١٠٨٢).

(٢) صحيح مسلم (١٠١٧) (٢/٥٨٣).

(٣) صحيح البخاري (١٨٧٠) (٢/٥٧٧).

(٤) المعلم بفوائد مسلم ـ المازري (٢/٧٨).

(٥) فتاوى إمام المفتين ـ ابن القيم ـ ص٢١٩.

٢ - إقامة الكفار في جزيرة العرب لغير حاجة أو لإقامة دائمة:

٢ - ١ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «أخرجوا المشركينَ من جزيرةِ العربِ»(١).

٢ - ٢ - عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لأخرجنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتَّى لا أدعَ إلا مُسلماً»(٢).

٢ - ٣ - وعنه - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «لئن عِشتُ - إن شاء الله - لأُخرِجنَّ اليهودَ والنصارى مِن جزيرةِ العرب»(٣).

٣ - الاستهزاء بالمؤمنين الملتزمين بدينهم:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ**﴾ [المطففين:٢٩].

٣ - ١ - عن زيد بن أسلم ومحمد بن وهب، قال رجل من المنافقين في غزوة تبوك: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء. يعني رسول الله ﷺ وأصحابه، فذهب عوف - رضي الله عنه - ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ونتحدث بحديث الركب، نقطع به عنا الطريق. فأنزل الله(٤): ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾

[التوبة:٦٥]

(١) صحيح البخاري (٣٠٥٣) (٣/٣٥٨).

(٢) صحيح مسلم (١٧٦٧) (٣/١١١٢).

(٣) صحيح سنن الترمذي (١٣٠٩) (٢/١١٩).

(٤) أسباب النزول - الواحدي - ص٢١٢.

٤ ـ إضلال الناس في دينهم:

قال تعالى: **﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** [النحل:٢٥].

قال قتادة: أي ذنوبهم وذنوب الذين يضلونهم بغير علم(١).

٤ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»(٢).

٤ ـ ٢ ـ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أشدُّ الناس عذابا يوم القيامة رجلٌ قتل نبياً أو قتله نبيٌّ، أو رجل يضلُّ الناس بغير علمٍ، أو مصورٌ يصوِّر التماثيلَ»(٣).

وما أكثر جند إبليس وأعوانه وزبانيته وخدَّامه، الداعين على أبواب جهنم! بدعايات منمقة، وشعارات مزركشة، ملمسهم الناعم ينسيك سمَّهم الزُّعاف، يخفون في أنفسهم مالا يُبدون لك، وكل الذي يبغون؛ صدك عن دين الله القويم، وإضلالك عن صراط الله المستقيم.

٥ ـ إيواء المُحدث:

٥ ـ ١ ـ عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لعنَ اللهُ من ذبحَ لغير الله، ولعن الله من آوى مُحدثاً، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غيَّر منار الأرض»(٤).

(١) كتاب الأهوال ـ ابن أبي الدنيا ـ ص٢٧٢ رقم٢٦٩.

(٢) صحيح مسلم (٢٦٧٤) (١٦٣٦/٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند والطبراني في الكبير والبزار، انظر: السلسلة الصحية (٢٨١) (٥٠٧/١)

(٤) صحيح مسلم (١٩٧٨) (١٢٤٥/١).

٦ ـ البناء على القبور والغلو فيها لفتنة الناس بها :

٦ ـ ١ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه : «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسجدا». قالت : ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير أني أخشى أن يتخذ مسجدا[١].

٦ ـ ٢ ـ عن أبي الهياج الأسدي ـ رحمه الله ـ قال : قال لي علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ـ ﷺ : «أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته»[٢].

٦ ـ ٣ ـ عن ثمامة بن شفي، قال : كنا مع فضالة بن عبيد ـ رضي الله عنه ـ بأرض الروم (برودس) فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسُوِّي، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها[٣].

٦ ـ ٤ ـ عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : نهى رسول الله ﷺ أن يُجصَّصَ القبرُ، وأن يُقعَدَ عليه، وأن يُبنى عليه[٤].

٧ ـ تبجيل وتعظيم أهل المنكر والشر :

قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون :٨]

قال تعالى : ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة :٥٤].

٧ ـ ١ ـ عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا قال الرجل للمنافق : يا سيِّد فقد أغضب ربَّه تبارك وتعالى»[٥].

---

(١) صحيح البخاري (١٣٣٠) (٢/٤٠٤).

(٢) صحيح مسلم (٩٦٩) (٢/٥٥٥).

(٣) صحيح مسلم (٩٦٨) (٢/٥٥٥).

(٤) صحيح مسلم (٩٧٠) (٢/٥٥٦).

(٥) أخرجه الحاكم وأبو نعيم في أخبار أصبهان ، انظر : السلسلة الصحيحة (١٣٨٩) (٣/٣٧٨).

٧ - ٢ - عن أبى سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي»(١).

٨ - تبديل أحكام الله والرضا به:

قال تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل:١١٦]

٨ - ١ - عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يا عدي اطرح هذا الوثن». وسمعته يقرأ في سورة (براءة): ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾. فقلت: إنا لسنا نعبدهم؟! قال: «أمَا إنَّهم لم يكونوا يعبُدُونهم، ولكنَّهم كانُوا إذا أحلُّوا لهم شيئاً استحلُّوه، وإذا حرَّمُوا عليهم شيئاً حرَّموه، فتلك عِبادَتُهم»(٢).

٨ - ٢ - وعنه - رضي الله عنه - أنه جاء إلى النبي ﷺ، فلما سمع النبيَّ ﷺ يقرأ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ قال: يا رسول الله! إنا لم نتخذهم أرباباً. قال: «بلى، أليس يحلُّون لكم ما حرَّم عليكم فتحلونه، ويحرمون عليكم ما أحلَّ الله فتحرمونه؟». فقلت: بلى. قال: «فتلك عبادتهم»(٣).

٩ - تفريق كلمة المسلمين ومفارقة جماعتهم:

٩ - ١ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله -: «من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه، فإنه ليس أحدٌ من الناس خرج مِن السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتةً جاهليَّةً»(٤).

(١) صحيح سنن الترمذي (١٩٥٢٩) (٢٨٥/٢).

(٢) أخرجه البخاري في التأريخ والترمذي في السنن والطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٢٩٣) (٨٦١/٧).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه والطبري في تفسيره والطبراني في الكبير والبيهقي في سننه، انظر: غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام - ص٢٠ رقم ٦.

(٤) صحيح مسلم (١٨٤٩) (١١٧٤/٣).

٩ - ٢ - عن عرفجة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّه ستكونُ هَنَاتٌ وهَنَاتٌ، فمن أراد أن يُفرِّق أمر هذه الأمَّةِ وهيَ جميعٌ فاضربُوهُ بالسيف، كائناً من كانَ»(١).

٩ - ٣ - وعن عرفجة - رضي الله عنه - قال: رأيت النبي ﷺ على المنبر يخطب الناس، فقال: «إِنَّهُ سيكونُ بعدي هَنَاتٌ وهنات، فمن رأيتُمُوهُ فارق الجماعةَ، أو يريدُ يُفرِّقُ أمرَ أمَّةِ محمدٍ ﷺ كائناً من كان، فاقتُلُوهُ، فإنَّ يدَ الله على الجماعةِ، فإنَّ الشيطانَ مع من فارقَ الجماعةَ يركُضُ»(٢).

١٠ - تكفير أحد من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله وتقم عليه الحجة:

١٠ - ١ - عن ثابت بن الضحاك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «.. ولعنُ المؤمنِ كقتله، ومن رمى مُؤمناً بكُفرٍ فهو كقتلهِ»(٣).

١٠ - ٢ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر. فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه»(٤).

١١ - التكهن للناس:

١١ - ١ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سأل رسول الله ﷺ عن ناس عن الكهان؟ فقال: «ليس بشيء» فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثونا أحيانا بشيء فيكون حقا. فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها من الجني في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة»(٥).

---

(١) صحيح مسلم (١٨٥٢) (٣/١١٧٥).

(٢) صحيح سنن النسائي (٣٧٥٣) (٣/٨٤٤).

(٣) صحيح البخاري (٦١٠٥) (٧/١٢٧).

(٤) صحيح مسلم (٦٠) (١/٧٩).

(٥) صحيح البخاري (٥٧٦٢) (٧/٣٦).

١١ - ٢ - عن أبي مسعود - رضي الله عنه - قال: نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن[١].

١١ - ٣ - عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من تطير ولا من تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو تسحر أو تسحر له»[٢].

١١ - ٤ - عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يلجَ الدَّرجات العُلى مَن تَكهَّنَ أو تُكُهِّنَ لهُ، أو رجعَ مِن سفرٍ تَطيُّراً»[٣].

١٢ - التنجيم للناس:

١٢ - ١ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن اقتَبَسَ عِلماً مِن النُّجُوم، اقتَبَسَ شعبةً مِن السِّحرِ، زادَ ما زاد»[٤].

١٢ - ٢ - عن طلحة بن مصرف - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أخوفَ ما أتخوَّفُه على أمتي آخر الزمان ثلاثاً؛ إيماناً بالنجوم، وتكذيباً بالقدر، وحيفَ السلطان»[٥].

١٣ - تنفير الناس من الدين:

قال تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦].

١٣ - ١ - عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره، قال: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا»[٦].

---

(١) صحيح سنن الترمذي (١٦٩٠) (٢/٢٠٨).

(٢) أخرجه البزار والطير أنى، انظر: السلسة الصحيحة (٢١٩٥) (٥/٢٢٨).

(٣) رواه تمام في الفوائد والطبراني، انظر: السلسلة الصحيحة (٢١٦١) (٥/١٩٣).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٣٣٠٥) (٢/٧٣٩).

(٥) رواه أبو عمر الداني في السنن الواردة في الفتن، انظر: السلسلة الصحيحة (١١٢٧) (٣/١١٨).

(٦) صحيح مسلم (١٧٣٢) (٣/١٠٩٣).

١٣ ـ ٢ ـ عن انس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يسِّروا ولا تُعسِّروا، وسَكِّنُوا ولا تُنفِّرُوا»(١).

ولا يكون التنفير من الدين بالالتزام بما جاء عن الله تعالى وبما أثر عن رسوله ﷺ على فهم سلف هذه الأمة، وإنما يكون ذلك بالغلظة مع الناس، والتشديد عليهم فيه، وأخذهم بالقسوة التي في غير موضعها، والتطبيق الخاطئ لبعض أحكام الشرع الحنيف. أقول ذلك لأن بعضا من الناس إذا خالفت أهواءهم المنحرفة، وصادمت رغباتهم المنحلة، شنعوا عليك بالتنفير من الدين، وحاكوا ضدك المكائد، يبغونك تطرح شيئا من أمر الله لتوافقهم على مواقفهم، وودوا لو تدهن فيدهنون!

١٤ ـ تيئيس الخطيب للناس من رحمة الله تعالى:

١٤ ـ ١ ـ عن جندب ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن رجلاً قال: والله لا يغفر لفلان. وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألَّى عليَّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك»(٢).

١٤ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل مُتواخيين، فكان أحدهما يُذنبُ والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر. فوجده يوماً على ذنب، فقال له: أقصر. فقال: خَلِّني وربي أبُعثتَ عليَّ رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك ـ أو لا يدخلك الله الجنة. فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: كنت بي عالماً، أو كنت على ما في يدي قادراً؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي. وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار».

---

(١) صحيح مسلم (١٧٣٤) (٣/١٠٩٣).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٢١) (٤/١٦٠٦).

* قال أبو هريرة - رضي الله عنه: والذي نفسي بيده، لتكلم بكلمة أوبقت وآخرته[1].

* و قالت عائشة - رضي الله عنها - لعبيد بن عمير: إياك وإملال الناس وتقنيطهم[2].

* وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه: ألا أنبئكم بالفقيه كلَّ الفقه؟ قالوا: بلى. قال: من لم يقنِّط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يؤمنهم من مكر الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه[3].

١٥ - الدعوة بدعوى الجاهلية:

مثل الدعوة للعصبية القبلية أو الإقليمية أو العرقية أو الحزبية، ونحو ذلك.

١٥ - ١ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «أبغض الناس إلى الله ثلاثةٌ؛ مُلحِدٌ في الحرم، ومبتغٍ في الإسلام سنَّةَ الجاهلية، و مُطَّلبُ دمِ امرئٍ بغير حقٍّ ليُهريقَ دمه»[4].

١٥ - ٢ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرجَ من الطاعةِ وفارقَ الجماعةَ فماتَ، ماتَ ميتَةً جاهليَّةً، ومن قاتلَ تحتَ راية عُمِّيَّةٍ، يغضبُ لعَصَبةٍ أو يدعو إلى عَصبَةٍ، أو ينصرُ عَصَبةً فقُتلَ، فقتلةٌ جاهليَّةٌ، ومن خرجَ على أُمَّتي، يضربُ برَّها وفاجِرها ولا يَتحاشَ من مُؤمنها، ولا يفي لذي عهدٍ عهدَه، فليس مِنِّي ولستُ منه»[5].

(١) صحيح سنن أبي داود (٤٠٩٧) (٣/٩٢٦).

(٢) الآداب الشرعية - ابن مفلح (٢/٩٩).

(٣) جامع بيان العلم وفضله - ابن عبد البر (١٥٠٩) (٢/٨١١).

(٤) صحيح البخاري (٦٨٨٢) (٨/٣٥٨).

(٥) صحيح مسلم (١٨٤٨) (٣/١١٧٤).

١٥ - ٣ - وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من قُتل تحت راية عمِّية يدعو إلى عصبيَّة أو يغضب لعصبية، فقتلته جاهلية»(١).

١٦ - دفن الموتى في المساجد:

قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾ [الجن:١٨].

وقال تعالى: ﴿ **قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا**﴾ [الكهف:٢١]

١٦ - ١ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقُم منه: «لَعَنَ الله اليهودَ والنصارى اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ». لولا ذلك أُبرزَ قبرُهُ، غير أنه خَشي أن يُتَّخذَ مسجداً(٢).

١٦ - ٢ - عن جندب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « .. ألا وإنَّ من كان قبلَكُم كانوا يتَّخذونَ قُبورَ أنبيائهم مساجدَ، ألا فلا تتَّخذوا القبورَ مساجد، إنِّي أنهاكُم عن ذلك»(٣).

١٧ - السؤال بوجه الله تعالى وعدم الإجابة به:

قال تعالى: ﴿**مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا** ﴾ [نوح:١٣]

١٧ - ١ - عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعون من سأل بوجه الله، وملعون من يُسأل بوجه الله ثم منع سائله، ما لم يسأله هجراً»(٤).

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه (٣١٩٠) (٢/٣٥١).

(٢) صحيح البخاري (١٣٩٠) (٢/٤٢٤).

(٣) صحيح مسلم (٥٣٢) (١/٣١٦).

(٤) أخرجه ابن عساكر والطبراني، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٢٩٠) (٥/٣٦٣).

ومكمن الأذى فيه أن يجيبك لما لا تهوى نفسه ، وما فيه مشقة عليه أو ضرر به؛ خوفًا من الوقوع في الإثم مع ما فيه من تعدٍ على الله واستهانة به سبحانه .

١٨ ـ سبُّ أصحاب رسول الله:

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [الحشر:١٠].

وقال تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الفتح:٢٩].

١٨ ـ ١ ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبُّوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهبا، ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه»(١).

١٨ ـ ٢ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سبَّ أصحابي، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»(٢).

١٨ ـ ٣ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لعنَ الله من سبَّ أصحابي»(٣).

---

(١) صحيح مسلم (١٥٤٠) (٤/١٥٦٢).

(٢) أخرجه الطبراني، انظر: صحيح الجامع (٦٢٨٥) (٢/١٠٧٧) قال الألباني: حسن.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٣٤٠) (٥/٤٤٦).

١٩ ـ الكذب المتعمد على الرسول :

١٩ ـ ١ ـ عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : « من كذبَ عليَّ عامداً فليتبوأ مقعده من النار »(١).

١٩ ـ ٢ ـ قال رسول الله ﷺ : « من روى عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين »(٢).

١٩ ـ ٣ ـ عن سالم عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الذي يكذِبُ عليَّ يُبنى له بيت في النار »(٣).

وقد ذهب طائفةٌ من العلماء إلى أنَّ الكذب على رسول الله ﷺ كفر ينقل عن المِلَّة، ولا ريب أن تعمد الكذب على الله ورسوله ﷺ في تحليل حرام أو تحريم حلال كفر(٤).

٢٠ ـ المجاهرة بالمعصية أمام الناس :

٢٠ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : « كلُّ أمتي معافى إلا المجاهرون، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يُصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا. وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه »(٥).

ولا يخفى ما في ذلك من تزيين المنكر والدعوة إليه والترغيب فيه، مما قد يُغري ضعاف الإيمان بالوقوع فيه والإلمام به، ويؤذي الصالحين بسماع من يتباهى بمقارفة الذنوب، ويتبجح بمعصية رب العالمين .

(١) صحيح البخاري (١١٠) (١/٤٤).
(٢) صحيح مسلم (٤) (١/٢٣).
(٣) أخرجه أحمد في المسند ، انظر: السلسة الصحيحة (١٦١٩) (٤/١٥٣).
(٤) الكبائر ـ الذهبي ـ ص٦١.
(٥) صحيح البخاري (٦٠٦٩) (٧/١١٧).

٢١ ـ محبة وقوع الناس في المعاصي:

قال تعالى: **﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾** [البقرة:١٠٩].

وقال تعالى: **﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾** [النساء:٨٩].

وقال تعالى: **﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾** [القلم:٩].

وقال تعالى: **﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾** [الممتحنة:٢].

٢١ ـ ١ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه»(١). وفي رواية: «لنفسه من الخير»(٢).

٢٢ ـ المراء في دين الله تعالى بجهل أو لنصرة باطل:

٢٢ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «المراء في القرآن كُفرٌ»(٣).

٢٢ ـ ٢ ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ـ رضي الله عنه ـ قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفقأ في وجهه حبُّ الرمان من الغضب، فقال: «بهذا أُمرتُم أو لهذا خُلقتُم؟ تضربونَ القرآنَ بعضَهُ ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلَكُم».

قال: فقال عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما: ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه(٤).

(١) صحيح البخاري (١٣) (١/ ١١).

(٢) صحيح سنن النسائي (٤٦٤٤) (٣/ ١٠٣٢).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٣٨٤٧) (٣/ ٨٧٠).

(٤) صحيح سنن ابن ماجه (٦٩) (١/ ٢١).

٢٣ ـ معاداة أولياء الله تعالى:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**﴾ [الحج:٣٨]

قال تعالى: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [يونس:٦٢].

٢٣ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»(١).

يعني: فقد أعلمته بأني محارب له حيث كان محاربا لي بمعاداته أوليائي(٢).

٢٣ ـ ٢ ـ عن عائذ بن عمرو، أن أبا سفيان ـ رضي الله عنه ـ أتى على سلمانَ ـ رضي الله عنه ـ وصُهيبٍ ـ رضي الله عنه ـ وبلالٍ ـ رضي الله عنه ـ في نفرٍ، فقالوا: والله ما أخذَت سُيُوفُ الله مِن عُنُقِ عدُوِّ الله مأخَذَها. قال: فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه: أتقُولونَ هذا لشيخِ قُريشٍ وسيِّدِهُم؟ فأتَى النَّبيَّ ﷺ فأخبَرَهُ، فقال ﷺ: «يا أبا بكرٍ لعلَّكَ أغضَبتَهُم، لئن كُنتَ أغضبتَهُم لقد أغضَبتَ ربَّكَ». فأتاهُم أبو بكرٍ، فقالَ: يا إِخوتاه! أغضَبتُكُم؟ قالوا: لا، يغفرُ اللهُ لك يا أُخيَّ(٣).

---

(١) صحيح البخاري (٦٥٠٢) (٧/٢٤٣).

(٢) جامع العلوم والحكم ـ ابن رجب الحنبلي ـ ص ٤٣٧.

(٣) صحيح مسلم (٢٥٠٤) (٤/١٥٤٦).

كتاب أعمال القلوب

٢٤ ـ اتهام الناس في نواياهم:

قال تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء:٣٦].

٢٤ ـ ١ ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال خالد بن الوليد رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: كم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه؟! قال رسول الله ﷺ: «إني لم أؤمر أن أنقِّبَ على قلوب الناس ولا أشق بطونهم»(١).

٢٤ ـ ٢ ـ عن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سريَّة، فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلاً، فقال: لا إله إلا الله. فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ فقال: «أقال: لا إله إلا الله. وقتلته؟!». قال: قلت: يا رسول الله! إنما قالها خوفًا من السلاح. قال: «أفلا شققت عن قلبه». حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ(٢).

٢٤ ـ ٣ ـ عن عمران بن الحصين ـ رضي الله عنه ـ قال: شهدت رسول الله ﷺ وقد بعث جيشًا من المسلمين إلى المشركين، فلما لقوهم قاتلوهم قتالاً شديداً فمنحوهم أكتافهم، فحمل رجل من لحمتي على رجل من المشركين بالرمح، فلما غشيه، قال: أشهد أن لا إله إلا الله إنِّي مسلم. فطعنه فقتله، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! هلكت. قال: «وما الذي صنعت؟». مرَّة أو مرتين. فأخبر بالذي صنع، فقال له رسول الله ﷺ: «فهلاَّ شققت عن بطنه فعلمت ما فيه».

---

(١) صحيح مسلم (١٠٦٤) (٢/٦١٠).

(٢) صحيح مسلم (٩٦) (١/٩٢).

قال: لا يا رسول الله. فسكت عنه رسول الله ﷺ فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات، فدفناه.

فأصبح على ظهر الأرض، فقالوا: لعلَّ عدواً نبشه. فدفناه، ثم أمرنا غلماننا يحرسونه، فأصبح على ظهر الأرض، فقلنا: لعلَّ الغلمان نعسوا. فدفناه، ثم حرسناه بأنفسنا، فأصبح على ظهر الأرض، فألقيناه في بعض الشعاب، فأخبر النبي ﷺ وقال: «إن الأرض لتقبل من هو شرٌّ منه، ولكن الله أحبَّ أن يريكم تعظيم حرمة لا إله إلا الله»(١).

وذلك مثل اتهامهم بالنفاق في معتقدهم، والرياء في أعمالهم، وسواد القلب وخبثه في سلوكهم، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله، ولم يطلع عليه سواه، فنحن لنا الظاهر، والله تعالى يتولى السرائر، والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

٢٥ ـ احتقار المسلم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣].

وقال تعالى: ﴿...وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود:٣١].

٢٥ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»(٢).

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه (٣١٧٥) (٢/٣٤٨).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٦٤) (٤/١٥٦٤).

٢٥ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «المُسلمُ أخو المُسلمِ، لا يخُونُهُ ولا يَكذبُهُ ولا يَخذُلُهُ، كلُّ المُسلمِ على المُسلمِ حرامٌ؛ عِرضُهُ ومالُه ودَمُهُ، التقوى هَهُنا ـ وأشار إلى القلب ـ بحسبِ امرئٍ مِن الشَّرِّ أن يحتَقِرَ أخاهُ المُسلِمَ»(١).

ينبغي ألا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن يقتحمه بعينيه إذا رآه رث الحال، أو ذا عاهة في بدنه، أو غير لبق في محادثته، فلعله أخلص ضميراً وأنقى قلباً ممن هو على ضد صفته، فيظلم نفسه بتحقير من وقَّره الله، والاستهزاء بمن عظَّمه الله(٢).

٢٦ ـ بغض أهل بيت رسول الله:

قال تعالى **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**

[الإحزاب:٣٣]

٢٦ ـ ١ ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار»(٣).

٢٧ ـ بغض الأنصار:

قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [الحشر:٩].

٢٧ ـ ١ ـ عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»(٤).

---

(١) صحيح سنن الترمذي (١٥٧٢) (٢/١٨٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي (٦/٢١٣).

(٣) أخرجه الحاكم وابن حبان، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٤٨٨) (٥/٦٤٣).

(٤) صحيح مسلم (٧٥) (١/٨٣).

٢٧ - ٢ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر»(١).

٢٨ - بغض المسلمين وكراهيتهم:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [الحجرات: ١٠].

٢٨ - ١ - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا و لا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»(٢).

والمذموم منه ما كان في غير الله تعالى(٣).

فأما البغض في الله فهو من أوثق عرى الإيمان، وليس داخلا في النهي(٤).

٢٩ - التعاظم على الناس:

قال تعالى: ﴿**وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [لقمان: ١٨].

٢٩ - ١ - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»(٥).

٢٩ - ٢ - عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجلٍ يتعاظمُ في نفسه، أو يختال في مشيته، إلا لقي الله عزَّ وجلَّ وهو عليه غضبان»(٦).

---

(١) صحيح مسلم (٧٦) (١/٨٣).

(٢) صحيح البخاري (٦٠٦٥) (٧/١١٦).

(٣) فتح الباري - ابن حجر (١/٤٩٨).

(٤) جامع العلوم والحكم - ابن رجب - ص ٤٠٠.

(٥) صحيح مسلم (٩١) (١/٨٩)

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد والحاكم وأحمد، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٢٧٢) (٥/٣٤٢).

٢٩ ـ ٣ ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحشر المتكبرون أمثال الذر يوم القيامة في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن من جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار يُسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»(١).

٣٠ ـ حسد المسلم:

قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء:٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ..﴾ [النساء:٣٢].

وقال تعالى: ﴿لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا﴾ [الأنعام:٥٣].

وقال تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:١٠٩].

وقال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥].

٣٠ ـ ١ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إيَّاكُم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث، ولا تحسَّسوا ولا تجسَّسوا ولا تحاسدوا ولا تدابَرُوا ولا تباغضوا، وكونوا عبادَ الله إخواناً»(٢).

٣٠ ـ ٢ ـ عن الزبير ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «دبَّ إليكم داءُ الأمم قبلَكم؛ الحسدُ والبغضاءُ، هيَ الحالقةُ؛ لا أقولُ تحلقُ الشعرَ ولكن تحلقُ الدين»(٣).

٣٠ ـ ٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمعانِ في النَّار مُسلمٌ قَتَلَ كافراً، ثم سدَّد وقارب، ولا يجتمعان في جوف مؤمنٍ غبارٌ في سبيل الله وفيحُ جهنَّم، ولا يجتمعانِ في قلبِ عبدٍ الإيمانُ والحسد»(٤).

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٢٠٢٥/٢) (٣٠٤/٢) وقال الألباني: حسن.

(٢) صحيح البخاري (٦٠٦٤) (١١٦/٧).

(٣) صحيح سنن الترمذي (٢٠٣٨) (٣٠٧/٢).

(٤) صحيح سنن النسائي (٢٩١٢) (٦٥٢/٢).

٣٠ - ٤ - وعن ضمرة بن ثعلبة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزالُ النَّاسُ بخيرٍ ما لم يتحاسَدُوا»(١).

٣٠ - ٥ - عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «استعينُوا على إنجاحِ الحوائج بالكتمانِ، فإنَّ كل ذي نعمة محسود»(٢).

٣١ - الحقد على المسلم:

قال تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ..﴾ [الأعراف: ٤٣].

٣١ - ١ - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الناس كل مخموم القلب، صدوق اللسان». قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال ﷺ: «التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غلَّ ولا حسد»(٣).

كتاب العلم:

٣٢ - إشغال أهل العلم والفضل بما لا فائدة فيه:

قال تعالى: ﴿..وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ..﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال إسماعيل بن حكيم: وهذا أدبٌ أدَّبَ الله به الثقلاء.

وقال ابن أبي عائشة: حسبك من الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم(٤).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٣٨٦) (٧/١١٥٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الصغير والروياني في المسند، انظر: السلسلة الصحيحة (١٤٥٣) (٣/٤٣٦).

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (٣٣٩٧) (٢/٤١١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي (١٤/١٤٦).

ومن الأذى المكوثُ عندهم لوقت طويل دون فائدة كبيرة، وإشغالهم عن المهمات العظيمة التي يصبون إلى تحقيقها لنفع الإسلام والمسلمين، بطول الحديث فيما لا ينفع، وطلب العون منهم فيما يمكن أن يقوم به غيرهم ممن هم دونهم، فإن وقتهم عزيز، وأعمارهم أغلى من أن تُهدر فيما لا يذكر.

٣٣ ـ إهانة أهل العلم وعدم احترامهم:

قال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر:٩].

٣٣ ـ ١ ـ عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من إجلالِ الله إكرامَ ذي الشيبةِ المسلم، وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السُّلطانِ المقسِطِ»(١).

٣٣ ـ ٢ ـ عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من أُمَّتي من لم يُجلَّ كبيرَنا، ويَرحم صغيرَنا، ويعرِف لعالمنا»(٢).

٣٣ ـ ٣ ـ عن عبد الله بن بُسر ـ رضي الله عنه ـ قال ـ قال رسول الله ﷺ: «إذا كُنتَ في قومٍ؛ عشرين رجلاً أو أقلَّ أو أكثرَ، فتصفَّحتَ وجوهَهم فلم ترَ فيهم رجلاً يُهابُ في الله عز وجل، فاعلم أن الأمر قد رقَّ»(٣).

٣٤ ـ التباهي على الناس بالعلم وزعم الإحاطة به:

٣٤ ـ ١ ـ عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يظهرُ الإسلامُ حتى تَختَلفَ التُّجارُ في البحر، وحتى تَخوضَ الخيلُ في سبيل الله، ثم يظهرُ قومٌ يقرءون القرآن، يقولون: من اقرأُ منّا؟ من أعلمُ منا؟ من أفقه منا؟».

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٤٠٥٣) (٣/٩١٨).

(٢) رواه أحمد في المسند، والطبراني والحاكم، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٠٢) (١/١٥٢).

(٣) رواه أحمد في المسند والكبراني في الكبير، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٠٤) (١/١٥٢).

ثم قال لأصحابه: «هل في أولئك مِن خيرٍ؟!». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال ﷺ: «أولئك منكم من هذه الأمّة، وأولئك هم وقودُ النارِ»(١).

٣٤ - ٢ - عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - عن رسول الله ﷺ أنّه قام بمكةَ من الليل، فقال: «اللهم هل بلَّغتُ؟». ثلاث مرات، فقامَ عمرُ بن الخطابِ - رضي الله عنه - وكان أوَّاهاً، فقال: اللهم نَعَم، وحرَّضتَ وجَهَدتَ ونَصحتَ فقال: «ليَظهرنَّ الإيمانُ حتى يُرَدَّ الكفرُ إلى مواطنه، ولَتُخاضَنَّ البحارُ بالإسلام، وليأتينَّ على الناسِ زمانٌ يتعلمون فيه القرآن، يتعلَّمونَه ويَقرءونَه، ثم يقولون: قد قرأنا وعلِمنا، فمن ذا الذي هو خيرٌ منا؟ فهل في أولئك من خيرٍ؟!». قالوا: يا رسولَ الله، مَن أولئك؟ قال ﷺ: «أولئك منكم، وأولئك هم وَقودُ النار»(٢).

٣٥ - تعسير تعليم القرآن الكريم بأخذ الأجرة الباهظة عليه وغيرها:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧].

٣٥ - ١ - عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: عَلَّمتُ ناساً من أهل الصُّفَّةِ القرآن والكتابة، فأهدى إليَّ رجل منهم قوساً، فقلت: ليست بمال وأرمي بها في سبيل الله. فسألت رسول الله ﷺ عنها، فقال: «إن سرَّكَ أن تُطَوَّقَ بها طَوقاً مِن نارٍ فاقبَلها»(٣).

٣٥ - ٢ - عن أُبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: علمت رجلاً القرآن، فأهدى إليَّ قوساً، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «إن أخذتَها أخذتَ قوساً من نارٍ» فرددتها(٤).

(١) رواه الطبراني في الأوسط، انظر: صحيح الترغيب والترهيب، (١٣٦) (١/١٦٦).

(٢) رواه الطبراني في الكبير، انظر: صحيح الترغيب (١٣٧) (١/١٦٧).

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (١٧٥٠) (٢/٨).

(٤) صحيح سنن ابن ماجه (١٧٥١) (٢/٨).

٣٥ ـ ٣ ـ عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أخذ على تعليم القرآن قوساً، قلده الله قوساً من نار يوم القيامة»(١).

٣٥ ـ ٤ ـ عن معاوية ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرءوا القرآن، ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به، ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه»(٢).

٣٦ ـ الحديث بكل ما سمع:

قال تعالى: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق:١٨].

٣٦ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرءِ إثماً أن يحدِّث بكلِّ ما سمع»(٣).

٣٦ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً؛ فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرةَ السؤال، وإضاعةَ المال»(٤).

٣٦ ـ ٣ ـ عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى حرَّم عليكم عقوق الأمهات، ووأدَ البناتِ، ومنعاً وهاتِ، وكره لكم؛ قيلَ وقالَ، وكثرةَ السؤالِ، وإضاعةَ المالِ»(٥).

---

(١) رواه أبو محمد المخلدي في الفوائد وابن عساكر في تاريخ دمشق، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٥٦) (١/٤٥٧).

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح المعاني وأحمد والطبراني في الأوسط، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٦٠) (١/٤٦٥).

(٣) صحيح مسلم (٥) (١/٢٤).

(٤) صحيح مسلم (١٧١٥) (٣/١٠٨٠).

(٥) صحيح مسلم (٥٩٣) (٣/١٠٨١).

٣٧ ـ الحديث للناس بما لا يفقهون:

قال عليٌّ ـ رضي الله عنه: حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذَّبَ الله ورسوله(١).

قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: ما أنت محدِّثٌ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة(٢).

وقال هشام بن عروة، قال لي أبي ـ رضي الله عنهما: ما حدَّثتُ أحداً بشيءٍ من العلم قط لم يقبله عقله إلا كان ضلالاً عليه(٣).

٣٨ ـ حرمان الناس من أحاديث رسول الله ﷺ بإنكارها بعد ثبوتها:

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

٣٨ ـ ١ ـ عن أبي رافع أسلم ـ رضي الله عنه ـ مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ألفينَّ أحدكُم مُتَّكِئاً على أريكته يأتيه أمرٌ مما أمرتُ به أو نهيتُ عنه، فيقول: لا أدري. ما وجدنا في كتاب الله اتَّبعنَاه»(٤).

٣٨ ـ ٢ ـ عن المقدام بن معد يكرب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل عَسى رجلٌ يَبلُغُهُ الحديثُ عنِّي وهو مُتَّكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينَكم كتابُ الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناهُ، وما وجدنا فيه حراماً حرَّمناهُ، وإنَّ ما حرَّم رسولُ الله ﷺ كما حرَّمَ الله»(٥).

٣٨ ـ ٣ ـ وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أوتيتُ الكتابَ وما يعدِلُه، ـ يعني مثله ـ يوشكُ شبعانُ على أريكته، يقول: بيننا وبينكم هذا

(١) صحيح البخاري (١/٥٠).

(٢) صحيح مسلم (١/٢٥).

(٣) صحيح مسلم في المقدمة باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، سير أعلام النبلاء.

(٤) صحيح سنن الترمذي (٢١٤٥) (٢/٣٣٩).

(٥) صحيح سنن الترمذي (٢١٤٦) (٢/٣٣٩).

الكتابُ، فما كانَ فيه من حلالٍ أحلَلناه، وما كان فيه من حرامٍ حرَّمناه، ألا وإنه ليس كذلك»(١).

٣٩ ـ رد النصيحة والموعظة:

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ [البقرة:٢٠٦].

٣٩ ـ ١ ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أحبَّ الكلامِ إلى الله أن يقولَ العبدُ: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمُك، وتعالى جدُّك، ولا إله غيرك، وإنَّ أبغض الكلام إلى الله أن يقولَ الرجلُ للرجلِ: اتَّق اللهَ. فيقول: عليك نفسك»(٢).

٣٩ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ذُكِّرتُم بالله فانتهُوا»(٣).

٤٠ ـ السكوت عن قول الحق:

قال تعالى: ﴿**فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [التوبة:١٣].

وقال تعالى: ﴿**فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**﴾ [المائدة:٤٤].

٤٠ ـ ١ ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا لا يَمنَعنَّ رجلاً هيبةُ الناسِ أن يقولَ بحقٍّ إذا عَلِمَهُ»(٤).

---

(١) رواه عباس الترقفي في حديثه، انظر: السلسة الصحيحة (٢٨٧٠) (٦/٨٧١).

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة والبيهقي في الشعب، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٩٣٩) (٦/١٠٥٥).

(٣) رواه البزار، انظر: السلسلة الصحيحة (١٣١٩) (٣/٣٠٩).

(٤) صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٣٧) (٢/٣٦٨).

٤٠ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا لا يمنعن أحدكم رهبةُ الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يقرِّبُ من أجل ولا يباعد من رزق أن يقول بحقٍ أو يذكِّر بعظيم»(١).

٤١ ـ عدم التثبت في الأخبار عند نقلها:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ [الحجرات: ٦].

وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بنبأ، أي: خبر، أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجرداً، فإن ذلك خطراً كبيراً، ووقوعاً في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فيحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق، بسبب ذلك الخبر ما يكون سبباً للندامة، بل الواجب عند سماعه خبر الفاسق التثبت والتبين(٢).

٤٢ ـ الغلظة في غير موضعها في تعليم الناس والإنكار عليهم:

٤٢ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: «دعوه وأهريقوا على بوله سجلا من ماء ـ أو ذنوبا من ماء ـ فإنما بعثتم ميسرين ولم تُبعثوا معسرين»(٣).

٤٢ ـ ٢ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً»(٤).

٤٢ ـ ٣ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «علِّموا ويسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت»(٥).

---

(١) رواه أحمد في المسند، انظر: السلسلة الصحيحة (١٦٨) (/١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ـ السعدي (٧/١٣٠).

(٣) صحيح البخاري (٢٢٠) (١/٧٦).

(٤) صحيح مسلم (١٤٧٩) (٢/٨٩٤).

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد في المسند، انظر: السلسلة الصحيحة (١٣٧٥) (٣/٣٦٣).

٤٣ ـ الفتوى بغير علم:

قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء:٣٦].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٩].

٤٣ ـ ١ ـ عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يقبضُ العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا»(١).

٤٣ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَن أُفتيَ بغير علمٍ كانَ إثمُهُ على مَن أفتَاهُ، ومن أشارَ على أخيه بأمرٍ يعلمُ أنَّ الرشدَ في غيرِه فقد خانَهُ»(٢).

٤٣ ـ ٣ ـ عن جابر ـ رضي الله عنهما ـ قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجَّه في رأسه، ثم احتلم فسأل أصحابه، فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء. فاغتسل، فمات. فلما قدمنا على النبي ﷺ أُخبرَ بذلك، فقال ﷺ: «قَتَلوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، ألا سألوا إذا لم يَعلَمُوا، فإنما شفاء العِيِّ السؤالُ، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر ـ أو يعصب ـ على جرحه خرقة، ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده»(٣).

---

(١) صحيح البخاري (١٠٠) (١/٤١).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٣١٠٥) (٢/٦٩٦).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٣٢٥) (١/٦٨).

٤٤ ـ كتم العلم عمن يحتاجه:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران:١٨٧].

٤٤ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سُئِلَ عن علمٍ فكتمَهُ، أَلجمَهُ الله بلجامٍ من نارٍ يومَ القيامةِ»(١).

٤٤ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه، إلا أُتي به يوم القيامة مُلجماً بلجام من نار»(٢).

٤٤ ـ ٣ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثلُ الذي يتعلَّمُ العلمَ ثمَّ لا يحدِّثُ به، كمثلِ الذي يكنزُ الكنزَ فلا ينفقُ منه»(٣).

وهذا في العلم الذي يلزمه تعليمه إياه، ويتعين عليه فرضه، كمن رأى كافراً يريد الإسلام يقول: علمني ما الإسلام؟ وما الدين؟ وكمن يرى رجلاً حديث العهد بالإسلام لا يحسن الصلاة وقد حضر وقتها، يقول: علموني كيف أصلي؟ وكمن جاء مستفتياً في حلال أو حرام، يقول: أفتوني وأرشدوني، فإنه يلزم في مثل هذه الأمور أن لا يمنعوا الجواب عما سألوا عنه من العلم، فمن فعل ذلك آثماً مستحقاً للوعيد والعقوبة، وليس كذلك الأمر في نوافل العلم التي لا ضرورة بالناس إلى معرفتها(٤).

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣١٠٦) (٢/٦٩٦).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٢١٠) (١/٤٩).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٤٧٩) (٧/١٤٠١).

(٤) معالم السنن ـ الخطابي (٤/١٧١).

٤٥ ـ مماراة الناس بالعلم وحب الظهور عليهم:

٤٥ ـ ١ ـ عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب العلمَ ليجاري به العلماءَ وليماري به السفهاءَ، وليصرفَ به وجوهَ الناس إليه، أدخلهُ اللهُ النارَ»(١).

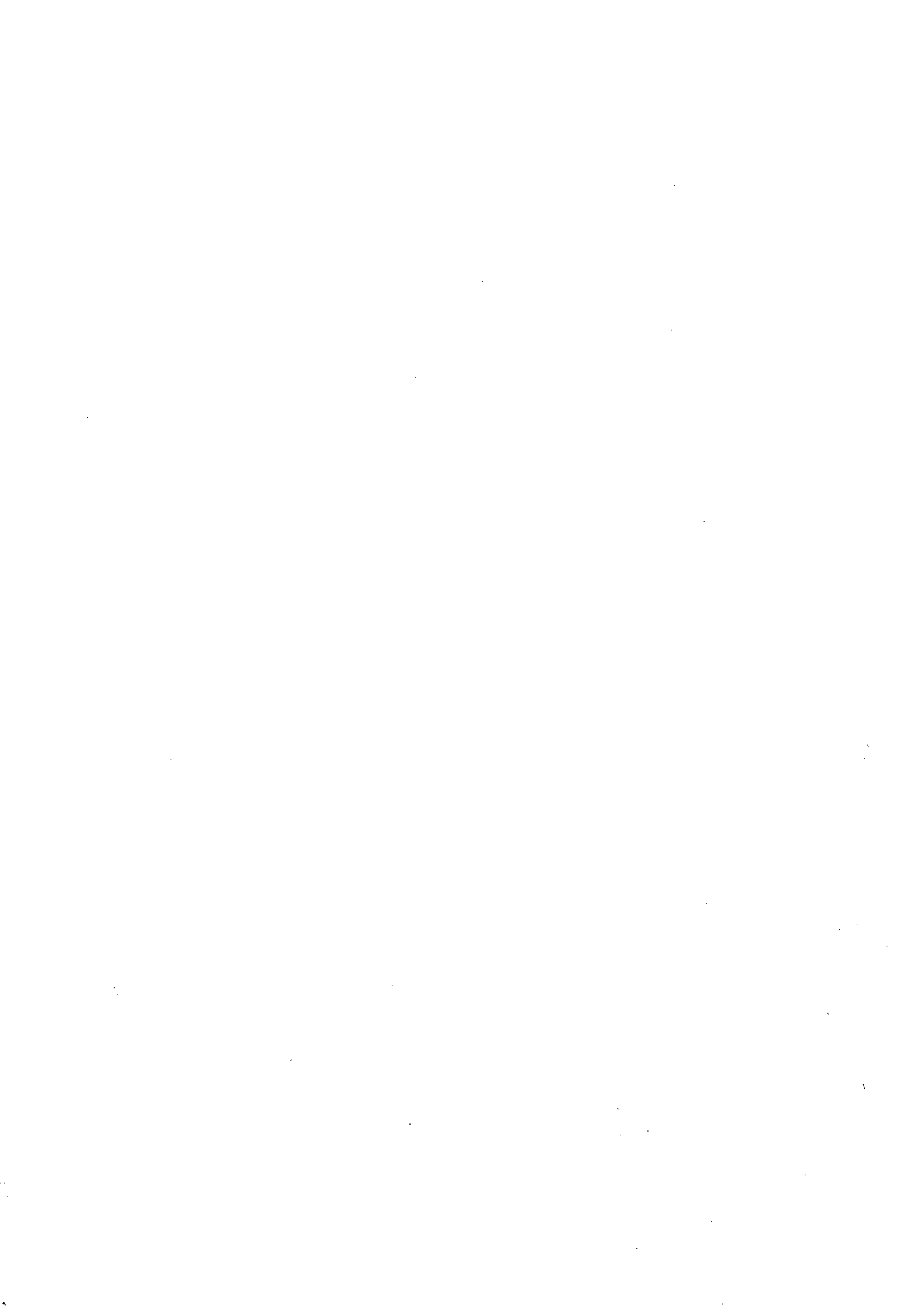
٤٥ ـ ٢ ـ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تعلَّموا العلمَ لتُباهوا به العلماء، ولا لِتُمَاروا به السُّفهاء، ولا تَخيَّرُوا به المجالسَ، فمن فعلَ ذلكَ فالنَّارُ النَّارُ»(٢).

٤٥ ـ ٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن تعلَّم ممَّا يُبتغى به وجهُ الله عزَّ وجلَّ لا يتَعلَّمُهُ إلا ليُصيبَ به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرفَ الجنَّة يوم القيامة»(٣). يعني ريحها.

(١) صحيح سنن الترمذي (٢١٣٨) (٢/٣٣٧).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٢٠٧) (١/٤٨).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٣١١٢) (٢/٦٩٧).



كتاب الطهارة

٤٦ ـ البول في الماء الراكد:

٤٦ ـ ١ ـ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: نهى ﷺ أن يبالَ في الماء الراكد(١).

٤٦ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبولنَّ أحدُكُم في الماءِ الدائمِ ثمَّ يغتسِلَ منه»(٢).

٤٦ ـ ٣ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبولنَّ أحدكُم في الماء الناقِع»(٣).

٤٧ ـ التخلي (قضاء الحاجة) في طريق الناس أو ظلِّهم أو مواردهم:

٤٧ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا اللاعنين». قالوا: وما اللاعنانِ يا رسول الله؟ قال: «الذي يتخلَّى في طُرُقِ الناسِ أو في ظِلِّهم»(٤).

٤٧ ـ ٢ ـ عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقوا الملاعنَ الثَّلاثَ؛ البرازَ في المَواردِ، وقارعةِ الطريقِ، والظِّلِّ»(٥).

٤٧ ـ ٣ ـ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تنزِلوا على جوادِّ الطُّرقِ، ولا تقضوا عليها الحاجات»(٦).

---

(١) صحيح مسلم (٢٨١) (١٩٨/١).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٦٣) (٦١/١).

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (٢٧٥) (٦١/١).

(٤) صحيح مسلم (٢٦٩) (١٩٠/١).

(٥) صحيح سنن أبي داود (٢١) (٨/١).

(٦) صحيح سنن ابن ماجه (٣٠٤٠) (٣١٢/٢).

٤٧ ـ ٤ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقوا الملاعِنَ الثلاث؛ أن يقعدَ أحدكم في ظلٍّ يُستظلُّ فيه، أو في طريقٍ، أو في نقعِ ماءٍ»(١).

ومعناه: اتقوا الفعلين الجالبين للعن، وذلك أن من فعلهما لُعِنَ وشُتِم(٢).

وربما المقصود: أي اتقوا الفعلين الملعون فاعلهما، من باب إسناد الفاعل للمفعول، والمراد من الظل: الموضع الذي يستظلُّه الناس، واتخذوه محلَّ نزولهم، **وليس كلُّ ظلٍّ يحرمُ القعودُ للحاجة فيه**(٣).

٤٨ ـ القرب من الناس حين التخلي في غير بنيان:

٤٨ ـ ١ ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كان إذا أرادَ البرازَ انطلَقَ حتى لا يراهُ أحدٌ(٤).

٤٨ ـ ٢ ـ عن أبي يعلى بن مرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان إذا ذهب إلى الغائط أبعد(٥).

٤٨ ـ ٣ ـ عن عبد الرحمن بن أبي قُرادٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: حججت مع النبي ﷺ فذهب لحاجته فأبعد(٦).

ومعنى أبعد: أي أمعن في الذهاب(٧).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، انظر: صحيح الجامع (١١٣) (١/٨٤).

(٢) شرح السنة ـ البغوي (١/٣٨٣).

(٣) شرح السنة ـ البغوي (١/٣٨٤).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٢) (١/٤).

(٥) صحيح سنن ابن ماجه (٢٦٦) (١/٥٩).

(٦) صحيح سنن ابن ماجه (٢٦٧) (١/٦٠).

(٧) شرح السنة ـ البغوي (١/٣٧٣).

٤٩ ـ كشف العورة عند قضاء الحاجة:

٤٩ ـ ١ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ كان إذا أراد حاجة لا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض(١).

٤٩ ـ ٢ ـ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا تَغوَّطَ الرَّجُلان، فلْيتَوارَ كلٌّ واحدٍ منهما عن صاحبه، ولا يتحدَّثان على طَوفِهِما، فإنَّ الله يمقُتُ على ذلك»**(٢).

٤٩ ـ ٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يخرج اثنان إلى الغائط فيجلسان يتحدثان كاشفين عن عورتهما، فإن الله يمقت على ذلك»**(٣).

---

(١) صحيح سنن أبي داود (١١) (١/٦).

(٢) رواه جماعة، انظر: السلسلة الصحيحة (٣١٢٠) (٧/٣٢١).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٥٦) (١/١٧٥).



كتاب المساجد

٥٠ ـ إقامة الحدود في المساجد:

٥٠ ـ ١ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُقامُ الحُدُودُ في المساجِدِ»(١).

٥٠ ـ ٢ ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ نهى عن إقامة الحد في المساجد(٢).

٥٠ ـ ٣ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: نهى ﷺ عن جَلدِ الحدِّ في المساجِدِ(٣).

٥١ ـ إنشاد الضالة في المسجد:

٥١ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمعَ رجلاً ينشدُ ضالةً في المسجد فليقل: لا ردَّها الله عليك؛ فإنَّ المساجد لم تُبنَ لهذا»(٤).

٥١ ـ ٢ ـ عن بريدةَ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبيَّ ﷺ لَمَّا صلَّى قامَ رجلٌ فقال: مَن دعا إلى الجملِ الأحمَرِ؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «لا وجَدتَ، إنَّما بُنيتَ المساجدُ لِما بُنيَت لهُ»(٥).

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه (٢١٠٥) (٢/٨٩)

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٢١٠٦) (٢/٨٩)

(٣) رواه ابن ماجه، انظر: صحيح الجامع (٦٩٥٢) (٢/١١٦٨).

(٤) صحيح مسلم (٥٦٨) (١/٣٣٢).

(٥) صحيح مسلم (٥٦٩) (١/٣٣٢).

يؤخذ منه منع السُّؤَّال من الطُّوَّاف في المسجد[1].

وقد كره بعض السلف المسألة في المسجد، وكان بعضهم لا يرى أن يتصدق على السائل المعترض في المسجد[2].

٥٢ ـ البزاق في المسجد:

٥٢ ـ ١ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «البُصاقُ في المسجد خَطيئةٌ، وكفَّارتُها دفنُها»[3].

٥٢ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من دخل في هذا المسجد فبزقَ فيه أو تنخَّمَ فليحفر فليدفنه، فإن لم يفعل فليبزق في ثوبه ثم ليخرج به»[4].

٥٣ ـ البيع في المسجد:

٥٣ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم من يَبيعُ أو يبتاعُ في المسجدِ، فقولوا: لا أربحَ اللهُ تجارتكَ. وإذا رأيتُم من ينشُد ضالةً، فقولوا: لا ردَّها اللهُ عليك»[5].

٥٣ ـ ٢ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ نهى عن الشراء والبيع في المسجد، وأن تُنشَدَ فيه ضالة، وأن ينشد فيه شعر، ونهى عن التحلُّق قبل الصلاة يوم الجمعة[6].

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ـ النارزي (١/٢٨٠).

(٢) معالم السنن ـ الخطابي (١/١٢٤).

(٣) صحيح مسلم (٥٥٢) (١/٣٢٦).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٤٥٢) (١/٩٤).

(٥) صحيح سنن الترمذي (١-٦٦) (٢/٣٤).

(٦) صحيح سنن أبي داود (٩٥٦) (١/٢٠١).

٥٤ ـ تخريب المساجد والسعي في منع الذكر فيها :

قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:١١٤].

٥٤ ـ ١ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تتَّخذوا المساجدَ طُرُقاً إلا لذكرٍ أو صلاةٍ»(١).

٥٥ ـ تقذير المساجد وتنجيسها :

٥٥ ـ ١ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «إنَّ هذه المساجدَ لا تصلُحُ لشيءٍ من هذا البولِ والقذرِ، إنَّما هيَ لذكرِ الله عزَّ وجلَّ والصلاةِ وقراءةِ القرآنِ»(٢).

٥٥ ـ ٢ ـ عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : «عُرضت عليَّ أعمالُ أُمتي حَسَنها وسيِّئها، فوجدتُ في محاسنِ أعمالها الأذى يُماطُ عن الطريقِ، ووجدتُ في مساوئ أعمالها ؛ النُّخاعَةَ تكونُ في المسجدِ لا تُدفَنُ»(٣).

٥٦ ـ تناشد الأشعار فيها وفتنة المصلين بالانشغال بها :

٥٦ ـ ١ ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن تناشد الأشعار في المساجد، وعن البيع والشراء فيه، وأن يتحلق الناس فيه يوم الجمعة قبل الصلاة(٤).

٥٦ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال : نهى رسول الله ﷺ عن البيع والابتياع، وعن تناشد الأشعار في المساجد(٥).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وابن عساكر في تاريخ دمشق ، انظر: السلسلة الصحيحة (١٠٠١) (٣/٣).
(٢) صحيح مسلم (٢٨٥) (١/١٩٩).
(٣) صحيح مسلم (٥٥٣) (١/٣٢٦).
(٤) صحيح سنن الترمذي (٢٦٥) (١/١٠٣).
(٥) صحيح سنن ابن ماجه (٦٠٧) (١/١٢٥).

٥٧ ـ جلب ما يؤذي الناس إلى المساجد :

٥٧ ـ ١ ـ عن أبي بُردَة عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ﷺ قال : «مَن مرَّ في شيءٍ من مساجِدنا أو أسواقنا بنبلٍ فليأخُذ على نصالِها، لا يعقِر بكفِّه مسلماً»(١) .

٥٧ ـ ٢ ـ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال : إن رجلاً مرَّ بأسهُمٍ في المسجد قد أبدى نُصُولَها، فأُمِرَ ـ الآمر رسول الله ﷺ ـ أن يأخُذَ بِنُصُولها كي لا يخدِشَ مُسلماً(٢) .

٥٨ ـ حجز مكان معين في المسجد :

٥٨ ـ ١ ـ عن عبد الرحمن بن شبل ـ رضي الله عنه ـ قال : نهى ﷺ عن نقرةِ الغُرابِ، وافتراش السَّبعِ، وأن يوطِّن الرجلُ المكان في المسجد كما يوطِّن البعيرُ»(٣) .

وآفة ذلك فتنة الرياء وحب محمدةَ الناس، ومن أضراره حرمان المسلمين من ذلك المكان بحجزه عنهم، وأخذه منهم من دون تَبكيرٍ له أو مبادرةٍ إليه .

٥٩ ـ الدخول إلى المسجد بالروائح الكريهة :

٥٩ ـ ١ ـ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا، وليعتزل مسجدنا، وليقعد في بيته»(٤) .

٥٩ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «من أكل من هذه البقلة ؛ الثوم والبصل والكُرَّاث، فلا يقربنا في مسجدنا، فإنَّ الملائكة تتأذَّى مما يتأذى منه بنو آدم»(٥) .

---

(١) صحيح البخاري (٤٥٢) (١/١٤٥).

(٢) صحيح مسلم (٢٦١٤) (٤/١٦٠٢).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٧٦٨) (١/١٦٣).

(٤) صحيح البخاري (٨٥٥) (١/٢٥٧).

(٥) صحيح مسلم (٥٦٤) (١/٣٣٠).

٥٩ ـ ٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكل من هذه الشجرة فلا يقربنَّ مسجدنا، ولا يؤذينا بريح الثُّوم»(١).

ومثله كلُّ رائحة كريهة يتأذى منها الناس في البدن أو الملبس.

٦٠ ـ رفع الصوت في المسجد والتشويش على المصلين:

٦٠ ـ ١ ـ عن السائب بن يزيد، قال: كنت قائماً في المسجدِ فحصَبني رجلٌ، فنظرتُ فإذا عمرُ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقال: اذهب فائتني بهذين. فجئتُهُ بهما، قال: من أنتُما ـ أو من أين أنتما؟ ـ قالا: مِن الطائف. قال: لو كنتما من أهلِ البلدِ لأوجَعتُكما، ترفعانِ اصواتَكما في مسجدِ رسول الله ﷺ(٢)!

٦٠ ـ ٢ ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف السِّترَ وقال ﷺ: «ألا إن كلكم مُناج ربَّهُ، فلا يؤذينَّ بعضكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة». أو قال: «في الصلاة»(٣).

٦٠ ـ ٣ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإنما يناجي ربَّه، فلا ترفعوا أصواتكم بالقرآن فتؤذوا المؤمنين».

٦٠ ـ ٤ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ المُصلي يُناجي ربّه، فلينظر بمَ يناجيه، ولا يجهر بعضُكم على بعضٍ بالقرآن»(٤).

---

(١) صحيح مسلم (٥٦٣) (١/٣٢٩).

(٢) صحيح البخاري (٤٧٠) (١/١٥١).

(٣) صحيح سنن أبي داود (١١٨٣) (١/٢٤٧).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: صحيح الجامع (١٩٥١) (١/٣٩٤).

٦١ ـ زخرفة المساجد بما يفتن المصلين:

٦١ ـ ١ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أُمرتُ بتشييدِ المساجدِ»[١].

٦١ ـ ٢ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يَتَباهى النَّاسُ في المساجدِ»[٢].

٦١ ـ ٣ ـ وعنه رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «مِن أشراطِ الساعة أن يتباهى الناسُ في المساجد»[٣].

٦١ ـ ٤ ـ وعنه رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ نهى أن يَتباهى الناسُ في المساجد»[٤].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لتزخرفنَّها كما زخرفت اليهود والنصارى.

وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: إنَّ القومَ إذا زينوا مساجدهم فسدت أعمالهم.

ومر ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بالكوفة على مساجد منقوشة، فقال: من بنى هذا؟ أنفق مالَ الله في معصية الله.

وكان يقول: سيأتي بعدكم قوم يرفعون الطين ويضيعون الدين[٥].

(١) صحيح سنن أبي داود (٤٣٢) (١/٩٠).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٤٣٢) (١/٩١).

(٣) صحيح سنن النسائي (٦٦٥) (١/١٤٨).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه، انظر: صحيح الجامع (٦٨١٦) (٢/١١٥٢).

(٥) كتاب الحوادث والبدع ـ أبو بكر الطرطوشي ـ ص٧٦.

كتاب الأذان والصلاة

٦٢ ـ إخلال الإمام بصلاة المأمومين:

٦٢ ـ ١ ـ كان سهل بن سعد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ يقدم فتيان قومه، يصلون بهم، فقيل له : تفعل ولك من القدم ما لك ؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الإمامُ ضَامنٌ، فإن أحسنَ فلهُ ولهُم، وإن أساء، يعني، فعليه ولا عليهم»(١).

٦٢ ـ ٢ ـ عن أبي علي الهمداني، أنه خرج في سفينة فيها عقبة بن عامر الجهني ـ رضي الله عنه ـ فحانت صلاة من الصلوات، فأمرناه أن يؤمنا، وقلنا له: إنك أحقنا بذلك، أنت صاحب رسول الله ﷺ . فأبى، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن أمَّ الناسَ فأصابَ فالصَّلاةُ لهُ ولهُم، ومن انتَقصَ مِن ذلك شيئاً فعليه ولا عليهم»(٢).

٦٣ ـ اشتراط المؤذن الأجرة على أذانه:

٦٣ ـ ١ ـ عن عثمان بن أبي العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: إن من آخر ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ أن اتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً(٣).

٦٣ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: يا رسول الله، اجعلني إمام قومي. قال ﷺ : «أنتَ إمامُهُم، واقتَدِ بأضعَفِهِم، واتَّخذ مُؤذناً لا يأخذُ على أذانِهِ أجراً»(٤).

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه (٨٠١) (١/١٦١).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٨٠٢) (١/١٦٢).

(٣) صحيح سنن الترمذي (١٧٢) (١/٦٧).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٤٩٧) (١/١٠٧).

٦٤ ـ إطالة الصلاة من الإمام دون مراعاة أحوال الناس :

٦٤ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلَّى أحدُكُم للنَّاس فليُخَفِّف، فإنَّ فيهمُ الضَّعيفَ والسَّقيمَ والكبيرَ، وإذا صلَّى أحدُكم لنفسهِ فليُطوِّل ما شاءَ»(١).

٦٤ ـ ٢ ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رجلٌ: يا رسول الله، إني لأتأخَّرُ في الصلاة في الفجر ممَّا يُطيلُ بنا فلانٌ فيها. فغضبَ رسولُ الله ﷺ ما رأيتهُ غضِبَ في موضعٍ كان أشدَّ غضباً منه يومئذٍ، ثمَّ قال: «يا أيُّها الناسُ، إنَّ منكم مُنفِّرينَ، فمن أمَّ الناسَ فليتجوَّز، فإنَّ خلفَهُ الضعيفَ والكبيرَ وذا الحاجةِ»(٢).

٦٤ ـ ٣ ـ عن عثمان بن أبي العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: كان آخر ما عهِد إليَّ النبي ﷺ حين أمَّرني على الطائف، قال لي: «يا عثمان، تجاوز في الصلاةِ واقدُرِ الناسَ بأضعفهِم، فإنَّ فيهمُ الكبيرَ والصَّغيرَ والسقيمَ والبعيدَ وذا الحاجةِ»(٣).

٦٥ ـ إمامة الزائر لقوم دون إذنهم :

٦٥ ـ ١ ـ عن مالك بن الحويرث ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن زارَ قوماً فلا يؤمَّهُم، وليَؤمَّهُم رجلٌ منهُم»(٤).

٦٥ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا زارَ أحدُكُم قوما فلا يُصلِّيَنَّ بِهم»(٥).

---

(١) صحيح البخاري (٧٠٣) (١/٢١٤).

(٢) صحيح البخاري (٧٠٤) (١/٢١٤).

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (٨٠٦) (١/١٦٢).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٥٥٦) (١/١١٨).

(٥) صحيح سنن النسائي (٧٥٩) (١/١٧٠).

٦٦ - إمامة قوم وهم له كارهون لعيب فيه :

٦٦ - ١ - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثةٌ لا يقبلُ الله منهم صلاة ؛ مَن تقدَّمَ قوما وهُم لهُ كارهونَ »(١) .

٦٦ - ٢ - عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثةٌ لا تُجاوزُ صلاتُهم آذانَهُم ؛ العبدُ الآبقُ حتَّى يرجعَ ، وامرأة باتت وزوجُها عليها ساخط ، وإمامُ قومٍ وهم له كارهون »(٢) .

يكون هذا الوعيد في الرجل ليس من أهل الإمامة فيقتحم فيها ويتغلب عليها حتى يكره الناس إمامته(٣) .

٦٧ - تضييع المؤذن لأمانة الأذان للصلاة :

٦٧ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « الإمامُ ضامنٌ والمُؤذِّنُ مُؤتَمنٌ ، اللهمَّ أرشد الأئمةَ ، واغفر للمؤذِّنينَ »(٤) .

٦٧ - ٢ - عن ابن أبي أوفى - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إن خيارَ عِباد الله الذينَ يرعُونَ الشمسَ والقمرَ والنُّجومَ والأَظلّة لذكرِ الله عزَّ وجلَّ »(٥) .

٦٧ - ٣ - عن أبي محذورة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « أمناءُ المسلمينَ على صلاتهم وسُحورِهم المؤذنونَ »(٦) .

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٥٥٤) (١/١١٨) .

(٢) صحيح سنن الترمذي (٢٩٥) (١/١١٣) .

(٣) معالم السنن - الخطابي (١/١٤٦) .

(٤) صحيح سنن الترمذي (١٧٠) (١/٦٧) .

(٥) أخرجه ابن شاهين في الأفراد والبزار في المسند ، انظر : السلسلة الصحيحة (٣٤٤٠) (٧/١٢٩٩) .

(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ، انظر : صحيح الجامع (١٤٠٣) (١/٢٩٧) .

٦٨ ـ تقحم الإمامة والخطابة ممن ليس من أهلها :

٦٨ ـ ١ ـ عن عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رجلاً خطَبَ عند النبيِّ ﷺ فقال: مَن يُطعِ اللهَ ورسُولَه فقد رشَدَ، ومَن يَعصهما فقد غَوى. فقال رسول الله ﷺ : «بئسَ الخطيبُ أنتَ، قُل: ومَن يَعصِ اللهَ ورسُولَهُ»(١).

٦٨ ـ ٢ ـ عن أبي سهلة السائب بن خلَّاد ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً أمَّ قوماً فبصق في القبلة، ورسول الله ﷺ ينظر، فقال رسول الله ﷺ حين فرغ: «لا يُصلِّي لكم». فأراد بعد ذلك أن يصلي لهم فمنعوه، وأخبروه بقول رسول الله ﷺ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال : «نَعَم، إنَّك آذيتَ اللهَ ورسوله»(٢).

٦٩ ـ دعاء الإمام لنفسه دون المصلين:

٦٩ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : «لا يحلُّ لرجلٍ يُؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ أن يُصلِّيَ وهو حقنٌ حتى يَتخفَّفَ، ولا يحلُّ لرجلٍ يُؤمنُ بالله واليوم الآخرِ أن يَؤمَّ قوماً إلا بإذنِهم، ولا يختَصُّ نفسَهُ بدعوةٍ دُونَهُم، فإن فعلَ فقد خانَهُم»(٣).

٦٩ ـ ٢ ـ عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «لا يحلُّ لامرئ أن ينظرَ جوف بيتِ امرئ حتى يستأذنَ، فإن نظرَ فقد دخلَ، ولا يَؤمُّ قوماً فيخُصُّ نفسَه بدعوةٍ دونهم، فإن فعلَ فقد خانهم، ولا يقومُ إلى الصلاة وهو حقن»(٤).

٧٠ ـ قطع الصفوف في الصلاة:

٧٠ ـ ١ ـ عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ : «أقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل، ولينوا بأيدي إخوانكم،

---

(١) صحيح مسلم (٨٧٠) (٢/٤٩٧).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٤٥٦) (١/٩٥).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٨٢) (١/٢٠).

(٤) صحيح سنن الترمذي (٢٩٣) (١/١١٣).

ولا تذروا فرجات للشيطان، ومن وصل صفا وصله الله، و من قطع صفا قطعه الله »(١).

٧٠ - ٢ - وعنه - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: « مَن وصَلَ صفًّا وصَلَهُ الله، ومن قطعَ صفًّا قَطَعَهُ الله عزَّ وجلَّ »(٢).

٧١ - المرور بين يدي المصلي:

٧١ - ١ - عن أبي جهيم - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « لو يعلمُ المارُّ بين يدي المصلِّي ماذا عليه، لكان أن يقفَ أربعينَ خيراً له من أن يمُرَّ بين يديه »(٣).

(١) صحيح سنن أبي داود (٦٢٠) (١٣١/١).

(٢) صحيح سنن النسائي (٧٨٩) (١٧٧/١).

(٣) صحيح البخاري (٥١٠) (١٦١/١).



كتاب الجمعة

٧٢ـ إشغال الناس عن سماع الخطبة باللغو وغيره :

٧٢ـ ١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قُلتَ لِصاحِبكَ: أنصِت يومَ الجمعةِ والإمامُ يَخطُبُ، فقد لَغوتَ»(١).

٧٢ـ ٢ ـ عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «يَحضرُ الجُمعةَ ثلاثةُ نفرٍ؛ رجلٌ حضرَها يلغُو، وهو حظُّهُ منها، ورجلٌ حضرها يدعُو، فهو رجلٌ دعَا اللهَ عزَّ وجلَّ، إن شاء أعطاهُ وإن شاء منَعه، ورجلٌ حضرها بإنصاتٍ وسُكوتٍ ولم يتَخطَّ رقبةَ مُسلمٍ، ولم يُؤذِ أحداً، فهي كفَّارةٌ إلى الجمعة التي تليها وزيادةُ ثلاثةِ أيَّامٍ، وذلك بأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ: **﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا﴾** [الأنعام: ١٦٠](٢).

٧٢ـ ٣ ـ عن أوس بن أوس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «مَن غَسَّلَ واغتَسلَ، وغدا وابتَكرَ، ودنا من الإمامِ، ولم يلغُ، كان لهُ بكلِّ خُطوةٍ عملُ سنةٍ؛ صيامُها وقيامُها»(٣).

٧٣ـ إطالة الخطبة دون حاجة من الخطيب وتقصير الصلاة:

٧٣ـ ١ ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يتخوَّلنا بالموعظة في الأيام كراهية السآمة علينا(٤).

(١) صحيح مسلم (٨٥١) (٢/٤٨٨).
(٢) صحيح سنن أبي داود (٩٨٤) (١/٢٠٧).
(٣) صحيح سنن النسائي (١٣٠٨) (١/٢٩٩).
(٤) صحيح البخاري (٦٤١١) (٧/٢١٧).

٧٣ - ٢ - عن أبي اليقظان عمار بن ياسر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ طُولَ صلاةِ الرَّجلِ وقصرَ خُطبتهِ مئِنَّةٌ من فِقهِه، فأطيلوا الصَّلاةَ وأقصِروا الخُطبةَ، وإنَّ من البيانِ سحراً»(١).

٧٣ - ٣ - عن عمار بن ياسر - رضي الله عنهما - قال: أمرنا رسول الله ﷺ بإقصار الخطب(٢).

٧٣ - ٤ - عن جابر بن سمرة السوائي - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ لا يطيلُ الموعظة يوم الجمعة، إنما هُنَّ كلمات يسيرات(٣).

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: لا تبغضوا الله إلى عباده. فقيل: كيف ذلك أصلحك الله؟ قال: يجلس أحدكم قاصًّا - أي واعظاً - فيطول على الناس حتى يبغض إليهم ما هم فيه، ويقوم أحدكم إماماً فيطول على الناس حتى يبغِّض إليهم ما هم فيه(٤).

٧٤ - انبعاث الرائحة الكريهة منه دون اغتسال لها:

٧٤ - ١ - عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: كان الناسُ ينتابُونَ الجُمعةَ من منازلهم من العوالي، فيأتونَ في العباء، ويصيبهُم الغبارُ، فتخرجُ منهُمُ الريحُ، فأتَى رسولَ اللهِ ﷺ إنسانٌ منهم وهو عندي، فقال رسولُ الله ﷺ: «لو أنَّكُم تطَهَّرتُم ليومِكُم هذا؟!»(٥).

٧٤ - ٢ - عن القاسم بن محمد بن أبي بكر، أنهم ذكروا غسل الجمعة عند عائشة رضي الله عنها، فقالت: إنما كان الناس يسكنون العالية فيحضرون الجمعة

(١) صحيح مسلم (٨٦٩) (٢/٤٩٧).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٩٧٨) (١/٢٠٦).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٩٧٩) (١/٢٠٦).

(٤) الآداب الشرعية - ابن مفلح (٢/٩٩).

(٥) صحيح مسلم (٨٤٧) (٢/٤٨٦).

وبهم وسخ، فإذا أصابهم الرَّوح سطعت أرواحهم فيتأذى بها الناس، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «أَولاَ يغتَسِلُونَ!»(١).

٧٤ ـ ٣ ـ عن جابر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «على كلِّ رجُلٍ مُسلمٍ في كُلِّ سبعةِ أيَّامٍ غُسلُ يوم وهو يومُ الجمعةِ»(٢).

٧٤ ـ ٤ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ هذا يومُ عيدٍ جعله الله للمسلمين، فمن جاءَ إلى الجمعةِ فليغتَسل، وإن كان طيبٌ فليَمسَّ منهُ، وعليكم بالسِّواكِ»(٣).

٧٥ ـ تخطي الرقاب يوم الجمعة:

٧٥ ـ ١ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من اغتسلَ يومَ الجمعة، ومسَّ من طيب امرأته إن كان لها، ولبِسَ من صالحِ ثيابه، ثم لم يَتَخَطَّ رقابَ الناس، ولم يَلغُ عند الموعِظةِ، كان كفارةً لما بينهما، ومن لغا وتخطى رقابَ الناسِ كانت له ظهراً»(٤).

٧٥ ـ ٢ ـ عن عبد الله بن بسر ـ رضي الله عنه ـ قال: كنتُ جالساً إلى جانبه يوم الجمعة، فقال: جاء رجل يتخطى رقاب الناس، فقال رسول الله ﷺ: «أي اجلس فقد آذيت وآنيت»(٥).

٧٥ ـ ٣ ـ عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تأكل متَّكئاً ولا على غِربالٍ، ولا تتخذنَّ من المسجد مصلىً لا تصلِّي إلا فيه، ولا تَخَطَّ رقابَ الناس يوم الجُمعَةِ، فيجعلَكَ الله لهم جِسراً يوم القيامةِ»(٦).

(١) صحيح سنن النسائي (١٣٠٦) (١/٢٩٨).

(٢) صحيح سنن النسائي (١٣٠٥) (١/٢٩٨).

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (٩٠١) (١/١٨١).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٣٣٥) (١/٧١).

(٥) صحيح سنن النسائي (١٣٢٦) (١/٣٠٢).

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، انظر: السلسة الصحيحة (٣١٢٢) (٧/٣٢٦).

٧٦ ـ التفريق بين اثنين يوم الجمعة :

٧٦ ـ ١ ـ عن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن اغتسلَ يومَ الجمعةِ، وتطَّهر بما استطاع من طُهرٍ، ثمَّ ادَّهنَ أو مسَّ من طيبٍ، ثم راحَ فلم يفرِّق بين اثنين، فصلَّى ما كُتِبَ له، ثم إذا خرجَ الإمامُ أنصتَ، غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعةِ الأخرى »(١).

٧٧ ـ الحضور للجمعة بلباس المهنة المتَّسخة :

قال تعالى : ﴿ .. خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ .. ﴾ [الأعراف: ٣١].

٧٧ ـ ١ ـ عن محمد بن يحيى بن حبان، أن رسول الله ﷺ قال : « ما علَى أحدِكُم إنِ وَجَدتُم أن يَتَّخِذَ ثوبينِ ليومِ الجُمعةِ سوى ثوبي مِهنَتِه؟ »(٢).

٧٧ ـ ٢ ـ عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « من اغتَسَلَ يومَ الجمعةِ فأحسنَ غُسله، وتطهَّر فأحسنَ طُهُوره، ولبسَ من أحسنِ ثيابِه، ومسَّ ما كتبَ اللهُ لهُ من طيب أهله، ثم أتى الجُمعةَ، ولم يلغُ، ولم يُفرِّق بين اثنين، غُفِرَ لهُ ما بينهُ وبين الجمعةِ الأخرى »(٣).

(١) صحيح البخاري (٩١٠) (١/٢٧٢).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٩٥٣) (١/٢٠١).

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (٩٠٠) (١/١٨١).

كتاب الجنائز

٧٨ ـ الجلوس على القبر :

٧٨ ـ ١ ـ عن أبي مرثد الغنوي ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تَجلِسُوا على القُبُورِ ولا تُصلُّوا إليها »(١) .

٧٨ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه، فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر »(٢) .

٧٩ ـ سب الأموات :

٧٩ ـ ١ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا مات صاحبكم فدعوهُ لا تقعُوا فيه »(٣) .

٧٩ ـ ٢ ـ عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء »(٤) .

٧٩ ـ ٣ ـ عن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ قال : نهى ﷺ عن سبِّ الأموات(٥) .

٧٩ ـ ٤ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : « لا تذكروا هالككم إلا بخير »(٦) .

---

(١) صحيح مسلم (٩٧٢) (٢/٥٥٦).

(٢) صحيح مسلم (٩٧١) (٢/٥٥٦).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٩٦٠) (٣/٩٢٦).

(٤) صحيح سنن الترمذي (٢/١٩٠) (١٦١٤).

(٥) أخرجه الحاكم، انظر : السلسلة الصحيحة (٢٣٩٧) (٥/٥٢٠).

(٦) صحيح سنن النسائي (١٨٢٧) (٢/٤١٧).

٧٩ ـ ٥ ـ وعنها ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الأموات؛ فإنهم قد أفضَوا إلى ما قدَّموا»(١).

٨٠ ـ قضاء الحاجة على القبور:

٨٠ ـ ١ ـ عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أمشيَ على جمرةٍ أو سيفٍ، أو أخصِفَ نَعلي بِرِجلي، أحبُّ إليَّ مِن أن أمشيَ على قبر مسلمٍ، وما أُبالي أَوَسطَ القبور قضيتُ حاجتي أو وسطَ السُّوقِ»(٢).

٨١ ـ كسر عظم الميت:

٨١ ـ ١ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «كسرُ عَظمِ الميِّتِ ككسرِهِ حيًّا»(٣).

فحرمة المسلم ميتاً كحرمته حياً، فلا يجوز إيذاؤه في جسده ولا التعدي عليه في بدنه.

٨٢ ـ المشي على القبور بالنعل:

٨٢ ـ ١ ـ عن بشير بن الخصاصية مولى رسول الله ﷺ، أنَّ النبي ﷺ رأى رجلاً يمشي بين القبور في نعلين، فقال: «يا صاحِبَ السِّبتيَّتَينِ اخلَع سِبتيَّتيكَ»(٤).

٨٢ ـ ٢ ـ عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أمشيَ على جمرةٍ أو سيفٍ، أو أخصفَ نعلي برجلي، أحبُّ إليَّ مِن أن أمشيَ على قبر مسلمٍ»(٥).

---

(١) صحيح سنن النسائي (١٨٢٨) (٢/٤١٧).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (١٢٧٧٣) (١/٢٦١).

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (١٣١٠) (١/٢٦٩).

(٤) صحيح سنن ابن ماجه (١٢٧٤) (١/٢٦١).

(٥) صحيح سنن ابن ماجه (١٢٧٣) (١/٢٦١).

٨٣ ـ نبش قبور الموتى :

٨٣ ـ ١ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : إن رسول الله ﷺ لعنَ المُختَفي والمُختَفية[١] .

والمختفي هو نبَّاش القبور[٢] وهو من الاختفاء، الاستخراج أو من الاستتار؛ لأنه يسرق في خفية .

٨٤ ـ نشر ما يظهر من سوء على بدن الميت من غاسله :

٨٤ ـ ١ ـ عن أبي رافع ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من غسل مسلماً فكتم عليه غفر الله له أربعين مرة، ومن حفر له فأجنّه أجرى عليه كأجر مسكن أسكنه إياه إلى يوم القيامة، ومن كفنه كساه الله يوم القيامة من سندس وإستبرق الجنة »[٣] .

٨٤ ـ ٢ ـ عن أبي أمامه ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من غسل ميتًا فستره، ستره الله من الذنوب، ومن كفنه كساه الله من السندس »[٤] .

---

(١) أخرجه البيهقي ، انظر : السلسلة الصحيحة (٢١٤٨) (٥/١٨١) .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ـ ابن الأثير (٢/٥٦) .

(٣) أخرجه الحاكم والبيهقي ، انظر : أحكام الجنائز ، للألباني ص ٥١ رقم ٣٠ .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ، انظر : السلسلة الصحيحة (٢٣٥٣) (٥/٤٦٧) .



كتاب الزكاة والصدقة

٨٥ ـ أخذ ولي أمر المسلمين كرائم أموالهم في الزكاة :

٨٥ ـ ١ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لمّا بعثَ رسول الله ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له فيما قال: « ... فأخبرهم أنَّ الله قد فرضَ عليهم زكاةً تُؤخذُ مِن أموالهم وتُردُّ على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخُذ منهم، وتَوَقَّ كرائمَ أموالِ الناس »(١).

والمراد نفائس الأموال من أي صنف كان(٢).

٨٦ ـ إعطاء المحتاجين ما لا ينفع :

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ**﴾

[البقرة:٢٧٦]

وقال تعالى: ﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ...**﴾ [آل عمران:٩٣].

٨٦ ـ ١ ـ عن عوف بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: خرج رسول الله ﷺ ـ وبيده عصا، وقد علَّقَ رجل قُنوَ حَشف، فجعل يطعن في ذلك القنو، فقال: « لو شاء ربُّ هذه الصدقةِ تصدَّقَ بأطيبَ مِن هذا، إنَّ ربَّ هذه الصدقةِ يأكُلُ حشفاً يوم القيامة »(٣).

---

(١) صحيح البخاري (١٤٥٨) (١/٣٠٢).

(٢) فتح الباري ـ ابن حجر (٣/٣٢٣).

(٣) صحيح سنن أبي داود (١٤١٨) (١/٣٠٢).

٨٦ - ٢ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تُطعِموا المساكينَ مما لا تأكلون»(١).

٨٧ - الحض على عدم إطعام المسكين:

قال تعالى: ﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾ [الماعون: ١-٣].

وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ**﴾ [الحديد: ٢٤]، [النساء: ٣٧].

وآفته؛ أنه لا يبخل بماله فقط، بل إنه ليبخل بمال غيره كذلك، فإذا رأى من سيتصدق في وجوه الخير، فتَّ في عضديه، وبخَّلهُ وبكَّتَهُ، واختلق له المعاذير واصطنع له الحيل، وخوَّفه الفاقة والإملاق، حتى يدع البذل والإنفاق.

٨٨ - الطعن في نيَّات المتصدِّقين:

٨٨ - ١ - عن أبي مسعود - رضي الله عنه - قال: أُمرنا بالصدقة. قال. كُنَّا نُحاملُ. قال: فتَصدَّقَ أبو عقيلٍ بنصفِ صاعٍ، قال: وجاء إنسانٌ بشيءٍ أكثر منه. فقال المنافقون: إن الله لغنيٌّ عن صدقة هذا، وما فعلَ هذا الآخرُ إلا رياءً. فنزلت: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ...**﴾ [التوبة: ٧٩](٢).

٨٩ - المن بالعطية:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ...**﴾

[البقرة: ٢٦٤]

وقال تعالى: ﴿**قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٦٣].

(١) أخرجه أحمد في المسند والطبراني في الأوسط، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٤٢٦) (٥٥٢/٥).
(٢) صحيح مسلم (١٠١٨) (٥٨٥/٢).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ...﴾ [البقرة:٢٦٢].

٨٩ - ١ - عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يُكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليم». قال: فقرأها رسول الله ثلاث مرات. قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: «المنَّانُ، و المُسبلُ إزارَهُ، والمنفقُ سلعتَهُ بالحلف الكاذب»(١).

٨٩ - ٢ - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنة منانٌ، ولا عاقٌ، ولا مدمنُ خمر»(٢).

٩٠ - منع الإعارة:

قال تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون:٧].

قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: الماعون الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك.

وقال عكرمة - رضي الله عنه -: أعلاها الزكاة المعروفة، وأدناها عارية المتاع(٣).

٩١ - منع الزكاة عن أهلها:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة:٣٤، ٣٥].

٩١ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتاه اللهُ مالاً فلم يؤدِّ زكاتَه، مُثِّل له مالُه يومَ القيامةِ شُجاعاً أقرعَ له زبيبتانِ، يطوِّقُه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزِمتيه، يعني شدقيه، ثم يقول: أنا مالُكَ، أنا كنزكَ». ثم تلا

(١) صحيح مسلم (١٠٦) (١/٩٦).

(٢) صحيح سنن النسائي (٥٢٤١) (١/١١٤٨).

(٣) معالم التنزيل - البغوي (٤١/٥٣٢) بتصرف.

قوله تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]»(١).

٩١ ـ ٢ ـ عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجلٍ يكونُ له إبلٌ أو بقرٌ أو غنمٌ لا يُؤدِّي حقَّها، إلا أُتي بها يومَ القيامة أعظمَ ما يكونُ وأسمنَه، تطأه بأخفافها، وتنطحُه بقرونها، كلما جازت أخراها رُدَّت عليه أولاها، حتى يُقضى بين الناسِ»(٢).

٩١ ـ ٣ ـ عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتينَّ على الناس زمانٌ قلوبُهم قلوبُ الأعاجم، حب الدنيا سُنَّتُهم سُنَّةُ الأعراب، ما آتاهم من رزقٍ جعلوه في الحيوان، يرونَ الجهاد ضرراً، والزكاةَ مَغرماً»(٣).

٩١ ـ ٤ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مانع الزكاة يوم القيامة في النار»(٤).

٩٢ ـ منع الفضل عن الجار وغيره:

٩٢ ـ ١ ـ عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابن آدم إنَّك أن تَبذُلَ الفضلَ خيرٌ لك، وإن تُمسكهُ شرٌّ لكَ، ولا تُلامُ على كفافٍ، وابدأ بمن تعُولُ، واليد العُليا خيرٌ من اليد السُّفلى»(٥).

---

(١) صحيح البخاري (١٤٠٣) (٢/٤٣٠)

(٢) صحيح مسلم (٩٨٧) (٢/٥٦٦).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٣٥٧) (٧-٢/١٠٧٥).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط، انظر: صحيح الجامع (٥٨٠٧) (٢/١٠١١).

(٥) صحيح مسلم (١٠٣٦) (٢/٥٩٢).

٩٢ ـ ٢ ـ عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من جارٍ متعلِّقٍ بجاره، يقول: يا رب سل هذا لمَ أغلق عنِّي بابَه ومنعني فضلَهُ؟»(١).

٩٣ ـ منع فضل الماء أو الكلأ:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠]

٩٣ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يومَ القيامة ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم؛ رجلٌ كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل، ورجلٌ بايع إمامه لا يُبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضي وإن لم يُعطه منها سخط، ورجلٌ أقام سلعته بعد العصر، فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا، فصدقه رجلٌ. ثم قرأ: **﴿إن الذين يشترون بعهد او وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾**(٢) زاد في رواية: «يقول الله له: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضلَ ما لم تعمل يداك»(٣).

ومعناه: أن أصحاب الماشية إذا مُنعوا الماء لم يردوا عليه، وإذا لم يردوا عليه امتنعوا من رعي ما حوله لعدم الشرب، فيكون منعه الماء قصداً لمنع الكلأ الذي لا حق له فيه إضراراً بالمسلمين ومنعاً لهم من حقوقهم، وذلك غير جائز(٤).

٩٣ ـ ٢ ـ عن رجل من المهاجرين من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلمون شركاء في ثلاثٍ؛ في الكلأ والماء والنار»(٥).

---

(١) صحيح الأدب المفرد ـ ص ٦٧ رقم ٨١.
(٢) صحيح البخاري (٢٣٥٨) (٣/١٠٧).
(٣) صحيح البخاري (٢٣٦٩) (٣/١١١).
(٤) المعلم بفوائد مسلم ـ المازري (٢/١٩٠).
(٥) صحيح سنن أبي داود (٢٩٦٨) (٢/٦٦٥).

٩٣ - ٣ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يُمنعُ فضلُ الماء ولا يُمنَعُ نقعُ البئر»(١). ونقع البئر أي فضل مائها.

(١) صحيح سنن ابن ماجه (٢٠١٠) (٢/٦٥).

كتاب الأموال

٩٤ ـ الأثرة وحب امتلاك الأشياء دون الناس:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

٩٤ ـ ١ ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكُم سَتَرونَ بعدي أثرةً وأمُوراً تُنكرِونَها». قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «أدُّوا حقَّهُم، واسألُوا الله الذي لَكُم»(١).

٩٤ ـ ٢ ـ عن أسيد بن حضير ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكُم ستَرَونَ بعدي أثرة فاصبروا حتَّى تلقوني على الحوض»(٢).

٩٥ ـ أخذ أرض الغير بغير حق:

٩٥ ـ ١ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقِّه، خُسِفَ به يوم القيامة إلى سبع أرضين»(٣).

٩٥ ـ ٢ ـ عن أبي أمامة الحارثي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتطعَ أرضاً ظالماً، لقيَ الله وهو عليه غضبان»(٤).

٩٥ ـ ٣ ـ وعنه ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أخذ من الأرض شيئاً ظلماً، جاء يوم القيامة يحملُ تُرابها إلى المحشر»(٥).

---

(١) صحيح البخاري (٧٠٥٢) (٨/٤٢٢).

(٢) صحيح مسلم (١٨٤٥) (٣/١١٧١).

(٣) صحيح البخاري (٢٤٥٤) (٣/١٤١).

(٤) صحيح مسلم (١٣٩) (١/١١٤).

(٥) أخرجه أحمد في المسند، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٤٢) (١/٤٢٢).

٩٥ - ٤ - عن يعلي بن مرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيما رجل ظلم شبراً من الأرض كلفه الله عزَّ وجلَّ أن يحفره حتى يبلغ آخر سبع أرضين، ثم يطوقه إلى يوم القيامة حتى يقضى بين الناس»(١).

٩٥ - ٥ - عن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - عن النبيِّ ﷺ قال: «أعظمُ الغُلولِ عندَ الله عزَّ وجلَّ ذراعٌ من الأرضِ، تجدونَ الرجلين جارينِ في الأرضِ أو في الدارِ، فيقتطعُ أحدُهُما من حظِّ صاحِبِهِ ذراعاً، إذا اقتَطَعَهُ؛ طُوِّقَهُ من سبعِ أرضِينَ»(٢).

ولا فرق بين أن يغصب ذلك من حق مسلم معين أو مما هو مشترك بين الناس كالطرق ونحوها(٣).

قلت: بل يكثر الخصماء والغرماء يوم القيامة!

٩٦ - أخذ شيء من المال المشاع (المشترك):

قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].

٩٦ - ١ - عن عدي بن عميرة الكندي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعملناهُ منكم على عملٍ، فكتمنا مخيطاً فما فوقهُ، كان ذلك غُلُولاً يأتي به يوم القيامة» فقام إليه رجلٌ أسودٌ، من الأنصار. كأنِّي أنظرُ إليه، فقال: يا رسول الله! اقبل عنِّي عمَلَك. قال ﷺ: «وما لك؟» قال: سمعتُكَ تقولُ كذا وكذا. قال ﷺ: «وأنا أقولُهُ الآنَ؛ من استعملناه منكم على عملٍ، فليجيء بقليله وكثيره، فما أوتيَ منه أخذ، وما نُهيَ عنه انتهى»(٤).

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه وأحمد في المسند، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٤٠) (١/٤٢٩).

(٢) رواه أحمد في المسند والطبراني في الكبير، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٨٦٩) (٢/٣٨٠).

(٣) تنبيه الغافلين - السمرقندي - ص ٢٥٥.

(٤) صحيح مسلم (١٨٣٣) (٣/١١٦٤).

٩٦ ـ ٢ ـ عن عدي بن عميرة الكندي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «منِ استعملناهُ منكم على عملٍ، فكتمنا مخيطاً فما فوقَهُ، كان غُلولاً يأتي به يوم القيامة»(١).

٩٦ ـ ٣ ـ عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ استعملناه على عملٍ فرَزقناه رزقاً فما أخذَ بعدَ ذلكَ، فهو غُلُولٌ»(٢).

٩٦ ـ ٤ ـ عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أدُّوا الخيطَ، والمخيط، فما فوقُ ذلك، فما دُون ذلك، فإن الغُلول عارٌ على أهله يوم القيامة وشنار، ونارٌ»(٣).

٩٧ ـ أخذ مال المسلم بغير إذنه:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء:٢٩].

وقال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:١٦٠، ١٦١].

٩٧ ـ ١ ـ عن حذيفة الرقاشي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلُّ مالُ امرئٍ مسلم إلا بطيب نفس منه»(٤).

٩٧ ـ ٢ ـ عن أبي حميد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلُّ لمسلم أن يأخذ عصا بغير طيب نفس منه»(٥).

---

(١) صحيح مسلم (١٨٣٣) (٣/١١٦٤).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٢٥٥٠) (٢/٥٦٨).

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (٢٣٠٠) (٢/١٣٩).

(٤) أخرجه أحمد في المسند والدار قطني والبيهقي، انظر: إرواء الغليل (١٤٥٩) (٥/٢٧٩).

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه، انظر: غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ـ للألباني ـ ص٢٦٢ رقم (٤٥٦).

٩٧ - ٣ - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «حرمة مال الإنسان كحرمة دمه»(١).

٩٧ - ٤ - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليسَ شيء يقربُكم إلى الجنة إلا قد أمرتُكم به، وليس شيء يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتُكم عنه، إن روحَ القدس نفث في روعي: أن نفساً لا تموتُ حتى تستكملَ رزقَها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنَّكم استبطاءُ الرزقِ أن تطلبوه بمعاصي اللهِ، فإن الله لا يُدرَكُ ما عنده إلا بطاعته»(٢).

٩٨ - أخذ متاع المسلم بدون علمه:

٩٨ - ١ - عن يزيد بن سعيد - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يأخذ أحدكم متاع صاحبه لاعباً ولا جادًّا، فإذا أخذ أحدكم عصا صاحبه، فليردها إليه»(٣).

سواءً كان ذلك مازحاً أو جاداً، لما يترتب عليه من إيغار الصدور، وإيقاد العداوات، وبث الخصومات، ومعظم النار من مستصغر الشرر!

٩٩ - استقراض المال دون نية الإرجاع:

٩٩ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من أخذ أموالَ الناسِ يُريدُ أداءَها، أدَّ الله عنه، ومن أخذها يُريدُ إتلافها أتلفهُ الله»(٤).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية، انظر: غاية المرام - ص٢٠٤ رقم (٣٦٣).

(٢) رواه أبو بكر الحداد في المنتخب وابن مردوية في (ثلاثة مجالس)، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٨٦٦) (٨٦٥/٢-٦).

(٣) صحيح سنن الترمذي (١٧٥٤) (٢٣١/٢).

(٤) صحيح البخاري (٢٣٨٧) (١١٦/٣).

٩٩ ـ ٢ ـ عن محمد بن جحش، قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فرفع رأسه إلى السماء، ثم وضع راحته على جبهته، ثم قال: «سبحان الله! ماذا نُزِّلَ من التشديد» فسكتنا وفزعنا، فلما كان من الغد سألته: يا رسول الله! ما هذا التشديد الذي نُزِّل؟ قال ﷺ: «والذي نفسي بيده! لو أنَّ رجُلاً قُتلَ في سبيل الله، ثُمَّ أحييَ، ثُمَّ قُتل، ثم أحييَ، ثم قُتل، وعليه دينٌ، ما دخلَ الجنَّةَ حتى يُقضَى عنهُ دَينُهُ»(١).

٩٩ ـ ٣ ـ عن صهيب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّما رجل تديَّن ديناً، وهو مجمعٌ أن لا يوفِّيَهُ إياهُ لقيَ الله سارقاً»(٢).

٩٩ ـ ٤ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «نفسُ المؤمنِ مُعلَّقةٌ بدينه، حتى يُقضى عنه»(٣).

١٠٠ ـ إعطاء السفهاء الأموال:

قال تعالى: **﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾** [النساء:٥].

١٠٠ ـ ١ ـ عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ثلاثةٌ يدعُون فلا يُستجاب لهم: رجلٌ كانت تحته امرأةٌ سيئة الخُلقِ فلم يُطلِّقها، ورجلٌ كان له على رجل مال فلم يُشهد عليه، ورجل آتى سفيهاً مالَه وقد قال الله عز وجل: **﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾**»(٤).

(١) صحيح سنن النسائي (٤٣٦٧) (٣/٩٦٩).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (١٩٥٤) (٢/٥٢).

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (١٩٥٧) (٢/٥٣).

(٤) رواه ابن شاذان في المشيخة الصغرى والحاكم، انظر: السلسلة الصحيحة (١٨٠٥) (٤/٤٢٠).

١٠١ - أكل أموال الناس بالربا :

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٨، ٢٧٩] .

وقال تعالى : ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة:٢٧٦] .

١٠١ - ١ - عن جابر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : «لعنَ رسول الله ﷺ آكل الربا، وموكلهُ، وكاتبهُ، وشاهديه». وقال : «هم سواء»(١) .

١٠١ - ٢ - عن عوف بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «إيَّاك والذنوبَ التي لا تُغفرُ، (وفي رواية : وما لا كفَّارة من الذنوبِ)، فمن غَلَّ شيئاً أُتيَ به يوم القيامة، وآكل الربا؛ فمن أكلَ الرِّبا بُعثَ يومَ القيامة مجنوناً يتخبطُ، ثم قرأ : ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥] »(٢) .

١٠١ - ٣ - عن عبد الله بن حنظلة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «دِرهمُ رباً يأكلهُ الرجُلُ، وهوَ يعلمُ، أشدُّ عندَ اللهِ من ستَّةٍ وثلاثينَ زنيةً»(٣) .

١٠١ - ٤ - عن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «إنَّ أبوابَ الرِّبا اثنان وسبعُون حُوباً (٤)، أدناهُ كالذي يأتي أُمَّهُ في الإسلام»(٥) .

---

(١) صحيح مسلم (١٥٩٨) (٣/٩٨٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير والخطيب في التاريخ ، انظر : السلسلة الصحيحة (٣٣١٣) (٧-٢/٩١٩).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط والدار قطني ، انظر : السلسلة الصحيحة (١٠٣٣) (٣/٢٩).

(٤) أي ؛ سبعون ضرباً من الإثم .انظر : النهاية (١/٤٥٥).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ، انظر : صحيح الجامع (١٥٣١) (١/٣١٩).

١٠٢ - أكل أموال الناس بالميسر والقمار:

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا...﴾ [البقرة: ٢١٩].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

١٠٢ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن حلفَ، فقال في حلفه: واللَّاتِ والعُزَّى، فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعالَ أقامرْكَ، فليَتَصدَّق»(١).

١٠٣ - تبذير مال اليتيم من كافله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ...﴾ [الأنعام: ١٥٢]

١٠٣ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السَّبعَ الموبقات». قالوا يا رسول الله! وما هُنَّ؟ قال: «الشِّركُ بالله، والسِّحرُ، وقتلُ النَّفسِ التي حرَّمَ الله إلا بالحقِّ، وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليتيم، والتَّولي يومَ الزَّحفِ، وقذفُ المُحصنات المؤمنات الغافلات»(٢).

١٠٣ - ٢ - عن ابن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «كل من مال يتيمك غير مُسرفٍ، ولا مبادرٍ، ولا مُتأثِّلٍ»(٣).

---

(١) صحيح البخاري (٤٨٦٠) (٦/٣٥٦).

(٢) صحيح البخاري (٢٧٦٦) (٣/٢٦٤).

(٣) صحيح سنن النسائي (٣٤٢٩) (٢/٧٧٩).

١٠٣ - ٣ - عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده؛ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: لا أجد شيئاً، وليس لي مال، ولي يتيم له مال، قال ﷺ: «كُل مِن مالِ يتيمِكَ، غير مُسرفٍ ولا مُتأثِّلٍ مالاً، ولا تقي مالَكَ بمالِهِ»(١).

١٠٣ - ٤ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ! إنِّي أُحرِّجُ حقَّ الضَّعيفينِ؛ اليتيم والمرأةِ»(٢).

١٠٤ - التصرف في أموال الله بغير حق وحرمان أهلها منها:

١٠٤ - ١ - عن خولة بنت عامر الأنصارية - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ رجالاً يتخوَّضون في مال الله بغير حقٍّ، فلهم النار يوم القيامة»(٣).

١٠٤ - ٢ - وعن أبي الوليد، قال: سمعت خولة بنت قيس - وكانت تحت حمزة بن عبد المطلب - تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ هذا المالَ خَضِرَة حُلوة، من أصابَهُ بحقِّه بُورِكَ لهُ فيه، ورُبَّ مُتخوِّضٍ فيما شاءت به نفسهُ مِن مالِ الله ورسولِهِ، ليسَ له يومَ القيامةِ إلاَّ النَّارُ»(٤).

١٠٤ - ٣ - عن المستورد بن شداد - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من كان لنا عامِلاً فليكتَسِب زوجةً؛ فإن لم يكن لهُ خادمٌ فليكتَسِب خادِماً، فإن لم يكن له مسكنٌ فليكتَسِب مسكناً، من اتَّخذَ غيرَ ذلك فهو غالٌّ أو سارقٌ»(٥).

(١) صحيح سنن ابن ماجه (٢١٩٨) (٢/١١٣).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٢٩٦٧) (٢/٢٩٨).

(٣) صحيح البخاري (٣١١٨) (٣/٣٨٠).

(٤) صحيح سنن الترمذي (١٩٣٤) (٢/٢٨٠).

(٥) صحيح سنن أبي داود (٢٥٥٢) (٢/٥٧٨).

١٠٥ ـ تغيير منار الأرض:

١٠٥ ـ ١ ـ عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لعنَ اللهُ من لعن والديه، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى مُحدثاً، ولعن الله من غيَّر منارَ الأرضِ»(١).

١٠٥ ـ ٢ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعونٌ من سبَّ أباهُ، ملعونٌ من سبَّ أمَّهُ، ملعونٌ من ذبَحَ لغير الله، ملعونٌ من غيَّرَ تُخومَ الأرضِ، ملعونٌ من كمَّهَ أعمى عن طريقٍ، ملعونٌ من وقعَ على بهيمةٍ، ملعونٌ من عمِلَ بعمل قومِ لوطٍ»(٢).

١٠٦ ـ الرشوة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٨٨].

١٠٦ ـ ١ ـ عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: عن رسول الله ﷺ الرَّاشيَ والمُرتَشيَ»(٣).

١٠٧ ـ ردُّ المال الذي يأتي من غير مسألة ولا إشراف نفس:

١٠٧ ـ ١ ـ عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: أن رسولَ الله ﷺ كان يُعطي عُمرَ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ العطاءَ، فيقولُ لهُ عُمرُ: أعطِهِ، يا رسولَ الله! أفقرُ إليه منِّي. فقال لهُ رسولُ الله ﷺ: «خُذْهُ فَتَموَّلْهُ أو تصدَّق بهِ، وما جاءكَ من هذا المالِ وأنت غيرُ مُشرفٍ ولا سائلٍ، فخذه، وما لا، فلا تُتبِعهُ نَفسَكَ»(٤).

---

(١) صحيح مسلم (١٩٧٨) (٣/١٢٤٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، انظر: صحيح الجامع (٥٨٩١) (٢/١٠٢٤).

(٣) صحيح سنن الترمذي (١٠٧٣) (٢/٣٦).

(٤) صحيح مسلم (١٠٤٥) (٢/٥٩٧).

١٠٨ ـ سؤال الناس أموالهم من غير حاجة :

١٠٨ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن يحتَطِبَ أحدُكُم حُزمةً على ظهرِهِ خيرٌ من أن يسألَ أحداً فيُعطيهُ أو يمنعه »(١) .

١٠٨ ـ ٢ ـ عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما يزالُ الرَّجلُ يسألُ الناسَ ، حتى يأتي يومَ القيامةِ وليسَ في وجهه مُزعةُ لحمٍ »(٢) .

١٠٨ ـ ٣ ـ عن سهل بن الحنظلية ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من سأل شيئاً وعنده ما يُغنيهِ ، فإنما يستكثرُ من جمر جهنَّم » قالوا : وما يُغنيه؟ قال ﷺ : « قدرُ ما يغدِّيهِ ويعشيه »(٣) .

١٠٨ ـ ٤ ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من سأل الناسَ وله ما يُغنيه ، جاء يوم القيامة ومسألتُه خموشٌ ، أو خُدوشٌ أو كُدوحٌ » قيل : وما الغنى؟ قال : « خمسون درهماً ، أو قيمتُهما من الذهب »(٤) .

١٠٨ ـ ٥ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن يَغدُوَ أحدُكُم فيَحتَطِبَ على ظهرِهِ فيَتَصدَّقَ منهُ ويستَغني به عن الناسِ ، خيرٌ لهُ مِن أن يسألَ رجلاً أعطاهُ أو منَعَهُ ذلك ، فإنَّ اليدَ العُليا خيرٌ من اليدِ السُّفلى ، وابدا بمن تَعُولُ »(٥) .

---

(١) صحيح البخاري (٢٠٧٤) (٣/١٢) .

(٢) صحيح مسلم (١٠٤٠) (٢/٥٩٤) .

(٣) صحيح سنن أبي داود (١٤٣٥) (١/٣٠٦) .

(٤) صحيح سنن أبي داود (١٤٣٢) (١/٣٠٥) .

(٥) صحيح سنن الترمذي (٥٤٧) (١/٢٠٨) .

١٠٩ ـ الشح والبخل بالمال والخير عن الغير:

قال تعالى: ﴿... وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن:١٦].

١٠٩ ـ ١ ـ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقوا الظُّلم، فإنَّ الظلم ظلماتٌ يوم القيامة، واتَّقوا الشُّحَّ، فإنَّ الشُّحَّ أهلكَ من كان قبلَكُم، حَمَلَهُم على أن سَفكوا دماءَهم، واستحلُّوا محارِمَهم»(١).

١٠٩ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «شرٌّ ما في رجلٍ؛ شحٌّ هالع، وجبنٌ خالع»(٢).

١٠٩ ـ ٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسولِ الله ﷺ: «لا يجتمعُ غُبارٌ في سبيل الله، ودُخانُ جهنَّم في جوف عبدٍ أبداً، ولا يجتمعُ الشُّحُ والإيمانُ في قلبِ عبدٍ أبداً»(٣).

١٠٩ ـ ٤ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ مهلكاتٌ، وثلاثٌ منجياتٌ، فقال: ثلاثٌ مهلكاتٌ: شحٌّ مطاع، وهوىً مُتَّبَعٌ، وإعجابُ المرء بنفسه. وثلاثٌ منجياتٌ: خشيةُ الله في السرِّ والعلانية، والقصد في الفقر والغنى، والعدل في الغضبِ والرِّضا»(٤).

١٠٩ ـ ٥ ـ عن قرة بن إياس ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا عند النبي ﷺ فذكر عنده الحياءُ، فقالوا: يا رسول الله! الحياءُ من الدين؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل الدِّينُ كلُّه». ثم قال رسول الله ﷺ: «إن الحياءَ والعفافَ والعيَّ ـ عيَّ اللسان، لا

(١) صحيح مسلم (٢٥٧٨) (٤/١٥٨٤).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٢١٩٢) (٢/٤٧٧).

(٣) صحيح سنن النسائي (٢٩١٣) (٢/٦٥٢).

(٤) أخرجه البزار والعقيلي، انظر: السلسلة الصحيحة (١٨٠٢) (٤/٤١٢).

عيٌّ القلبِ، والفقهَ من الإيمانِ، وإنهن يزدنَ في الآخرةِ، وينقُصنَ من الدنيا، وما يَزِدنَ في الآخرةِ أكثرُ مما يَنقُصنَ من الدنيا . وإنَّ الشُّحَّ والعجزَ والبذاء من النفاق، وإنهن يَزِدنَ في الدنيا، وينقصنَ من الآخرة، وما يَنقُصنَ من الآخرةِ أكثر مما يَزِدنَ من الدنيا»(١).

١١٠ ـ ضرب الأمكاس على الناس:

١١٠ ـ ١ ـ عن أبي الخير، قال: عرض مَسلمةُ بن مخلدٍ ـ وكان أميراً على مصر ـ على رويفع بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ أن يولِّيه العُشور، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ صاحبَ المكسِ في النَّار»(٢).

والمكسُ: الضَّريبَةُ التي يأخذها الماكِسُ، وهو العشَّارُ(٣).

١١٠ ـ ٢ ـ عن عثمان بن أبي العاص ـ رضي الله عنه ـ عن رسولِ الله ﷺ: «تُفتَحُ أبوابُ السماءِ نصفَ الليلِ، فينادي مُنادٍ: هل مِن داعٍ فيُستَجابَ لهُ؟ هَل مِن سائلٍ فيُعطى؟ هَل مِن مكروبٍ فيُفَرَّجَ عنهُ؟ فلا يَبقَى مسلمٌ يدعو بدعوةٍ؛ إلا استَجابَ اللهُ عزَّ وجلَّ له، إلا زانيةً تَسعَى بِفَرجِها أو عَشَّاراً»(٤).

١١١ ـ عدم إعطاء الأجير حقه:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة:١].

١١١ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ أنا خصمهم يوم القيامة؛ رجلٌ أعطى بي ثمَّ غدر، ورجل باع حرّاً فأكل ثمنه، ورجلٌ استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يُعطه أجره»(٥).

---

(١) رواه الطبراني وأبو الشيخ في الثواب، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٣٠) (٥/٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند والطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٤٠٥) (١١٩٩/٢-٧).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ـ ابن الأثير ـ (٣٤٩/٤).

(٤) رواه أحمد والطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٩١) (٦١٠/٢).

(٥) صحيح البخاري (٧٠/٢٢) (٧٠/٣).

١١١ - ٢ - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أعظم الذنوب عند الله رجلٌ تزوج امرأةً؛ فلما قضى منها حاجته طلَّقها وذهب بمهرها، ورجلٌ استعمل رجلاً فذهب بأجرته، وآخر يقتل دابَّةً عبثاً»(١).

١١٢ - مطل الغني:

قال تعالى: ﴿وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة:٢٣٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٣]

١١٢ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مطلُ الغنيِّ ظلمٌ، فإذا أُتبعَ أحدكم على مليءٍ فليتَّبع»(٢).

١١٢ - ٢ - عن الشريد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ليُّ الواجدِ يُحلُّ عِرضَهُ، وعُقُوبَتَهُ»(٣).

أي؛ تأخيره أداء الدين من وقت إلى آخر بغير عذر(٤).

١١٣ - منع الفضل من المال عن ذوي القرابات:

١١٣ - ١ - عن جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِن ذي رَحِمٍ يأتي ذا رَحِمِهِ، فيسأله فضلاً أعطاه الله إياه، فيبخل عليه؛ إلا أخرج اللهُ له من جهنم حيَّةً يقال لها: شجاعٌ يَتَلَمَّظُ، فَيُطوَّقُ به»(٥).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، انظر: السلسلة الصحيحة (٩٩٩) (٢/٧٣٦).

(٢) صحيح مسلم (١٥٦٤) (٣/٩٦٩).

(٣) صحيح سنن النسائي (٤٣٧٢) (٣/٩٧٠).

(٤) تحفة الأحوذي - المباركفوري (٤/٤٤٥).

(٥) رواه الطبراني في الأوسط والكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٥٤٨) (٦-١/١٠٤).

٢١١٣ - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ:
«أيُّما رجلٍ أتاه ابن عمه يسأله من فضله، فمنعه؛ منعه الله فضله يوم القيامة»(١).

(١) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٨٩٧) (٢/٥٣٦).

كتاب البيوع والتجارات

١١٤ ـ احتكار السلعة لرفع سعرها على الناس:

١١٤ ـ ١ ـ عن معمر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحتَكِرُ إلاَّ خاطئٌ»(١).

١١٤ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ احتكرَ حُكرةً يريدُ أن يُغلي بها على المسلمين؛ فَهو خاطئ»(٢).

١١٥ ـ إخفاء عيب السلعة عند البيع:

١١٥ ـ ١ ـ عن حكيم بن حزام ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «البَيِّعان بالخِيارِ ما لم يتفرَّقا، فإن صَدَقَا وبَيَّنا؛ بورك لهما في بيعِهما، وإن كَتَما وكذبا مُحِقَت بركةُ بيعِهِما»(٣).

١١٥ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ على صُبرَةِ طعامٍ، فأدخلَ يدَهُ فيها، فنالت أصابعُهُ بللاً. فقال رسول الله ﷺ: «ما هذا يا صاحبَ الطعام؟!» قال: أصابتهُ السماءُ يا رسول الله! قال: «أفلا جعلته فوقَ الطعامِ حتى يراه الناسُ؟ من غشَّ فليسَ مني»(٤).

١١٥ ـ ٣ ـ عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلمُ أخو المسلمِ، ولا يحلُّ لمسلمٍ باع من أخيه بيعاً فيه عيبٌ إلا بيَّنه له»(٥).

---

(١) صحيح مسلم (١٦٠٥) (٣/٩٩٥).

(٢) أخرجه أحمد وابن عدي، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٣٦٢) (١٠٨٧/٢/٧ـ٧).

(٣) صحيح البخاري (٢٠٧٩) (٣/١٤).

(٤) صحيح مسلم (٨٦) (١/٨٧).

(٥) صحيح سنن ابن ماجه (١٨٢٣) (٢/٢٢).

١١٥ - ٤ - عن واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لأحدٍ يبيع شيئاً إلا بيَّنَ ما فيه، ولا يحلُّ لمن عَلِمَ ذلك إلا بيَّنه»[1].

١١٥ - ٥ - وعنه - رضي الله عنه - قال: كان رسولُ الله ﷺ يخرجُ إلينا، وكنَّا تُجَّاراً، وكان يقولُ: «يا معشرَ التُّجارِ! إيَّاكم والكذبَ»[2].

١١٥ - ٦ - عن عبد الرحمن بن شبل - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ التُّجَّارَ همُ الفُجَّارُ». قالوا: يا رسول الله! أليسَ قد أحلَّ الله البيعَ؟ قال: «بلى؛ ولكنَّهُم يحلفونَ فيأثَمونَ، ويحدِّثون فيكذبونَ»[3].

١١٦ - الإكراه على البيع:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ [النساء:٢٩].

١١٦ - ١ - عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما البيعُ عن تراضٍ»[4].

١١٦ - ٢ - عن حنيفة الرقاشي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس»[5].

١١٦ - ٣ - عن أبي حميد الساعدي - رضي الله عنه - أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا يحلُّ لمسلمٍ أن يأخذَ عصا أخيه بغيرِ طيبِ نفسٍ منهُ»[6].

قال ذلك لشدَّة ما حرَّم الله من مال المسلمِ على المسلم.

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٧٧٤) (٢/٣٣٨).

(٢) رواه الطبراني في الكبير، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٧٩٣) (٢/٣٤٦).

(٣) رواه أحمد في المسند والحاكم في المستدرك، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٧٨٦) (٢/٣٤٢).

(٤) صحيح سنن ابن ماجه (١٧٧٨) (٢/١٣).

(٥) أخرجه الدار قطني وأحمد وأبو يعلى والبيهقي، انظر: إرواء الغليل (١٤٥٩) (٥/٢٧٩).

(٦) رواه ابن حبان في صحيحه، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٨٧١) (٢/٣٨١).

١١٧ - إنفاق السلع بالحلف الكثير أو الكاذب:

١١٧ - ١ - عن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - أنَّ رجلاً أقامَ سلعةً وهو في السُّوق، فحلَفَ بالله لقد أعطي بها ما لم يُعطَ ليُوقعَ فيها رجلاً من المسلمينَ، فنزلت: ﴿**إنَّ الَّذين يَشْتَرُونَ بعَهْدِ اللَّهِ وأَيْمَانِهمْ ثَمَنًا قليلاً أُوْلئكَ لا خَلاقَ لَهُمْ في الآخرَةِ ولا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ولا يَنظُرُ إلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ولا يُزَكِّيهِمْ ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٧٧] »(١).

١١٧ - ٢ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلفُ مَنفقةٌ للسِّلعة، مَمحقةٌ للبَركة»(٢).

١١٧ - ٣ - عن أبي قتادة الأنصاري - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إيّاكم وكثرةَ الحلفِ في البيعِ، فإنّه يُنَفِّقُ ثمَّ يَمحَقُ»(٣).

١١٧ - ٤ - عن الحارث بن البرصَاء - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسول الله ﷺ في الحج بين الجمرتين، وهو يقول: «مَن اقتَطعَ مالَ أخيهِ بيمينٍ فاجرةٍ؛ فليتبوأ مقعَدَهُ من النارِ»(٤).

١١٧ - ٥ - عن ثعلبة بن أبي صُعير - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن اقتَطعَ مالَ مسلمٍ بيمينٍ كاذبةٍ؛ كانت نُكتَةً سوداءَ في قلبِه لا يُغيِّرها شيءٌ إلى يومِ القيامةِ»(٥).

١١٧ - ٦ - عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: مرَّ أعرابيٌّ بشاةٍ، فقلتُ: تبيعُها بثلاثة دراهم؟ فقال: لا والله، ثمَّ باعَها، فذكرتُ ذلك لرسولِ الله ﷺ فقال: «باعَ آخرتَهُ بدنياهُ»(٦).

---

(١) صحيح البخاري (٢٠٨٨) (٣/١٧).

(٢) صحيح البخاري (٢٠٨٧) (٣/١٧).

(٣) صحيح مسلم (١٦٠٧) (٣/٩٩٥).

(٤) رواه أحمد في المسند والحاكم في المستدرك، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٨٣٤) (٢/٣٦٨).

(٥) رواه الحاكم، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٨٣٨) (٢/٣٧٠).

(٦) رواه ابن حبان في صحيحه، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٧٩٢) (٢/٣٤٥).

١١٧ - ٧ - عن سلمان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم؛ أُشيمطٌ زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه»(١).

١١٨ - بيع الأرض المشتركة دون عرضها على الشريك:

١١٨ - ١ - عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «الشُّفعَةُ في كُلِّ شِركٍ في أرضٍ أو ربعٍ أو حائط، لا يصلُحُ أن يَبيعَ حتَّى يعرضَ على شريكِهِ فيأخُذَ أو يَدَعَ. فإن أبى فشريكُهُ أحقٌّ به حتَّى يؤذِنَهُ»(٢).

١١٨ - ١ - وعنه - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانَ منكُم شريكاً في ربعَةٍ أو نخلٍ، فليسَ لهُ أن يبيعَ حتَّى يُؤذِنَ شريكَهُ، فإن رضيَ أخذهُ، وإن كرهَ تَركَهُ»(٣).

١١٨ - ٢ - وعنه - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّكم كانت له أرض أو نخل، فلا يبعها حتى يعرضها على شريكه»(٤).

١١٩ - بيع ما حرم الله على الناس وما فيه إعانة على معصية:

قال تعالى: ﴿وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢].

١١٩ - ١ - عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: أنه سمع النبي ﷺ يقول وهو بمكة عامَ الفتح: «إنَّ الله ورسوله حرَّمَ بيع الخمرِ، والميتةِ والخنزير، والأصنامِ» فقيل: يا رسولَ الله! أرأيتَ شُحومَ الميتةِ فإنها يُطلى بها السُّفنُ، ويُدهنُ بها الجُلودُ، ويستصبحُ بها الناسُ؟ فقال: «لا، هوَ حرامٌ». ثم قالَ رسولُ الله ﷺ عند ذلك: «قاتلَ الله اليهودَ، إنَّ الله لما حرَّم شحومها جَمَلوهُ ثمَّ باعوهُ فأكلوا ثمنه»(٥).

(١) أخرجه الطبراني في الطبير والبيهقي في الشعب، انظر: صحيح الجامع (٣٠٧٢) (١/٥٨٩).

(٢) صحيح مسلم (١٦٠٨) (٣/٩٩٦).

(٣) صحيح مسلم (١٦٠٨) (٢/٩٩٥).

(٤) صحيح سنن النسائي (٤٣٨٢) (٢/٩٧١).

(٥) صحيح البخاري (٢٢٣٦) (٣/٥٩).

١١٩ - ٢ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: رأيت رسول الله ﷺ جالساً في الركن، قال: فرفع بصره إلى السماء فضحك، فقال: «لعنَ اللهُ اليَهُودَ - ثلاثاً - إنَّ الله حرَّمَ عليهم الشحوم فباعوها، وأكلوا أثمانها، وإن الله إذا حرَّم على قوم أكل شيء، حرم عليهم ثمنه»(١).

لما في ذلك من تيسير المنكر، ونشر أسباب الشر، والتعاون على المعصية، والتناصر على ما يسخط الله تعالى.

كبيع آلات اللهو والنرد والشِّطرنج فلا يصح، وكذلك بيع العصير ممن يتخذه خمراً، والسلاح في الفتنة(٢) وغيره كثير.

١٢٠ - بيع الرجل على بيع أخيه:

١٢٠ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبع حاضرٌ لبادٍ، ولا تناجشوا، ولا يبع الرجلُ على بيع أخيه، ولا تسألِ المرأة طلاقَ أختها لتكفأ ما في إنائها ولتنكحَ، فإنما لها ما كتبَ اللهُ لها»(٣).

وذلك بأن يبذل للبائع زيادة في الثمن أو للمشتري زيادة في المثمن ليفسخا ويعقدا معه بعد التواجب، فهو حرام(٤).

١٢١ - بيع ما ليس عنده:

١٢١ - ١ - عن حكيم بن حزام - رضي الله عنه - قال: نهاني رسول الله ﷺ عن بيعِ ما ليسَ عندي(٥).

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٢٩٧٨) (٢/٦٦٧).

(٢) بلغة الساغب - محمد بن أبي القاسم الحراني - ص ١٧٥.

(٣) صحيح البخاري (٢٧٢٣) (٣/٢٤٠).

(٤) بلغة الساغب وبغية الراغب - الحراني - ص ١٧٥.

(٥) صحيح سنن الترمذي (٩٨٧) (٢/٧).

أي ما ليس حاضراً عندك، ولا غائباً في ملكك وتحت حوزتك[1].

١٢١ - ٢ - وعنه - رضي الله عنه - قال: قلت يا رسول الله! الرجل يسألني البيع وليس عندي، أفأبيعه؟ قال ﷺ: «لا تَبع ما ليسَ عندكَ»[2].

١٢١ - ٣ - عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلُّ بيعُ ما ليسَ عِندَكَ، ولا ربحُ ما لم يُضمن»[3].

١٢٢ - بيع المغنيات ونشر فسادهنَّ:

١٢٢ - ١ - عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: نهى رسول الله ﷺ عن بيع المُغنِّيات، وعن شرائهن، وعن كسبهن، وعن أكل أثمانهن[4].

١٢٢ - ٢ - وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تبيعوا القَينات، ولا تشتروهُنَّ، ولا تعلموهن، ولا خير في تجارةٍ فيهنَّ، وثمنُهن حرامٌ، وفي مثلِ هذا أُنزلت هذه الآية: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾** [لقمان:٦] إلى آخر الآية»[5].

١٢٢ - ٣ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ نهى عن كسبِ الزَّمّار[6].

١٢٣ - تسعير الطعام بما يشقُّ على المشتري أو يضر بالبائع:

١٢٣ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً جاء، فقال: يا رسول الله! سَعِّر؟ فقال ﷺ: «بل أدعو» ثم جاءه رجل، فقال: يا رسول الله ! سعِّر ! فقال

(١) نيل الأوطار - الشوكاني (١٥٥/٥).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (١٧٨٠) (١٣/٢).

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (١٧٨٢) (١٣/٢).

(٤) صحيح سنن ابن ماجه (١٧٦١) (١٠/٢).

(٥) صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٣) (٨٩/٣).

(٦) أخرجه أبو بكر الخلال في الأمر بالمعروف، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٢٧٥) (٨١١/٢-٧).

ﷺ: «بل الله يخــفـض ويرفع، وإني لأرجــو أن ألقى الله وليس لأحـــد عندي مظلمة»(١).

١٢٣ - ٢ - عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: غلا السِّعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! قد غلا السعر، فسعِّر لنا. فقال ﷺ: «إنَّ الله هو المُسعِّرُ القابضُ الباسِطُ الرَّازقُ، إنِّي لأرجو أن ألقى ربِّي وليسَ أحدٌ يطلُبُني بمظلِمَةٍ في دمٍ ولا مالٍ»(٢).

١٢٣ - ٣ - عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: لو قَوَّمت يا رسول الله! قال: «إنِّي لأرجُو أن أُفارِقَكُم، ولا يَطلُبني أحدٌ مِنكُم بمظلِمةٍ ظَلَمتُهُ»(٣).

١٢٤ - تصرية الضروع عند البيع:

١٢٤ - ١ - عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَلَقَّوُا الركبان للبيع، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، ولا تناجشوا، ولا يبع حاضرٌ لبادٍ، ولا تصُروا الإبلَ و الغنم، ومن ابتاعها، فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها، إن رضيها أمسكها، وإن سخطها ردها وصاعاً من تمر»(٤).

١٢٤ - ٢ - وعنه -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَصُرُّوا الإبلَ والغنم .....»(٥).

والمصراةُ التي صُرِّي لبنها وحقن فيه وجمع فيه فلم يحلب أياماً(٦).

(١) صحيح سنن أبي داود (٢٩٤٤) (٢/٦٦٠).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (١٧٨٧) (٢/١٥).

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (١٧٨٨) (٢/١٥).

(٤) صحيح البخاري (٢١٥٠) (٣/٣٧)

(٥) صحيح البخاري (٢١٤٨) (٣/٣٦).

(٦) صحيح البخاري (٣/٣٦).

١٢٤ - ٣ - وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بَاعَ أحَدُكُمُ الشَّاةَ أو اللَّقحَةَ فلا يُحفِّلْهَا»(١).

١٢٥ - الزيادة في ثمن السلعة دون قصد شرائها (النَّجش):

١٢٥ - ١ - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «نهى النبي ﷺ عن النَّجشِ»(٢).

١٢٥ - ٢ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُتلقَّى الرُّكبان لبيعٍ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، ولا تناجشوا..»(٣).

قال الترمذي: النجش أن يأتي الرجل الذي يبصر السلعة إلى صاحب السلعة فيستام بأكثر مما تسوى، وذلك عندما يحضره المشتري، يريد أن يغتر المشتري به، وليس من رأيه الشراء، إنما يريد أن ينخدع المشتري بما يستام، وهذا ضرب من الخديعة(٤).

١٢٦ - الشروط المحرمة في البيع وغيره مما يضر بالناس:

١٢٦ - ١ - عن عائشة - رضي الله عنها - قال: قال رسول الله -: «ما بالُ أقوامٍ يشتَرِطونَ شُروطاً ليست في كتاب الله؟ مَنِ اشتَرَطَ شَرطاً ليسَ في كتاب الله فليسَ لهُ وإن اشتَرطَ مائةَ شرط»(٥).

١٢٦ - ٢ - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلمون عند شروطِهم، ما وافق الحق من ذلك»(٦).

---

(١) صحيح سنن النسائي (٤١٧٨) (٣/٩٣٤).

(٢) صحيح مسلم (١٥١٦) (٣/٩٣٤).

(٣) صحيح مسلم (١٥١٥) (٣/٩٣٤).

(٤) صحيح سنن الترمذي (١٠٥٠) (٣/٣٠).

(٥) صحيح البخاري (٢٧٣٥) (٣/٢٥١).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك، انظر: صحيح الجامع (٧٦١٦) (٢/١١٣٨).

١٢٨ ـ عدم وضع الجوائح على من أصيب بها :

١٢٨ ـ ١ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : أمر النبي ﷺ بوضع الجوائح(١) .

١٢٨ ـ ٢ ـ عن جابر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «لو بعتَ من أخيكَ ثمراً، فأصابتهُ جائحةٌ؛ فلا يحلُّ لك أن تأخذَ منه شيئاً، بم تأخذُ مالَ أخيكَ بغير حقٍّ؟»(٢) .

١٢٨ ـ ٣ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «إن لَم يُثمِرها اللهُ، فبمَ يَستَحِلُّ أحدُكُم مَالَ أخيه؟»(٣) .

عن عطاء، قال : الجوائح : كل ظاهر مفسد؛ من مطر، أو بردٍ، أو جراد، أو ريح، أو حريق(٤) .

١٢٧ ـ عدم الوفاء بالشروط المعتبرة شرعاً :

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...﴾ [المائدة:١] .

١٢٧ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «الصلحُ جائزٌ بين المسلمينَ إلا صُلحاً أحلَّ حراماً، أو حرَّمَ حلالاً» . وقال ﷺ : «المُسلمونَ على شُرُوطِهِم»(٥) .

١٢٧ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «المسلمون عند شروطهم»(٦) .

---

(١) صحيح مسلم (١٥٥٤) (٣/٩٦٥).

(٢) صحيح مسلم (١٥٥٤) (٣/٩٦٤).

(٣) صحيح مسلم (١٥٥٥) (٣/٩٦٥).

(٤) صحيح سنن الترمذي (٢/٦٦٤).

(٥) صحيح سنن أبي داود (٣٠٦٣) (٢/٦٨٥).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وغيره ، انظر : السلسلة الصحيحة (٢٩١٥) (٢/٩٩٢-٦).

١٢٧ - ٣ - عن رافع بن خديج - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلمون عند شُروطِهم فيما حلَّ»(١).

١٢٩ - نقص المكيال والميزان:

قال تعالى: ﴿وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ...﴾ [هود:٨٤].

وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ...﴾ [هود:٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [المطففين:٣، ٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء:٣٥].

١٢٩ - ١ - عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا مَعشَرَ المُهاجرينَ! خَمسٌ إذا ابتُليتُم بِهنَّ، وأعوذُ بالله أن تُدركوهُنَّ:

لم تَظهَر الفاحِشةُ في قومٍ قطٌّ، حتَّى يُعلِنوا بها، إلاَّ فشا فيهمُ الطَّاعُونُ والأوجاعُ التي لم تكن مضت في أسلافِهمُ الذين مضوا.

ولم يَنقُصُوا المكيالَ والميزانَ، إلاَّ أُخِذُوا بالسِّنينَ وشِدَّةِ المئونةِ وجورِ السُّلطانِ عليهم.

ولم يَمنعُوا زكاةَ أموالهم، إلاَّ مُنِعُوا القطرَ من السَّماء، ولولا البهائم لم يُمطَروا.

ولم يَنقُضُوا عهدَ الله وعهد رسوله، إلاَّ سَلَّطَ الله عليهم عدُوًّا مِن غيرهم، فأخَذُوا بعضَ ما في أيديهم.

وما لم تَحكُم أئمَّتُهُم بكتاب الله، ويتَخَيَّروا ممَّا أنزلَ الله، إلاَّ جَعَلَ الله بأسَهُم بينَهُم»(٢).

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: صحيح الجامع (٧٦١٥) (٢/١١٣٨).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٤٦) (٢/٣٧٠).

كتاب النكاح والبيت والخدمة

١٣٠ - إدخال أهل المعاصي والمخنثين إلى البيوت:

١٣٠ - ١ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لعنَ النبيُّ ﷺ المُخنَّثين من الرِّجالِ، والمُترجِّلاتِ من النِّساءِ، وقال: «أَخرجُوهُم من بيوتِكُم»[١].

١٣١ - تحليل المطلقة ثلاثاً لزوجها:

١٣١ - ١ - عن جابر بن عبد الله، وعن الحارث، عن عليٍّ - رضي الله عنه - قالا: أن رسول الله ﷺ لعن المحلِّل والمحلَّل له[٢].

١٣١ - ٢ - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: لعن رسول الله ﷺ المحلِّل والمحلَّل له[٣].

١٣١ - ٣ - عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبرُكُم بالتَّيسِ المُستعارِ؟» قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: «هُو المُحلِّلُ، لعنَ اللهُ المُحلِّلَ والمُحلَّلَ لهُ»[٤].

١٣٢ - تخبيب الزوجة على زوجها والخادم على أهلها:

١٣٢ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن خبَّبَ زوجةَ امرئ، أو مملوكَهُ فليسَ منَّا»[٥].

---

(١) صحيح البخاري (٦٨٣٤) (٧/٣٤٤).

(٢) صحيح سنن الترمذي (٨٩٣) (٢/٣٢٦).

(٣) صحيح سنن الترمذي (٨٩٤) (٢/٣٢٦).

(٤) صحيح سنن ابن ماجه (١٥٧١) (١/٣٢٦).

(٥) صحيح سنن أبي داود (٤٣٠٧) (٣/٩٧١).

١٣٢ ـ ٢ ـ عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منَّا من حلف بالأمانةِ، ومن خبَّبَ على امرئٍ زوجتهُ، أو مملوكهُ فليس منا»(١).

١٣٢ ـ ٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن خبَّبَ خادماً على أهله، فليس منا، ومن أفسد امرأة على زوجها فليس منا»(٢).

١٣٣ ـ التفريق بين الوالدة وولدها في سبيٍ وغيره بغير حق:

١٣٣ ـ ١ ـ عن أبي أيوب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من فرَّق بين والدةٍ وولدها، فرَّق اللهُ بينه وبين أحبته يوم القيامة»(٣).

١٣٤ ـ تكليف المملوك والخادم بما لا يطيق:

١٣٤ ـ ١ ـ عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إخوانُكُم وخَوَلُكُم. جعلهم الله تحتَ أيديكُم، فمن كانَ أخوهُ تحتَ يديهِ فليُطعمهُ ممَّا يأكُلُ، وليُلبسهُ ممَّا يلبسُ، ولا تُكلِّفُوهُم ما يَغلِبُهُم، فإن كلَّفتُمُوهُم فأعينوهُم»(٤).

١٣٥ ـ الخِطبة على خِطبة أخيه المسلم:

١٣٥ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال: نهى رسول الله ﷺ أن يبيعَ حاضرٌ لبادٍ، ولا تناجشوا، ولا يبيعُ الرَّجلُ على بيعِ أخيهِ، ولا يخطُبُ على خِطبةِ أخيه، ولا تسألُ المرأةُ طلاقَ أُختِها لتكفأَ ما في إنائها»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٢٥) (١/٥٨٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند وابن حبان، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٢٤) (١/٥٨٠).

(٣) صحيح سنن الترمذي (١٠٣٢) (٢/٤٢).

(٤) صحيح مسلم (١٦٦١) (١٠٣٩/٣).

(٥) صحيح البخاري (٢١٤٠) (٣/٣٤).

١٣٥ - ٢ - عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمنُ أخو المؤمنِ، فلا يحلُّ للمؤمنِ أن يبتاعَ على بيع أخيه، ولا يخطُبَ على خِطبةِ أخيهِ حتَّى يذَرَ»(١).

١٣٥ - ٣ - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبع الرَّجلُ على بيعِ أخيه، ولا يخطُب على خِطبة أخيه، إلاَّ أن يأذَنَ لهُ»(٢).

١٣٦ - الدعاء على الخدم:

١٣٦ - ١ - عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعةً يُسأل فيها عطاءٌ فيستجاب لكم»(٣).

١٣٧ - سؤال المرأة زوجها طلاق ضرَّتها بغير حق:

١٣٧ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «قال: ... ولا تسألُ المرأةُ طلاقَ أُختِها لتكفأ ما في إنائها»(٤).

١٣٧ - ٢ - وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها، ولتنكح، فإنما لها ما قُدِّرَ لها»(٥).

١٣٨ - المبالغة في مهور النساء بما يشق على الخاطب:

١٣٨ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: إنِّي تزوَّجتُ امرأةً من الأنصارِ، فقال له النبيُّ ﷺ: «هل نظرتَ إليها؟ فإنَّ

(١) صحيح مسلم (١٤١٤) (٢/٨٣٨).

(٢) صحيح مسلم (١٤١٢) (٢/٨٣٧).

(٣) صحيح سنن أبي داود (١٣٦٥) (٢/٢٨٥).

(٤) صحيح البخاري (٢١٤٠) (٣/٣٤).

(٥) صحيح البخاري (٥١٥٢) (٦/٤٦٥).

في عيونِ الأنصار شيئاً» قال: قد نظرتُ إليها. قال ﷺ: «على كم تَزوَّجتها؟» قال: على أربعِ أوقٍ. قال له النبيُّ ﷺ: «على أربعِ أواقٍ؟! كأنَّما تنحِتُونَ الفضَّةَ من عُرضِ هذا الجبلِ!»(١).

١٣٨ - ٢ - عن أبي حدرد الأسلمي - رضي الله عنه - أنه أتى النبيَّ ﷺ يستعينه في مهر امرأة، فقال ﷺ: «كم أمهرتها؟» فقال: مائتي درهم. فقال ﷺ: «لو كنتم تَغرِفونَ مِن بطحانَ ما زِدتُم»(٢).

١٣٨ - ٣ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «من يمنِ المرأة: تسهيلُ أَمرِها، وقِلَّةُ صداقِها»(٣).

١٣٨ - ٤ - عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ النِّكاحِ أيسَرُهُ»(٤).

* عن أبي العجفاء السلمي، قال: خطبنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال: ألا لا تُغالوا بِصدُقِ النساء، فإنها لو كانت مَكرُمَةً في الدنيا، أو تقوى عند الله، لكان أولاكم بها النبيُّ ﷺ ما أصدَقَ رسول الله ﷺ امرأة من نسائه، ولا أُصدِقَت امرأة من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية(٥).

---

(١) صحيح مسلم (١٣٢٣) (٢/٨٤٣).

(٢) أخرجه الحاكم وأحمد، انظر: السلسلة الصحيحة (٢١٧٣) (٥/٢٠٥).

(٣) صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (١٠٥٠) (١/٥٠٤).

(٤) صحيح سنن أبي داود (١٨٥٩) (٢/٣٩٨).

(٥) صحيح سنن أبي داود (٢/٣٩٦).

كتاب الأيمان والشهادات والوصايا

١٣٩ ـ امتناع الشاهد من شهادته لاستيفاء الحقوق :

قال تعالى : ﴿وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا . . .﴾ [البقرة:٢٨٢] .

وقال تعالى : ﴿وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٣] .

وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [المعارج:٣٣] .

وقال تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة:١٤٠] .

١٣٩ ـ ١ ـ عن طارق بن شهاب ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «إن بين يدي الساعة تسليمَ الخاصة، وفشوَّ التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم»(١) .

١٤٠ ـ امتناع الكاتب من الكتابة لحفظ الحقوق :

قال تعالى : ﴿وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [البقرة:٢٨٢] .

أي : ولا يمتنع من يعرف الكتابة إذا سئل أن يكتب للناس(٢) .

قال الحسن : ذلك واجب عليه في الموضع الذي لا يُقدر على كاتب غيره، فيضر صاحب الدين إن امتنع، فإن كان كذلك فهو فريضة، وإن قُدِر على كاتب غيره، فهو في سَعَة إذا قام به غيره(٣) .

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم ، انظر :السلسلة الصحيحة (٦٤٧) (٢/٢٥٠) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير (١/٣٤٢) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي (٢/٢٤٨) .

١٤١ ـ تعديل من لا يعرف حاله :

١٤١ ـ ١ ـ عن سليمان بن حرب، قال: شهد رجل عند عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقال له عمر: إني لست أعرفك، ولا يضرك أني لا أعرفك، فائتني بمن يعرفك، فقال رجل: أنا أعرفه يا أمير المؤمنين. قال: بأي شيء تعرفه فقال: بالعدالة. قال: هو جارك الأدنى تعرف ليله ونهاره ومدخله ومخرجه قال: لا. قال: فعاملك بالدرهم والدينار الذي يستدل بهما على الورع قال: لا. قال: فصاحبك في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق قال: لا. قال: فلست تعرفه، ثم قال للرجل: ائتني بمن يعرفه(١).

١٤٢ ـ الحلف باليمين الفاجرة لإحقاق باطل :

قال تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة:٨٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٧].

١٤٢ ـ ١ ـ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين ليقتطع بها مالا لقي الله وهو عليه غضبان»(٢).

١٤٢ ـ ٢ ـ عن أبي أمامة الحارثي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، و حرم الله عليه الجنة، و إن كان قضيباً من أراك»(٣).

١٤٢ ـ ٣ ـ عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين مصبورة كاذباً متعمداً فليتبوأ بوجهه مقعده في النار»(٤).

---

(١) أخرجه العقيلي والبيهقي، انظر: إرواء الغليل (٢٦٣٧) (٨/٢٦٠).

(١) صحيح البخاري (٢٦٧٣) (٣/٢٢٠).

(٣) صحيح مسلم (١٣٧) (١/١١٣).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٢٧٧٨) (٢/٦٢٥).

١٤٢ - ٤ - عن الأشعث بن قيس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقتطع أحد مالاً بيمينه، إلا لقي الله وهو أجذم»(١).

١٤٢- ٥ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس شيء أطيع الله فيه أعجل ثوابًا من صلة الرحم، وليس شيء أعجل عقابًا من البغي وقطيعة الرحم، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع»(٢).

١٤٢ - ٦ - عن معاوية - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «من قطع رحمًا، أو حلف على يمين فاجرة رأى وبالها قبل أن يموت»(٣).

١٤٢ - ٧ - عن ثعلبة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتطعَ مالَ امرئٍ مسلمٍ؛ بيمينٍ كاذبةٍ؛ كانت نُكتةً سوداءَ في قلبه، لا يغيّرها شيءٌ إلى يوم القيامة»(٤).

١٤٣ - شهادة الزور:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان:٧٢].

وقال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج:٣].

١٤٣ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ (ثلاثاً) قالوا: بلى يا رسول الله. قال ﷺ: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» - وكان متكئاً فجلس - فقال: «ألا وقول الزور». فما زال يكررها، حتى قلنا: ليته سكت(٥).

(١) صحيح سنن أبي داود (٢٧٨٠) (٢/٦٢٦).

(٢) اخرجه البيهقي في السنن الكبرى، انظر: السلسلة الصحيحة (٩٧٨) (٢/٧٠٦).

(٣) أخرجه البخاري في التاريخ والبيهقي، انظر السلسة الصحيحة (١١٢١) (٣/١١٤).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٣٦٤) (٧-٢/١٠٩١).

(٥) صحيح البخاري (٢٦٥٤) (٣/٢١٠).

شاهد الزور قد ارتكب عظائم؛

أحـــدها: الكذب والافتـراء، والله يقـول: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾ [غافر:٢٨].

وثانيها: ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه.

وثالثهـا: أنه ظلم الذي شهد له؛ بأن ساق إليه المال الحرام، فأخذه بشهادته ووجبت له النار، قال رسول الله ﷺ: «من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار»(١).

ورابعها: أنه أباح ما حرم الله و عصمه من المال والدم والعرض؛ قال رسول الله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»(٢)،(٣).

١٤٤ ـ عدم الإشهاد على الدين:

١٤٤ ـ ١ ـ عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ثلاثةٌ يدعُون فلا يُستجاب لهم: رجلٌ كانت تحته امرأةٌ سيئة الخُلقِ فلم يُطلِّقها، ورجلٌ كان له على رجل مال فلم يُشهد عليه، ورجل أتى سفيهاً مالَه وقد قال الله عز وجل: ﴿**وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ**﴾»(٤).

١٤٥ ـ عدم كتابة الوصية لمن له أو عليه حقٌّ للناس:

١٤٥ ـ ١ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما حقُّ امرئٍ لهُ شيءٌ يُوصي فيه يَبيتُ ليلَتين إلاَّ وصيَّتُهُ مكتوبةٌ عندَه»(٥).

---

(١) صحيح البخاري (٢٦٨٠) (٣/٢٢٣).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٦٤) (٤/١٥٧٧).

(٣) الكبائر ـ الذهبي ـ ص ٨٠.

(٤) رواه ابن شاذان في المشيخة الصغرى والحاكم، انظر: السلسلة الصحيحة (١٨٠٥) (٤/٤٢٠).

(٥) صحيح البخاري (٢٧٣٨) (٣/٢٥٣).

١٤٦ ـ قبول شهادة ذي الغمر[١] على أخيه:

١٤٦ ـ ١ ـ عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ ردَّ شهادة الخائن والخائنة، وذي الغِمرِ على أخيه، ورد شهادة القانع لأهل البيت، وأجازها لغيرهم[٢].

١٤٦ ـ ٢ ـ عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجوزُ شهادةُ خائنٍ ولا خائنةٍ، ولا محدودٍ في الإسلام، ولا ذي غمرٍ على أخيه»[٣].

١٤٦ ـ ٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجوزُ شهادة ذي الظنة، ولا ذي الحِنَة»[٤].

وذي الحِنَة أي العداوة[٥].

١٤٧ ـ قذف المسلم بما يشينه:

قال تعالى: **﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾** [النساء:١١٢].

١٤٧ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «أتدرون ما المفلس؟ إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[٦].

---

(١) قال أبو داود: الغمر الحِنَةُ والشحناء. انظره في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٨٦).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٣٠٦٧) (٢/٦٨٦).

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (١٩١٦) (٢/٤٤).

(٤) أخرجه الحاكم والبيهقي، انظر: إرواء الغليل (٢٦٧٤) (٨/٢٩٠) حاشية.

(٥) فيض القدير ـ المناوي (٦/٣٩١).

(٦) صحيح مسلم (٢٥٨١) (٤/١٥٨٥).

١٤٧ - ٢ - عن معاذ بن أنس الجهني - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من حما مؤمناً من منافق بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلماً بشيء يريد شينه به. حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال»(١).

١٤٨ - مضارة الكاتب والشاهد:

قال تعالى: **﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** [البقرة:٢٨٢].

قيل معناه؛ لا يضار الكاتب ولا الشاهد، فيكتب هذا خلاف ما يُملى، ويشهد هذا بخلاف ما سمع، أو يكتمها بالكلية(٢).

ورُوي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قوله: معنى الآية بأن يُدعى الشاهدُ إلى الشهادة والكاتبُ إلى الكتب وهما مشغولان، فإذا اعتذرا بعذرهما أخرجهما وآذاهما، وقال: خالفتما أمر الله، ونحو هذا من القول فيضرّ بهما (٣).

ومعناه: أن يدعو الرجل الكاتب أو الشاهد وهما على شُغل مهم، فيقولان: نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا، فيقول الداعي: إن الله أمركما أن تُجيبا، ويَلِحّ عليهما، فيشغلهما عن حاجتهما، فنُهي عن ذلك، وأُمر بطلب غيرهما(٤).

(١) صحيح سنن أبي داود (٤٠٨٦) (٣/٩٢٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير (١/٣٤٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي (٣/٢٦٢).

(٤) معالم التنزيل - البغوي (١/٢٧٠).

كتاب القصاص والجراحات

١٤٩ - الإشارة بالحديد هازلاً أو عامداً:

١٤٩ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار»(١).

١٤٩ - ٢ - وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه»(٢).

١٤٩ - ٣ - وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشار على أخيه بحديدة، لعنته الملائكة»(٣).

فهذا قد استحق اللعن بالإشارة، فما ظنك بالإصابة؟!

وإنما يكون اللعن عليها إذا كانت إشارة تهديد سواء كان مجداً فيه أو لاعباً(٤).

١٥٠ - الاعتداء على الغير:

١٥٠ - ١ - عن قُهيد الغفاري، قال: سأل سائل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إن عدا عليَّ عادٍ؟ فقال له النبي ﷺ: «ذكِّرهُ بالله ثلاثَ مرَّاتٍ؛ فإن أبى

---

(١) صحيح مسلم (٢٦١٧) (٤/١٦٠٣).

(٢) صحيح مسلم (٢٦١٦) (٤/١٦٠٣).

(٣) صحيح سنن الترمذي (١٧٥٥) (٢/٢٣١).

(٤) عارضة الأحوذي - ابن العربي (٦/٩).

فقاتلهُ، فإن قتلكَ؛ فأنت في الجنة، وإن قتلتهُ؛ فإنَّه في النَّار. يعني: العادي على الغير(١).

١٥١ ـ تعاطي السيف غير مغمود:

١٥١ ـ ١ ـ عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: نهى رسول الله ﷺ أن يتعاطى السيف مسلولاً(٢).

١٥١ ـ ٢ ـ عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سل أحدكم سيفاً لينظر إليه فأراد أن يناوله أخاه، فليغمده، ثم يناوله إياه»(٣).

١٥٢ ـ الطلب في قتل المسلم بغير حق:

١٥٢ ـ ١ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أبغض الناس ثلاثاً: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، و مطلب دم امرئ بغير حق؛ ليهريق دمه»(٤).

١٥٢ ـ ٢ ـ عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تواجهَ المُسْلمانِ بسيفيهما فكلاهُما في النَّار». قيل: فهذا القاتِلُ فما بالُ المقتُولِ؟ قال: «إنَّهُ أراد قتلَ صاحِبِهِ»(٥).

١٥٣ ـ قتل الذمي والمعاهد بغير حق:

قال تعالى: **﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾**[التوبة: ٤]

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ والبيهقي في السنن، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٢٤٧) (٢/٧٤٦-٧).

(٢) صحيح سنن الترمذي (١٧٥٦) (٢/٢٣١).

(٣) أخرجه أحمد في المسند والطبراني والحاكم، انظر: صحيح الجامع (٦٠٤) (١/١٦٥) وقال الألباني: حسن

(٤) صحيح البخاري (٦٨٨٢) (٨/٣٥٨).

(٥) صحيح البخاري (٧٠٨٣) (٨/٤٢٨).

١٥٣ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيره سبعين عاماً»(١).

١٥٣ - ٢ - عن أبي بكرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفساً معاهدة بغير حلها، حرم الله عليه الجنة: أن يشم ريحها»(٢).

١٥٣ - ٣ - وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل معاهداً في غير كهنة، حرم الله عليه الجنة»(٣).

١٥٣ - ٤ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبيِّ ﷺ قال: «مَن قتلَ مُعاهداً، لهُ ذمَّةُ الله وذمَّةُ رسُولِه، لم يرح رائحةَ الجنَّةِ، وريحُها ليُوجدُ مِن مسيرةِ سبعينَ عاماً»(٤).

١٥٤ - قتل المسلم أو التسبب فيه:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣].

١٥٤ - ١ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزني العبدُ حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يسرقُ السارق حين يسرقُ وهو مؤمنٌ، ولا يشربَ الخمرَ حين يشربها وهو مؤمنٌ، ولا يقتُلُ حين يقتُلُ وهو مؤمنٌ»(٥).

١٥٤ - ٢ - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً»(٦).

---

(١) صحيح سنن النسائي (٤٤٢٤) (٣/٩٨٥).

(٢) صحيح سنن النسائي (٤٤٢٣) (٣/٩٨٥).

(٣) صحيح سنن النسائي (٤٤٢٢) (٣/٩٨).

(٤) صحيح سنن ابن ماجه (٢١٦٧) (٢/١٠٦).

(٥) صحيح البخاري (٦٨٠٩) (٧/٣٣٤).

(٦) صحيح البخاري (٦٨٦٢) (٧/٣٣٥).

١٥٤ - ٣ - عن ابن الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا من مات مشركا، أو مؤمنا قتل مؤمنا متعمدا»[١].

١٥٤ - ٤ - عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل مؤمنا فاغتبط بقتله، لم يقبل الله منه صرفاً، ولا عدلاً»[٢].

قوله: فاعتبط قتله يريد أنه قتله ظلما لا عن قصاص[٣].

١٥٤ - ٥ - عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن أهل السماء و الأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبهم الله عز و جل في النار»[٤].

١٥٤ - ٦ - وسئل ابن عباس - رضي الله عنهما - عمن قتل مؤمنا متعمداً ثم تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى فقال ابن عباس: وأنى له التوبة سمعت نبيكم ﷺ يقول: «يجيء متعلقا بالقاتل تشخب أوداجه دماً، يقول: سل هذا فيم قتلني؟»[٥].

١٥٤ - ٧ - عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق»[٦].

١٥٤ - ٨ - عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: «يخرُجُ عُنقٌ مِنَ النار يتكلَّمُ يقولُ: وُكِّلتُ اليومَ بثلاثةٍ: بكلِّ جبَّارٍ عنيدٍ، ومن جعلَ مع الله إلهاً آخر، ومن قَتَل نفساً بغير حقٍّ، فينطوي عليهم، فيقذِفُهُم في غمرات جهنَّم»[٧].

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣٥٨٨) (٣/٨٠٤).

(٢) صحيح سنن ابن داود (٣٥٨٩) (٣/٨٠٤).

(٣) معالم السنن - الخطابي (٣/٣١٥).

(٤) صحيح سنن الترمذي (١١٢٨) (٢/٥٧).

(٥) صحيح سنن النسائي (٤٥٢٢) (٣/١٠٠).

(٦) صحيح سنن ابن ماجة (٢١٢١) (٢/٩٢).

(٧) رواه أحمد في المسند والطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٥١) (٢/٦٣٤).

١٥٥ ـ كشف نصال السهم في الأماكن العامة وما يمكن أن يؤذي الناس:

١٥٥ ـ ١ ـ عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من مرَّ في شيء من مساجدنا أو أسواقنا بنبل فليأخذ على نصالها؛ لا يعقر بكفه مسلمًا»(١).

١٥٥ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مر أحدكم في مسجدنا، أو في أسواقنا، ومعه نبل، فليمسك على نصالها بكفه؛ أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء»(٢).

(١) صحيح البخاري (٤٥٢) (١/١٤٥).

(٢) صحيح مسلم (٢٦١٥) (٤/١٦٠٣).

كتاب الحدود

١٥٦ - إظهار الفاحشة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١٩].

١٥٦ - ١ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كنت راجماً أحداً بغير بينة، لرجمت فلانة، فقد ظهر منها الريبة في منطقها وهيئتها ومن يدخل عليها»(١).

قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: القائلُ الفاحشةَ، والذي يُشيع بها في الإثم سواء(٢).

وعن شبيل بن عوف، قال: كان يقال: من سمع بفاحشة فأفشاها، فهو كالذي أبداها(٣).

١٥٧ - تعطيل الحدود:

١٥٧ - ١ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قَتَلَ في عِمِّيًّا أو رمياً يكون بينهم بحجر أو سوط فعقله عقل خطأ، ومن قَتَلَ عمداً فقود يديه، فمن حال بينه وبينه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»(٤).

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة (٢٠٧٣) (٢/٨٢).

(٢) صحيح الأدب المفرد - ص ١٣٣ رقم (٢٤٧).

(٣) كتاب الصمت - ابن أبي الدنيا ص١٥٧ رقم (٢٦١).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٣٨٣٨) (٣/٨٦٧).

١٥٧ - ٢ - وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قُتِلَ في عِمِّيًّا في رمي يكون بينهم بحجارة أو بالسياط أو ضرب بعصا فهو خطأ، وعقله عقل الخطأ، ومن قُتلَ عمداً فهو قود، ومن حال دونه فعليه لعنة الله وغضبه، لا يقبل منه صرف ولا عدل»(١).

١٥٧ - ٣ - عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أقيمُوا حُدودَ الله في القريب والبعيد، ولا تأخُذكُم في الله لومةُ لائمٍ»(٢).

١٥٧ - ٤ - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ: «إقامةُ حَدٍّ مِن حُدودِ الله، خيرٌ مِن مَطرِ أربعينَ ليلةً في بلادِ الله عزَّ وجلَّ»(٣).

١٥٨ - الزنا بمحارم الناس:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون:٤-٧].

١٥٨ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»(٤).

١٥٨ - ٢ - عن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من توكَّلَ لي ما بين رجليه وما بين لحييه، توكَّلتُ له بالجنة»(٥).

١٥٨ - ٣ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ظهر الزنا والرِّبا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله»(٦).

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣٨٠٣) (٣/٨٦٠).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٢٠٥٨) (٢/٧٨).

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (٢٠٥٦) (٢/٧٨).

(٤) صحيح البخاري (٦٨١٠) (٧/٣٣٥).

(٥) صحيح البخاري (٦٨٠٧) (٧/٣٣٤).

(٦) أخرجه الطبراني والحاكم، انظر: صحيح الجامع (٦٧٩) (١/١٧٨).

١٥٨ - ٤ - وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا زنى العبدُ خرج منهُ الإيمانُ فكانَ فوقَ رأسهِ كالظلَّة، فإذا خرجَ من ذلك العملِ عادَ إليه الإيمانُ»(١).

١٥٨ - ٥ - وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظرُ اللهُ يومَ القيامةِ إلى الشيخِ الزاني ولا إلى العَجوزِ الزانيةِ»(٢).

١٥٨ - ٦ - عن عثمان بن أبي العاص - رضي الله عنه - عن رسولِ الله ﷺ: «تُفتَحُ أبوابُ السماءِ نصفَ الليلِ، فينادي مُنادٍ: هل مِن داعٍ فيُستَجابَ لهُ؟ هَل مِن سائلٍ فَيُعطي؟ هَل مِن مكروبٍ فيُفَرَّجَ عنهُ؟ فلا يَبقَى مسلمٌ يدعو بدعوةٍ إلا استَجابَ اللهُ عزَّ وجلَّ له إلا زانيةً تَسعَى بِفَرجِها أو عَشَّاراً»(٣).

١٥٨ - ٧ - عن فضالة بن عبيد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا تسأل عنهم؛ رجل فارقَ الجماعة وعصى إمامه وماتَ عاصياً، وأمَةٌ أو عبدٌ آبقٌ من سيده فماتَ، وامرأة غابَ عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا؛ فخانته بعده...»(٤).

١٥٨ - ٨ - عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان، فأخذا بِضَبعيَّ، فأتيا بي جبلاً وعِراً، فقالا لي: اصعد. حتى إذا كنت في سواء الجبل، فإذا أنا بصوت شديد، فقلت: ما هذه الأصوات؟! قال: هذا عُواء أهل النار.

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٢١١٧) (٢/٣٣٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٣٧٥) (١١٢٣/٢-٧).

(٣) رواه أحمد والطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٩١) (٢/٦١٠).

(٤) صحيح موارد الظمآن (٤٥) (١/١١٣).

ثم انطلقا بي، فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم، مُشَقَّقةٍ أشداقُهم، تسيل أشداقُهُم دماً، فقلت: من هؤلاء؟! قيل: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلَّةِ صومهم.

ثم انطلق بي؛ فإذا أنا بقوم أشدّ انتفاخاً وأنتنه ريحاً، وأسوئه منظراً، فقلت: من هؤلاء؟! قيل: الزانون والزواني.

ثم انطلق بي؛ فإذا أنا بنساء ينهش ثُدِيَّهُنَّ الحيَّاتُ، قلت: ما بال هؤلاء؟! قيل: هؤلاء اللاتي يمنعن أولادَهنَّ ألبانهنَّ.

ثم انطلق بي، فإذا أنا بغلمانٍ يلعبون بين نهرين، قلت: من هؤلاء؟! قيل: هؤلاء ذراري المؤمنين.

ثم أشرفا بي شرفاً؛ فإذا أنا بثلاثة يشربون من خمرٍ لهم، فقلتُ: من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء إبراهيم وموسى وعيسى وهم ينتظرونَك»(١).

١٥٨ ـ ٩ ـ عن عبد الله بن زيد ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكُم الزِّنا والشهوةُ الخفيَّةُ»(٢).

١٥٩ ـ السرقة:

١٥٩ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده»(٣).

١٥٩ ـ ٢ ـ عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: كُنَّا عند رسولِ الله ﷺ في مجلسٍ، فقال: «با يعوني على أن لا تُشركُوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ولا تزنُوا»(٤).

---

(١) صحيح موارد الظمآن (١٥٠٩) (٢٠٠/٢) وانظر: السلسلة الصحيحة (٣٩٥١) (١٦٦٩/٣-٧).

(٢) رواه الطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٩٠٩) (٦١٠/٢).

(٣) صحيح البخاري (٦٧٨٣) (٣٢٧/٨).

(٤) صحيح البخاري (٦٧٨٤) (٣٢٨/٧).

١٥٩ ـ ٣ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، و لا ينتهبُ نهبة ذات شرف يرفع الناس إليها أبصارهم وهو مؤمن»(١).

١٥٩ ـ ٤ ـ عن سلمة بن نعيم الأشجعي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما هي أربع؛ لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسرقوا ولا تزنوا»(٢).

١٦٠ ـ الشفاعة في تعطيل الحدود:

١٦٠ ـ ١ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن قريشاً أَهمَّهم شأنُ المرأةِ المخزومية التي سرقت، فقال: ومن يكلِّمُ فيها رسولَ الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يَجترئ عليه إلا أُسامةُ بن زيد حِبُّ رسول الله ﷺ؟ !فكلمهُ أُسامةُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أتشفعُ في حدٍّ من حُـدودِ الله؟». ثم قـام فاختطَبَ، ثم قال: «إنما أهلكَ الذين قبلَكم أنهم كانوا إذا سرق فيهمُ الشريفُ تركوه، وإذا سـرقَ فيهمُ الضعيفُ أقاموا عليه الحدَّ، وأيمُ الله، لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمدٍ سَرقت لقَطعتُ يَدَها»(٣).

١٦٠ ـ ٢ ـ عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبيِّ ﷺ قال: «مَن حالَت شفاعتُه دونَ حدٍّ من حدودِ الله، فقد ضادَّ الله في أمره، ومَن ماتَ وعليه دَينٌ فليسَ ثمَّ دينارٌ ولا درهمٌ، ولكنَّها الحسناتُ والسيئاتُ، ومن خاصَم في باطلٍ وهو يعلمُ، لم يزَل في سَخَط الله حتَّى يَنزِعَ، ومن قالَ في مؤمنٍ ما ليسَ فيه حُبِسَ في رَدغَةِ الخَبالِ حتَّى يأتيَ بالمخرَجِ مِمَّا قالَ»(٤).

---

(١) صحيح مسلم (٥٧) (١/٧٦).

(٢) كتاب السنة ـ لابن أبي عاصم ـ تحقيق الألباني (٩٧٠) (٢/٤٥٦) قال الألباني: صحيح على شرط مسلم.

(٣) صحيح البخاري (٣٤٧٥) (٤/٥٠٦).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٨٠٩) (٢/٣٥٣).

١٦١ ـ فعل فاحشة قوم لوط في أبناء المسلمين:

قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء:١٦٥-١٦٦].

١٦١ - ١ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجد تموهُ يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به»(١).

١٦١ - ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً، أو امرأة في الدُّبر»(٢).

١٦١ - ٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ في الذي يعمل عمل قوم لوط. قال: «ارجُموا الأعلى والأسفلَ، ارجُموهُما جميعاً»(٣).

١٦١ - ٤ ـ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أخوفَ ما أخافُ على أُمَّتي عَمَلُ قومِ لوطٍ»(٤).

١٦١ - ٥ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استَحلَّت أمتي خمساً فعليهمُ الدمارُ: إذا ظَهر التلاعُنُ، وشربوا الخمورَ، ولبسوا الحريرَ، واتخذوا القِيانَ، واكتفى الرجالُ بالرجالِ، والنساء بالنساء»(٥).

١٦٢ ـ قذف المحصنات:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا...﴾ [النور:٤].

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣٧٤٥) (٣/٨٤٤).

(٢) صحيح سنن الترمذي (٩٣٠) (١/٣٤١) وقال الألباني: حسن.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (٢٠٧٦) (٢/٨٢).

(٤) صحيح سنن ابن ماجه (٢٠٧٧) (٢/٨٣).

(٥) رواه البيهقي، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٥٤) (٢/٤٦٧) ورقم (٢٣٨٦) (٢/٦٠٨).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور:٢٣-٢٥].

١٦٢ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قيل: وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، و قتل النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق، وأكل الرّبا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»(١).

١٦٢ - ٢ - وعنه - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس؟ إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار»(٢).

١٦٢ - ٣ - عن عمير - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الكبائر تسعٌ؛ أعظمهنَّ إشراك بالله، وقتل النفس بغير حق، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، والفرار يوم الزحف، وعقوق الوالدين، واستحلال البيت الحرام، قبلتكم أحياء وأمواتا»(٣).

١٦٣ - قطع الطريق والإفساد في الأرض:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ [المائدة:٣٣].

---

(١) صحيح مسلم (٨٩) (١/٨٨).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٨١) (٤/١٥٨٥).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٢٤٩٩) (٢/٥٥٥).

١٦٣ - ١ - عن أنس - رضي الله عنه - قال: قدِمَ على النبيِّ ﷺ نفرٌ من عُكلٍ فأسلمُوا، فاجتَوَوُا المدينةَ، فأمرهُم أن يأتُوا إبِلَ الصَّدقةِ فيشربوا من أبوالها وألبانها، ففعَلُوا فصَحُّوا فارتدُّوا وقتلوا رُعاتَها واستاقوها، فبَعَثَ في آثارهم، فأُتيَ بهم، فقطَعَ أيديهم وأرجُلَهُم وسمَلَ أعيُنهم ثمَّ لم يحسِمَهُم حتَّى ماتوا»(١).

(١) صحيح البخاري (٦٨٠٢) (٦/٣٣٢).



كتاب الأقضية

١٦٤ ـ أخذ الهدايا على القضاء :

١٦٤ ـ ١ ـ عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ﷺ قال : « مَن استعملناهُ على عملٍ فرزقناهُ رِزقاً، فما أخذَ بعد ذلك فهو غُلولٌ »(١) .

١٦٤ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لعنَ رسولُ الله ﷺ الراشي والمرتشي في الحُكمِ »(٢) .

١٦٤ ـ ٣ ـ عن أبي حميد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « هدايا العمال ؛ غلول »(٣) .

١٦٥ ـ الاستعجال في إصدار الأحكام دون حاجة :

قال تعالى : ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾ [الإسراء:١١] .

وقال تعالى : ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء:٣٧] .

١٦٥ ـ ١ ـ عن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة »(٤) .

١٦٥ ـ ٢ ـ عن عبد الله بن سرجس ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « التؤدة، والاقتصاد، والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة »(٥) .

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٢٥٥٠) (٢/٥٦٩) .

(٢) صحيح سنن الترمذي (١٠٧٣) (٢/٣٦) .

(٣) أخرجه أحمد وابن عدي والبيهقي ، انظر: إرواء الغليل (٢٦٢٢) (٨/٢٤٦) .

(٤) صحيح سنن أبي داود (٤٠٢٥) (٣/٩١٣) .

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ، انظر: صحيح الجامع (٤٠٢٥) (١/٥٧٨) .

١٦٥ - ٣ - عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «التأني من الله والعجلة من الشيطان»(١).

١٦٦ - استعمال من لا يوثق في دينه:

١٦٦ - ١ - عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «لن نستعمِلَ، أو لا نستعمِلُ على عَمَلِنا مَن أرَادَهُ»(٢).

١٦٦ - ٢ - عن عياض الأشعري، قال: أن أبا موسى الأشعري - رضي الله عنه - وفد إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ومعه كاتب نصراني، فأعجب عمر - رضي الله عنه - ما رأى من حفظه، فقال: قل لكاتبك يقرأ لنا كتاباً، قال: إنه نصراني، لا يدخل المسجد. فانتهره عمر - رضي الله عنه - وهمَّ به، وقال: لا تكرموهم إذ أهانهم الله، ولا تدنوهم، إذ أقصاهم الله، ولا تأمنوهم إذ خونهم الله عزَّ وجلَّ(٣).

١٦٧ - اشتراط ما لا يجوز في المعاملات:

١٦٧ - ١ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما بال أُناسٍ يشترطُونَ شُرُوطاً ليست في كتاب الله؟ مَنِ اشترطَ شرطاً ليسَ في كتاب الله، فليسَ لهُ، وإن شَرَطَ مائةَ مرَّةٍ، شرطُ الله أحقُّ وأوثقُ»(٤).

١٦٧ - ٢ - عمرو بن عوف المزني - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الصُّلحُ جائزٌ بين المسلمين إلا صُلْحاً حرَّمَ حلالاً أو أحلَّ حراماً، والمسلمون على شروطهم، إلا شرطاً حرَّم حلالاً، أو أحلَّ حراماً»(٥).

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده والبيهقي في سننه، انظر: السلسلة الصحيحة (١٧٩٥) (٤/٤٠٤).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٣٠٥٤) (٢/٦٨٣).

(٣) أخرجه البيهقي، انظر: إرواء الغليل (٢٦٣٠) (٨/٢٥٥).

(٤) صحيح مسلم (١٥٠٤) (٢/٩٢١).

(٥) صحيح سنن الترمذي (١٠٨٩) (٢/٤١).

١٦٨ ـ التعزير بأكثر من عشرة أسواط:

١٦٨ ـ ١ ـ عن أبي بُردة الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُجلدوا فوقَ عشرةِ أسواطٍ، إلا في حدٍّ من حدود الله»(١).

١٦٨ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تعزرُوا فوقَ عشرةِ أسواطٍ»(٢).

١٦٩ ـ تولي القضاء ممن ليس من أهله:

١٦٩ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن وليَ القضاء، أو جُعلَ قاضياً بين الناسِ، فقد ذُبحَ بغيرِ سِكِّين»(٣).

١٦٩ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليوشِكَنَّ رجلٌ أن يتمنَّى أنَّه خرَّ من الثُّريَّا ولم يَلِ من أمرِ الناسِ شيئاً»(٤).

١٧٠ ـ الجور في الحكم بين الناس:

١٧٠ ـ ١ ـ عن ابن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الله معَ القاضِي ما لم يَجُر، فإذا جارَ تخلَّى عنهُ ولزمهُ الشيطان»(٥).

١٧٠ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله مع القاضي، ما لم يَجُر، فإذا جارَ وكلَهُ إلى نفسهِ»(٦).

(١) صحيح البخاري (٦٨٥٠) (٧/٣٤٨).
(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٢١٠٨) (٢/٨٩).
(٣) صحيح سنن الترمذي (١٠٦٧) (٢/٣٥).
(٤) رواه ابن حبان، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢١٨٠) (٢/٥١٨).
(٥) صحيح سنن الترمذي (١٠٦٩) (٢/٣٥)..
(٦) صحيح سنن ابن ماجه (١٨٧٠) (٢/٣٣).

١٧١ ـ الحكم دون الاستماع للمتخاصمين:

١٧١ ـ ١ ـ عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضينَّ، حتى تسمع من الآخر، كما سمعت من الأول؛ فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء»(١).

١٧١ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تقاضى إليكَ رجلانِ، فلا تقضِ للأوَّل حتى تسمَعَ كلامَ الآخرِ، فسوفَ تدري كيفَ تقضي»(٢).

وما أكثر من يأتي إلى القضاة وهو يمسح دموع التماسيح الكاذبة بيديه الملوثة بالإثم، وهو من البراءة براء، كاخوة يوسف ـ عليه السلام ـ الذين جاءوا أباهم عشاء يبكون!!

فيجب على القاضي، ومن يحكم بين الناس ألاَّ يستعجل في الحكم حتى لا يزل ويضل.

١٧٢ ـ الحكم بجهل بين الناس:

١٧٢ ـ ١ ـ عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «القُضاةُ ثلاثةٌ: واحدٌ في الجنة، واثنان في النار؛ فأما الذي في الجنة، فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق، فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار»(٣).

١٧٢ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «القُضاةُ ثلاثةٌ؛ اثنانِ في النار، وواحدٌ في الجنَّة؛ رجلٌ علِمَ الحقَّ فقضَى به فهو في الجنَّة، ورجلٌ قضى للناس على جهلٍ فهو في النار، ورجلٌ جارَ في الحُكمِ فهو في النار»(٤).

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣٠٥٧) (٢/٦٨٤).

(٢) صحيح سنن الترمذي (١٠٧٠) (٢/٣٦).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٣٠٥١) (٢/٦٨٢).

(٤) صحيح سنن ابن ماجه (١٨٧٧٣) (٢/٣٤).

١٧٣ ـ الحكم بين الناس بهوى:

قال تعالى: ﴿فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا...﴾ [النساء:١٣٥].

وقال تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص:٢٦]

وقال تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ...﴾ [المائدة:٤٨].

١٧٣ ـ ١ ـ عن أبي الأعور الأسلمي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أخافُ على أُمَّتي إلا ثلاثاً: شُحٌّ مُطاعٌ، وهوىً متَّبعٌ، وإمامُ ضلالٍ»(١).

١٧٤ ـ خداع الحاكم في الخصومة ليحكم له بالباطل:

١٧٤ ـ ١ ـ عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمع رسول الله ﷺ خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم، فقال: «إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صادق، فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو ليتركها»(٢).

١٧٤ ـ ٢ ـ وعنها ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنَّكم تختصِمونَ إليَّ، ولعلَّ بعضَكُم أن يكونَ ألحنَ بحُجَّته من بعضٍ، فأقضي له على نحوٍ ممَّا أسمعُ منه، فمن قطّعتُ لهُ من حقِّ أخيه شيئاً، فلا يأخُذهُ، فإنما أقطعُ له به قطعة من النارِ»(٣).

١٧٥ ـ الخصومة في الباطل:

١٧٥ ـ ١ ـ عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن حالت شفاعتُهُ دون حدٍّ من حُدُودِ الله فقد ضادَّ اللهَ، ومن خاصمَ

---

(١) أخرجه البزار في مسنده والدولابي في الكنى، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٢٣٧) (٧/٧١٣-٢-٧).

(٢) صحيح البخاري (٧١٨١) (٨/٤٥٩).

(٣) صحيح مسلم (١٧١٣) (٣/١٠٨٧).

في باطلٍ وهو يعلَمُهُ، لم يزل في سخطِ الله حتى ينزعَ عنه، ومن قال في مُؤمن ما ليس فيه أسكنهُ الله ردغَةَ الخبال حتى يخرج مما قال»[1].

١٧٥ - ٢ - وعنه - رضي الله عنهما - عن النبيِّ ﷺ قال: «مَن حالَت شفاعتُه دونَ حدٍّ من حدودِ الله ؛ فقد ضادَّ الله في أمره، ومَن ماتَ وعليه دَينٌ فليسَ ثمَّ دينارٌ ولا درهمٌ، ولكنَّها الحسناتُ والسيئاتُ، ومن خاصَم في باطلٍ وهو يعلمُ ؛ لم يزَل في سَخَط الله حتَّى يَنزِعَ، ومن قالَ في مؤمنٍ ما ليسَ فيه حُبِسَ في رَدغَةِ الخَبالِ، حتَّى يأتيَ بالمخرَجِ مِمَّا قالَ»[2].

١٧٦ - الفجر في الخصومة:

١٧٦ - ١ - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهنَّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛ إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[3].

١٧٧ - القسوة في الحكم على من يستحق الرحمة:

١٧٧ - ١ - عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف: أن النبي ﷺ أتي بامرأة قد زنت، فقال: «مِمَّن؟!» قالت: من المُقعَد الذي في حائط سعد، فأرسل إليه فأتي به محمولاً، فوضع بين يديه فاعترف، فدعا رسول الله ﷺ بإثكال[4] فضربه، ورحمه لزمانته وخفف عنه[5].

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣٠٦٦) (٢/٦٨٦).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٨٠٩) (٢/٣٥٣).

(٣) صحيح مسلم (٥٨) (١/٧٧).

(٤) هو عذق النخلة بما فيه من الشماريخ .

(٥) صحيح سنن النسائي (٥٠٠٠٢) (٣/١٠٩٩).

١٧٧ ـ ٢ ـ عن سعيد بن سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان بين أبياتنا رجل مُخدَجٌ ضعيف، فلم يُرَع إلا وهو على أمة من إماء الدار يخبث بها، فرفع شأنه سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ إلى رسول الله ﷺ فقال: «اجلِدُوهُ ضَربَ مئةِ سوط». قالوا: يا نبي الله! هو أضعف من ذلك، لو ضربناه مئة سوط مات. قال: «فَخُذُوا لهُ عِثكَالاً فيه مئة شِمرَاخ، فاضربُوه ضربةً واحدة»(١).

١٧٨ ـ القضاء في الأمر بقضاءين:

١٧٨ ـ ١ ـ عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقضِينَّ أحدٌ في قَضاء بقَضاءين، ولا يقضِي أحدٌ بينَ خصمينِ وهو غَضبان»(٢).

١٧٩ ـ القضاء وهو غضبان:

١٧٩ ـ ١ ـ عن عبد الرحمن بن أبي بكرةَ، قال: كتبَ أبي وكتبتُ له إلى عبيدِ الله بن أبي بكرة وهو قاض بسجستان: أن لا تحكُم بين أثنين وأنتَ غضبانُ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يحكُم أحدٌ بين اثنينِ وهو غضبان»(٣).

وكذلك ما يؤثر عليه في حكمه من الجوع والخوف والعطش والاضطراب الذي يخرجه عن طوره واستقراره النفسي.

١٨٠ ـ معاقبة الجماعة بذنوب الأفراد:

قال تعالى: ﴿**وَلا يَجرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [المائدة:٨].

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه (٢٠٨٧) (٢/٨٥).

(٢) صحيح سنن النسائي (٥٠١١) (٣/١١٠٢).

(٣) صحيح مسلم (١٧١٧) (٣/١٠٨٢).

١٨٠ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلَ نبيٌّ من الأنبياءِ تحتَ شجرةٍ فلَدغتهُ نملة، فأمرَ بجَهازِهِ فأُخرجَ من تحتها، ثمَّ أمرَ ببيتِها فأُحرقَ بالنار، فأوحى الله إليه: فهَلا نملةً واحدة؟»(١).

١٨١ - معاقبة المرء بجرم غيره:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام:١٦٤].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [النجم:٣٦-٣٩].

١٨١ - ١ - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كُفَّاراً يضربُ بعضُكُم رقاب بعضٍ، لا يؤخذُ الرَّجلُ بجنايةِ أبيه، ولا جناية أخيه»(٢).

١٨١ - ٢ - عن سليمان بن عمرو بن الأحوص، عن أبيه - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول، في حجة الوداع: «ألا لا يجني جَانٍ إلا على نفسه، لا يجني والدٌ على ولده، ولا مولودٌ على والدِهِ»(٣).

١٨١ - ٣ - عن أسامة بن شريك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجني نفسٌ على أُخرى»(٤).

(١) صحيح البخاري (٣٣١٩) (٤/٤٤٢).

(٢) صحيح سنن النسائي (٣٨٤٦) (٣/٨٦٣).

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (٢١٦٠) (٢/١٠٢).

(٤) صحيح سنن ابن ماجه (٢١٦٣) (٢/١٠٣).

كتاب الولاية والإمارة

١٨٢ - إسناد الأمر إلى غير أهله :

١٨٢ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : بينما النبي ﷺ في مجلسٍ يُحدِّثُ القومَ، جاءهُ أعرابيٌّ فقال : متى السَّاعةُ؟ فمضى رسول الله ﷺ يُحدِّثُ. فقال بعضُ القوم : سمعَ ما قال فكرِهَ ما قال، وقال بعضهم : بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه، قال ﷺ : « أينَ أُراهُ السائلُ عن الساعة؟ » قال : ها أنا يا رسول الله. قال : « فإذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتَظرِ الساعة » قال : كيفَ إضاعَتُها؟ قال : « إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهله فانتظرِ الساعةَ »(١).

١٨٣ - إعانة الوالي على ظلمه :

قال تعالى : ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [هود:١١٣].

١٨٣ - ١ - عن كعب بن عجرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّهُ ستَكُونُ بعدي أمراء، مَن صدَّقهُم بكَذِبِهِم، وأعانَهُم على ظُلمِهِم، فليسَ منِّي، ولستُ منهُ، وليسَ بوارِدٍ عليَّ الحوضَ. ومن لم يُصَدِّقهُم بِكَذِبِهم ولم يُعنهُم على ظُلمِهِم فهُوَ منِّي وأنا منهُ، وهوَ وارِدٌ عليَّ الحَوضَ »(٢).

١٨٣ - ٢ - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن أعانَ على خُصُومَةٍ بِظلمٍ أو يُعينُ على ظُلمٍ، لم يَزل في سَخَطِ الله حتَّى يَنزِعَ »(٣).

---

(١) صحيح البخاري (٥٩) (١/٢٦).

(٢) صحيح سنن النسائي (٣٩٢٣) (٢/٨٨٢).

(٣) صحيح سنن ابن ماجة (١٨٧٨) (٢/٣٥).

١٨٣ - ٣ - عن أبي سعيد - رضي الله عنه - وأبي هريرة - رضي الله عنه - قالا: قال رسول الله ﷺ: «ليأتينَّ عليكم أُمراءُ يُقرِّبون شِرارَ الناس، ويُؤخِّرونَ الصلاة عن مواقيتها، فمن أدرك ذلك مِنكم، فلا يكونَنَّ عريفاً ولا شُرطِيًّا، ولا جابياً، ولا خازناً»[١].

١٨٤ - إغلاق الباب دون ذوي الحاجة:

١٨٤ - ١ - عن عمرو بن مرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من إمامٍ يُغلق بابه دون ذوي الحاجة والخَلَّة والمسكنة إلا أغلقَ الله أبواب السماء دون خلَّته وحاجته ومسكنته»[٢].

١٨٤ - ٢ - عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن وليَ من أمر الناسِ شيئاً، فاحتجبَ عن أُولي الضعفِ والحاجةِ؛ احتجبَ الله عنه يومَ القيامةِ»[٣].

١٨٤ - ٣ - عن أبي الشمَّاخ الأزدي، عن ابن عمٍّ له من أصحاب النبي ﷺ، أنه أتى معاوية - رضي الله عنه - فدخل عليه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ولي أمرَ الناسِ، ثم أغلق بابَهُ دون المسكين والمظلوم وذي الحاجة، أغلق الله تبارك وتعالى أبوابَ رحمتِه دون حاجته، وفقره أفقر ما يكون إليها»[٤].

١٨٥ - إهانة السلطان ومن ولاَّه الله على الناس:

١٨٥ - ١ - عن زياد بن كُسيب العدوي، قال: كنت مع أبي بكرة - رضي الله عنه - تحت منبر ابن عامر، وهو يخطب وعليه ثياب رقاق، فقال لأبي هلال: انظروا

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٧٩٠) (٢/٤٨٥).

(٢) صحيح سنن الترمذي (١٠٧١) (٢/٣٦).

(٣) رواه أحمد في المسند والطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٠٩) (٢/٥٢٧).

(٤) رواه أحمد وأبو يعلى، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٢١٠) (٢/٥٢٨).

إلى أميرنا يلبس ثياب الفُسَّاق. فقال أبو بكرة: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أهان سلطان الله في الأرض أهَانَهُ الله»(١).

١٨٥ - ٢ - عن أبي بكرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «السلطان ظل الله في الأرض، فمن أكرمه أكرمه الله، ومن أهانه أهانه الله»(٢).

١٨٦ - تأمير الصبيان والسُّفهاء على الناس:

١٨٦ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعوَّذُوا بالله من رأسِ السبعين وإمارَةِ الصبيان»(٣).

١٨٦ - ٢ - عن عابس الغفاري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال خصالاً ستاً؛ إِمرةَ السفهاء، وكثرة الشرط، وقطيعة الرحم، وبيع الحكم، واستخفافاً بالدم، ونشواً يتخذون القرآن مزاميراً، يقدمون الرجل ليس بأفقههم ولا أعلمهم، ما يقدِّمونه إلا ليغنِّيَهم»(٤).

١٨٦ - ٣ - عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنَّ النبيَّ ﷺ قال لكعب بن عجرَةَ: «أعاذكَ الله من إمارَةِ السُّفهاءِ». قال: وما إمارةُ السفهاء؟ قال ﷺ: «أُمراءُ يكونون بعدي، لا يهتدون بهديي، ولا يستنُّونَ بسنَّتي، فمن صدَّقهم بكذبهم وأعانهم على ظُلمهم، فأولئك ليسوا منِّي ولستُ منهم، ولا يَرِدُون عليَّ حوضي، ومن لم يصدِّقهم بكذبهم، ولم يُعنهم على ظلمهم، فأولئك مني وأنا منهم، وسيردون عليَّ حوضي..»(٥).

---

(١) صحيح سنن الترمذي (١٨١٢) (٢/٢٤٥).

(٢) كتاب السنة - ابن أبي عاصم - ص ٤٧٨ رقم (١٠٢٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وأحمد في المسند، انظر: السلسلة الصحيحة (٣١٩١) (٥٧٩/١-٧).

(٤) أخرجه أحمد والطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (٩٧٩) (٢/٧١٠).

(٥) رواه أحمد في المسند والبزار، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٤٢) (٢/٥٤٠).

١٨٧ ـ تحميل الرعية ما لا تطيق:

سواء كان ذلك في الولاية العامة والولايات الخاصة، والوظائف والأعمال.

١٨٧ ـ ١ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشقُق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به»(١).

١٨٨ ـ تقصير الوالي فيما يجب عليه لرعيته:

١٨٨ ـ ١ ـ عن معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً ثم لم يجهد لهم وينصح، فالجنة حرام عليه»(٢).

١٨٩ ـ تولية المرأة على الرجال في الولايات العامة وما يترتب عليه مفسدة:

١٨٩ ـ ١ ـ عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: لقد نفَعني الله بكلمةٍ أيَّامَ الجملِ لمَّا بلغَ النبيَّ ﷺ، أنَّ فارساً ملَّكُوا ابنةَ كِسرى، قال: «لَن يُفلحَ قومٌ ولَّوا أَمرَهُمُ امرأَةً»(٣).

١٨٩ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: عصمني الله بشيء سمعته من رسول الله ﷺ لمَّا هلك كسرى، قال: «من استخلفوا؟». قالوا: ابنته. فقال ﷺ: «لن يُفلِحَ قومٌ ولَّوا أمرَهُم امرأةً»(٤).

١٩٠ ـ الجور والظلم في الولاية:

قال تعالى: ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر:٣٧].

---

(١) صحيح مسلم (١٨٢٨) (٣/١١٥٩).

(٢) صحيح مسلم (١٤٢) (١/١٢٦).

(٣) صحيح البخاري (٧٠٩٩) (٨/٤٣٤).

(٤) صحيح سنن الترمذي (١٨٤٧) (٢/٢٥٦).

١٩٠ - ١ - عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك، إلا أتى اللهَ عز وجل مغلولاً يوم القيامة يده إلى عنقه، فكه بره، أو أوبقه إثمه، أولها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها خزي يوم القيامة»(١).

١٩٠ - ٢ - وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفانِ مِن أُمَّتي لن تنالهُما شفاعتي؛ إمامٌ ظلومٌ غَشومٌ، وكلُّ غالٍ مارِقٌ»(٢).

١٩٠ - ٣ - عن عوف بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن شئتُم أنبأتُكم عنِ الإمارة وما هي؟». فناديتُ بأعلى صوتي: وما هيَ يا رسولَ الله! قال: «أوّلُها ملامةٌ، وثانيها ندامةٌ، وثالثُها عذابٌ يومَ القيامة إلا عدَل»(٣).

١٩٠ - ٤ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ويلٌ للأمراءِ، ويلٌ للعُرفاء، ويلٌ للأُمناء، ليتمنَّينَّ أقوامٌ يوم القيامة أن ذوائبهم معلقةٌ بالثريا يُدَلْدَلُون بين السماء والأرض، وأنهم لم يلوا عملاً»(٤).

* قال أعرابي وقد ذكر جور عامل من العمال: والله لئن عُزّوا بالظلم في الدنيا ليُذَلُّنّ بالعدل في الآخرة، ولقليل باقٍ خير من كثير فانٍ، وإنما يكون العدم يوم يكون الندم(٥).

١٩١ - الدعاء من الولاة على الرعية ومنهم على ولاتهم:

١٩١ - ١ - عن عوف بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «خيارُ أئمَّتكُمُ الذين تُحبُّونهُم ويُحبُّونكم، ويُصلُّون عليكُم وتُصلُّون عليهم،

(١) رواه أحمد، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢١٧٥) (٢/٥١٦).

(٢) رواه الطبراني في الكبير، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٢١٨) (٢/٥٣٢).

(٣) رواه البزار والطبراني في الكبير، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢١٧٣) (٢/٥١٥).

(٤) رواه ابن حبان والحاكم، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢١٧٩) (٢/٥١٧).

(٥) مساوئ الأخلاق وذمومها - الخرائطي ص٢٨٨ رقم (٦٦٠).

وشرار أئمَّتكُم الذين تبغضونَهُم ويبغضونَكُم، وتلعنُونَهُم ويلعنُونَكُم». قيل: يا رسول الله! أفلا نُنابِذُهُم بالسَّيف؟ فقال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من وُلاتِكُم شيئاً تكرهونه، فاكرهُوا عملَهُ، ولا تنزعُوا يداً من طاعةٍ»[1].

١٩٢ ـ عدم التأمير في السفر إذا كانوا جماعة:

١٩٢ ـ ١ ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خرجَ ثلاثةٌ في سَفَر فليُؤمِّروُا أحدَهُم»[2].

إنما أمر بذلك ليكون أمرهم جميعاً ولا يتفرق بهم الرأي ولا يقع بينهم خلاف فيعنتوا[3].

١٩٣ ـ غش الرعية وعدم النصح لهم والصدق معهم:

١٩٣ ـ ١ ـ عن أبي يعلى معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبدٍ يسترعيه اللهُ رعيَّةً يموتُ يومَ يموتُ وهو غاشٌ لرعيَّته إلا حرَّم اللهُ عليه الجنة»[4].

١٩٣ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أمير يلي أمر المُسلمينَ، ثم لا يجهدُ لهم وينصحُ لهم، إلا لم يدخل معهم الجنة»[5].

١٩٣ ـ ٣ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن وليَ مِن أمور المسلمين شيئاً فغشَّهُم، فهو في النَّار»[6].

---

(١) صحيح مسلم (١٨٥٥) (٣/١٧٧).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٢٢٧٢) (٢/٤٩٤).

(٣) معالم السنن ـ الخطابي (٢/٢٢٦).

(٤) صحيح مسلم (١٤٢) (١/١١٦).

(٥) صحيح مسلم (١٤٢) (١/١١٦).

(٦) رواه الطبراني في الأوسط والصغير، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٠٦) (٢/٥٢٦).

١٩٣ ـ ٤ ـ عن عبد الله بن مغفلٍ المزني ـ رضي الله عنه ـ قال: أشهدُ لسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من إمامٍ ولا والٍ باتَ ليلةً سوداءَ غاشًّا لرعيَّته، إلا حرَّمَ الله عليه الجنَّة»(١).

١٩٤ ـ معصية الإمام الجائر فيما يأمر به من الحق:

١٩٤ ـ ١ ـ عن عوف بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعته»(٢).

١٩٤ ـ ٢ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن نزع يداً من طاعته لقي الله يوم القيامة لا حجة له»(٣).

١٩٥ ـ مفارقة المسلمين وتفريق جماعتهم:

١٩٥ ـ ١ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال ـ قال رسول الله ﷺ: «من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه، فإنه ليس من أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية»(٤).

١٩٥ ـ ٢ ـ عن عرفجة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، وأراد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»(٥).

---

(١) رواه الطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٠٧) (٢/٥٢٦).

(٢) صحيح مسلم (١٤٤٨٢) (٣/١٤٨١).

(٣) صحيح مسلم (١٤٧٩) (٣/١٤٧٨).

(٤) صحيح البخاري (٧٠٥٤) (٧/١٣).

(٥) صحيح مسلم (١٨٥٢) (٣/١٤٨٠).

كتاب اللقطة

١٩٦ ـ أخذ لقطة الحاج ومكة إلا لمعرف :

١٩٦ ـ ١ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ : « لا يُعضدُ عِضاهُها، ولا يُنفَّرُ صيدُها، ولا تحلُّ لقطتُها إلا لمنشدٍ »(١).

١٩٦ ـ ٢ ـ عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي ـ رضي الله عنه ـ قال: « نهى ﷺ عن لقطة الحاج »(٢).

١٩٧ ـ استحلال لقطة المعاهد إلا أن يستغني عنها :

١٩٧ ـ ١ ـ عن المقدام بن معدي كرب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : « أوتيتُ الكتابَ وما يعدلُه، ويوشكُ شبعانُ على أريكته يقولُ: بيننا وبينكم هذا الكتابُ، فما كانَ فيه من حلالٍ أحلَلناه، وما كان فيه من حرامٍ حرّمناه. ألا وإنه ليس كذلك، ألا لا يحلّ ذو نابٍ من السباع، ولا الحمار الأهليّ، ولا اللقطة من مالِ معاهدٍ، إلا أن يستغني عنها، وأيّما رجلٍ أضافَ قوماً فلم يُقروه فإن له أن يُعقِّبهم بمثل قِراه »(٣).

١٩٨ ـ إيواء الضالة واللقطة دون تعريفها :

١٩٨ ـ ١ ـ عن زيد بن خالد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : « من آوى ضالة فهو ضال ما لم يعرفها »(٤).

---

(١) صحيح البخاري (٢٤٣٣) (٣/١٣٢).

(٢) صحيح مسلم (١٧٢٥) (٣/١٠٨٨).

(٣) رواه عباس الترقفي في حديثه ، انظر : السلسلة الصحيحة (٢٨٧٠) (٦-٢/٨٧١).

(٤) صحيح مسلم (١٧٢٥) (٣/١٠٨٨).

١٩٨ - ٢ - عن الجارود بن المعلى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ضالة المسلم حرق النار»(١).

إذا التقط لقطة عازما على تملكها بغير تعريف فقد فعل محرماً، ولا يحلُّ له أخذها بهذه النية، فإذا أخذها لزمه ضمانها سواء تلفت بتفريطه أو بغير تفريطه ولا يملكها(٢).

(١) أخرجه أحمد في المسند والدارمي، انظر: السلسة الصحيحة (٦٢٠) (٢/١٨٥)

(٢) المغني - ابن قدامة (٦/١١).

كتاب الهدية والهبة

١٩٩ ـ أخذ الهدية على الشفاعة :

١٩٩ ـ ١ ـ عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «من شفع بشفاعة فأهدى له هدية عليها فقبلها، فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الرِّبا»(١).

٢٠٠ ـ رد الهدية :

٢٠٠ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : «لو دعيتُ إلى ذراعٍ أو كراع لأجبت، ولو أهديَ إليَّ ذراع أو كراع لقبلت»(٢)

٢٠٠ ـ ٢ ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : «أجيبوا الداعي، ولا تردوا الهدية، ولا تضربوا المسلمين»(٣).

٢٠١ ـ العودة في الهبة :

٢٠١ ـ ١ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «ليس لنا مثل السوء، العائد في هبته كالكلب يرجع في قيئه»(٤).

٢٠١ ـ ٢ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قالا: قال رسول الله ﷺ : «لا يحل لرجل أن يعطي عطيَّة أو هبة فيرجع فيها، إلا الوالد فيما يعطى ولده، ومثل الذي يعطى العطيَّة، ثم يرجع فيها كمثل الكلب يأكل، فإذا شبع قاء ثم عاد في قيئه»(٥).

(١) صحيح سنن أبي داود (٣٠٢٥) (٢/٦٧٦).

(٢) صحيح البخاري (٢٥٦٨) (٣/١٨١).

(٣) صحيح الأدب المفرد ـ ص ٨٠ رقم (١١٧).

(٤) صحيح البخاري (٢٥٨٩) (٣/١٨٨).

(٥) صحيح سنن أبي داود (٣٠٢٣) (٢/٦٧٦).

٢٠٢ ـ قبول العمال للهدايا :

٢٠٢ ـ ١ ـ عن أبي حميد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ قال : استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهديَ إليَّ. فقام النبيُّ ﷺ على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، قال : «أما بعد : فإني أستعمل الرجل منكم، فيقول : هذا لكم وهذا لي! أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقًا، والله لا يأخذ أحد منكم شيئًا بغير حق إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرض أحداً فيكم لقي الله يحمل بعير له رغاء، أو بقرة خوار، أو شاة تيعر ». ثم رفع يديه، فقال : «اللهم هل بلغت »[١] .

٢٠٢ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « هدايا العمال غلول »[٢] .

فيحرم أخذها من العامل ويحرم دفعها إليه؛ إذا كان في ذلك إهدار حق من صاحبه، أو أخذ ما ليس له، أو رفعه فوق منزلته التي يستحق، أو لتغير حكم، أو تبديل حق، أو غير ذلك مما له دور في ظلم الناس وسلب حقوقهم، فالنفس مفطورة على حب من أحسن إليها، والتغاضي عن زلات من جاد عليها.

٢٠٣ ـ قبول الهديَّة على الشفاعة :

٢٠٣ ـ ١ ـ عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال : «مَن شفَعَ شفاعةً لأحدٍ فأُهديَ له هديةً عليها فَقَبِلَها؛ فقد أتى باباً عظيماً مِن أبوابِ الربا »[٣] .

---

(١) صحيح البخاري (٦٩٧٩) (٨/٣٩٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند والبيهقي ، انظر: إرواء الغليل (٢٦٢٢) (٨/٢٤٦).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٣٠٢٥) (٢/٦٧٦).

كتاب الجهاد والقتل

٢٠٤ ـ الاستعانة بالمشركين على المسلمين:

٢٠٤ ـ ١ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ أنها قالت: خرجَ رسولُ الله ﷺ قِبلَ بدرٍ، فلمّا كان بحرَّةِ الوبرة أدركَهُ رجلٌ قد كان يُذكر منه جُرأةٌ ونجدةٌ، ففرحَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ حين رأوهُ، فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ: جئتُ لأتَّبعكَ وأصيبَ معك. قال له رسول الله ﷺ: «تُؤمنُ بالله ورسوله؟» قال: لا. قال: «فارجع فلن أستعينَ بمشركٍ»(١).

٢٠٤ ـ ٢ ـ وعنها ـ رضي الله عنها ـ قالت: إن رجلاً من المشركين لحق بالنبيِّ ﷺ ليقاتل معه، فقال: «ارجع، إنَّا لا نستعينُ بمشركٍ»(٢).

٢٠٥ ـ ترك الجهاد في سبيل الله:

٢٠٥ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن ماتَ ولم يَغزُ، ولم يُحدِّث به نفسهُ، ماتَ على شُعبةٍ من نفاقٍ»(٣).

٢٠٥ ـ ٢ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»(٤).

٢٠٥ ـ ٣ ـ عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن لم يغزُ أو يُجهِّز غازياً أو يَخلُف غازياً في أهلِهِ بخيرٍ، أصابَهُ الله سبحانه بقارِعةٍ، قبلَ يومِ القيامة»(٥).

---

(١) صحيح مسلم (١٨١٧) (٣/١١٥٣).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٢٣٧٢) (٢/٥٢٢).

(٣) صحيح مسلم (١٩١٠) (٣/١٢٠٥).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٢١٨٦) (٢/٤٧٥).

(٥) صحيح سنن ابن ماجه (٢٢٣١) (٢/١٢٣).

٢٠٦ ـ تعذيب الكفَّار بالنَّار:

٢٠٦ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: بعثنا رسولُ الله ﷺ في بعثٍ، فقال: «إن وجدتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما بالنار»، ثم قال رسولُ الله ﷺ حين أردنا الخروجَ: «إني أمَرتُكم أن تُحرقوا فلاناً وفلاناً، وإنَّ النارَ لا يُعذِّبُ بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتُلوهما»(١).

٢٠٦ ـ ٢ ـ عن عكرمة ـ رضي الله عنه ـ أن عليّاً ـ رضي الله عنه ـ حرَّقَ قوماً، فبلغَ ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ فقال: لو كنتُ أنا لم أحرِّقهم، لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا تُعذِّبوا بعذاب الله»، ولقتَلتُهم كما قال النبيُّ ﷺ: «من بدَّلَ دينَهُ فاقتلوه»(٢).

٢٠٧ ـ التفريق بين السَّبي دون حاجة:

٢٠٧ ـ ١ ـ عن أبي أيوب ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن فرَّق بين والدةٍ وولَدِها، فرَّقَ الله بينه وبين أحِبَّته يومَ القيامة»(٣).

قال أبو عيسى: والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم؛ كرهوا التفريق بين السَّبي بين الوالدة وولدها، وبين الولد والوالد، وبين الإخوة(٤).

٢٠٨ ـ حمل السلاح على المسلم:

٢٠٨ ـ ١ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا»(٥).

(١) صحيح البخاري (٣٠١٦) (٣/٣٤٦).

(٢) صحيح البخاري (٣٠١٧) (٣/٣٤٦).

(٣) صحيح سنن الترمذي (١٢٧١) (٢/١٠٩).

(٤) صحيح سنن الترمذي (٢/١١٠).

(٥) صحيح البخاري (٦٨٧٤) (٨/٣٥٥).

٢٠٨ ـ ٢ ـ عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفان فالقاتل والمقتول في النار». فقلت: يا رسول الله! هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنَّه كان حريصاً على قتل صاحبه»(١).

٢٠٨ ـ ٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُشيرُ أحدُكُم على أخيه بالسِّلاحِ فإنَّه لا يدري لعلَّ الشيطانَ ينزِعُ في يدِهِ، فيقعُ في حُفرةٍ منَ النَّار»(٢).

٢٠٨ ـ ٤ ـ عن سلمة بن الاكوع ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سلَّ علينا السيف، فليس منا»(٣).

٢٠٨ ـ ٥ ـ عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا شهَرَ المسلمُ على أخيه سِلاحاً؛ فلا تزالُ ملائكةُ اللهِ تلعنُه حتَّى يَشيمَهُ عنه»(٤).

٢٠٩ ـ خيانة الغازي في أهله:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف:٥٢].

٢٠٩ ـ ١ ـ عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «حرمة نساء المجاهدين على القاعدين، كحرمة أمهاتهم، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله، فيخونه فيهم، إلا وُقِفَ له يوم القيامة، فيأخذ من عمله ما شاء. فما ظنُّكم؟!»(٥).

٢٠٩ ـ ٢ ـ عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «حرمة نساء المهاجرين على القاعدين في الحرمة كأمهاتهم، وما من رجل من القاعدين يخلف

(١) صحيح البخاري (٣١) (١/١٦).

(٢) صحيح البخاري (٧٠٧٣) (٨/٤٢٦).

(٣) صحيح مسلم (٩٩) (١/٩٤).

(٤) أخرجه البزار في مسنده، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٩٧٣) (١٧٠٠/٣-٧).

(٥) صحيح مسلم (١٨٩٧) (٣/١١٩٨).

رجلاً من المهاجرين في أهله إلا نصب له يوم القيامة فيقال: يا فلان هذا فلان فخذ من حسناته ما شئت» ثم التفت النبي إلى أصحابه، فقال: «ما ظنكم ترون يدع له من حسناته شيئًا».

٢٠٩ - ٣ - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثلُ الذي يجلسُ على فِراشِ المغيبةِ؛ مثلُ الذي ينهَشُه أسودُ مِن أساوِدِ يومِ القيامةِ»(١)،(٢).

٢١٠ - الغلول:

قال تعالى: ﴿... وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

٢١٠ - ١ - عن ثوبان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن ماتَ وهو بريء من الكبر والغُلُول والدَّين دخلَ الجنة»(٣).

٢١٠ - ٢ - عن عُبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يوم حنين إلى جنب بعيرٍ من المقاسم، ثم تناول شيئاً من البعير، فأخذ منه قَرَدَة - يعني وَبَرة - فجعل بين أصبعيه، ثم قال: «يا أيها الناس! إنَّ هذا مِن غنائمِكُم، أدُّوا الخيطَ والمِخيطَ، فما فوقَ ذلك، فما دُون ذلك، فإنَّ الغلولَ عارٌ على أهلهِ يوم القيامةِ وشنارٌ ونارٌ»(٤).

٢١١ - الفرار من الزحف والانكشاف للعدو:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

---

(١) رواه الطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٥) (٢/٦١٦).

(٢) صحيح سنن النسائي (٢٩٩١) (٢/٦٧٢).

(٣) صحيح سنن الترمذي (١٢٧٨) (٢/١١١).

(٤) صحيح سنن ابن ماجه (٢٣٠٠) (٢/١٣٩).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٦-١٧].

٢١١ - ١ - عن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّها الناسُ! لا تتمنَّوا لقاءَ العدوِّ، وسلوا الله العافيةَ، فإذا لقيتُموهم فاصبروا، واعلموا أنَّ الجنَّة تحتَ ظلالِ السُّيوف»(١).

٢١١ - ٢ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قيل: وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، و قتل النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق، وأكل الرِّبا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»(٢).

٢١٢ - القتال دون إذن الوالدين إذا كان الجهاد فرض كفاية:

٢١٢ - ١ - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ يستأذنهُ في الجهادِ، فقال: «أحيٌّ والداكَ؟» قال: نعم. قال: «ففيهما فجاهد»(٣).

٢١٢ - ٢ - عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رجلاً هاجر إلى رسول الله ﷺ من اليمن، هل لك أحد باليمن»؟ قال: أبواي. قال: «أذنا لكَ؟» قال: لا! قال: «ارجع إليهما فاستأذنهما، فإن أذنا لكَ فجاهد، وإلاَّ فبرَّهُما»(٤).

(١) صحيح البخاري (٢٩٦٦) (٣/٣٣٠).

(٢) صحيح مسلم (٨٩) (١/٨٨).

(٣) صحيح البخاري (٣٠٠٤) (٤/٣٤١).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٢٢٠٧) (٢/٤٨١).

٢١٢ - ٣ - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إني جئت أريد الجهاد معك، أبتغي وجه الله والدار الآخرة، ولقد أتيتك وإن والد ليبكيان، فقال ﷺ: «ارجع إليهما، فأضحِكهُما كما أبكَيتَهُما»(١).

٢١٢ - ٤ - عن معاوية بن هجاهمة السلمي - رضي الله عنه - قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله !إني كنت أريد الجهاد معك، أبتغي بذلك وجه الله، والدار الآخرة. قال: «ويحَكَ! أحَيَّةٌ أمُّكَ!» قلت: نعم! قال: «ارجِع فَبَرَّها " ثم أتيته من الجانب الآخر، فقلت: يا رسول الله! إني كنت أريد الجهاد معك، أبتغي بذلك وجه الله، والدار الآخرة. قال: «ويحَكَ! أحَيَّةٌ أمُّكَ!» قلت: نعم! قال: «ارجِع فَبَرَّها» ثم أتيته من أمامه، فقلت: يا رسول الله! إني كنت أريد الجهاد معك، أبتغي بذلك وجه الله، والدار الآخرة. قال: «ويحَكَ! أحَيَّةٌ أمُّكَ!» قلت: نعم! يا رسول الله، قال: «ويحك! الزَم رِجلَها، فَثَمَّ الجَنَّةُ»(٢).

٢١٣ - القتال عصبية:

٢١٣ - ١ - عن جندب بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من قُتل تحت راية عميَّة، يدعو عصبية أو ينصر عصبية؛ فقتلته جاهلية»(٣).

٢١٣ - ٢ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرجَ من الطاعةِ، وفارقَ الجماعةَ، فماتَ، ماتَ ميتةً جاهليَّةً، ومن قاتلَ تحتَ رايةٍ عُمِّيَّةٍ، يغضبُ لعَصَبةٍ، أو يدعو إلى عَصبَةٍ، أو ينصرُ عَصَبَةً، فقُتلَ، فقتلةٌ جاهليَّةٌ،

(١) صحيح سنن ابن ماجه (٢٢٤٢) (٢/١٢٦).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٢٢٤١) (٢/١٢٥).

(٣) صحيح مسلم (١٨٥٠) (٣/١١٧٥).

ومن خرجَ على أُمَّتي، يضربُ برَّها وفاجِرها، ولا يَتحاشَ من مُؤمنها، ولا يفي لذي عهدٍ عهدَهُ، فليس مِنِّي ولستُ منه»(١).

٢١٤ ـ قتل الأطفال والنساء لغير مصلحة شرعية:

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

٢١٤ ـ ١ ـ عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: وُجدت امرأةٌ مقتُولةٌ في بعض مغازي رسول الله ﷺ فنهى رسول الله ﷺ عن قتلِ النساءِ والصبيان(٢).

٢١٤ ـ ٢ ـ عن رباح بن ربيع ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فرأى الناس مجتمعين على شيء، فبعث رجلاً، فقال: «انظر عَلاَمَ اجتَمعَ هؤلاءِ!» فجاء، فقال: على امرأة قتيل. فقال: «ما كانت هذه لِتُقاتِلَ». قال: وعلى المقدمة خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ فبعث رجلاً، فقال: «قُل لخالدٍ لا يقتُلَنَّ امرأةً، ولا عَسيفاً»(٣).

٢١٤ ـ ٣ ـ عن حنظلة الكاتب ـ رضي الله عنه ـ قال: غزونا مع رسول الله ﷺ فمررنا على امرأة مقتولة قد اجتمع عليها الناس، فأفرجوا له، فقال: «مَا كانت هذهِ تُقاتلُ فيمن يُقاتِلُ» ثم قال لرجل: «انطلق إلى خالدِ بن الوليد، فقل له: إن رسولَ الله ﷺ يأمُرُكَ، يقولُ: لا تقتُلنَّ ذُرِّيَّةً ولا عَسيفاً»(٤).

٢١٤ ـ ٤ ـ عن صفوان بن عسَّال ـ رضي الله عنه ـ قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فقال: «سيرُوا باسم الله، وفي سبيل الله، قَاتِلوا مَن كفرَ بالله، ولا تمثُلُوا، ولا تَغدرُوا، ولا تَغُلُّوا، ولا تَقتُلُوا وليداً»(٥).

(١) صحيح مسلم (١٨٤٨) (٢/١١٧٤).

(٢) صحيح البخاري (٣٠١٥) (٤/٣٤٥).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٢٣٢٤) (٢/٥٠٧).

(٤) صحيح سنن ابن ماجه (٢٢٩٤) (٢/١٣٧).

(٥) صحيح سنن ابن ماجه (٢٣٠٦) (٢/١٤٠).

٢١٥ ـ المثلة :

٢١٥ ـ ١ ـ عن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال : « كان نبيُّ الله ﷺ يحدثنا عن الصدقة، وينهانا عن المثلة »(١).

٢١٥ ـ ٢ ـ عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ قال : « نهى ﷺ عن المثلة »(٢).

المثلة؛ تعذيب المقتول بقطع أعضائه وتشويه خلقه قبل أن يقتل أو بعده، وذلك مثل أن يجدع أنفه أو أذنه أو يفقأ عينه(٣).

٢١٦ ـ نقض العهد :

٢١٦ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « .. ومن خرجَ على أُمَّتي، يضربُ برَّها وفاجِرها، ولا يَتحاشَ من مُؤمنها، ولا يفي لذي عهدٍ عهدَهُ، فليس مِنِّي ولستُ منه »(٤).

٢١٦ ـ ٢ ـ عن عمرو بن عبسة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن كان بينهُ وبين قومٍ عهدٌ فلا يَحُلَّنَّ عَهداً، ولا يَشُدَّنَّهم حتَّى يمضي أمَدُهُ أو يَنبِذَ إليهم على سَواء »(٥).

٢١٦ ـ ٣ ـ عن أبي رافع ـ رضي الله عنه ـ قال : بعثتني قريش إلى رسول الله ﷺ فلما رأيت رسول الله ﷺ ألقى في قلبي الإسلام، فقلت : يا رسول الله ! إني والله لا أرجع إليهم أبداً، فقال رسول الله ﷺ : « إنِّي لا أخِيسُ بالعهدِ، ولا أحبِسُ

(١) صحيح أبي داود (٢٣٢٢) (٢/٥٠٧).
(٢) صحيح سنن أبي داود (٣٦٧٢) (٣/٨٢٦).
(٣) معالم السنن ـ الخطابي (٢/٢٤٢).
(٤) صحيح مسلم (١/٨٤٨) (٣/١١٧٤).
(٥) صحيح سنن الترمذي (١٢٨٥) (٢/١١٤).

البُـرُد، ولكن ارجِع، فإن كـان في نـفسِكَ الذي في نفسِكَ الآنَ، فـارجِع». قـال: فذهبت، ثم اتيت النبيَّ ﷺ فأسلمت[1].

٢١٧ - النهبة:

٢١٧ - ١ - عن كليب، عن رجل من الأنصار، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فأصاب الناس حاجة شديدة و جهد، و أصابوا غنماً فـانتـهبـوها، فإن قدورنا لتغلي إذ جاء رسول الله ﷺ يمشي على قـوسه فأكفأ قدورنا بقـوسه، ثم جعل اللحم بالتراب، ثم قال ﷺ: «إن النهبة ليست بأحل من الميتة»[2].

٢١٧ - ٢ - عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من انتهب نهبة، فليس منا»[3].

٢١٧ - ٣ - عن ثعلبة بن الحكم - رضي الله عنه - قـال: أصـبنا غنمًـا للعـدو. فانتـهبناها. فنصبنا قدورنا. فمر النبي ﷺ بالقدور. فأمر بها فأكفئت. ثم قال ﷺ: «إن النهبة لا تحل»[4].

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٢٣٩٦) (٢٥٢٧).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٢٣٥٤) (٢/٥١٦).

(٣) صحيح سنن ابن ماجة (٣١٨٠) (٢/٣٤٩).

(٤) صحيح سنن ابن ماجة (٣١٨١) (٢/٣٤٩).



كتاب الأشربة

٢١٨ - تأخير دورُ من له حقٌّ في الشراب بعد غيره:

٢١٨ - ١ - عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: إن رسولَ الله ﷺ أُتيَ بشراب، فشَرِبَ منه، وعن يمينه غُلامٌ وعن يسارِه الأشياخُ، فقال للغلامِ: «أتأذنُ لي أن أُعطيَ هؤلاءِ؟» فقال الغلامُ: واللهِ يا رسولَ اللهِ! لا أُوثِرُ بنصيبي منكَ أحداً! قال: فَتَلَّهُ رسولُ الله ﷺ في يدِه[١].

٢١٨ - ٢ - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: أن رسولَ الله ﷺ أُتيَ بلبنٍ قد شيبَ بماءٍ، وعن يمينه أعرابيٌّ، وعن شِمالِه أبو بكرٍ - رضي الله عنه - فشربَ ثم أعطى الأعرابيَّ، وقال: «الأيمنَ فالأيمنَ»[٢].

٢١٨ - ٣ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أُتي رسول الله ﷺ بلب، وعن يمينه ابن عباس، وعن يساره خالد بن الوليد - رضي الله عنه - فقال رسول الله ﷺ لابن عباس: «أتأذنُ لي أن أسقيَ خالداً!» قال ابن عباس: ما أحب أن أوثر بسُؤرِ رسول الله ﷺ على نفسي أحداً. فأخذ ابن عباس، فشرب وشرب خالد[٣].

٢١٨ - ٤ - عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: زارنا رسول الله ﷺ فبات عندنا؛ والحسن والحسين - رضي الله عنهما - نائمان، فاستسقى الحسن - رضي الله عنهما - فقام رسول الله ﷺ إلى قربة لنا، فجعل يعصرها في القدح، ثم يسقيه،

---

(١) صحيح البخاري (٥٦٢٠) (٦٠٩/٦).

(٢) صحيح البخاري (٥٦١٩) (٦٠٩/٦).

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (٢٧٦٦) (٢٥٠/٢).

فتناوله الحسين ـ رضي الله عنهما ـ ليشرب فمنعه، وبدأ بالحسن، فقالت فاطمة ـ رضي الله عنها: يا رسول الله ! كأنه أحب إليك ؟ فقال: «لا، ولكنه استسقى أول مرَّة» ثم قال: «إنِّي، وإيَّاكِ، وهذين، وهذا الرَّاقد ـ يعني: عليًّا ـ يومَ القيامة في مكان واحدٍ، يعني: فاطمةَ وولديها: الحسن والحسين ـ رضي الله عنهم[(1)].

٢١٩ ـ التنفس في الإناء:

٢١٩ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا شرب أحدكم فلا يتنفَّس في الإناء»[(2)].

٢١٩ ـ ٢ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ: قال: كان ﷺ إذا شربَ تنفَّسَ ثلاثاً، ويقولُ: " هُوَ أروى، وأبرأُ، وأمرأُ»[(3)].

٢١٩ ـ ٣ ـ عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا شَرِبَ أحَدُكُم فلا يَتَنَفَّس في الإناء»[(4)].

٢١٩ ـ ٤ ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: أنَّ النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشراب، فقال رجل: القذاة أراها في الإناء؟ فقال: «أهرقها »، فقال: فإني لا أروى من نفس واحد ؟ قال : «فأبِنِ القدحَ إذاً عن فيك»[(5)].

٢٢٠ ـ الحلب من شاة الغير دون إذنه:

٢٢٠ ـ ١ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلُبَنَّ أحدٌ ماشيةَ امرئٍ بغير إذنه، أيحبُّ أحدكم أن تؤتى مشربتهُ فتكسرَ خزانتُه

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده والطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٣١٩) (٩٤٢/٢-٧).

(٢) صحيح البخاري (٥٦٣٠) (٦١١/٦).

(٣) صحيح مسلم (٢٠٢٨) (١٢٧٥/٣).

(٤) صحيح سنن الترمذي (١٥٤٠) (١٧٣/٢).

(٥) صحيح سنن الترمذي (١٥٣٨) (١٧٢/٢).

فيُنتقَل طعامُه؟ !فإنما تخزُن لهم ضروعُ مواشيهم أطعماتِهم، فلا يحلُبنَّ ماشيةَ أحدٍ إلا بإذنه»(١).

٢٢٠-٢-وعنه-رضي الله عنهما-قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلب أحد ماشية أحد إلا بإذنه»(٢).

٢٢١-الشرب في آنية الذهب والفضة لكسر قلوب الفقراء:

٢٢١-١-عن حذيفة-رضي الله عنه-قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تشرَبوا في آنية الذَّهبِ والفضَّةِ، ولا تَلبَسُوا الحريرَ والدِّيباجَ، فإنَّها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة»(٣).

٢٢١-٢-عن أمِّ سلمةَ-رضي الله عنها-قالت: أن النبي ﷺ قال: «الذي يشربُ في آنيةِ الفضَّةِ إنما يُجرجرُ في بطنِهِ نارَ جهنَّمَ»(٤).

٢٢٢-الشرب من في السقاء:

٢٢٢-١-عن ابن عباس-رضي الله عنهما-قال: «نهى ﷺ عن الشرب من فيِّ السِّقاء»(٥).

٢٢٢-٢-عن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-قال: «نهى رسول الله ﷺ عن اختناثِ الأسقِيةِ»(٦). يعني أن تُكسرَ أفواهها ويُشربَ فيها.

٢٢٢-٣-عن عائشة-رضي الله عنها-قالت: «نهى ﷺ أن يشرب من فيِّ السقاء، لأن ذلك يُنتنه»(٧).

---

(١) صحيح البخاري (٢٤٣٥) (٨/١٣٣).

(٢) صحيح مسلم (١٧٢٦) (٣/١٠٨٨).

(٣) صحيح البخاري (٥٦٣٣) (٦/٦١٢).

(٤) صحيح البخاري (٥٦٣٤) (٦/٦١٢).

(٥) صحيح البخاري (٥٦٢٩) (٦/٦١١).

(٦) صحيح البخاري (٥٦٢٥) (٦/٦١١).

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك، انظر: السلسلة الصحيحة (٤٠٠) (١/٦٨٦).

٢٢٣ ـ صنع الخمر للناس وحملها إليهم وبيعها عليهم:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

٢٢٣ ـ ١ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ شرابٍ أسكَرَ فهو حرامٌ»(١).

٢٢٣ ـ ٢ ـ عن أبي عامر الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: " لَيكُونَنَّ مِن أُمَّتي أقوامٌ يستَحِلُّونَ الحِرَ والحريرَ والخمرَ والمعازِف»(٢).

٢٢٣ ـ ٣ ـ عن أبي عمر يحي النَّخعيِّ، قال: سألَ قومٌ ابنَ عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ عن بيعِ الخمرِ وشرائها والتِّجارةِ فيها؟ فقال: أَمُسلِمونَ أنتمُ؟ قالوا: نعم. قال: فإنَّهُ لا يصلحُ بيعُها، ولا شراؤها، ولا التِّجارةُ فيها(٣).

٢٢٣ ـ ٤ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لُعِنَت الخَمرُ على عَشرَةِ أوجُهٍ: بِعينِها، وعاصِرِها، ومُعتَصِرِها، وبائعِها، ومُبتاعِها، وحامِلِها، والمحمولةِ إليهِ، وآكلِ ثَمنِها، وشَارِبِها، وسَاقيهَا»(٤).

٢٢٣ ـ ٥ ـ عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: أوصاني خليلي ﷺ: «لا تشرَبِ الخمرَ، فإنَّها مِفتاحُ كُلِّ شَرٍّ»(٥).

---

(١) صحيح البخاري (٥٥٨٥) (٦/٦٠٠).

(٢) صحيح البخاري (٥٥٩٠) (٦/٦٠١).

(٣) صحيح مسلم (٢٠٠٤) (٣/١٢٤٦).

(٤) صحيح سنن ابن ماجة (٢٧٢٥) (٢/٢٤٣).

(٥) صحيح سنن ابن ماجه (٢٧١٧) (٢/٢٤١).

٢٢٣ - ٦ - وعنه - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لا يدخلُ الجنَّةَ مُدمِنُ خمرٍ»(١).

٢٢٣ - ٧ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مُدمِنُ الخمرِ كعَابِدِ وثَنٍ»(٢).

٢٢٣ - ٨ - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن شرِبَ الخمرَ في الدنيا ولم يتُب؛ لم يشرَبها في الآخرة، وإن أُدخِلَ الجنَّة»(٣).

٢٢٣ - ٩ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «الخمر أمُّ الفواحش، وأكبرُ الكبائر، من شَرِبها وقعَ على أُمِّه وخالتهِ وعَمَّتهِ»(٤).

٢٢٣ - ١٠ - عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «الخمرُ أُمُّ الخبائث، ومن شربها لم يقبلِ الله منه صلاةً أربعين يوماً، فإن مات وهي في بطنه مات ميتة جاهلية»(٥).

٢٢٣ - ١١ - وعنه - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ ملكاً من مُلوكِ بني إسرائيلَ أخذَ رجلاً فخيَّرَهُ بين أن يشرَبَ الخمرَ، أو يقتُلَ نفساً، أو يزني، أو يأكلَ لحمَ خنزيرٍ، أو يقتُلُوه إن أبى. فأختارَ الخمرَ، وإنَّه لمَّا شربَ الخمرَ لم يمتنِع من شيءٍ أرادوه منه»(٦).

٢٢٣ - ١٢ - وعنه - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «من وضَعَ الخمرَ، ومن أدمنَ على شربِها، سُقيَ من الخبالِ»(٧).

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه (٢٧٢٠) (٢/٢٤١).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٢٧٢٠) (٢/٢٤١).

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٦٣٥) (٦/١-٢٨١).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط والكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (١٨٥٣) (٤/٤٦٨).

(٥) رواه الطبراني في الأوسط والواحدي في الوسيط، انظر: السلسلة الصحيحة (١٨٥٤) (٤/٤٦٩).

(٦) رواه الطبراني والحاكم، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٧٠) (٢/٦٠٢).

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: صحيح الجامع (٦٥٩١) (٢/١١٢١).

٢٢٤ ـ النفخ في الشراب:

٢٢٤ ـ ١ ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشراب، فقال رجلٌ: القذاةُ أراها في الإناء؟ فقال: «أهرقها». قال: إنِّي لا أروى من نفس واحد؟ قال: «فأبن القَدَحَ إذاً عن فيكَ»(١).

٢٢٤ ـ ٢ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ﷺ: قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُنفخَ في الإناء(٢).

قال الجزري: إنما نهى عنه من أجل ما يخاف أن يبدر من ريقه فيقع فيه فربما شرب بعده غيره فيتأذى به(٣).

لأن النفخ إنما يكون لأحد معنيين؛ فإن كان حرارة الشراب فليصبر حتى يبرد، وإن كان من أجل قذى يبصره فيه فليمطه بإصبع أو بخلال أو نحوه، ولا حاجة به إلى النفخ فيه بحال(٤).

(١) صحيح سنن الترمذي (١٥٣٨) (٢/١٧٣).

(٢) صحيح سنن ابن ماجة (٢٧٦٩) (٢/٢٥١).

(٣) تحفة الأحوذي ـ المباركفوري (٦/٩).

(٤) معالم السنن ـ الخطابي (٣/٢٥٥).

كتاب الأطعمة

٢٢٥ ـ الإقران في التمر وما شابهه دون الإذن :

٢٢٥ ـ ١ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكل مع قوم تمراً، فلا يقرن إلا أن يأذنوا له»[١].

٢٢٥ ـ ٢ ـ عن جبلةَ ابن سحيمٍ، قال: كان ابنُ الزُّبير ـ رضي الله عنه ـ يرزُقنا التَّمرَ، قال: وقد كان أصابَ الناسَ يومئذٍ جَهدٌ، وكنَّا نأكُلُ فيمرُّ علينا ابنُ عُمرَ ﷺ ونحنُ نأكلُ، فيقولُ: لا تُقارِنُوا. فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نهى عَنِ الإقرانِ[٢].

وفي معنى التمر؛ الرطب، وكذا الزبيب، والعنب، ونحوهما، لوضوح العلة الجامعة[٣].

٢٢٦ ـ الإكراه على الطعام :

٢٢٦ ـ ١ ـ عن عطية بن عامر الجهني؛ قال: سمعت سلمان ـ رضي الله عنه ـ وأُكرِه على طعام يأكله، فقال: حسبي، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أكثرَ الناسِ شبعاً في الدنيا، أطولَهُم جُوعاً يوم القيامة»[٤].

٢٢٧ ـ الأكل مما يلي الناس من الطعام الواحد :

٢٢٧ ـ ١ ـ عن عمرو بن سلمة ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت غلاماً في حِجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام! إذا أكلت، فقل: بسم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»[٥].

---

(١) صحيح البخاري (٢٤٥٥) (٣/١٤١).

(٢) صحيح مسلم (٢٠٤٥) (٣/١٢٨٧).

(٣) فتح الباري ـ ابن حجر (٩/٥٧٢).

(٤) صحيح سنن ابن ماجه (٢٧٠٦) (٢/٢٣٧).

(٥) صحيح البخاري (٥٣٧٦) (٦/٥٣٩).

٢٢٧ - ٢ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كانَ ﷺ إذا أكلَ الطَّعامَ أكلَ ممَّا يليه[١].

٢٢٨ - الأكل من وسط الطعام وأعلاه دون حافاته:

٢٢٨ - ١ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «إذا أكل أحدكم طعاماً، فلا يأكل من أعلى الصَّحفَةِ، ولكن ليأكل من أسفلها؛ فإن البركة تنزل من أعلاها»[٢].

٢٢٨ - ٢ - وعنه - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «إنَّ البركةَ تنزلُ وسطَ الطَّعام فكُلُوا مِن حافتيهِ ولا تأكُلوا مِن وسطه»[٣].

٢٢٨ - ٣ - وعنه - رضي الله عنهما -: قال رسول الله ﷺ: «إذا وُضِعَ الطَّعَامُ، فَخُذوا مِن حافتِهِ، وذرُوا وسَطَهُ. فإنَّ البركَةَ تَنزِلُ في وسَطِهِ»[٤].

٢٢٨ - ٤ - عن عبد الله بن بُسر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ أُتي بقصعة. فقال رسول الله ﷺ: «كُلُوا مِن جوانبها، ودعُوا ذُروتَها، يُبارك فيها»[٥].

٢٢٨ - ٥ - عن سلمى - رضي الله عنها - قالت: «كانَ ﷺ يكرهُ أن يُؤخَذَ من رأسِ الطعامِ»[٦].

٢٢٩ - إيذاء الناس بالروائح الكريهة:

٢٢٩ - ١ - عن عبد العزيز، قال: قيلَ لأنسٍ - رضي الله عنه: ما سمعتَ النبيَّ ﷺ يقولُ في الثُّومِ؟ فقال: «مَن أكلَ فلا يقربَنَّ مَسجِدَنا»[٧].

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٠٦٢) (٥/٩٤).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٣٢٠٦) (٢/٧١٩).

(٣) صحيح سنن الترمذي (١٤٧٤) (٢/١٥٩).

(٤) صحيح سنن ابن ماجة (٢٦٥٠) (٢/٢٢٦).

(٥) صحيح سنن ابن ماجه (٢٦٤٨) (٢/٢٢٦).

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (٣١٢٥) (٧-١/٣٣٧).

(٧) صحيح البخاري (٥٤٥١) (٦/٥٦٠).

٢٢٩ ـ ٢ ـ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أكلَ ثُوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو ليعتزل مَسجِدنا»(١).

٢٣٠ ـ التفرق على الطعام وعدم الاجتماع عليه:

٢٣٠ ـ ١ ـ عن وحشِيٍّ بن حرب، عن أبيه، عن جده: أن أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله! إنا نأكل ولا نشبع. قال: «فلعلكم تفترقون»؟ قالوا: نعم! قال: «فاجتمعوا على طعامكم، واذكُروا اسم الله عليه، يُبارَك لكُم فيه»(٢).

٢٣٠ ـ ٢ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلوا جميعاً ولا تَتَفرَّقوا؛ فإن طعامَ الواحدِ يكفي الاثنين، وطعامَ الاثنين يكفي الأربعةَ»(٣).

٢٣١ ـ التقصير في إكرام الضيف:

٢٣١ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»(٤).

٢٣١ ـ ١ ـ عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ: قال رسول الله ﷺ: «لا خيرَ فيمن لا يُضيفُ»(٥).

٢٣٢ ـ التكلف للضيف فوق القدرة:

٢٣٢ ـ ١ ـ عن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتكلفنَّ أحدٌ لضيفهِ ما لا يقدرُ عليهِ»(٦).

(١) صحيح البخاري (٥٤٥٢) (٦/٥٦٠).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٣١٩٩) (٢/٧١٧).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢١٣٢) (٢/٥٠٠).

(٤) صحيح البخاري (٦١٣٩) (٧/١٣٦).

(٥) أخرجه أحمد في المسند، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٤٣٤) (٥/٥٦١).

(٦) أخرجه أبو نعيم في أخبار اصبهان والخطيب في التاريخ والديلمي، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٤٤٠) (٥/٥٦٨).

عن شقيق، قال: دخلت أنا وصاحب لي على سلمان ـ رضي الله عنه ـ فقرب إلينا خبزاً وملحاً، فقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا عن التكلف، لتكلفت لكم. فقال صاحبي: لو كان في ملحنا سعتر، فبعث بمطهرته إلى البقال، فرهنها، فجاء بسعتر، فألقاه فيه، فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا. فقال سلمان: لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة عند البقال»(١).

* قال جعفر بن محمد: أثقل إخواني عليَّ من يتكلف لي وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي(٢).

* عن محمد بن سيرين: قال: كانوا يقولون: لا تكرم صديقك بما يشق عليه وبما يكره(٣).

٢٣٣ ـ الجشاء عند الامتلاء من الطعام:

٢٣٣ ـ ١ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: تجشأ رجل عند النبي ﷺ فقال رسول الله ـ: «كُفَّ عنّا جُشاءَكَ، فإنَّ أكثركم شبعاً في الدنيا أطولُهم جُوعاً يوم القيامة»(٤).

٢٣٣ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنهما ـ قال: تجشأ رجل عند النبي ـ فقال النبي ﷺ فقال: «كُفَّ جُشاءك عنّا. فإنَّ أطوَلَكُم جُوعاً يومَ القيامةِ، أكثَرُكُم شبعاً في دارِ الدنيا»(٥).

قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه: إذا تجشى الرجل ينبغي أن يرفع وجهه إلى فوق لكيلا يخرج من فيه رائحة يؤذي بها الناس(٦).

---

(١) أخرجه الحاكم، انظر السلسلة الصحيحة (٢٣٩٢) (٥/٥١١).

(٢) مختصر منهاج القاصدين ـ ابن قدامة المقدسي ص١٠٤.

(٣) الزهد ـ أحمد بن حنبل ـ ص ٣٧٢.

(٤) صحيح سنن الترمذي (٢٠١٥) (٢/٣٠٣).

(٥) صحيح سنن ابن ماجه (٢٧٠٥) (٢/٢٣٧).

(٦) الآداب الشرعية ـ ابن مفلح (٣٤٦/٢).

٢٣٤ ـ جوع الجار وهو شبعان :

٢٣٤ ـ ١ ـ عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه »(١).

٢٣٤ ـ ٢ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما آمن بي من باتَ شبعان وجارُهُ جائعٌ إلى جنبِهِ وهوَ يعلمُ به »(٢).

٢٣٥ ـ دعوة الأغنياء إلى الوليمة دون الفقراء :

٢٣٥ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « شَرُّ الطّعامِ طعامُ الوليمةِ؛ يدعى لها الأغنياءُ ويُتركُ الفقراءُ، ومن تَرَكَ الدَّعوةَ فقد عصى الله ورسوله »(٣).

٢٣٥ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ: قال رسول الله ﷺ : « شَرُّ الطعامِ طعامُ الوليمة. يُمنَعُها من يأتيها، ويُدعى إليها من يأباها، ومن لم يُجب الدعوةَ فقد عصى الله ورسوله »(٤).

٢٣٦ ـ عدم التسمية من أحد الآكلين إذا اجتمعوا على طعام :

٢٣٦ ـ ١ ـ عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال : إنا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعاماً، فجاءت جارية كأنما تُدفَع، فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذَ رسولُ الله ﷺ بيدها، ثمَّ جاء أعرابي كأنَّما يُدفَعُ، فأخذ بيده، فقالَ رسول الله ﷺ : « إنَّ الشَّيطانَ ليستحلُّ الطعامَ أن لا يُذكرَ اسمُ الله عليه، وإنَّه جاءَ بهذه الجاريةِ ليستَحِلَّ بها، فأخذتُ بيدها، فجاءَ بهذا الأعرابيِّ ليَستحلَّ بهِ، فأخذتُ بيدهِ، والذي نفسي بيدهِ إنَّ يدهُ لفي يدي مع يديهما »(٥).

---

(١) صحيح الأدب المفرد ـ ص ٦٧ رقم (٨٢).

(٢) أخرجه البزار في سننه والطبراني في الكبير ، انظر: صحيح الجامع (٥٥٠٥) (٢/٩٦٧).

(٣) صحيح البخاري (٥١٧٧) (٦/٤٧١).

(٤) صحيح مسلم (١٤٣٢) (٢/٨٥٥).

(٥) صحيح مسلم (٢٠١٧) (٣/١٢٧٠).

٢٣٧ - ٢ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ يأكل طعاماً في ستة من أصحابه، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين، فقال رسول الله ﷺ: «أما إِنَّهُ لو سَمَّى لَكَفَاكُم»(١).

٢٣٧ - عَيْب طعام الناس:

٢٣٧ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: قال: ما عاب النبي ﷺ طعاماً قط؛ إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه(٢).

٢٣٧ - ٢ - وعنه - رضي الله عنه - قال: ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ عابَ طعاماً قَطُّ. كان إِذا اشتهاهُ أكلَهُ، وإن لم يشتَهِهِ سكتَ(٣).

قال ابن بطال: وهذا من حسن الأدب، لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره، وكلُ مأذون في أكلهِ من قِبلَ الشرعِ ليس فيه عيب(٤).

٢٣٨ - مرافقة المدعو للوليمة دون إذن الداعي:

٢٣٨ - ١ - عن أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه - قال: كانَ رجلٌ مِن الأنصارِ، يُقالُ لهُ أبو شُعيبٍ، وكان لهُ غُلامٌ لَحَّامٌ، فرأى رسولَ الله ﷺ فعرَفَ في وجهه الجُوعَ. فقال لغُلامه: ويحَك! اصنعَ لنا طعاماً لخمسة نفرٍ، فإني أُريدُ أن أدعُو النبيَّ ﷺ خامسَ خمسةٍ. قالَ: فصنعَ، ثمَّ أتى النبيَّ ﷺ فدعاهُ خامسَ خمسةٍ، واتَّبعَهُم رجلٌ، فلمَّا بلغَ البابَ قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ هذا اتَّبعنا، فإن شئتَ أن تأذنَ لهُ، وإن شئتَ رجَعَ» قال: لا، بل آذنُ لهُ يا رسولَ الله(٥).

---

(١) صحيح سنن الترمذي (١٥١٤) (٢/١٦٧).

(٢) صحيح البخاري (٥٤٠٩) (٦/٥٤٨).

(٣) صحيح مسلم (٢٠٦٤) (٣/١٢٩٩).

(٤) فتح الباري - ابن حجر (٩/٥٤٨).

(٥) صحيح مسلم (٢٠٣٦) (٣/١٢٨٠).

كتاب اللباس والزينة

٢٣٩ - إيذاء النفوس بلباس ثياب الشهرة :

٢٣٩ - ١ - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : «مَن لبِسَ ثوبَ شُهرَةٍ ألبسَهُ اللهُ يوم القيامة ثوباً مثله، ثمَّ يُلهبُ فيه النَّار»(١).

٢٣٩ - ٢ - وعنه - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : «مَن لَبِسَ ثوبَ شُهرَةٍ ألبسَهُ اللهُ، يومَ القيامةِ، ثَوبَ مذَلَّةٍ »(٢).

٢٤٠ - التباهي على الناس وكسر قلوبهم بفضول اللباس :

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص:٧٩].

٢٤٠ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «لا ينظُرُ اللهُ يومَ القيامةِ إلى مَن جَرَّ إزارَهُ بطراً»(٣).

٢٤٠ - ٢ - عن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الأنصاري الحارثي قال: ذَكَرَ أصحابُ رسول الله ﷺ يوماً عندَهُ الدُّنيا: فقال رسول الله ﷺ «ألا تَسمَعُونَ ؟ ألا تسمعون ؟ إنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإيمانِ»(٤).

٢٤٠ - ٣ - عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «كُلوا واشربوا وتصدَّقُوا والبَسُوا، ما لم يُخالطهُ إسرافٌ أو مخيَلةٌ»(٥).

(١) صحيح سنن أبي داود (٣٣٩٩) (٢/٧٦١).

(٢) صحيح سنن ابن ماجة (٣٣٩٩) (٢/٢٨٤).

(٣) صحيح البخاري (٥٧٨٨) (٧/٤٤).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٣٥٠٧) (٢/٧٨٤).

(٥) صحيح سنن ابن ماجه (٢٩٠٤) (٢/٢٨٤).

البذاذة هي: رثاثةُ الهيئةِ وتركُ فاخرِ اللباس(١).

٢٤٠ - ٤ - عن ضـمـرة بـن ثعلبـة - رضـي الله عنه - أنه أتى النبيَّ ﷺ وعليـه حُلَّتانِ من حُلَلِ اليمن، فقال ﷺ: «يا ضَمرةُ! أتَرَى ثوبيكَ مُدخليكَ الجنة؟» فقال: لئنِ استغفرتَ لي يا رسولَ الله! لا أقعدُ حتى أنزِعَهُما عنِّي. فقال النبيُّ ﷺ: «اللهمَّ! اغفر لضَمرةَ بن ثَعلبةَ»(٢).

٢٤١ - التبرج من النساء لفتنة الرجال:

قال تعالى: ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

٢٤١ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنفانِ مِن أهلِ النار لم أرَهُما. قومٌ معهُم سياطٌ كأذنابِ البقرِ يضربُونَ بها الناسَ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، مميلاتٌ مائلاتٌ، رءوسهن كأسنمة البُختِ المائلةِ لا يدخلنَ الجنةَ، ولا يجدنَ ريحهَا، وإنَّ ريحها ليُوجدُ مِن مسيرةِ كذا وكذا»(٣).

٢٤١ - ٢ - عن أبي أذينة الصدفي - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «خير نسائكم الودُودُ الولودُ، المواتية، المواسية؛ إذا اتَّقينَ اللهَ، وشرُّ نسائكم المُتبرِّجاتُ المتخيلات، وهنَّ المنافقات، لا يدخل الجنة منهنَّ إلا مثلُ الغراب الأعصم»(٤).

---

(١) رياض الصالحين - النووي ص ٢٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ وأحمد والبزار، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٠١٨) (٤٣/١-٧).

(٣) صحيح مسلم (٢١٢٨) (١٣٣٩/٣).

(٤) أخرجه البيهقي في السنن، انظر: السلسلة الصحيحة (١٨٤٩) (٤٦٤/٤) والأعصم: هو أحمر المنقار والرجلين، وهو كناية عن قلة من يدخل الجنة من النساء، لأن هذا الوصف في الغربان قليل.

٢٤٢ ـ تطيب النساء في مجامع الرجال:

٢٤٢ ـ ١ ـ عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إذا استعطرَتِ المرأةُ فمرَّت على قومٍ ليجدوا ريحَها، فهي كذا وكذا» قال: قولاً شديداً[١]. وفي رواية، قال: «فهي زانيةٌ»[٢].

٢٤٢ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه لقيَتهُ امرأة وجد منها ريح الطيب ينفح ولذيلها إعصار[٣]، فقال: يا أمَةَ الجبَّارِ، جئتِ من المسجد؟ قالت: نعم! قال: وله تطيبت؟ قالت: نعم! قال: إني سمعت حِبِّي أبا القاسم ﷺ يقول: «لا تُقبَلُ صلاةٌ من امرأة تطيَّبت لهذا المسجدِ، حتَّى ترجعَ فتَغتَسِلَ غُسلَهَا من الجَنابَةِ»[٤] وفي رواية، قال: «إذا خرجتِ المرأةُ إلى المسجد فلتغتسل من الطِّيب، كما تغتسل من الجنابة»[٥].

٢٤٢ ـ ٣ ـ عن زيد بن خالد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجدَ الله، وليخرجن تَفِلات»[٦].

٢٤٣ ـ كشف العورة لإحداث الفتنة:

٢٤٣ ـ ١ ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضى الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد»[٧].

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٢٢٣٨) (٢/٣٦٣).

(٢) صحيح سنن النسائي (٤٧٣٧) (٣/١٠٤٩).

(٣) له غبار ترفعه الريح.

(٤) صحيح سنن أبي داود (٣٥١٧) (٢/٧٨٧).

(٥) صحيح سنن النسائي (٤٧٣٨) (٣/١٠٤٩).

(٦) صحيح سنن أبي داود (٥٩) (١/١١٣) وتفلات بمعنى ؛ تاركات الطيب .النهاية (١/١٩١).

(٧) صحيح مسلم (٣٣٨) (١/٢٢٢).

٢٤٣ ـ ٢ ـ عن المسور بن مخرمة ـ رضي الله عنه ـ قال: حملت حجراً ثقيلاً، فبينما أمشي فسقط عني ثوبي، فقال لي رسول الله ﷺ: «خُذ عليك ثوبَكَ، ولا تمشُوا عُراةً»(١).

٢٤٣ ـ ٣ ـ عن جرهد ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ مرَّ به وهو كاشف عن فخذه، فقال النبي ﷺ: «غطِّ فخذَكَ، فإنَّها من العورة»(٢).

٢٤٣ ـ ٤ ـ عن يعلى ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبَراز، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ حليم، حييٌّ، ستِّيرٌ، يُحبُّ الحياء والسِّترَ، فإذا اغتسلَ أحدُكُم، فليَستَتر»(٣).

٢٤٣ ـ ٥ ـ عن جابر بن صخر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنا نُهِينا أن تُرى عوراتُنا»(٤).

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣٣٩٠) (٢/٧٥٩).

(٢) صحيح سنن الترمذي (٢٢٤٥) (٢/٣٦٤).

(٣) صحيح سنن النسائي (٣٩٣) (١/٨٧).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، انظر: السلسلة الصحيحة (١٧٠٦) (٤/٢٨١).

كتاب الاستئذان والمجالس

٢٤٤ - إتيان البيوت بأوقات غير مناسبة :

٢٤٤ - ١ - عن أنس - رضي الله عنه - قال : كان النبيُّ ﷺ لا يَطرُقُ أهلَهُ، كان لا يدخُلُ إلا غُدوةً أو عشيَّةً(١).

٢٤٤ - ٢ - عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : كنا مع رسولِ الله ﷺ في غزاةٍ، فلما قدمنا المدينةَ ذهبنا لندخُلَ، فقال : «أَمهِلُوا حتَّى ندخلَ ليلاً (أي عِشاءً) كي تَمتَشطَ الشعثَةُ، وتستحِدَّ المُغيَبةُ»(٢).

٢٤٥ - إدخال المخنثين على النساء في البيوت :

٢٤٥ - ١ - عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : دخل عليَّ النبيُّ ﷺ وعندي مخنَّثٌ، فسمعه يقول لعبد الله بن أمية : يا عبد الله! أرأيتَ إن فتحَ الله عليكم الطائفَ غداً فعليك بابنة غيلان، فإنها تُقبلُ بأربعٍ وتدبر بثمانٍ، فقال النبيُّ ﷺ : «لا يَدخُلنَّ هؤلاء عليكُنَّ»(٣).

٢٤٥ - ٢ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبيَّ ﷺ أُتي بمخنث، قد خضب يديه ورجليه بالحناء! فقال النبيُّ ﷺ : «ما بال هذا؟» فقيل: يا رسول الله! يتشبه بالنساء، فأمر فنفي إلى النقيع، فقالوا: يا رسول الله! ألا نقتله؟ فقال : «إني نهيت عن قتل المصلين»(٤).

---

(١) صحيح البخاري (١٨٠٠) (٥٥٣/٢).

(٢) صحيح مسلم (٧١٥) (١٢١٢/٣).

(٣) صحيح البخاري (٤٣٢٤) (١٢١/٥).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٤١١٩) (٩٣١/٣).

قال أبو أسامة: والنقيع ناحية عن المدينة، وليس البقيع.

٢٤٦ - الاستلقاء بين الناس بأوضاع تجلب السوء أو تكشف العورة:

٢٤٦ - ١ - وعن جابر - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن اشتمال الصَّمَّاءِ، والاحتباء في ثوبٍ واحدٍ، وأن يرفعَ الرَّجلُ إحدى رجليه على الأخرى، وهو مستلقٍ على ظهره[١].

٢٤٦ - ٢ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: مرَّ رسول الله ﷺ على رجل مضطجع على بطنه، فغمزه برجله، وقال: «إنَّ هذه ضِجعة لا يحبُّها الله»[٢].

٢٤٧ - الاستماع لكلام الناس وهم كارهون:

٢٤٧ - ١ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «من تَحلَّمَ بِحُلُمٍ لَم يَرَهُ كُلِّفَ أن يعقدَ بين شعيرتين، ولن يفعَلَ، ومن استَمَعَ إلى حديثِ قومٍ وهم لهُ كارهونَ أو يفرُّونَ منه صُبَّ في أُذُنه الآنُكُ[٣] يومَ القيامةِ، ومن صَوَّرَ صُورةً عُذِّبَ وكُلِّف أن ينفخَ فيها وليسَ بنافخٍ»[٤].

فليس للإنسان أن يسترق السمع من دار غيره، ولا أن يستخبر من صغار دار أو جيرانها ليعلم ما يجري في بيت جاره[٥].

٢٤٨ - الإطالة المخلَّة في الكلام بالمجالس:

٢٤٨ - ١ - عن أبي ظبية، أن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال يوماً - وقام رجل فأكثر القول - فقال عمرو: لو قصد في قوله لكان خيراً له، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لقد رأيتُ - أو أمرتُ - أن أتَجَوَّزَ في القولِ؛ فإنَّ الجَوازَ هو خيرٌ»[٦].

---

(١) صحيح مسلم (٢٠٩٩) (٣/١٣٢٣).

(٢) صحيح سنن الترمذي (٢٢٢١) (٢/٣٥٩).

(٣) الآنك هو: الرصاص الأبيض، انظر: النهاية (١/٧٧).

(٤) صحيح البخاري (٧٠٤٢) (٨/٤١٦).

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر - الهيثمي (٢/٢٦٨) بتصرف.

(٦) صحيح سنن أبي داود (٤١٨٧) (٣/٩٤٥).

٢٤٩ ـ إقامة الرجل من مجلسه بغير رضاه:

٢٤٩ ـ ١ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبيُّ ﷺ: «لا يُقيمنَّ أحدُكم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن تفسَّحوا وتوسَّعوا»(١).

٢٤٩ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنهما ـ قال: نهى ﷺ أن يُقامَ الرجلُ من مقعده، ويجلس فيه آخر(٢).

٢٥٠ ـ الإلحاح في الاستئذان أكثر من ثلاث:

قال تعالى: ﴿.. وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور:٢٨].

٢٥٠ ـ ١ ـ عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استأذنَ أَحدُكُم ثلاثاً فلم يُؤذن لهُ فليرجِع»(٣).

٢٥٠ ـ ٢ ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن أبا موسى ـ رضي الله عنه ـ استأذن على عمر ـ رضي الله عنه ـ ثلاثاً، فلم يؤذن له، فانصرف. فأرسل إليه عمر: ما ردَّك؟ قال: استأذنت الاستئذان الذي أمرنا به رسول الله ﷺ ثلاثاً، فإن أُذنَ لنا دخلنا، وإن لم يؤذن لنا، رجعنا. قال عمر: لتأتيني على هذه ببينة أو لأفعلنَّ. فأتى مجلس قومه، فناشدهم، فشهدوا له، فخلَّى سبيله(٤).

٢٥١ ـ بذل السلام للمعرفة فقط:

٢٥١ ـ ١ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما: أنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أيُّ الإسلامِ خيرٌ؟ قال ﷺ: «تُطعمُ الطعامَ، وتقرأُ السلامَ على من عرفتَ ومَن لم تعرِف»(٥).

---

(١) صحيح البخاري (٦٢٦٩) (٧/١٧٨).

(٢) صحيح البخاري (٦٢٧٠) (٧/١٧٨).

(٣) صحيح البخاري (٦٢٤٥) (٧/١٦٩) مختصراً.

(٤) صحيح سنن ابن ماجه (٢٩٨٩) (٢/٣٠٢).

(٥) صحيح البخاري (٦٢٣٦) (٧/١٦٦).

٢٥١ - ٢ - عن طارق بن شهاب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بين يدي الساعة تسليمَ الخاصة، وفشوَّ التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم»(١).

٢٥١ - ٣ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أعجزُ الناسِ من عجِزَ في الدُّعاءِ، وأبخلُ الناسِ من بَخِلَ بالسَّلامِ»(٢).

٢٥١ - ٤ - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشراطِ السَّاعةِ أن يمُرَّ الرَّجلُ في المسجد، لا يصلِّي فيه ركعَتين، وأن لا يُسلِّمَ الرَّجلُ إلا على من يعرفُ»(٣).

٢٥٢ - التفريق بين اثنين في المجلس دون إذنهما:

٢٥٢ - ١ - عن عبدة، عن أبيه، عن جده - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجلس بين رجُلينِ إلاَّ بإذنهما»(٤).

٢٥٢ - ٢ - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبيَّ ﷺ قال: «لا يحل لرجل أن يُفرِّق بين اثنين، إلا بإذنهما»(٥).

٢٥٣ - تقذير الساحات حول البيوت:

٢٥٣ - ١ - عن عامر بن سعيد عن أبيه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «طهروا أفنيتكم فإن اليهود لا تطهِّر أفنيتها»(٦).

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم، انظر: السلسلة الصحيحة (٦٤٧) (٢/٢٥٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٧١٤) (٣/٣٠).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: صحيح الجامع (٥٨٩٦) (٢/١٠٢٥).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٤٠٥٤) (٣/٩١٨).

(٥) صحيح سنن الترمذي (٢٢١٠) (٢/٣٥٦).

(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٣٦) (١/٤١٩).

٢٥٣ - ٢ - عن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «طيِّبوا ساحاتكم؛ فإنّ أنتنَ الساحات ساحات اليهود»(١).

٢٥٤ - التناجي بين اثنين دون الثالث:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [المجادلة: ٩-١٠].

٢٥٤ - ١ - عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كانوا ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث»(٢).

٢٥٤ - ٢ - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثَةً، فلا يَتَناجى رجُلانِ دونَ الآخَرِ، حتَّى تختَلِطُوا بالنَّاسِ، من أجل أن ذلك يُحزنه»(٣).

وكذلك الجماعة عندنا لا يتناجونَ دون الواحد لوجود العلّه في ذلك، لأنه قد يقع في نفسه أنّ الحديث عنه بما يكره(٤).

٢٥٥ - الجلوس بين الرجل وابنه في المجلس:

٢٥٥ - ١ - عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجلسِ الرجلُ بين الرجلِ وابنِه في المجلسِ»(٥).

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، انظر: صحيح الجامع (٣٩٤١) (٢/٧٣٠).

(٢) صحيح البخاري (٦٢٨٨) (٧/١٨٣).

(٣) صحيح البخاري (٦٢٩٠) (٧/١٨٤).

(٤) المعلم بفوائد مسلم - المازري (٣/٩٠).

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٥٥٦) (٧-٣/١٥١٣).

٢٥٦ ـ الجلوس بين الرجلين بدون إذنهما :

٢٥٦ ـ ١ ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ـ رضي الله عنه ـ قال : نهى رسول الله ﷺ أن يجلسَ الرَّجلُ بين الرَّجُلَينِ إلا بإذنِهِما[١].

٢٥٧ ـ الجلوس مكان الرجل في صدر بيته :

٢٥٧ ـ ١ ـ عن أبي مسعود الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « .. ولا يُؤمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجلَ في سُلطَانِهِ، ولا يقعُد في بيته على تكرِمَتِهِ إلاَّ بإِذنِهِ »[٢].

٢٥٧ ـ ٢ ـ عن عبد الله بن حنظلة الغسيل ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « الرجلُ أحقُّ بصدر دابته، وصدر فراشه، وأن يَؤمَّ في رَحله »[٣].

٢٥٨ ـ الجلوس مكان القائم العائد بدون إذنه :

٢٥٨ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ووهب بن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ : « إذا قام الرجل من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به »[٤].

٢٥٩ ـ الخلوة بالمرأة الأجنبية :

٢٥٩ ـ ١ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : « لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم » . فقام رجل، فقال : يا رسول الله! مرأتي خرجت حاجة واكتتبت في غزوة كذا وكذا . قال : « ارجع فحج مع امرأتك »[٥].

---

(١) رواه أبو الحسن السكري في الفوائد والبيهقي في السنن ، انظر : السلسلة الصحيحة (٢٣٨٥) (٥/٥٠٠).

(٢) صحيح مسلم (٦٧٣) (١/٣٨٩).

(٣) أخرجه الدارمي والبزار والطبراني في الكبير ، انظر : السلسلة الصحيحة (١٥٩٥) (٤/١٢٦).

(٤) صحيح مسلم (٢١٧٩) (٤/١٣٦٨).

(٥) صحيح البخاري (٥٢٣٣) (٦/٤٩٠).

٢٥٩ ـ ٢ ـ عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء». فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله! أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت»(١).

٢٥٩ ـ ٣ ـ عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «... ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»(٢).

٢٥٩ ـ ٤ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبيِّ ﷺ **قال**: «مَن كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ؛ فلا يَدخلِ الحمامَ إلا بمئزر، مَن كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ ؛ فلا يُدخلِ حليلَتَه الحمَّام، مَن كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ ؛ فلا يشربِ الخمرَ، مَن كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ؛ فلا يجلس على مائدةٍ يُشربُ عليها الخمرُ، مَن كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ؛ فلا يخلُونَّ بإمرأةٍ ليسَ بينَه وبينَها مَحرم».

٢٦٠ ـ خيانة الجليس والوشاية به:

٢٦٠ ـ ١ ـ عن جابر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول ﷺ: «إذا حدث الرجل بحديثٍ ثم التفت فهي أمانةٌ»(٣).

لأنه إذا إلتفت دلَّ ذلك على أنه كره سماعه، فهذا صار أمانة عند الذي أخبر به(٤).

٢٦٠ ـ ٢ ـ عن وابصة الأسدي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «تكونُ فتنةٌ؛ النائم فيها خيرٌ من المضطجع، والمضطجعُ فيها خيرٌ من القاعدِ، والقاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الراكبِ، والراكبُ خيرٌ من المُجري، قتلاها كلُّها في النار» قال: قلتُ: يا رسول الله! ومتى

---

(١) صحيح البخاري (٥٢٣٢) (٦/٤٩٠).

(٢) صحيح سنن الترمذي (١٧٥٨) (٢/٢٣٢).

(٣) صحيح سنن أبو داود (٤٠٧٥) (٣/٩٢٢).

(٤) عارضة الأحوذي ـ ابن العربي (٨/١١٧).

ذلكَ؟ قال: «ذلكَ أيامَ الهَرجِ» قلتُ: ومتى أيامُ الهرجِ؟ قال: «حينَ لا يأمنُ الرجلُ جليسَهُ» قال: فبمَ تأمُرني إن أدركتُ ذلكَ الزَّمانَ؟ قال: «اكفُف نَفسكَ ويدَكَ، وادخل داركَ». قال: قلتُ: يا رسول الله! أرأيتَ إن دخلَ عليَّ داري؟ قال: «فادخل بيتَكَ». قال: قلتُ: يا رسول الله! أرأيتَ إن دخلَ عليَّ بيتي؟ قال: «فادخل مسجدَكَ، واصنع هكذا - وقبضَ بيمينه على الكوعِ - وقل: ربِّي اللهُ؛ حتى تموتَ على ذلك»(١).

٢٦٠ - ٣ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما المجالس بالأمانة»(٢).

٢٦١ - الدخول على الناس دون استئذان:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور:٢٧].

٢٦١ - ١ - عن كلدة بن حنبل: أن صفوان بن أمية، بعثه إلى رسول الله ﷺ بلَبنٍ وجِدَايَةٍ وضَغابيسَ، والنبيُّ ﷺ بأعلى مكة، فدخلت ولم أسلِّم، فقال: «ارجع، فقل: السلام عليكم» وذاك بعد ما أسلم صفوان بن أمية(٣).

٢٦١ - ٢ - عن ربعيٍّ، قال: حدثنا رجل من بني عامر: أنه استأذن على النبيِّ ﷺ وهو في بيت، فقال: ألج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: «اخرُج إلى هذا! فَعلِّمهُ الاستئذان، فقال له قل: السلام عليكم، أأدخل؟» فسمعه الرجل، فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل(٤).

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف وأحمد في المسند والحاكم في المستدرك، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٢٥٤) (٧٦٩/٢-٧).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في التوبيخ، انظر: صحيح الجامع (٢٣٣٠) (٤٦١/١).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٤٣١١) (٩٧٢/٣).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٤٣١٢) (٩٧٢/٣).

٢٦٢ ـ رد الوسائد والدهن:

٢٦٢ ـ ١ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ لا تُردُّ؛ الوسائدُ، والدُّهنُ، واللبنُ»(١).

٢٦٣ ـ ركوب صدر دابة الرجل بغير إذنه:

٢٦٣ ـ ١ ـ عن أبي بريدة ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما النبيُّ ﷺ يمشي، إذ جاءه رجل ومعه حمارٌ، فقال: يا رسول الله! اركب، وتأخر الرجل، فقال رسول الله ﷺ: «لا، أنتَ أحقُّ بِصدرِ دابَّتِكَ، إلا أن يجعَلَهُ لي» قال: قد جعلته لك، قال: فركب(٢).

٢٦٤ ـ عدم الإفصاح عن الاسم أو الكنية عند طرق الباب:

٢٦٤ ـ ١ ـ عن جابر ـ رضي الله عنهما ـ قال: أتيتُ النبي ﷺ في دينٍ كان على أبي، فدقـقتُ البابَ، فقال: «من ذا؟» فقلتُ: أنا. فقال: «أنا! أنا!!»(٣) كأنَّه كرهها.

٢٦٥ ـ قطع حديث المتناجيين بدون إذن:

٢٦٥ ـ ١ ـ عن سعيد المقبري ـ رحمه الله ـ قال: جلست إلى ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ومعه رجل يحدثه، فدخلت معهما، فضرب بيده صدري، وقال: أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «إذا تناجىَ اثنان فلا تَجلِس إليهما حتى تستأذِنَهُما»(٤).

٢٦٦ ـ قطع حديث الناس المشروع:

٢٦٦ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قلت للناس أنصتوا وهم يتكلمون، فقد ألغيت على نفسك»(٥).

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٢٢٤١) (٢/٣٦٣) وقال الألباني: حسن.

(٢) صحيح سنن الترمذي (٢٢٢٥) (٢/٣٦٠).

(٣) صحيح مسلم (٢١٥٥) (٣/٣٥٣).

(٤) أخرجه أحمد، انظر: السلسلة الصحيحة (١٣٩٥) (٣/٣٨٤).

(٥) أخرجه أحمد في المسند، انظر: السلسلة الصحيحة (١٧٠) (١/٢٧٨).

* عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إذا رأيت قوماً يتحدثون فلا تقطع حديثهم(١).

٢٦٧ - القيام من مجلس الرجل دون إذنه:

٢٦٧ - ١ - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا زار أحدكم أخاهُ فجلسَ عنده، فلا يقومنَّ حتَّى يستأذنهُ»(٢).

٢٦٨ - محبة أن يتمثل الناس له قياماً:

٢٦٨ - ١ - عن معاوية - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يتمثل له الناس قياماً، فليتبوأ مقعده من النار»(٣).

٢٦٩ - النظر إلى محارم الناس:

٢٦٩ - ١ - عن جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنهما - قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة؟ فأمرني أن أصرف بصري(٤).

٢٦٩ - ٢ - عن بريدة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي! لا تُتبعِ النظرةَ النَّظرةَ، فإنَّ لك الأُولى، وليس لكَ الآخِرةُ»(٥).

٢٧٠ - النظر لدواخل البيوت بغير إذن:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور:٢٧].

---

(١) مساوئ الأخلاق - الخرائطي - ص ٢٤٣ رقم (٥٤٥).

(٢) أخرجه ابو الشيخ في تاريخ أصبهان، انظر: السلسلة الصحيحة (١٨٢) (٣٠٤).

(٣) صحيح سنن ابي داود (٤٤٥٧) (٣/٩٨٢).

(٤) صحيح مسلم (٢١٥٩) (٣/١٣٥٥).

(٥) صحيح سنن الترمذي (٢٢٢٩) (٢/٣٦١).

٢٧٠ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «لو أنَّ امرأً اطّلع عليكَ بغير إذنٍ، فخذفته بحصاةٍ، ففقأت عينه، لم يكن عليكَ جُناحٌ»(١).

٢٧٠ ـ ٢ ـ عن سهل بن سعد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما جُعلَ الإذنُ من أجل البصَرِ»(٢).

٢٧٠ ـ ٣ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: أنَّ رجلاً اطَّلعَ في حُجرٍ في باب رسولِ الله ﷺ ومع رسولِ الله ﷺ مِدرىً يحُكُّ به رأسَهُ، فلما رآهُ رسولُ الله ﷺ قال: «لو أعلمُ أنَّك تنتظِرني لطعنتُ به في عينك» وقال: «إنما جُعلَ الإذنُ مِن أجلِ البصرِ»(٣).

١٧٠ ـ ٤ ـ عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما رجلٍ كشَفَ سِتراً، فأدخلَ بصرهُ قبل أن يؤذَن له؛ فقد أتى حدَّاً لا يحلُّ له أن يأتيه، ولو أن رجلاً فقأ عينه لهُدِرت، ولو أن رجلاً مرَّ على بابٍ لا سترَ له، فرأى عورةَ أهله فلا خطيئةَ عليه، إنما الخطيئةُ على أهل المنزلِ»(٤).

٢٧١ ـ الوقوف أمام الباب عند الاستئذان:

٢٧١ ـ ١ ـ عن عبد الله بن بسر ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى بابَ قومٍ لم يستقبلِ البابَ من تلقاءِ وجهه، ولكن من رُكنه الأيمن أو الأيسرِ، فيقولُ: السلامُ عليكم، السلام عليكم»(٥).

---

(١) صحيح البخاري (٦٩٠٢) (٨/٣٦٥).

(٢) صحيح البخاري (٦٩٠١) (٨/٣٦٥).

(٣) صحيح مسلم (٢١٥٦) (٣/١٣٥٤).

(٤) رواه أحمد، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٢٨) (٣/٣٥).

(٥) صحيح سنن أبي داود (٤٣١٨) (٣/٩٧٤).

٢٧١ ـ ٢ ـ عن هزيل، قال: جـاء رجل فوقف على باب النبي ﷺ يستـأذن، فقـام على البـاب مُستَقبِلَ البـاب، فقـال له النبي ﷺ: «هـكذا ـ عنك ـ أو هكذا؛ فإنما الاستئذان مِنَ النّظرَ»(١).

٢٧١ ـ ٣ ـ عن عبد الله بن بُسر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ ـ يقول: «لا تأتوا البيوتَ من أبوابها، ولكن ائتوها من جوانبهـا، فاستـأذِنوا، فإن أُذن لكم فادخُلوا، وإلا فارجعوا»(٢).

(١) صحيح سنن أبي داود (٤٣١٠) (٣/٩٧٤).

(٢) رواه الطبراني في الكبير، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٣١) (٣/٣٧).

كتاب الطب والمرض والرقى

٢٧٢ - إدخال السليم على السقيم:

٢٧٢ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُورِدُوا الْمُمرضَ على المصِحِّ»(١).

٢٧٢ - ٢ - وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا المجذومَ، كما يُتقى الأسدُ»(٢).

٢٧٣ - إكراه المريض على الطعام:

٢٧٣ - ١ - عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب، فإن الله يطعمهم ويسقيهم»(٣).

٢٧٤ - الامتناع من الاغتسال للمعيون:

٢٧٤ - ١ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته، وإذا أستغسلتم فاغسلوا»(٤).

٢٧٤ - ٢ - عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف - رضي الله عنه - قال: مرَّ عامر بن ربيعة - رضي الله عنه - بسهل بن حنيف - رضي الله عنه - وهو يغتسل، فقال: لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة. فما لبث أن لبِطَ به، فأتي به النبي ﷺ فقيل له: أدرك سهلا صريعاً. قال: «من تتهمون به؟». قالوا: عامر بن ربيعة.

---

(١) صحيح البخاري (٥٧٧٥) (٧/٤٠).

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير، انظر: صحيح الجامع (١١١) (١/٨٣).

(٣) صحيح سنن الترمذي (١٦٦١) (٢/٢٠٢).

(٤) صحيح مسلم (٢١٨٨) (٤/١٣٧٢).

قال: «علام يقتل أحدكم أخاه؟! إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة». ثم دعا بماء فأمر عامر أن يتوضأ، فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبتيه وداخلة إزاره، وأمره أن يصبَّ عليه. وأمره أن يكفأ الإناء من خلفه(١).

٢٧٥ ـ الترامي بالحجارة الصغيرة:

٢٧٥ ـ ١ ـ عن عبد الله بن مغفل المزني ـ رضي الله عنه ـ قال: نهى رسول الله ﷺ عن الحذف، وقال: «إنه لا يقتل صيداً، ولا ينكي عدواً، وإنه يفقأ العين، ويكسر السن»(٢).

٢٧٦ ـ التطبب بغير معرفة:

٢٧٦ ـ ١ ـ عن ابن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من تطبب ولم يعلم منه طبٌّ، فهو ضامن»(٣).

قال ابن القيم: هو يدل بمفهوم على أنه إذا كان طبيبا، وأخطأ في تطبيق، فلا ضمان عليه(٤).

قلت: بلا تعدي ولا تفريط.

٢٧٧ ـ الخروج من أرض الوباء:

٢٧٧ ـ ١ ـ عن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الطاعونُ رِجسٌ أرسل على طائفة من بني إسرائيل ـ أو على من كان قبلكم ـ فإذا سمعتم به بأرضٍ فلا تَقدَموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرُجوا فِراراً منه»(٥).

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه (٢٨٢٨) (٢/٢٦٥).

(٢) صحيح البخاري (٦٢٢٠) (٧/١٦١).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٦٢٢٠) (٣/٨٦٦).

(٤) فتاوى إمام المتقين ـ ابن القيم ـ ص ٢٠٦.

(٥) صحيح البخاري (٣٤٧٣) (٤/٥٠٥).

٢٧٧ - ٢ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن الطاعون، فأخبرني أنه عذابٌ يبعثهُ الله على من يشاء، وأنَّ الله جعلَهُ رحمةً للمؤمنين، ليس من أحدٍ يقعُ الطاعون، فيَمكثُ في بلده صابراً محتسباً يعلم أنهُ لا يُصيبهُ إلا ما كتب الله له إلا كان له مثلُ أجرِ شهيد(١).

٢٧٧ - ٣ - وعنها - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «الفرارُ من الطاعُونِ كالفرار من الزَّحف»(٢).

٢٧٨ - سحر الناس وتعليمهم:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾

[البقرة: ١٠٢]

٢٧٨ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا المُوبِقاتِ؛ الشركُ بالله والسِّحرُ»(٣).

٢٧٨ - ٢ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»(٤).

٢٧٨ - ٣ - عن عمرو بن حزم - رضي الله عنه - أن رسولَ الله ﷺ كتبَ إلى أهل اليمنِ بكتابٍ فيه الفرائضُ، والسننُ، والدياتُ، فذكر فيه: «وإن أكبرَ الكبائرِ عندَ الله يومَ القيامة: الإشراكُ بالله، وقتلُ النفسِ المؤمنةِ بغير الحقِّ، والفرارُ يوم

(١) صحيح البخاري (٣٤٧٤) (٤/٥٠٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند وابن سعد، انظر: السلسلة الصحيحة (١٢٩٢) (٣/٢٨١).

(٣) صحيح البخاري (٥٧٦٤) (٧/٣٧).

(٤) صحيح مسلم (٨٩) (١/٨٨).

الزحف في سبيل الله، وعقوقُ الوالدين، ورمي المحصنةِ، وتعلّمُ السحرِ، وأكلُ الربا، وأكلُ مالِ اليتيم»(١).

٢٧٩ ـ السعي في قطع نسل المسلم وقلة نسله:

٢٧٩ ـ ١ ـ عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: ردَّ رسولُ الله ﷺ على عُثمانَ بن مظعونٍ ـ رضي الله عنه ـ التَّبتُّلَ، ولو أذنَ له لاختَصينا(٢).

٢٧٩ ـ ٢ ـ عن معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبتُ امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها ؟ قال: «لا» ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: «تزوَّجُوا الودُودَ الوَلودَ، فإني مكاثرٌ بكُمُ الأُمَمَ»(٣).

٢٧٩ ـ ٣ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نسائكم الوَدُودُ الولُودُ، المواتية، المواسية؛ إذا اتَّقينَ الله ...»(٤).

٢٧٩ ـ ٤ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا إخصاء في الإسلامِ»(٥).

٢٨٠ ـ عدم الدعاء بالبركة عند رؤية ما يستحسن:

قال تعالى: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ...﴾

[الكهف:٣٩]

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ...﴾ [القلم:٥١].

(١) رواه ابن حبان في صحيحه ، انظر : صحيح الترغيب والترهيب (١٣٤١) (٢/١٢١).

(٢) صحيح البخاري (٥٠٧٣) (٦/٤٤٠).

(٣) صحيح سنن أبي داود (١٨٠٥) (٢/٣٨٦).

(٤) أخرجه البيهقي في السنن ، انظر: السلسلة الصحيحة (١٨٤٩) (٤/٤٦٤).

(٥) رواه البيهقي في السنن ، انظر: صحيح الجامع (٧١٦٦) (٢/١٢٠٣).

٢٨٠ - ١ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته، إذا استغسلتم فاغسلوا»(١).

٢٨٠ - ٢ - عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف - رضي الله عنه - قال: مرَّ عامر بن ربيعة - رضي الله عنه - بسهل بن حنيف - رضي الله عنه - وهو يغتسل، فقال: لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة. فما لبث أن لبطَ به، فأتي به النبي ﷺ فقيل له: أدرك سهلا صريعاً. قال: «من تتهمون به؟». قالوا: عامر بن ربيعة.

قال: «علام يقتل أحدكم أخاه؟! إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة». ثم دعا بماء فأمر عامر أن يتوضأ، فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبتيه وداخلة إزاره، وأمره أن يصبَّ عليه. وأمره أن يكفأ الإناء من خلفه(٢).

٢٨٠ - ٣ - عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «العينُ تُدخلُ الرجلَ القبرَ، والجملَ القِدرَ»(٣) وفي رواية، قال: «تستنزِلُ الحالق»(٤).

٢٨٠ - ٤ - عن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس. (يعني بالعين)(٥).

٢٨١ - فتح الفم وعدم تغطيته حال العطاس:

٢٨١ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده، أو ثوبه، على فيه، وخفض، أو غض بها صوته(٦).

---

(١) صحيح مسلم (٢١٨٨) (٤/١٣٧٢).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٢٨٢٨) (٢/٢٦٥).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية والخطيب في تاريخه، انظر: السلسلة الصحيحة (١٢٤٩) (٣/٢٥٠).

(٤) أخرجه الحاكم وأحمد والطبراني في الكبير، انظر: السلسة الصحيحة (١٢٥٠) (٣/٢٥١).

(٥) أخرجه الطيالسي في مسنده وابن أبي عاصم في السنة، انظر: السلسلة الصحيحة (٧٤٧) (٢/٣٨٤).

(٦) صحيح سنن أبي داود (٤٢٠٧) (٢/٩٤٨).

٢٨١ - ٢ - وعنه - رضي الله عنه -: أن رسول الله ﷺ: «كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه، وغض بها صوته»(١).

٢٨١ - ٣ - وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا عطسَ أحدكم فليضع كفيهِ على وجههِ، وليخفض صوتهُ»(٢).

٢٨٢ - فكُّ السِّحر بالسِّحر:

٢٨٢ - ١ - عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: سُئل رسول الله ﷺ عن النُشرَةِ، فقال: «هوَ مِن عملِ الشَّيطانِ»(٣).

٢٨٣ - كثرة الزيارة دون ما يستدعي ذلك:

٢٨٣ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «زر غبا تزدد حباً»(٤).

٢٨٤ - المبالغة في ختان الفتيات حتى الإنهاك:

٢٨٤ - ١ - عن أم عطية الأنصارية - رضي الله عنها - أن امرأة كانت تَختِنُ بالمدينة، فقال لها النبي: «لا تُنهِكي، فإنَّ ذلك أحظى للمرأةِ، وأحبُّ إلى البَعلِ»(٥).

٢٨٤ - ٢ - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ لأم عطية: «إذا خفضت فأهشمي، ولا تنهكي، فإنه أسرى للوجه، وأحظى للزوج»(٦).

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٢٢٠٥) (٢/٣٥٥).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب، انظر: صحيح الجامع (٦٨٥) (١/١٧٩).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٣٢٧٧) (٢/٧٣٣).

(٤) أخرجه الزاد والطير أنى في الأوسط والحاكم في المستدرك، انظر: صحيح الجامع (٣٥٦٨) (١/٦٦٧).

(٥) صحيح سنن أبي داود (٤٣٩١) (٣/٩٨٩).

(٦) رواه الدولابي والخطيب في التاريخ، انظر: السلسلة الصحيحة (٧٢٢) (٢/٣٥٣).

٢٨٥ ـ مداواة المريض بما يضرُّه:

٢٨٥ ـ ١ ـ عن عبد الرحمن بن عثمان: أن طبيباً سأل النبي ﷺ عن ضِفدع يجعلها في دواء، فنهاه النبي ﷺ عن قتلها(١).

٢٨٥ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: نهى رسول الله ﷺ عن الدواء الخبيث. يعني: السُّمَّ(٢).

٢٨٦ ـ معالجة المريض بالحرام:

٢٨٦ ـ ١ ـ عن طارق بن سويد الحضرمي ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله! إن بأرضنا أعناباً نعتصرها، فنشرب منها؟ قال: «لا» فراجعته، قلت: إنَّا نستشفي به المرض؟ قال: «إنَّ ذلك ليسَ بشِفاء، ولكنَّه داء»(٣).

٢٨٦ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من تداوى بحرامٍ لم يجعلِ اللهُ له فيه شفاءً»(٤).

٢٨٦ ـ ٣ ـ عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلقَ الداءَ والدواءَ، فتداَووا، ولا تَتَداووا بحرامٍ»(٥).

٢٨٦ ـ ٤ ـ عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: اشتكت ابنة لي، فنبذت لها في كوز، فدخل النبي ﷺ وهو يغلي، فقال: «ما هذا؟» فقلت: إنَّ ابنتي اشتكت، فنبذنا لها هذا، فقال ﷺ: «إنَّ الله لم يجعل شفاءكم في حرام»(٦).

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣٢٧٨) (٢/٧٣٣).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٢٧٨٥) (٢/٢٥٥).

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (٢٨٢٩) (٢/٢٦٣) وهو في مسلم

(٤) أخرجه أبو نعيم في الطب، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٨٨١) (٢/٨٩٢-٦).

(٥) رواه الدولابي، انظر: السلسلة الصحيحة (١٦٣٣) (٤/١٧٤).

(٦) صحيح موارد الظمآن (١١٧٢) (٢/٣٠).



كتاب آفات اللسان

٢٨٧ ـ اتهام المسلم ظاهر السلامة بالفسق والعداوة لله تعالى :

٢٨٧ ـ ١ ـ عن أبي ذرٍّ ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر ؛ إلا ارتدَّت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك »(١) .

٢٨٧ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من ادَّعى لغير أبيه وهو يعلم فقد كفر، ومن ادّعى قوماً ليس منهم فليتبوأ مقعده من النار، ومن دعا رجلاً بالكفر ـ و قال : يا عدوَّ الله، وليس كذلك إلا حار عليه »(٢) .

٢٨٨ ـ إدعاء ما ليس له :

٢٨٨ ـ ١ ـ عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ : « من ادعى ما ليس له ؛ فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار »(٣) .

٢٨٩ ـ أذية الجار باللسان :

٢٨٩ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره، فقال : « اذهب فاصبر » فأتاه مرتين أو ثلاثاً، فقال ﷺ : « اذهب فاطرح متاعك في الطريق » . فطرح متاعه في الطريق، فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنونه : فعل الله به، وفعل، وفعل، فجاء إليه جاره فقال له : ارجع لا ترى مني شيئا تكرهه(٤) .

---

(١) صحيح البخاري (٦٠٤٥) (٧/١١٠).

(٢) صحيح مسلم (٦١) (١/٧٩).

(٣) صحيح مسلم (٦١) (١/٧٩).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٤٢٩٣) (٣/٩٦٩).

٢٨٩ - ٢ - وعنه - رضي الله عنه - قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله! إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار، وتفعل وتصدق، وتؤذي جيرانها بلسانها، فقال رسول الله ﷺ: «لا خير فيها، هي من أهل النار»، قال: و فلانة تصلي المكتوبة وتصدق بأتور من الإقط ولا تؤذي أحداً، فقال الرسول ﷺ: «هي من أهل الجنة»(٢).

٢٩٠ - إزعاج الناس برفع الصوت دون حاجة أو بحرام:

قال تعالى: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾

[لقمان: ١٩]

أي لا تبالغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه.

قال مجاهد وغير واحد: إن أقبح الأصوات لصوت الحمير، أي غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفعه، ومع هذا هو بغيض إلى الله تعالى، وهذا التشبيه في هذا بالحمير، يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم(٣).

ومن أعظم ذلك من يرفع صوته ويستعلي بمعصيته أمام الملأ، دون وازع من دين أو رادع من حياء، كمن يرفع صوت المذياع بأصوات الغناء الفاجر الخليع، فيؤذي به مشاعر المؤمنين الصالحين، ويسمعهم ما كفُّوا أسماعهم عنه وعفُّوا آذانهم منه، فيلحقه دعاءهم في الدنيا، ويزداد عليه شهودا منهم يوم القيامة.

فيا لله كيف غرر إبليس بأتباعه !! واستفزهم بصوته !!

وما استعلى أهل الباطل بمعاصيهم إلا عند سكوت أهل الحق عن دعوتهم والأخذ على أيديهم، فالواجب المتحتم على كل مسلم أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وليأخذ على يد السفيه فيأطره على الحق أطراً حتى لا يكون بسكوته شيطانا أخرس، وليحذر الحياء من بذل الخير عند من لم يستحي من ممارسة الشر.

---

(٢) صحيح الأدب المفرد - ص ٦٩ رقم (٨٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير (٣/٤١٧).

ومن ابتلي بذلك فعليه بخير الهدى:

٢٩٠ ـ ١ ـ عن نافع، قال: سمع ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ مزماراً، فوضع إصبعيه على أذنيه، ونأى عن الطريق، وقال لي: يا نافع هل تسمع شيئا؟ قال: فقلت: لا! قال: فرفع إصبعيه من أذنيه، وقال: كنت مع النبي ﷺ ـ فسمع مثل هذا! فصنع مثل هذا[١].

٢٩١ ـ الاستطالة في عرض المسلم بغير الحق:

٢٩١ ـ ١ ـ عن سعد بن زيد ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إن من أربى الربا الاستطالة في المسلم بغير الحق»[٢].

٢٩١ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أربى الربَا شَتمُ الأعراض»[٣].

٢٩١ ـ ٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أهون الربا كالذي ينكح أمه، وإن أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه»[٤].

٢٩٢ ـ إضحاك الناس بما لا يجوز:

٢٩٢ ـ ١ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ ـ قال: «ألا هل عسى رجلٌ منكم أن يتكلَّم بالكلمة يُضحكُ بها القومَ؛ فيسقُطُ بها أبعدَ مِنَ السماء، ألا عسى رجلٌ يتكلَّمُ بالكلمةِ يُضحكُ بها أصحابَهُ؛ فيسخَطُ الله بها عليه؛ لا يرضَى عنه حتَّى يُدخِلَهُ النارَ»[٥].

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٤١١٦) (٣/٩٣٠).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٥٠٨١) (٣/٩٢٣).

(٣) رواه الهيثم بن كليب في المسند، انظر: السلسلة الصحيحة (١٤٣٣) (٣/٤١٨).

(٤) أخرجه أبو الشيخ في التوسع، انظر: صحيح الجامع (٢٥٣١) (٢/٢٥٣١) وقال الألباني: حسن.

(٥) رواه أبو الشيخ، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٧٧) (٣/٩٥).

٢٩٣ ـ الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف :

قال تعالى : ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ...﴾ [التوبة: ٦٧].

وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ...﴾ [النساء: ٣٧].

٢٩٣ ـ ١ ـ عن عبد الرحمن ابن حسنة ـ رضي الله عنه ـ قال : انطلقت أنا وعمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ إلى النبيِّ ﷺ فخرج ومعه دَرَقَةٌ، ثم استتر بها، ثم بال، فقلنا : انظروا إليه يبول كما تبول المرأة، فسمع ذلك، فقال ﷺ : « ألم تعلمُوا ما لقيَ صاحبُ بني إسرائيل ؟ كانوا إذا أصابَهُمُ البولُ قطَعُوا ما أصابَهُ البولُ منهم، فنهاهُم، فعذِّبَ في قبرِه »(١).

٢٩٤ ـ بهت المسلم بما ليس فيه :

قال تعالى : ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٢].

٢٩٤ ـ ١ ـ عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله؛ فقد ضاد الله، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه ؛ لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه؛ أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال »(٢).

٢٩٤ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « خمس ليس لهن كفارة ؛ الشرك بالله، وقتل النفس بغير حق، وبهت المؤمن، والفرار من الزحف، ويمين صابرة يقطع بها مالا بغير حق »(٣).

(١) صحيح سنن أبي داود (١٦) (١/٧).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٣٠٦٦) (٢/٦٨٦).

(٣) أخرجه أحمد في السند، انظر : صحيح الجامع (٣٢٤٨) (١/٦١٧).

٢٩٥ ـ التشدق في الكلام والثرثرة :

قال تعالى : ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق : ١٨] .

٢٩٥ ـ ١ ـ عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله عزَّ وجلَّ يبغض البليغ من الرجال، الذي يتخلل بلسانه، تخلل الباقرة بلسانها»(١) .

٢٩٥ ـ ٢ ـ عن جابر ـ رضي الله عنهما ـ قال :قال رسول الله ﷺ : «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة ؛ أحاسنكم أخلاقاً، وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة ؛ الثرثار ون، والمتشدقون، والمتفيهقون»(٢) .

والثرثار : هو كثير الكلام، والمتشدق : هو الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم .

٢٩٥ ـ ٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «إنَّ الرجلَ ليتَكلَّمُ بالكلمةِ لا يرى بها بأساً، يهوي بها سبعينَ خريفاً في النَّار»(٣) .

٢٩٥ ـ ٤ ـ عن بلال بن الحارث المزني ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «نَّ أحدكُم ليتكلَّمُ بالكلمةِ من رضوانِ الله ما يظنُّ أن تبلغَ ما بلغت فيكتبُ الله لهُ بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإنَّ أحدكُم ليتكلَّمُ بالكلمةِ من سخط الله ما يظنُّ أن تبلغَ ما بلغت فيكتبُ الله لهُ بها سخطه إلى يوم يلقاه»(٤) .

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٤١٨٥) (٢/٦٨٦) .

(٢) صحيح سنن الترمذي (١٦٤٢) (٢/١٩٦) .

(٣) صحيح سنن الترمذي (١٨٨٤) (٢/٢٦٨) .

(٤) صحيح سنن الترمذي (١٨٨٨) (٢/٢٦٩) .

٢٩٥ ـ ٥ ـ عن فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم، الذين يأكلون ألوان الطعام، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون في الكلام»(١).

٢٩٦ ـ تشويه سمعة المسلم:

٢٩٦ ـ ١ ـ عن معاذ بن أنس الجهني ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من حمى مؤمناً من منافق بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلماً بشيء يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال»(٢).

٢٩٧ ـ تعيير المسلم بذنوبه التي تاب منها:

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا...﴾ [النساء: ٩٤].

٢٩٧ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا زَنَتِ الأَمةُ فَتَبيَّنَ زناها فليجلدها ولا يُثَرِّب، ثمَّ إذا زنت فليجلدها ولا يُثرِّب، ثم إذا زنت الثالثةَ فليَبعها ولو بحبلٍ من شعر»(٣).

قال الحسن البصري: كنا نُحدَّث أنه من عيَّر أخاه بذنب قد تاب إلى الله منه ابتلاه الله عز وجل به(٤).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ...﴾ [الحجرات: ١١] قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما: التنابز بالألقاب أن يكون الرجل قد عمل السيئات ثم تاب، فنهى الله أن يُعيَّر بما سلف(٥).

(١) أخرجه أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا في الجوع، انظر: السلسلة الصحية (١٨٩١) (٤/٥١٢).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٤٠٨٦) (٣/٩٢٤).

(٣) صحيح البخاري (٢١٥٢) (٣/٣٧).

(٤) الزهد ـ أحمد بن حنبل ـ ص ٣٤٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي (١٦/٢١٥).

٢٩٨ ـ تكذيب الصادق :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

٢٩٨ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «سيأتي على الناس سنوات خدَّاعات، يصدَّق فيها الكاذبُ، ويكذبُ فيها الصادقُ، ويؤتمنُ فيها الخائنُ، ويُخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضةُ». قيل: وما الرويبضةُ ؟ قال: «الرجلُ التافهُ ؛ يتكلم في أمر العامة»(١).

٢٩٩ ـ التنابز بالألقاب :

٢٩٩ ـ ١ ـ عن أبي جبيرة بن الضحاك ـ رضي الله عنه ـ قال: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منَّا رجلٌ، إلا وله اسمان، أو ثلاثةٌ. فجعل النبي ﷺ يقول: «يا فلان» فيقولون: مه يا رسول الله! إنه يغضب من هذا الاسم، فأنزلت هذه الآية: ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١](٢).

قال القرطبي: أي بئس أن يسمى الرجلُ كافراً أو زانياً بعد إسلامه وتوبته، قاله ابن زيد. وقيل: المعنى أن من لقب أخاه أو سخر منه فهو فاسق(٣).

واتفق العلماء على تحريم تلقيب الإنسان بما يكره، سواء كان له صفة كالأعمش والأعمى والأعرج والأحول والأبرص و الأشج والأصفر والأحدب والأصم والأزرق والأفطس و الأشتر و الأثرم و الأقطع والزَّمِن والمقعد والأشل، أو كصفةٍ لأبيه أو أمه أو غير ذلك مما يكره، واتفقوا على جواز ذكره بذلك على جهة التعريف لمن لا يعرفه إلا بذلك(٤).

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٦١) (٢/٣٧٤).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٦١) (٢/٣٧٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي (١٦/٢١٥).

(٤) الأذكار ـ النووي ـ ص ٢٦٠.

٣٠٠ ـ التناجي بالمعاصي والعدوان:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ٩].

٣٠١ ـ الجدال والمراء بغير حق أو فيما لا فائدة فيه:

قال تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿... وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

٣٠١ ـ ١ ـ عن أبي أمامه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أُتوا الجدل»[(١)].

٣٠١ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيمٌ ببيتٍ في ربض الجنة، لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيتٍ في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»[(٢)].

وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه؛ إما في اللفظ، وإما المعنى، وإما في قصد المتكلم[(٣)].

قال مسلم بن ياسر: إيَّاكم والمراء، فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته[(٤)].

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٢٥٩٣) (٣/١٠٣).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٤٠١٥) (٣/٩١١).

(٣) إحياء علوم الدين ـ الغزالي (٣/١٢٦).

(٤) كتاب الصمت ـ ابن أبي الدنيا ـ ص ١٠٠ رقم (١٢٥).

٣٠٢ ـ الحديث بكل ما سمع:

قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

٣٠٢ ـ ١ ـ عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يُحدِّثَ بكل ما سمع»(١).

٣٠٢ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى حرَّم عليكم: عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعاً وهات، وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»(٢).

٣٠٣ ـ الخيانة في الدلالة والنصح:

٣٠٣ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أفتي بغير علم كان إثمه على من أفتاه، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الخير في غيره فقد خانه»(٣).

٣٠٣ ـ ٢ ـ عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ المستشار مُؤتَمنٌ»(٤).

٣٠٤ ـ الدعاء على العاصي بما يزيد في غوايته:

٣٠٤ ـ ١ ـ عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن رجلا على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حماراً، وكان يضحك النبي ﷺ وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتى به يومًا فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله»(٥).

(١) صحيح مسلم (٥) (١/٢٤).

(٢) صحيح مسلم (٥٩٣) (٣/١٠٨١).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٣١٠٥) (٢/١٨٩).

(٤) صحيح سنن الترمذي (٢٢٦٣) (٢/٣٦٩).

(٥) صحيح البخاري (٦٧٨٠) (٧/٣٢٧).

٣٠٤ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: أن رسول الله ﷺ أُتي برجل قد شرب الخمر، فقال ﷺ: «اضربوه». قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: فمنا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله! فقال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا هكذا، لا تُعينوا عليه الشيطان، ولكن قولوا: اللهمَّ! اغفر له، اللهمَّ ارحمه»[١].

٣٠٥ ـ الدعاء على المسلم بالغضب والنار:

٣٠٥ ـ ١ ـ عن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تلاعنوا بلعنة الله، ولا بغضبه، ولا بالنار»[٢].

قال الطيبي: أي لا تدعوا على الناس بما يبعدهم الله من رحمته إما صريحًا كما تقولون: لعنة الله عليه! أو كناية كما تقولون: عليه غضب الله أو أدخله الله النار![٣].

٣٠٦ ـ سباب المسلم وشتمه وتعييره:

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

٣٠٦ ـ ١ ـ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «سِبابُ المسلم فسوق، وقتاله كفر»[٤].

٣٠٦ ـ ٢ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المؤمن كالمشرك على هلكة»[٥].

---

(١) صحيح البخاري (٦٧٨١) (٧/٣٢٧).

(٢) صحيح سنن الترمذي (١٦٠٩) (٢/١٨٩).

(٣) تحفة الاحوذى – المبار كفوري (٦/٩٤).

(٤) صحيح مسلم (٦٤) (١/٨٠).

(٥) أخرجه البزار، انظر: السلسلة الصحيحة (١٨٧٨) (٤/٤٩٩).

٣٠٦ ـ ٣ ـ عن جابر بن سليم الهجمي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ الله! ولا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء المستسقي، وإن امرؤ شتمك وعيرك بأمر ليس هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه، ودعه يكون وباله عليه، وأجره لك، ولا تسبنَّ أحداً»(١).

٣٠٦ ـ ٤ ـ عن عياض بن حمار ـ رضي الله عنه ـ قال: قلتُ: يا نبيَّ الله! الرجلُ يَشتُمني وهو دوني، أعليَّ مِن بأسٍ أن أنتصرَ منه؟ قال ﷺ: «المستبَّانِ شيطانانِ يتهاتَرانِ، ويتكاذَبانِ»(٢).

٣٠٧ ـ السخرية بالمسلم:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ**﴾ [الحجرات:١١].

وقال تعالى: ﴿**فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾

[المؤمنون: ١١٠-١١١]

وقال تعالى: ﴿**فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ**﴾ [الأنعام:١٠].

ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء(٣).

٣٠٧ ـ ١ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا ـ تعني: قصيرة ـ فقال ﷺ: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر

(١) أخرجه أحمد في المسند، انظر: السلسلة الصحيحة (٧٧٠) (٢/٤١٢).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٨١) (٣/٧٥).

(٣) إحياء علوم الدين ـ الغزالي (٣/١٤٠).

لمزجته» قالت: وحكيت له إنساناً، فقال: «ما أحب أني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا»(١).

٣٠٨ ـ الغيبة:

قال تعالى: ﴿**وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الحجرات: ١٢].

٣٠٨ ـ ١ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قلت يا رسول الله! إن صفية امرأة، وقالت بيدها هكذا! كأنها تعني: قصيرة، فقال ﷺ: «لقد قلت كلمة لو مزج بها ماء البحر لمزج».

٣٠٨ ـ ٢ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لمّا عُرِجَ بي مررت بقوم لهم أظفارٌ من نحاس يخمِشُونَ وجُوهَهُم وصُدُورَهُم!

فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»(٢).

٣٠٨ ـ ٣ ـ عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ـ رضي الله عنه ـ عن الرسول الله ﷺ قال: «الغيبة أن تذكر الرجل بما فيه من خلفه»(٣).

٣٠٨ ـ ٤ ـ عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: مرَّ النبي ﷺ بقبرين، فقال: «إنَّهما ليعذَّبانِ، وما يُعذَّبانِ في كبيرٍ، أمَّا أحدُهما فيُعذَّبُ في البول، وأما الآخرُ فيعذَّبُ في الغيبةِ»(٤).

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٤٠٨٠) (٣/٩٢٣).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٤٠٨٢) (٣/٩٢٣).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ وابن المبارك في الزهد، انظر: السلسلة الصحيحة (١٩٩٢) (٦٤٥/٢-٦).

(٤) صحيح سنن ابن ماجه (٢٧٩) (٦٢/١).

٣٠٨ - ٥ - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: كنا عند النبيِّ ﷺ - فقامَ رجلٌ، فوقَع فيه رجلٌ مِن بعدِه، فقال النبيُّ ﷺ: «تَخلَّل!» فقال: ومما أتخلَّل؟ ما أكلتُ لحماً!

قال: «إنَّك أكلتَ لحمَ أخيكَ»(١).

٣٠٨ - ٦ - عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: كنَّا مع النبيِّ ﷺ فارتفعت ريحٌ مُنتِنةٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أتدرونَ ما هذه الريحُ؟ هذه ريحُ الذين يغتابونَ المؤمنينَ»(٢).

٣٠٨ - ٧ - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كانت العرب تخدم بعضها بعضاً في الأسفار، وكان مع أبي بكر - رضي الله عنه - وعمر - رضي الله عنه - رجل يخدمهما، فناما، فاستيقظا، ولم يهيئ لهما طعاماً، فقال أحدهما لصاحبه: إنَّ هذا ليوائم نوم بيتكم. فأيقظاه فقالا: ائت رسول الله ﷺ فقل له: إن أبا بكر وعمر يقرئانك السلام، وهما يستأدمانك. فقال: «أقرِهما السلام، وأخبرهما أنهما قد ائتدما!».

ففزعا، فجاءا إلى النبي ﷺ فقالا: يا رسول الله! بعثنا إليك نستادمك، فقلت: قد ائتدما. فبأي شيء ائتدمنا؟ قال ﷺ: «بلحم أخيكما، والذي نفسي بيده إني لأَرى لَحمَهُ بين أنيابِكما» - يعني لحم الذي اغتاباه - قالا: فاستغفر لنا. قال: «هو فليستغفر لكما»(٣).

٣٠٨ - ٨ - عن يعلى بن سيابة - رضي الله عنه - أنَّه عَهِد النبيَّ ﷺ وأتى على قبرٍ يُعَذَّبُ صاحبُهُ، فقال ﷺ: «إنَّ هذا كان يأكُلُ لُحومَ الناسِ». ثُمَّ دعا بجريدةٍ

---

(١) رواه أبو بكر بن شيبة والطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٣٧) (٣/٧٨).

(٢) رواه أحمد وابن أبي الدنيا، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٤٠) (٣/٧٩).

(٣) أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق والضياء المقدسي في المختارة، انظر السلسلة الصحيحة (٢٦٠٨) (٢١١/١-٦).

رَطبَةٍ فوضَعَها على قبره، وقال ﷺ: «لعلَّه أن يُخفَّفَ عنه ما دامت هذه رطبةً»(١).

وهي ذكر الإنسان بما فيه مما يكره، سواء كان في بدنه أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خلقه أو ماله أو ولده أو زوجه أو خادمه أو مملوكه أو عمامته أو ثوبه أو مشيته وحركته وبشاشته وخلاعته وعبوسه وطلاقته، أو غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته بلفظك، أو رمزت أو أشرت إليه بعينك أو رأسك أو نحو ذلك.

أما البدن فكقولك: أعمى، أعرج، أعمش، أقرع، قصير، طويل، أسود، أصفر.

وأما الدين فكقولك: فاسق، سارق، خائن، ظالم، متهاون، في الصلاة، متساهل في النجاسات، ليس باراً والده، لا يضع الزكاة موضعها، لا يتجنب الغيبة.

وأما الدنيا: فقليل الأدب، يتهاون بالناس، لا يرى لأحد عليه حقاً، كثير الكلام أو النوم، ينام في غير وقته، يجلس في غير موضعه.

وأما المتعلق بوالده فكقولك: أبوه فاسق، أو هندي، أو نبطي، أو زنجي، أو إسكافي، أو بزاز، أو نحاس، أو نجار، أو حداد، أو حائك.

وأما الخلق فكقولك: سيئ الخلق، متكبر، مراء، عجول، جبار، عاجز، ضعيف القلب، متهور، عبوس، خليع، ونحوه.

وأما الثوب: فواسع الكم، طويل الذيل، وسخ الثوب، ونحو ذلك، ويقاس الباقي بما ذكرناه، وضابطه؛ ذكره بما يكره(٢).

---

(١) رواه أحمد والطبراني، انظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٤٢) (٣/٨٠). قال الحافظ: وقد روي هذا الحديث من طرق كثيرة مشهورة في الصحاح وغيرهما عن جماعة من الصحابة -رضي الله عنهم- وفي أكثرها]أنهما يعذبان في النميمة والبول [والظاهر أنه اتفق مروره ﷺ مرة بقبرين يعذب أحدهما في النميمة، والآخر في البول، ومرة أخرى بقبرين يعذب أحدهما في الغيبة والآخر في البول، والله أعلم. انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/٨٠).

(٢) صحيح سنن الترمذي (٢٠٣٤) (٢/٣٠٦).

* مرَّ عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ على بغل ميت قد انتفخ فوقف عليه، فقال: لأن يأكل أحدكم من هذا فيملأ جوفه خير له من أن يغتاب أخاه(١).

* ومن استمع إليها فلم ينكر على قائلها عند استطاعته، ولم يذب عن عرض أخيه، أو لم يقم عند عجزه، فهو شريكه في الإثم.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨] (٢).

٣٠٩ ـ الفحش والبذاءة في القول والفعل:

٣٠٩ ـ ١ ـ عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ﷺ قال: «الحياءُ والعِيُّ شُعبتانِ من الإيمانِ، والبذاءُ والبيانُ شُعبتانِ من النِّفاقِ»(٣).

٣٠٩ ـ ٢ ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء»(٤).

٣٠٩ ـ ٣ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه»(٥).

٣٠٩ ـ ٤ ـ عن قُـرَّة المزني ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الحياءَ، والعفافَ والعِيَّ ـ عِيَّ اللسانِ لا عيَّ القلبِ ـ والفقهَ؛ من الإيمانِ، وإنَّهنَّ يزدنَ في الآخرةِ وينقُصنَ من الدُّنيا، وما يزدنَ في الآخرةِ أكثرُ مما ينقُصنَ من الدُّنيا، وإنَّ

(١) الأذكار ـ النووي ـ ص ٢٩٩.

(٢) مساوئ الأخلاق ومذمومها ـ الخرائطي ـ ص ١٠١ رقم (٢٠٢).

(٣) صحيح سنن الترمذي (١٦٥٠) (٢/١٩٩).

(٤) صحيح سنن الترمذي (١٦١٠) (٢/١٨٩).

(٥) صحيح سنن الترمذي (١٦٠٧) (٢/١٨٩).

الشُّحَّ والفُحشَ والبذاءَ من النفاقِ، وإنَّهنَّ يَنقُصنَ من الآخرةِ، ويزدنَ في الدنيا، وما يَنقُصنَ من الآخرةِ أكثرُ مما يَزِدنَ من الدُّنيا»(١).

٣٠٩ ـ ٥ ـ عن جابر بن سمرة ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الفُحشَ والتَّفحُّشَ ليسا من الإسلامِ في شيءٍ، وإنَّ أحسنَ الناسِ إسلاماً أحسنُهم خُلُقاً»(٢).

٣٠٩ ـ ٦ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «لو كان الفحشُ رجلاً لكان رجلاً سوءاً»(٣).

* قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه: ألام أخلاق المؤمن؛ الفحش.

والفحش كل ما خرج عن مقداره حتى يستبح، ويدخل في القول والفعل والصفة(٤).

فأما حَدُّهُ وحقيقته فهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة، وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به، فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه، وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكنون عنها، ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها(٥).

٣١٠ ـ كثرة الخصومة مع الناس حتى تصبح عادة:

قال تعالى: ﴿... **وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا**﴾ [مريم: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ**﴾ [البقرة: ٢٠٤].

(١) أخرجه الفسويُّ في المعرفة والبيهقي في الشعب، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٣٨١) (١١٣٩/٢-٧).
(٢) رواه أحمد والطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٥٣) (١١/٣).
(٣) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، انظر: السلسلة الصحيحة (٥٣٧) (٦٣/٢).
(٤) فتح الباري ـ ابن حجر (٤٦٧/١٠).
(٥) إحياء علوم الدين ـ الغزالي (١٣١/٣).

٣١٠ - ١ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»(١).

٣١٠ - ٢ - عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا ضلَّ قومٌ بعد هُدى كانوا عليه، إلا أوتُوا الجَدَلَ، ثم تلا رسولُ الله ﷺ هذه الآيةَ: **﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾** [الزخرف: ٥٨]»(٢).

٣١١ - الكذب على الناس:

قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾** [غافر: ٢٨].

وقال تعالى: **﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾** [النحل: ١٠٥].

٣١١ - ١ - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»(٣).

٣١١ - ٢ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاثاً؛ إذا حدَّث كذب، وإذا وعد خلف، وإذا أؤتمن خان»(٤).

٣١١ - ٣ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «ما كانَ من خُلُقٍ أبغضَ على رسولِ الله ﷺ منَ الكذب، وما اطَّلعَ على أحدٍ من ذلك بشيءٍ فيخرجَ من قلبِه، حتى يعلمَ أنَّه قد أحدثَ توبةً»(٥).

(١) صحيح البخاري (٧١٨٨) (٨/٤٦١).

(٢) صحيح سنن الترمذي (٢٥٩٣) (٣/١٠٣).

(٣) صحيح البخاري (٦٠٩٤) (٧/١٢٤).

(٤) صحيح البخاري (٦٠٩٥) (٧/١٢٤).

(٥) رواه أحمد والبزار، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٤١) (٣/١٢٦).

٣١٢ ـ الكذب لإضحاك القوم:

٣١٢ ـ ١ ـ عن معاوية بن حيدة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له»(١).

٣١٢ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله! إنك تداعبنا ؟! قال ﷺ: «نعم، غير أني لا أقول إلا حقاً»(٢).

٣١٢ ـ ٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُؤمنُ العبدُ الإيمانَ كُلَّهُ حتَّى يترُكَ الكذبَ في المُزاحَةِ، والمراءَ وإن كان صادقاً»(٣).

٣١٣ ـ لعن المسلم:

٣١٣ ـ ١ ـ عن ثابت بن الضحاك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «.. ومن لعن مؤمنا فهو كقتله..»(٤).

٣١٣ ـ ٢ ـ عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبيُّ ﷺ: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»(٥).

٣١٣ ـ ٣ ـ عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يمينا وشمالا فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لعن، فإن كان لذلك أهلا وإلا رجعت إلى قائلها»(٦).

---

(١) صحيح الترمذي (١٨٨٤) (٢/٢٦٨).

(٢) صحيح الشمائل المحمدية – الترمذي ـ ص١٢٦ رقم (٢٠٢).

(٣) رواه أحمد والطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٣٩) (٣/١٢٦).

(٤) صحيح البخارى (٦٠٤٧) (٧/١١١).

(٥) صحيح مسلم (٢٥٩٨) (٤/١٥٩٢).

(٦) صحيح سنن أبى داود (٤٠٩٩) (٣/٩٢٧).

٣١٣ ـ ٤ ـ عن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليسَ المؤمنُ بالطّعّانِ ولا باللعّانِ ولا الفاحِشِ ولا البذِيّ»(١).

٣١٣ ـ ٥ ـ عن جرموز بن أوس ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ: «أوصيك أن تكون لعاناً»(٢).

٣١٣ ـ ٦ ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خرجت اللعنة من في صاحبها نظر، فإن وجدت مسلكاً في الذي وجهت إليه، وإلا عادت إلى الذي خرجت منه»(٣).

٣١٤ ـ المدح للرجل بما يفتنه وبما ليس بحق:

٣١٤ ـ ١ ـ عن أبي موسى الأشعرى ـ رضي الله عنه ـ قال: سمع رسول الله ﷺ: «رجلاً يُثني على رجلٍ و يطريه في المدح، فقال: «أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل»(٤).

٣١٤ ـ ٢ ـ عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: مدَح رجلٌ رجلاً عند النبيّ ﷺ قال، فقال: «ويحَك! قَطَعتَ عُنُقَ صاحِبكَ، قَطَعتَ عُنُقَ صاحِبكَ» مراراً «إذا كان أحدُكُم مادحًا صاحِبهُ لا محالَةَ، فليقُل: أحسبُ فُلاناً، واللهُ حسيبُه، ولا أزكي على الله أحداً»(٥).

٣١٤ ـ ٣ ـ عن المقداد بن الأسود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم المداحين، فاحثوا في وجههم التراب»(٦).

---

(١) صحيح سنن الترمذي (١٦١٠) (٢/١٨٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، انظر: السلسة الصحيحة (١٧٢٩) (٤/٣٠٧).

(٣) أخرجه أحمد في المسند والبيهقي في الشعب، انظر: السلسة الصحيحة (١٢٦٩) (٣/٢٦٤).

(٤) صحيح البخارى (٦٠٦٠) (٧/١١٤).

(٥) صحيح مسلم (٣٠٠٠) (٤/١٨١٦).

(٦) صحيح مسلم (٣٠٠٢) (٤/١٨١٦).

٣١٤ - ٤ -عن معاوية -رضي الله عنه -قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والتمادح؛ فإنه الذبح»(١).

المداحون هم: الذين اتخذوا مدح الناس عادة وجعلوه بضاعة يستأكلون به الممدوح ويفتنه(٢).

٣١٥ - نقل الأخبار بين الناس بلا فائدة:

٣١٥ - ١ -عن المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه -قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله حرم عليكم: عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعاً وهات، وكره لكم؛ قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»(٣).

٣١٥ - ٢ -عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه -قال: قال رسول الله ﷺ: «بئس مطية الرجال زعموا»(٤).

٣١٦ -النميمة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾

[القلم: ١٠-١١]

٣١٦ - ١ -عن حذيفة -رضي الله عنه -قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتّات»(٥).

٣١٦ - ٢ -عن ابن عباس -رضي الله عنهما -قال: مرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير» ثم قال: «بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر بوله»(٦).

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه (٣٠١٧) (٢/٣٠٨).

(٢) معالم السنن – الخطابي (٣/١٠٣).

(٣) صحيح مسلم (٥٩٣) (٣/١٠٨١).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٤١٥٨) (٣/٩٣٩).

(٥) صحيح البخاري (٦٠٥٦) (٧/١١٣).

(٦) صحيح البخارى (١٣٧٨) (٢/٤٢٠).

٣١٦ - ٣ - وعن حذيفة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة نمام»[١].

٣١٦ - ٤ - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم ما العضة ؟ هي النميمة القالة بين الناس»[٢].

٣١٦ - ٥ - عن أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - قالت: قال ﷺ: «ألا أخبركم بخياركم؟» قالوا: بلى، قال ﷺ: «الذين إذا رؤوا ذكر الله، أفلا أخبركم بشراركم؟» قالوا: بلى، قال ﷺ: «المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون البرآء العنت»[٣].

٣١٦ - ٦ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أحبَّكم إليَّ؛ أحاسِنُكم أخلاقاً، الموَطَّؤونَ أكنافاً، الذين يألفونَ ويؤلَفون، وإنَّ أبغَضَكُم إليَّ؛ المشَّاؤونَ بالنميمةِ، المفَرِّقونَ بين الأحِبَّةِ؛ الملتمسونَ للبُرآءِ العيبَ»[٤].

الفرق بين الفتان والنمام أن النمام الذي يحضر القصة فينقلها، والفتان الذي يتسمع من حيث لا يعلم به ثم بنقل ما سمعه[٥].

* روي أن رجلاً نمَّ عند عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - فقال له: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية ﴿**إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ [الحجرات: ٦] وإن كنت صادقاً ؛ فأنت من أهل هذه الآية ﴿**هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**﴾ [القلم: ١١][٦].

---

(١) صحيح مسلم (١٠٥) (١/٩٦).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٠٦) (٤/١٥٩٧).

(٣) صحيح الأدب المفرد - ص ١٢٣ رقم (٢٤٦) وقال الألباني: حسن.

(٤) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٥٨) (٣/١٣).

(٥) فتح الباري - ابن حجر (١٠/٤٨٨).

(٦) تنبيه الغافلين - ابن النحاس - ص ١٧٢.

٣١٧ ـ هجاء القبيلة لهجاء رجل:

٣١٧ ـ ١ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أعظم الناس عند الله فرية لرجل هاجى رجلاً فهجا القبيلة بأسرها، ورجل انتفى من أبيه وربى أمه..»(١).

٣١٧ ـ ٢ ـ وعنها ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أعظم الناس جرماً إنسان شاعر يهجو القبيلة بأسرها، ورجل ينتفي من أبيه»(٢).

لأن القبيلة لا تخلو من عبد صالح، فهاجي الكل قد تورط في الكذب(٣).

٣١٨ ـ الولع بعيب الناس عجبا وفخراً:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ..﴾ [الحجرات: ١١].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

٣١٨ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الرجل: هلك الناس ؛ فهو أهلكهم»(٤).

معنى هذا الكلام أن لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساويهم، ويقول: قد فسد الناس وهلكوا، ونحو ذلك من الكلام، يقول ﷺ: إذا فعل الرجل ذلك فهو أهلكهم وأسوؤهم حالاً مما يلحقه من الإثم في عيبهم والإزراء بهم و الوقيعة فيهم، وربما أدَّاه ذلك إلى العجب بنفسه، فيرى أن له فضلا عليهم وأنه خير منهم فيهلك(٥).

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه (٣٠٢٩) (٢/٣١١).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، انظر: السلسلة الصحيحة (٧٦٣) (٢/٤٠٢).

(٣) فيض القدير ـ المناوي (٢/١٠).

(٤) صحيح مسلم (٢٦٢٣) (٤/١٦٠٦).

(٥) معالم السنن ـ الخطابي (٣/١٢٢).

قال مالك: وأما الذي يقول ذلك على جهة التَّحزُّن فليس من ذلك في شيء، إنما المكروه من قال ذلك طعناً وتنقصاً، وقد أدركتُ الناس وهم يقولون: ذهب الناس[1].

(١) كتاب الجامع - أبو محمد القيرواني - ص ١٧٦.



كتاب البر والصلة

٣١٩ ـ إخافة أهل المدينة النبوية وإرادتهم بالسوء:

٣١٩ ـ ١ ـ عن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَكيدُ أهلَ المدينةِ أحدٌ إلا انماعَ كما يَنماعُ المِلحُ في الماء»(١).

٣١٩ ـ ٢ ـ عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أرادَ أهلَ المدينةِ بدَهمٍ أو بسُوءٍ، أذابَهُ اللهُ كما يَذوبُ المِلحُ في الماء»(٢).

٣١٩ ـ ٣ ـ عن جابر بن عبد الله عن أبيه ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أخافَ أهلَ المدينة أَخافَهُ الله»(٣).

٣١٩ ـ ٤ ـ عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه، وعليه لعنه الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل»(٤).

٣١٩ ـ ٥ ـ عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أخافَ أهلَ المدينةِ، فقد أخافَ ما بين جَنبيَّ»(٥).

٣٢٠ ـ اختصاص الأغنياء بالصحبة دون الفقراء وطردهم:

قال تعالى: **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾** [الكهف: ٢٨].

---

(١) صحيح البخاري (١٨٧٧) (٢/٥٧٩).

(٢) صحيح مسلم (١٣٨٧) (٢/٨١٨).

(٣) أخرجه ابن حبان وابن عساكر، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٣٠٤) (٥/٣٨٢).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط وابن عساكر في تاريخه، انظر: السلسلة الصحيحة (٥١) (١/٦٢٠).

(٥) أخرجه أحمد في المسند، والبخاري في التاريخ، انظر: صحيح الجامع (٥٩٧٨) (٢/١٠٣٦).

٣٢٠ - ١ - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: مرَّ الملأُ من قريشٍ على رسول الله ﷺ وعندَه صهيب - رضي الله عنه - وبلالٌ - رضي الله عنه - وعمارٌ - رضي الله عنه - وخبّابٌ - رضي الله عنه - ونحوهُم من ضعفاء المسلمينَ، فقالوا: يا محمَّدُ! اطردهم، أَرضيتَ هؤلاء من قومك، أفنحنُ نكونُ تَبَعاً لهؤلاء؟ !أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا؟ !فَلَعلَّكَ إن طردتَهم أن نأتيك! قالَ: فنزلت: **﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** [الأنعام: ٥٢]»(١).

٣٢١ - إخفار ذمّة المسلم:

٣٢١ - ١ - عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ذمَّة المسلمينَ واحدةٌ، فمن أخفرَ مسلماً فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعينَ، لا يُقبلُ منه صَرفٌ ولا عدلٌ»(٢).

٣٢١ - ٢ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «ذمَّةُ المسلمينَ واحدةٌ، فإن جارَت عليهم جائرةٌ؛ فلا تُخفِرُوها؛ فإن لكل غادرٍ لواءً يُعرَفُ به يوم القيامة»(٣).

٣٢٢ - إرادة الإلحاد في الحرم:

قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** [الحج: ٢٥].

---

(١) أخرجه أحمد واللبزار وابن جرير في التفسير، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٢٩٧) (٨٧٤/٢-٧).

(٢) صحيح البخاري (١٨٧٧) (٥٧٧/٢).

(٣) أخرجها أبو يعلى في مسنده والطبراني في الأوسط، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٩٤٨) (١٦٦٢/٣-٧).

٣٢٢ - ١ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «أبغض الناس إلى الله ثلاثةٌ: مُلحِدٌ في الحرم، ومبتغٍ في الإسلام سنَّتةَ الجاهلية، ومُطَّلبُ دمِ امرئٍ بغير حقٍّ؛ ليُهريقَ دمه»(١).

٣٢٢ - ٢ - عن عمير - رضي الله عنه - قال: أن رجلاً سأله، فقال: يا رسول الله! ما الكبائر؟ فقال رسول الله ﷺ: «هُنَّ تسعٌ؛ الشركُ بالله، والسِّحرُ، وقتلُ النفسِ التي حرَّم الله إلا بالحقِّ، وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليتيم، والتولي يومَ الزحفِ، وقذف المحصناتِ الغافلاتِ المؤمناتِ، وعقوقُ الوالدينِ المُسلمينِ، واستحلالُ البيتِ الحرام، قبلتكم أحياءً وأمواتاً»(٢).

٣٢٢ - ٣ - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «الكبائرُ: الإشراكُ بالله، وقذفُ المُحصنة، وقتلُ النفسِ المؤمنةِ، والفرارُ يومَ الزَّحفِ، وأكلُ مالِ اليتيمِ، وعقوقُ الوالدينِ المسلمينِ، وإلحادٌ بالبيتِ؛ قبلتكم أحياءً وأمواتاً»(٣).

٣٢٣ - إرادة أهل مكة بسوء:

قال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

٣٢٣ - ١ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ هذا البلدَ حَرَّمهُ اللهُ يومَ خَلَقَ السمواتِ والأرضَ، فهوَ حرامٌ بحرمةِ الله إلى يوم القيامة، وإنَّهُ لم يَحلَّ القتالُ فيه لأحدٍ قَبلي، ولم يحلَّ لي إلا ساعةً من نهارٍ، فهُوَ

(١) صحيح البخاري (٦٨٨٢) (٨/٣٥٨).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٢٤٩٩) (٢/٥٥٦).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، انظر: صحيح الجامع (٤٦٠٢) (٢/٨٤٤).

حرامٌ بحرمةِ اللهِ إلى يومِ القيامةِ لا يُعضدُ شوكُهُ، ولا يُنفرُ صَيدُهُ، ولا يُلتَقطُ لُقطَتَهُ إلاَّ من عرَّفها، ولا يُختَلى خَلاهُ»(١).

٣٢٤ ـ استنقاص الضعفاء والفقراء وعدم احترامهم:

٣٢٤ ـ ١ ـ عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: مرَّ رجلٌ على رسول الله ﷺ فقال لرجلٍ عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» فقال: رجلٌ من أشراف الناس: هذا والله حريٌّ إن خطب أن يُنكحَ، وإن شفَعَ أن يُشفَّعَ. قال: فسكت رسول الله ﷺ ثم مرَّ رجلٌ فقال له رسول الله ﷺ: «ما رأيك في هذا؟» فقال: يا رسول الله! هذا رجلٌ من فقراء المسلمين، هذا حريٌّ إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يُشفعَ، وإن قال أن لا يسمع لقوله. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيرٌ من ملء الأرضِ مثل هذا»(٢).

٣٢٤ ـ ٢ ـ عن مصعب بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ: «وهل تنصرون وترزقون إلاّ بضعفائكم، بصلاتهم ودعائهم»(٣).

٣٢٤ ـ ٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ: «رُبَّ أشعثَ مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»(٤).

٣٢٥ ـ إسلام المسلم لأعدائه:

٣٢٥ ـ ١ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يُسلِمُهُ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»(٥).

(١) صحيح مسلم (١٣٥٣) (٢/٨٠٥).

(٢) صحيح البخاري (٦٤٤٧) (٧/٢٢٨).

(٣) صحيح البخاري (٢٨٩٦) (٣/٣٠٦).

(٤) صحيح مسلم (٢٦٢٢) (٤/١٦٠٦).

(٥) صحيح مسلم (٢٥٨٠) (٤/١٥٨٥).

٣٢٦ - الإضرار بالناس :

٣٢٦ - ١ - عن أبي صِرمَةَ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن ضَارَّ أضرَّ اللهُ بِهِ، ومَن شَاقَّ شَقَّ اللهُ عَليهِ »(١) .

٣٢٦ - ٢ - عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « لا ضَرَرَ ولا ضِرار »(٢) .

٣٢٧ - إضلال الأعمى :

٣٢٧ - ١ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « لعن اللهُ من كَمَهَ أعمى عن السبيل »(٣) .

أي دله على غيرها، وألحق به البصير الجاهل(٤) .

فكيف بمن أضلَّ عن طريق الله أو صراطه المستقيم(٥) !!

٣٢٧ - ٢ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « ملعونٌ من سبَّ أباهُ، ملعونٌ من سبَّ أمَّهُ، ملعونٌ من ذبَحَ لغير الله، ملعونٌ من غَيرَ تُخومَ الأرضِ، ملعونٌ من كَمَّهَ أعمى عن طريقٍ، ملعونٌ من وقعَ على بهيمةٍ، ملعونٌ من عمِلَ بعمل قومِ لوطٍ »(٦) .

٣٢٨ - إعانة الشيطان على المسلم :

٣٢٨ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : أُتيَ النبي ﷺ برجُلٍ قد شَرِبَ، فقال ﷺ : « اضربوه » . فمنّا الضاربُ بيدهِ، والضاربُ بنعلهِ، والضاربُ

(١) صحيح سنن ابن ماجة (١٨٩٧) (٣٩/٢) .

(٢) صحيح سنن ابن ماجة (١٨٩٥) (٣٩/٢) .

(٣) صحيح الأدب المفرد - ص ٣٣٢ رقم (٦٨٥) .

(٤) الزواجر عن اقتراف الكبائر - الهيتمي (٩٧/٢) .

(٥) فتاوى إمام المفتين - ابن القيم - ص ٢٢٠ .

(٦) أخرجه أحمد في المسند ، انظر: صحيح الجامع (٥٨٩١) (١٠٢٤/٢) .

بثوبه، فلما انصرفَ، قال بعضُ القومِ: أخزاكَ اللهُ. قال ﷺ: «لا تقولُوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان»(١).

٣٢٨ - ٢ - وعنه - رضي الله عنه - قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ أُتيَ برجلٍ قد شربَ الخمرَ. فقال: «اضربوه» فمنا الضاربُ بيده، والضاربُ بثوبه، والضارب بنعله. ثمَّ قال: «بكتوه» فأقبلوا عليه يقولونَ: ما اتَّقيتَ اللهَ، ما خشيتَ اللهَ، وما استحييتَ من رسولِ الله ﷺ. فقال بعض القومِ: أخزاكَ اللهُ. قال ﷺ: «لا تقولوا هكذا، لا تُعينوا عليه الشيطانَ، ولكن قولوا: اللهمَّ اغفر له، اللهمَّ ارحمه»(٢).

٣٢٩ - الإعانة على غير الحق:

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

[المائدة: ٢]

وقال تعالى: ﴿.. رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾

[القصص: ١٧]

وقال تعالى: ﴿.. فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦].

٣٢٩ - ١ - عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن نَصرَ قومَه على غير الحقِّ، فهو كالبعير الذي رُدِّيَ، فهو يُنزَعُ بذنبه»(٣).

معناه أنه قد وقع في الإثم وهلك كالبعير إذا تردى في بئر فصار ينزع بذنبه ولا يقدر على خلاصه(٤).

---

(١) صحيح البخاري (٦٧٨١) (٧/٣٢٧).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٣٧٥٩) (٣/٨٤٧).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٤٢٧٠) (٣/٩٦٤).

(٤) معالم السنن - الخطابي (٣/١٣٨).

٣٢٩ ـ ٢ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعانَ على خصومة بظلم، أو يُعين على ظلم، لم يزل في سخط الله حتى ينزِع»(١).

٣٢٩ ـ ٣ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعانَ ظالماً ليُدحضَ بباطلهِ حقاً، فقد برئت منهُ ذِمَّةُ اللهِ وذِمَّةُ رسولِهِ»(٢).

٣٣٠ ـ إعجاب المرء بنفسه واتِّباعه هواه:

قال تعالى: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [النساء: ٤٩].

٣٣٠ ـ ١ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ مهلكاتٌ، وثلاثٌ منجياتٌ، فقال: ثلاثٌ مهلكاتٌ: شحٌّ مطاع، وهوىً مُتَّبَعٌ، وإعجابُ المرء بنفسِه.

وثلاثٌ منجياتٌ: خشيةُ الله في السرِّ والعلانية، والقصد في الفقر والغنى، والعدل في الغضبِ والرِّضا»(٣).

٣٣٠ ـ ٢ ـ عن أبي برزة الأسلمي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أخشى عليكم بعدي بطونكم وفروجكم ومضلات الأهواء»(٤).

---

(١) أخرجه ابن ماجه والحاكم، انظر: السلسلة الصحيحة (١٠٢١) (٣/١٩).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، انظر: صحيح الجامع (٦٠٤٨) (٢/١٠٤٥).

(٣) أخرجه البزار والعقيلي، انظر: السلسلة الصحيحة (١٨٠٢) (٤/٤١٢).

(٤) أخرجه أحمد في المسند والطبراني في الصغير، انظر: كتاب السنة ـ ابن أبي عاصم ـ ص ١٢ رقم (١٤).

٣٣١ ـ الانتساب إلى غير أبيه:

٣٣١ ـ ١ ـ عن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ادَّعى إلى غير أبيه وهو يعلمُ أنَّهُ غيرُ أبيه، فالجنَّة عليه حرامٌ»(١).

٣٣١ ـ ٢ ـ عن أبي ذرٍّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس مِن رجلٍ ادَّعى لغير أبيه ـ وهو يَعلمهُ ـ إلا كفرَ، ومِن ادعى قوماً ليس له فيهم نسبٌ فليَتبوأْ مقعَدهُ من النار»(٢).

٣٣١ ـ ٣ ـ عن واثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أعظم الفِرى أن يدَّعي الرجلُ إلى غير أبيه..»(٣).

٣٣١ ـ ٤ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ترغبوا عن آبائِكُم، فمن رَغِبَ عن أبيه فهو كُفرٌ»(٤).

٣٣١ ـ ٥ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن ادَّعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله المتتابعة إلى يوم القيامة»(٥).

٣٣١ ـ ٦ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من انتَسبَ إلى غير أبيه، أو تولَّى غير مَواليه، فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين»(٦).

---

(١) صحيح البخاري (٦٧٦٧) (٧/٣٢٣).

(٢) صحيح البخاري (٣٥٠٨) (٤/٥١٤).

(٣) صحيح البخاري (٣٥٠٩) (٤/٥١٤).

(٤) صحيح مسلم (٦٢) (١/٧٨).

(٥) صحيح سنن أبي داود (٤٢٦٨) (٣/٩٦٤).

(٦) صحيح سنن ابن ماجه (٢١١٣) (٢/٩٠).

٣٣٢ ـ الانتصار للنفس حال الغضب :

٣٣٢ ـ ١ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : ما خُيّر رسولُ الله ﷺ بين أمرين قطٌّ إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد النَّاسِ منهُ، وما انتقمَ رسولُ الله لنفسهِ في شيءٍ قطٌّ إلا أن تُنتهكَ حُرمةُ اللهِ فينتقِمَ بها للهِ(١) .

٣٣٢ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه – قال : بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه، وقع رجل بأبي بكر، فآذاه، فقام رسول الله ﷺ حين انتصر أبو بكر فقال أبو بكر : أوجدت علي يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نزلَ ملك من السماء يكذّبُهُ بما قال لك، فلما انتصرت وقع الشيطان، فلم أكُن لأجلس، إذ وقع الشيطان »(٢) .

٣٣٣ ـ الانتفاء من ولده ليفضحه :

٣٣٣ ـ ١ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من انتفَى من ولَدِهِ ليفضَحه في الدُّنيا ؛ فضَحَه اللهُ يومَ القيامةِ على رؤوس الأشهادِ، قِصاصٌ بِقِصاصٍ »(٣) .

٣٣٤ ـ إيذاء المسلمين في طرقهم :

٣٣٤ ـ ١ ـ عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن آذى المسلمين في طُرُقِهم، وجَبَت عليهِ لعنَتُهُم »(٤) .

٣٣٥ ـ بخس النَّاس أشياءهم :

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ . . . ﴾ [الأعراف : ٨٥] .

---

(١) صحيح البخاري (٦١٢٦) (٧/١٣٢) .

(٢) صحيح سنن أبي داود (٤٠٩٤) (٣/٩٢٥) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند والطبراني في الكبير والصغير ، انظر : السلسلة الصحيحة (٣٤٨٠) (١٤٠٣/٣-٧) .

(٤) أخرجه الطبراني وأبو نعيم في أخبار أصبهان ، انظر : السلسلة الصحيحة (٢٢٩٤) (٥/٣٧٢٩) .

وقال تعالى: ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قال محمد بن سيرين: ظلماً لأخيك أن تذكر فيه أسوأ ما تعلم منه، وتكتم خيره(١).

وليس ذلك البخس مقصوراً على أموالهم، وإنما يتعداه إلى ما سواه؛ من بخسهم في أعراضهم وأعمالهم وجهودهم وسمعتهم واستحقاقاتهم، وغير ذلك مما فيه نقص لحقهم وتقصير فيما لهم.

٣٣٦ ـ البغي على المسلم:

قال تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾ [الأعراف: ٣٣].

٣٣٦ ـ ١ ـ عن عياض بن حمار ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله أوحى إِليَّ أن تَواضعُوا حتَّى لا يبغي أحدٌ على أحدٍ، ولا يفخر أحدٌ على أحدٍ»(٢).

٣٣٦ ـ ٢ ـ عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذَنبٍ أجدَرَ أن يُعجِّلَ اللهُ تعالى لصاحبِهِ العُقُوبَةَ في الدنيا، معَ ما يدَّخرُ لهُ في الآخرة مثلُ البغي وقَطيعَةِ الرَّحم»(٣).

---

(١) الزهد ـ وكيع بن الجراح (٤٥٦) (٣/٧٧٥).

(٢) صحيح مسلم (٢٨٦٥) (٤/١٧٤٢).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٤٠٩٨) (٣/٩٢٧).

٣٣٦ ـ ٣ ـ عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ظننتم فلا تُحقِّقوا، وإذا حسدتُم فلا تبغُوا، وإذا تطيَّرتُم فامضُوا؛ وعلى الله فتوكلوا، وإذا وزنتُم فأرجحُوا»(١).

٣٣٦ ـ ٤ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا: البغي والعقوق»(٢).

٣٣٦ ـ ٥ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليسَ ممَّا عُصيَ اللهُ به هو أعجلُ عِقاباً من البغيِ، وما من شيءٍ أُطيعَ اللهُ فيه أسرعُ ثواباً من الصِّلَةِ، واليمينُ الفاجِرةُ تدعُ الديارَ بلاقعَ»(٣).

٣٣٧ ـ تأويل الرؤى بهوى أو بجهل أو بسوء:

٣٣٧ ـ ١ ـ عن أبي رزين العُقيلي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «رُؤيا المؤمنِ جزء من ستة وأربعينَ جُزءاً من النُّبوَّةِ، وهي على رِجلِ طائرٍ ما لم يُحدِّث بها، فإذا تُحُدِّثَ بها سَقَطَت» قال: وأحسبه قال ـ: «ولا تُحدِّث بها إلا لبيباً أو حبيباً»(٤).

٣٣٧ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الرُّؤيا على رجلِ طائرٍ ما لم تُعبَّر، فإذا عُبِّرت وقعَت، والرؤيا جزءٌ من سِتَّةٍ وأربعين جُزءاً من النُّبوَّة، لا يقُصُّها إلا على وادٍّ أو ذي رأي»(٥).

٣٣٧ ـ ٣ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرؤيا تقع على ما تعبَّر، ومثل ذلك مثل رَجلٍ رفع رِجله فهو ينتظر متى يضعها، فإذا رأى أحدكم رؤيا فلا يحدث بها إلا ناصحًا أو عالمًا»(٦).

---

(١) أورده السيوطي في الجامع الصغير والكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٩٤٢) (١٦٤٩/٣-٧).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، انظر: السلسلة الصحيحة (١١٢٠) (١١٢/٣).

(٣) رواه البيهقي، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٨٣٦) (٣٦٨/٢).

(٤) صحيح سنن الترمذي (١٨٥٨) (٢٦٠/٢).

(٥) صحيح سنن ابن ماجه (١٣٦٢) (٣٤٢/٢).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك، انظر: السلسلة الصحيحة (١٢٠) (١٨٦/١).

٣٣٨ - تتبع عورة المسلم وفضحه:

٣٣٨ - ١ - عن أبي برزة الأسلمي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشرَ من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبِعوا عوراتهم؛ فإنه من تتَّبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورتَه، ومن تتَّبع الله عورته، يفضحْه ولو في جوف بيته»(١).

٣٣٨ - ٢ - عن معاوية - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكَ إن اتبعتَ عورات الناس أفسدتَهُم أو كِدتَ تُفسِدهُم»(٢).

٣٣٨ - ٣ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «من سترَ عورةَ أخيه المسلم، سترَ الله عورتَهُ يومَ القيامة، ومن كشفَ عورَةَ أخيه المسلم، كشفَ الله عورته حتَّى يفضَحَهُ بها في بيتِهِ»(٣).

٣٣٩ - التجسس على المسلمين:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا..﴾ [الحجرات: ١٢].

٣٣٩ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إيَّاكُم والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكذَبُ الحديثِ، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجسَّسُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَدَابرُوا، ولا تَبَاغَضُوا، وكونوا عِبادَ الله إخواناً»(٤).

فإن ترتَّب على جسِّه وهنٌ على الإسلام وأهله، وقتل المسلمين، وسبي وأسر ونهب، أو شيء من ذلك؛ فهذا ممن سعى في الأرض فساداً وأهلك الحرث والنسل، وتعين قتله، وحق عليه العذاب(٥).

(١) صحيح سنن أبي داود (٤٠٨٣) (٣/٩٢٣).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٤٠٨٨) (٣/٩٢٤).

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (٢٠٦٣) (٢/٧٩).

(٤) صحيح البخاري (٦٠٦٤) (٧/١١٦).

(٥) الكبائر - الذهبي ص ١٦٩.

٣٣٩ - ٢ - عن معاوية - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «أعرضُوا عنِ الناسِ، ألم ترَ أنكَ إنِ ابتغيتَ الريبةَ في الناس أفسدتهم، أو كدتَ تفسدهم»(١).

٣٤٠ - تخوين الأمين:

٣٤٠ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «سيأتي على الناس سنوات خدَّاعات، يصدَّق فيها الكاذبُ، ويكذبُ فيها الصادقُ، ويؤتمنُ فيها الخائنُ، ويُخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضةُ». قيل: وما الرويبضةُ؟ قال: «الرجلُ التافهُ؛ يتكلم في أمر العامة»(٢).

٣٤٠ - ٢ - عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشراطِ الساعة: الفحشُ والتَّفحُّشُ، وقطيعة الرَّحم، وتخوينُ الأمينِ، وائتمانُ الخائن»(٣).

٣٤١ - التدخل فيما لا يعنيه:

قال تعالى: **﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ...﴾** [النساء: ١١٤].

٣٤١ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يَعنيه»(٤).

٣٤١ - ٢ - عن أنس - رضي الله عنه - قال: استشهد رجلٌ منا يوم أحدٍ، فوجد على بطنه صخرة مربوطةٌ من الجوع، فمسحت أمُّه التراب عن وجهه، وقالت: هنيئاً

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: صحيح الجامع (١٠٤٩) (١/٢٣٩).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٦١) (٢/٣٧٤).

(٣) أخرجه ابن عساكر والطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٢٩٠) (٥/٣٦٣).

(٤) صحيح سنن الترمذي (١٨٨٦) (٢/٢٦٨).

لك يا بني الجنةَ !فقال النبيُّ ـ ﷺ : «ما يدريك؟ !لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه، ويمنع ما لا يضرُّه»(١).

وحد الكلام فيما لا يعنيك أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مال(٢).

قال عمر بن عبد العزيز: من عدَّ كلامه من عمله قلَّ كلامه إلاَّ فيما يعنيه(٣).

وقال معاوية لرجل: ما بقي من حلمك ؟ قال: لا يعنيني ما لا يعنيني(٤).

٣٤٢ ـ ترويع المسلم:

٣٤٢ ـ ١ ـ عن ابن أبي ليلى، قال :حدَّثنا أصحابُ محمدٍ ﷺ أنَّهم كانوا يسيرونَ معَ رسول الله ﷺ فنامَ رجلٌ منهم، فانطلقَ بعضهم إلى حبلٍ معه، فأخذه، ففزعَ، فقال رسول الله ﷺ : «لا يحلُّ لمسلمٍ أن يروِّعَ مسلماً»(٥).

٣٤٣ ـ التشبع والتحلي بما لم يعطَ:

قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

٣٤٣ ـ ١ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنَّ امرأةً قالت: يا رسول الله! أقولُ: إنَّ زوجي أعطاني ما لم يُعطيني؟ فقال رسول الله ﷺ : «المتشبع بما لم يُعط، كلابس ثوبي زور»(٦).

(١) رواه ابن أبي الدنيا وابو يعلى ، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٨٣) (٣/٩٧).
(٢) إحياء علوم الدين ـ الغزالي (٣/١٢٣).
(٣) جامع العلوم والحكم ـ ابن رجب الحنبلي ـ ص ١٣٧.
(٤) كتاب الصمت ـ ابن أبي الدنيا ـ ص ٩٦ رقم (١١٧).
(٥) صحيح سنن أبي داود (٤١٨٤) (٢/٩٤٤).
(٦) صحيح مسلم (٢١٢٩) (٣/١٣٣٩).

٣٤٤ ـ تصوير ذوات الأرواح على ما يحتاجه الناس في حياتهم:

٣٤٤ ـ ١ ـ عن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أشدَّ النَّاس عذاباً عِند الله يومَ القيامةِ المُصَوِرونَ»[١].

٣٤٤ ـ ٢ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها اشترت نُمرُقَةً فيها تصاويرُ فقامَ النبي ﷺ بالبابِ فلم يدخُل، فقلتُ: أتُوبُ إلى الله ممَّا أذنبتُ، قال: «ما هذه النُّمرُقَةُ؟» قلتُ: لتجلسَ عليها وتَوسَّدَها، قال: «إنَّ أصحابَ هذهِ الصُّورِ يُعذَّبُونَ يومَ القيامةِ، يُقالُ لهُم: أحيُوا ما خَلقتُم، وإنَّ الملائكةَ لا تدخلُ بيتاً فيه الصُّوَرُ»[٢].

٣٤٥ ـ التعدي على حرمة الجار:

٣٤٥ ـ ١ ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله! أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعَلَ لله نداً، وهو خلَقَكَ» قلت: ثم ماذا؟ قال: «أن تقتُلَ ولَدَكَ خَشيَةَ أن يَطعَمَ معكَ» قلت: ثم ماذا؟ قال: «أن تُزانيَ بحليلَةِ جَارِكَ»[٣].

٣٤٥ ـ ٢ ـ عن المقداد بن الأسود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يزني الرجل بعشر نسوة، أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره، ولأن يسرق الرجل من عشر أبيات، أيسر عليه من أن يسرق من جاره»[٤].

٣٤٦ ـ تعذيب الناس:

٣٤٦ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنفانِ من أهلِ النارِ لم أرَهُما: قومٌ مَعهُم سِيَاطٌ كأذنابِ البقرِ يضرِبونَ بها النَّاس، ونساءٌ

---

(١) صحيح البخاري (٥٩٥٠) (٧/٨٥).

(٢) صحيح البخاري (٥٩٥٧) (٧/٨٧).

(٣) صحيح مسلم (٨٦) (١/٨٧).

(٤) أخرجه أحمد في المسند والطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (٦٥) (١/٩٦).

كاسياتٌ عارياتٌ مُميلاتٌ مائلاتٌ رُؤوسُهُنَّ كأسنمة البُختِ المائلة لا يدخُلنَ الجَنَّةَ، ولا يَجدنَ ريحها، وإنَّ ريحها لَتُوجدُ من مَسيرَةِ كذا وكذا»(١).

٣٤٦ - ٢ - عن هشام بن حكيم - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ يُعذبُ الذين يُعذبونَ النَّاسَ في الدنيا»(٢).

٣٤٦ - ٣ - عن خالد بن الوليد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أشدُّ الناسِ عذاباً عند الله يوم القيامة أشدُّهم عذاباً للناس في الدنيا»(٣).

٣٤٦ - ٤ - عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في هذه الأمة في آخر الزمان رِجالٌ معهم سياط كأنها أذنابُ البقر، يغدون في سخط الله، ويَرُوحُون في غَضبِه»(٤).

٣٤٧ - التعسير على الناس:

في كل ما يتعلق بدينهم ودنياهم.

٣٤٧ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: «دعوه، وأهريقوا على بوله سجلا من ماء - أو ذنوبا من ماء - فإنما بعثتم ميسرين، ولم تُبعثوا معسرين»(٥).

٣٤٧ - ٢ - عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يسِّروا ولا تعسروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا»(٦).

---

(١) صحيح مسلم (٢١٢٨) (٣/١٣٣٩).

(٢) صحيح مسلم (٢٦١٣) (٤/١٦٠٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند والحميدي والطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (١٤٤٢) (٣/٤٢٨).

(٤) أخرجه أحمد في المسند والحاكم والطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (١٨٩٣) (٤/٥١٧).

(٥) صحيح البخاري (٢٢٠) (١/٧٦).

(٦) صحيح مسلم (١٧٣٣) (٣/١٠٩٣).

٣٤٨ ـ التفاخر بالأحساب:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

٣٤٨ ـ ١ ـ عن عياض بن حمار المجاشعيِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ أوحى إِليَّ: أن تواضَعوا حتى لا يَفخَرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغيَ أحدٌ على أحدٍ»(١).

٣٤٨ ـ ٢ ـ عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لم يدعهنَّ الناس: الفخرُ في الأحساب، والطعنُ في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»(٢).

٣٤٩ ـ التكبر على الناس:

قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

٣٤٩ ـ ١ ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «احتجت الجنة والنار؛ فقالت النار: فيَّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم، فَقَضَى الله بينهما إنكِ الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وإنكِ النار عذابي أعذب بك من أشاء، ولكليكما عليَّ ملؤها»(٣).

٣٤٩ ـ ٢ ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَدخُلُ الجنَّةَ مَن كانَ في قلبه مثقالُ حَبَّةٍ مِن خردَلٍ مِن كِبرياء»(٤).

---

(١) صحيح مسلم (٢٨٦٥) (٤/١٧٤٢).
(٢) صحيح مسلم (٩٣٤) (٢/٥٣٦).
(٣) صحيح مسلم (٢٨٤٦) (٤/١٧٣٣).
(٤) صحيح مسلم (٩١) (١/٨٩).

٣٥٠ ـ جحد فضل المحسن وعدم شكره عليه:

٣٥٠ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «لا يشكر اللهَ من لا يشكر الناس»(١).

٣٥٠ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن لا يشكُرِ النَّاسَ لا يَشكُرِ الله»(٢).

٣٥٠ ـ ٣ ـ عن جابر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «مَن أبلى بلاء فذكَرَهُ فقد شَكَرَهُ، وإن كتمَهُ فقد كَفَرَهُ»(٣).

٣٥١ ـ الجفاء مع الناس:

قال تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾** [آل عمران: ١٥٩].

٣٥١ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار»(٤).

٣٥١ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأهل الجنة؟ الضعفاء المظلومون. ألا أنبئكم بأهل النار؟ كلُّ شديد جعظري»(٥).

٣٥٢ ـ الجلب على الخيل يوم الرهان:

٣٥٢ ـ ١ ـ عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا جلَب ولا جنَب في الرهان»(٦).

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٤٠٢٦) (٣/٩١٣).

(٢) صحيح سنن الترمذي (١٥٩٢) (٢/١٨٥).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٤٠٢٩) (٣/٩١٤).

(٤) صحيح سنن الترمذي (١٦٣٤) (٢/١٩٥).

(٥) أخرجه الطيالسي وأحمد، انظر: السلسلة الصحيحة (٩٣٢) (٢/٦٤١).

(٦) صحيح سنن أبي داود (٢٢٤٩) (٢/٤٩٠).

٣٥٢ ـ ٢ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من جَلَبَ عل الخيل يوم الرهان، فليس منَّا»(١).

معناه: أن يجتمع قوم فيصطفوا وقوفاً من الجانبين ويجلبوا فنهوا عن ذلك، وأما الجنب فيقال أنهم كانوا يجنبون الفرس حتى إذا قاربوا الأمد تحولوا عن ذلك المركوب الذي قد كده الركوب إلى الفرس الذي لم يركب فنهي عن ذلك(٢).

٣٥٣ ـ خداع الأطفال وتعويدهم على الكذب:

٣٥٣ ـ ١ ـ عن عبد الله بن عامر ـ رضي الله عنه أنه قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: «ومَا أردت أن تعطيه؟» قالت: أعطيه تمراً، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنك لو لم تعطيه شيئاً كتبت عليك كذبة»(٣).

٣٥٤ ـ خذلان المسلم وقت حاجته:

٣٥٤ ـ ١ ـ عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من امرئٍ يَخذُلُ امرءاً مسلماً في موطن يُنتقصُ فيه من عِرضِه، وينتهكُ فيه من حُرمَته، إلا خذله الله تعالى في موطنٍ يُحبُّ فيه نُصرتَه، وما من أحدٍ ينصرُ مسلماً في موطنٍ يُنتقصُ فيه من عِرضه، وينتهكُ فيه من حُرمتِه، إلا نصره اللهُ في موطنٍ يُحبُّ فيه نصرتَهُ»(٤).

٣٥٥ ـ خيانة الأمانة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

---

(١) أخرجه الطبراني، انظر صحيح الجامع (٦١٩١) (١٠٦٥/٢). وقال الألباني: حسن.

(٢) معالم السنن ـ الخطابي (٢٢٢/٢).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٤١٧٦) (٩٤٣/٣).

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب والسنن الكبرى، انظر: صحيح الجامع (٥٦٩٠) (٩٩٣/٢).

وقـال تعـالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ النساء: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

٣٥٥ - ١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «آيةُ المنافقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كذَبَ، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤْتُمِنَ خانَ»(١).

٣٥٥ - ٢ - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا؛ حفظ امانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة طعمة»(٢).

٣٥٥ - ٣ - عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أوَّلُ ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخرُهُ الصلاة»(٣).

٣٥٥ - ٤ - وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له، ولا دينَ لمن لا عهدَ لهُ»(٤).

* قال ابن عباس - رضي الله عنهما: الأمانات الأعمال التي ائتمن الله تعالى عليها العباد(٥).

٣٥٦ - خيانة المسلم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

---

(١) صحيح البخاري (٦٠٩٥) (٧/١٢٥).

(٢) رواه ابن وهب في الجامع وأحمد في المسند، انظر: السلسلة الصحيحة (٧٣٣) (٢/٣٧٠).

(٣) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق والضياء في المختارة، انظر: السلسلة الصحيحة (١٧٣٩) (٤/٣١٩).

(٤) كتاب الإيمان /أبي بكر بن أبي شيبة /ص ١٨ رقم (٧) وأخرجه أحمد في المسند وابن حبان في صحيحه، انظر صحيح الجامع (٧١٧٩) (٢/١٢٠٥).

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر - الهيتمي (١/٤٤٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧].

٣٥٦ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «المُسلمُ أخُو المُسلمِ لا يَخُونُهُ ولا يَكذِبُهُ ولا يَخذلهُ، كلُّ المُسلِمِ على المُسلِمِ حرامٌ: عِرضُهُ ومَالُهُ ودَمُهُ. التَّقوىَ هَهُنا. بِحَسبِ امرئ مِنَ الشَّرِّ أن يحتَقِرَ أخاهُ المُسلِمَ»(١).

٣٥٦ ـ ٢ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ أنِّي أعُوذُ بِكَ من الجوعِ، فإنَّهُ بئسَ الضَّجِيعُ، وأعُوذُ بكَ مِنَ الخِيَانَةِ، فإنَّها بِئسَتِ البِطَانَةِ»(٢).

٣٥٦ ـ ٣ ـ عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنبٍ أجدرُ أن يعجلَ اللهُ تعالى لصاحبه العقوبةَ في الدنيا مع ما يدَّخره لهُ في الآخرةِ من قطيعةِ الرَّحمِ، والخيانةِ، والكذب، وإنَّ أعجل الطاعةِ ثواباً لَصلةُ الرحمِ، حتى إنَّ أهلَ البيتِ ليكُونوا فجرةً، فتنمو أموالَهم، ويكثُرُ عددُهم، إذا تواصلوا»(٣).

٣٥٧ ـ الخيلاء في الباطل:

٣٥٧ ـ ١ ـ عن جابر بن عتيك الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِنَ الغيرَةِ ما يُحبُّ اللهُ عزَّ وجلَّ، ومنها ما يُبغضُ اللهُ عزَّ وجلَّ، فأمَّا الغيرَةِ التي يُحبُّ اللهُ عزَّ وجلَّ فالغيرةُ في الرِّيبةِ، وأما الغيرة التي يُبغضَ اللهُ عزَّ وجلَّ، فالغيرةُ في غير ريبةٍ.

والاختيالُ الذي يُحب الله عز وجلَّ: اختيال الرَّجُلِ بنفسه عندَ القتال، وعندَ الصَّدَقة. والاختيال الذي يُبغضُ اللهُ عزَّ وجلَّ: الخُيَلاء في الباطِلِ»(٤).

---

(١) صحيح سنن الترمذي (١٥٧٢) (٢/١٨٠).

(٢) صحيح سنن النسائي (٥٠٥١) (٣/١١١٢).

(٣) رواه الطبراني في الكبير، انظر: صحيح الجامع (٥٧٠٥) (٢/٩٩٥).

(٤) صحيح سنن النسائي (٢٣٩٨) (٢/٥٤٠).

٣٥٨ ـ ذو الوجهين (التلون في المعاملة):

٣٥٨ ـ ١ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «تجد مِن شرِّ النَّاس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه»(١).

٣٥٨ ـ ٢ ـ عن عمار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار»(٢).

٣٥٨ ـ ٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أميناً»(٣).

* عن عريب الهمداني، قال: قلت لابن عمر ـ رضي الله عنهما: إنا إذا دخلنا على الأمراء زكيناهم بما ليس فيهم، فإذا خرجنا دعونا عليهم. قال ابن عمر: كنا نعد ذلك على عهد رسول الله «النفاق».

* قال أناس لابن عمر ـ رضي الله عنهما: إنا ندخُلُ على سلاطيننا فنَقُولُ لَهم خِلافَ ما نَتَكَلَّمُ إذا خرجنا مِن عِندهِم. قال: كُنّا نَعُدُّها نِفاقاً(٤).

٣٥٩ ـ رد الريحان والطيب:

٣٥٩ ـ ١ ـ عن أنس رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ كان لا يَرُدُّ الطيبَ(٥).

٣٥٩ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من عُرِضَ عليه ريحانٌ فلا يردّهُ؛ فإنه خفيف المحمل، طيّبَ الرِّيحَ»(٦).

(١) صحيح البخاري (٧١٧٩) (٨/٤٥٨).
(٢) صحيح سنن أبي داود (٤٠٧٨) (٣/٩٢٢).
(٣) صحيح الأدب المفرد ـ ص ١٣٠ رقم (٢٣٨).
(٤) صحيح البخاري (٧١٧٨) (٨/٤٥٨).
(٥) صحيح البخاري (٢٥٨٢) (٣/١٨٤).
(٦) صحيح مسلم (٢٢٥٣) (٤/١٤٠٩).

٣٦٠ ـ الرعي في زروع الغير بغير إذنهم وإفسادها عليهم:

٣٦٠ ـ ١ ـ عن مُحَيِّصة، أن ناقة البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ دخلت حائط رجل فأفسدته، فقضى رسول الله ﷺ على أهل الأموال حفظها بالنهار، وعلى أهل المواشي حفظها بالليل(١).

٣٦٠ ـ ٢ ـ عن حرام بن مُحَيِّصَة الأنصاري، عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: كانت له ناقة ضارية، فدخلت حائطاً فأفسدت فيه، فكُلِّمَ رسول الله ﷺ فيها، فقضى: أن حفظ الحوائط بالنهار على أهلها، وأن حفظ الماشية بالليل على أهلها، وأن على أهل الماشية ما أصابت مَاشِيَتُهُم بالليل(٢).

٣٦١ ـ رفع الإنسان فوق منزلته:

٣٦١ ـ ١ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان من قبلكم بالغلو في الدين»(٣).

٣٦١ ـ ٢ ـ عن عبد الله بن الشخير ـ رضي الله عنه ـ قال: انطلقت في وفد بني عامر، على رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «السيد الله تبارك وتعالى». قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال ﷺ: «قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجيرنكم الشيطان»(٤).

٣٦٠ ـ ٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «احبب حَبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بَغيضك يوماً ما، وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما»(٥).

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣٠٤٧) (٢/٦٨١).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٣٠٤٨) (٢/٦٨١).

(٣) صحيح سنن النسائي (٢٨٦٣) (٢/٦٤٠).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٤٠٢١) (٣/٩١٢).

(٥) صحيح سنن الترمذي (١٦٢٥) (٢/١٩٣).

٣٦٠ - ٤ - عن الحسين بن علي - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيُّها الناسُ لا ترفعُوني فوقَ قدري، فإنَّ الله اتَّخذني عبداً قبل أن يتَّخذني نبيّاً»(١).

٣٦٢ - رفع الصوت بالعطاس:

٣٦٢ - ١ - وعنه - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه، وخفض أو غض بها صوته(٢).

٣٦٢ - ٢ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: إنَّ النبي ﷺ كان إذا عطسَ غطّى وجهَه بيدِه أو بثوبه، وغضَّ بها صوتَه(٣).

٣٦٢ - ٣ - وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا عطسَ أحدكم فليضع كفيهِ على وجههِ، وليخفض صوتهُ»(٤).

٣٦٣ - الريبة فيمن ظاهره الصلاح:

٣٦٣ - ١ - عن معاوية - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أعرضُوا عن الناس، ألم ترَ أنك إن ابتغيت الريبة في الناس أفسدتهم، أو كدت تفسدهم»(٥).

٣٦٤ - سوء الخلق:

٣٦٤ - ١ - عن أبي ثعلبة الخشني - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إنَّ أحبَّكم إليَّ وأقربَكم منِّي في الآخرة أحاسنُكم أخلاقاً، وإن أبغضَكم

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٥٥١) (٦-١/١٠٦).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٤٢٠٧) (٢/٩٤٨).

(٣) صحيح سنن الترمذي (٢٢٠٥) (٢/٣٥٥).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب، انظر: صحيح الجامع (٦٨٥) (١/١٧٩).

(٥) صحيح سنن أبي داود (٤٠٨٨) (٣/٩٢٤).

إليَّ وأبعدكم منِّي في الآخرة أسوءُكم أخلاقاً، المتشدِّقون المتفيهقون الثرثارون»(١).

٣٦٥ ـ سؤال الناس الخدمة مع القدرة عليها :

٣٦٥ ـ ١ ـ عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من يَتَكفَّل لي أن لا يسألَ الناسَ شيئاً، أتكفَّل له بالجنَّة»(٢).

٣٦٥ ـ ٢ ـ عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسأل الناسَ شيئاً ولا سوطكَ، وإن سقط منك حتى تنزلَ إليه فتأخذه»(٣).

٣٦٦ ـ الشماتة بالمسلم :

قال تعالى: ﴿فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا..﴾ [آل عمران: ١٢٠].

قيل: هذا في الشامت.

٣٦٦ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يتعوَّذُ من جهدِ البلاءِ، ودَركِ الشقاء، وسوءِ القضاء، وشَماتَةِ الأعداء(٤).

٣٦٧ ـ الصخب بالأسواق :

٣٦٧ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يبغضُ كلَّ جعظريٍّ جوّاظ، سَخابٍ في الأسواق، جيفةٍ بالليل حمارٍ بالنهار، عالمٍ بالدنيا جاهلٍ بالآخرة»(٥).

---

(١) صحيح موارد الضمآن إلى زوائد ابن حبان (١٦١١) (٢/٢٤٤).

(٢) صحيح أبي داود (١٤٤٦) (١/٣٠٩).

(٣) أخرجه أحمد في المسند، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٨٠٤) (١/٣٤٢).

(٤) صحيح البخاري (٦٣٤٧) (٧/٢٠٠).

(٥) أخرجه البيهقي في سننه، انظر: السلسلة الصحيحة (١٩٤) (١/٣٣٠).

٣٦٧ - ٢ - عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ الناسِ قرني الذي أنا منهم، ثمّ الذين يلونَهم، ثم الذين يلونهم، ثم ينشأُ أقوامٌ يفشُو فيهم السِّمَنُ، يشهدُون ولا يُستشهَدون، ولهم لَغَطٌ في أسواقِهم»(١).

٣٦٨ - الضحك من الضرطة:

٣٦٨ - ١ - عن عبد الله بن زمعة - رضي الله عنه - قال: نهى النبيُّ ﷺ أن يضحكَ الرجلُ مما يخرجُ من الأنفس»(٢). وقال: «لم يضحك أحدهم مما يخرج منه؟!».

٣٦٨ - ٢ - وعنه - رضي الله عنه - قال: نهى ﷺ عن الضحِكِ من الضَّرطة(٣).

٣٦٩ - ضرب المسلم الأجير أو غيره ظلماً:

٣٦٩ - ١ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما ضربَ رسولُ الله ﷺ بيده شيئاً قط إلاَّ أن يجاهد في سبيل الله، ولا ضربَ خادماً ولا امرأةً(٤).

٣٦٩ - ٢ - عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «... إنَّا قد نُهينا عن ضربِ أهلِ الصلاةِ»(٥).

٣٦٩ - ٣ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من ضربَ بسوطٍ ظُلماً، اقتُصَّ منه يوم القيامةِ»(٦).

* عن أبي ليلى، قال: خرج سلمان - رضي الله عنه - فإذا علف دابته يتساقط من الآريِّ - مربط الدواب أو معلفها - فقال لخادمه: لولا أنّي أخاف القِصاص - أي في الآخرة - لأوجعتك(٧)!

---

(١) أخرجه البزار في البحر الزخار، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٤٣١) (١٢٧٦/٢-٧).

(٢) صحيح البخاري (٦٠٤٢) (١١٠/٧).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط، انظر: صحيح الجامع (٦٨٩٦) (١١٦١/٢).

(٤) صحيح مسلم (٧٩).

(٥) أخرجه أحمد في المسند، انظر: السلسلة الصحيحة (١٤٢٨) (٤١٤/٣).

(٦) صحيح الأدب المفرد - ص ٨٩ رقم (١٣٧).

(٧) صحيح الأدب المفرد - ص ٨٨ رقم (١٣٤).

٣٧٠ ـ ضرب الوجه:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾ [الإسراء: ٧٠].

٣٧٠ ـ ١ ـ عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليتجنب الوجه»(١). وفي رواية: «فلا يلطِمنَّ الوجهَ».

٣٧٠ ـ ٢ ـ عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: نهى النبي ﷺ عن الوسمِ في الوجه والضربِ في الوجهِ(٢).

٣٧١ ـ الطعن في النسب:

٣٧١ ـ ١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «اثنتانِ في النَّاس هُما بهم كفرٌ الطعن في الأنساب والنِّياحةُ على الميِّتِ»(٣).

٣٧١ ـ ٢ ـ عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لم يدعهنَّ الناس؛ الفخرُ في الأحساب، والطعنُ في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»(٤).

٣٧٢ ـ الطمع فيما في أيدي الناس:

٣٧٢ ـ ٢ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ذئبانِ ضاريانِ في حظيرةٍ يأكُلانِ ويُفسِدانِ؛ بأضرَّ فيهما من حُبِّ الشرفِ وحُبِّ المالِ في دينِ المرءِ المسلم»(٥).

---

(١) صحيح مسلم (٢٦١٢) (١٦٠٠/٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، انظر: صحيح الجامع (٦٩٢٠) (١١٦٥/٢).

(٣) صحيح مسلم (٦٧) (٨١/١).

(٤) صحيح مسلم (٩٣٤) (٥٣٦/٢).

(٥) رواه البزار، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٥٢) (٢٦٨/٣).

٣٧٣ ـ الظلم:

قال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

٣٧٣ ـ ١ ـ عن أبي ذرٍّ ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى، أنهُ قال: «يا عبادي إنِّي حرَّمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلتُهُ بينكم مُحرَّماً فلا تَظالَمُوا ...»(١).

٣٧٣ ـ ٢ ـ عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عزَّ وجلَّ يُملي للظَّالم، فإذا أخذَهُ لم يُفلتهُ». ثمَّ قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]»(٢).

يملي: يمهل ويُؤخِّر ويطيل المدة(٣).

٣٧٣ ـ ٣ ـ عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الظلمَ، فإنَّ الظُلمَ ظُلُماتٌ يوم القيامة، واتقوا الشحَّ، فإن الشحَّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»(٤).

٣٧٣ ـ ٤ ـ عن خزيمة بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلومِ، فإنها تحملُ على الغمام، يقول الله: وعزَّتي وجلالي لأنصرنَّك ولو بعد حينٍ»(٥).

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٧٧) (٤/١٥٨٣).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٨٣) (٤/١٥٨٥).

(٣) المعلم بفوائد مسلم ـ المازري (٣/١٦٦).

(٤) صحيح مسلم (٢٥٧٨) (٤/١٥٨٥).

(٥) رواه البخاري في التاريخ والدولابي والطبراني، انظر: السلسلة الصحيحة (٨٧٠) (٢/٥٥٣).

٣٧٣ ـ ٥ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة»(١).

٣٧٤ ـ ظلم المعاهد:

٣٧٤ ـ ١ ـ عن ثلاثين من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم ـ رضي الله عنهم ـ عن رسول الله ﷺ قال: «ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسٍ فأنا حجيجه يوم القيامة»(٢).

٣٧٥ ـ ظن السوء بالمسلم دون ما يوجبه:

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾** [الحجرات: ١٢]

أي لا تظنوا بأهل الخير سوءاً إن كنتم تعلمون من ظاهر أمرهم الخير(٣).

وقال تعالى: **﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾** [النجم: ٢٨].

٣٧٥ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إيَّاكم والظنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكذب الحديث، ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تنافسوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا»(٤).

٣٧٥ ـ ٢ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نظر رسول الله ﷺ إلى الكعبة، فقال: «مرحباً بكِ من بيت، ما أعظمَكِ وأعظمَ حرمَتكِ! ولَلمؤمنُ أعظمُ حرمةً عند الله منكِ، إنَّ الله حرَّم منكِ واحدةً، وحرَّمَ من المؤمنِ ثلاثاً؛ دمَه ومالَه وأن يُظنَّ به ظنَّ السُّوءِ»(٥).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، انظر: السلسلة الصحيحة (٨٧١) (٢/٥٥٥).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٢٦٢٦) (٢/٥٩٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي (١٦/٢١٧).

(٤) صحيح البخاري (٦٠٦٦) (٧/١١٦).

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٤٢٠) (١٢٤٨/٢-٧).

٣٧٦ ـ عدم رحمة الناس:

٣٧٦ ـ ١ ـ عن جرير بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرحَمُ اللهُ مَن لا يَرحم الناسَ»(١).

٣٧٦ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُنزَعُ الرَّحمةُ إلا مِن شقيٍّ»(٢).

٣٧٦ ـ ٣ ـ عن عمرو بن حبيب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «خاب عبد وخسر لم يجعل اللهُ تعالى في قلبه رحمةً للبشر»(٣).

٣٧٦ ـ ٤ ـ عن جرير ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما يرحمُ الله من عباده الرُّحماء»(٤).

٣٧٦ ـ ٥ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يضع الله رحمته إلا على رحيم». قالوا: كلنا يرحم. قال: «ليس برحمة أحدكم صاحبه، يرحم الناس كافة»(٥).

٣٧٦ ـ ٦ ـ عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه؛ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لن تؤمنوا حتَّى تراحموا». قالوا: يا رسول الله كلُّنا رحيمٌ. قال: «إنَّه ليس رحمة أحدكم صاحبَهُ، ولكنَّها رحمةُ العامَّة»(٦).

٣٧٧ ـ عدم نصرة المظلوم:

٣٧٧ ـ ١ ـ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمرَ بعبد من عبادِ الله أن يضربَ في قبره مائه جلدةٍ، فلم يزل يسألُ ويدعو حتى

(١) صحيح البخاري (٧٣٧٦) (٨/٥٢٠).

(٢) صحيح سنن الترمذي (١٥٦٨) (٢/١٨٠).

(٣) أخرجه الدولابي وابن عساكر في تاريخ دمشق، انظر: السلسلة الصحيحة (٤٥٦) (١/٧٤٠).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: صحيح الجامع (٢٣٨١) (١/٤٦٩) وقال الألباني: حسن.

(٥) أخرجه الحافظ العراقي في الأمالي وابن المبارك في الزهد، انظر: السلسلة الصحيحة (١٦٧) (١/٢٧٠).

(٦) رواه الطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٥٣) (٢/٥٤٨).

صارت -جلدة واحدة، فجُلدَ جلدةً واحدةً، فامتلأ قبرُه عليه ناراً، فلما ارتفع عنه وأفاق قال: على ما جلدتموني؟ قالوا: إنك صليت صلاةً واحدةً بغير طهورٍ، ومررتَ على مظلومٍ فلم تنصرُه»(١).

٣٧٨ ـ العنف في غير وجهه:

قال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٣٧٨ ـ ١ ـ وعنها ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله رفيقٌ يُحبُّ الرِّفقَ، ويُعطي عليهِ ما لا يُعطي على العُنف، وما لا يُعطي على ما سواه»(٢).

٣٧٨ ـ ٢ ـ عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «مَن أعطى حظَّهُ مِن الرِّفقِ فقد أعطى حظَّهُ من الخيرِ، ومن حُرِمَ حظَّهُ من الرفقِ فقد حُرِمَ حظَّهُ من الخير»(٣).

٣٧٨ ـ ٣ ـ عن حارثة بن وهب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أُنبِّئكُم بأهلِ الجنَّة؟ كُلُّ ضعيفٍ مُتضَعِّف، ألا أُنبئكُم بأهل النار؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُستكبِرٍ»(٤).

٣٧٨ ـ ٤ ـ عن معدان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيقٌ يحبُّ الرِّفقَ ويرضاهُ، ويعين عليه ما لا يُعينُ على العنف، فإذا ركبتم هذه الدواب العُجمَ فنزِّلوها منازلها، فإن أجدبت الأرضُ فانجوا عليها؛ فإنَّ الأرض تُطوى بالليل

(١) أخرجه الدولابي في مشكل الآثار، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٧٧٤) (٦٤٠/١-٦).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٩٣) (١٥٩٠/٤).

(٣) صحيح سنن الترمذي (١٦٣٧) (١٩٥/٢).

(٤) صحيح سنن ابن ماجه (٣٣٢٣) (٣٩٥/٢).

ما لا تطوى بالنهار، وإياكم والتعريسَ بالطريق، فإنه طريقُ الدوابِّ، ومأوى الحيَّاتِ»(١).

٣٧٨ ـ ٥ ـ عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ ـ يحبُّ الرفقَ ويرضاهُ، ويعُينُ عليه ما لا يُعينُ على العُنفِ»(٢).

٣٧٩ ـ الغدر:

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً...﴾ [النحل: ٩١].

٣٧٩ ـ ١ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمعَ اللهُ الأولينَ والآخرينَ يومَ القيامةِ، يُرفعُ لكلِّ غادرٍ لواءٌ، فقيل: هذه غدرةُ فُلان ابن فلان»(٣).

٣٧٩ ـ ٢ ـ عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منهم يوم القيامة عدلاً ولا صرفاً»(٤).

٣٧٩ ـ ٣ ـ عن عمرو بن الحمق الخزاعي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أمّن رجلاً على دمه، فقتله فإنه يحمل لواء غدرٍ يوم القيامة»(٥).

٣٧٩ ـ ٤ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اطمأن الرجلُ إلى الرجل، ثمَّ قتلهُ بعدما اطمأن إليه، نُصِبَ لهُ يومَ القيامةِ لواءُ غدرٍ»(٦).

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (١٧٧٠) (٤/٣٦٤، ٢).

(٢) رواه الطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٦٨) (٣/١٦).

(٣) صحيح مسلم (١٧٣٦) (٣/١٠٩٥).

(٤) مسلم (٢/٩٩٨).

(٥) صحيح سنن ابن ماجه (٢١٧٧) (٢/١٠٧).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك، انظر: صحيح الجامع (٣٥٧) (١/١٢٦).

٣٨٠ ـ الغضب بغير سبب :

٣٨٠ ـ ١ ـ عن سليمان بن صرد ـ رضي الله عنه ـ قال : كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبان، فأحدهما احمرَّ وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ : «إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان. ذهب عنه ما يجد». فقالوا: إن النبي ﷺ قال: «تعوذ بالله من الشيطان» فقال: وهل بي جنون؟(١).

٣٨٠ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : «ليس الشديدُ بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»(٢).

٣٨٠ ـ ٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ : أوصني . قال: «لا تغضب» فردَّدَ مراراً، قال: «لا تغضب»(٣).

٣٨٠ ـ ٤ ـ عن ابن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: أنَّه سأل رسولَ الله ﷺ : ما يُباعِدُني من غضبِ الله عز وجل؟ قال : «لا تَغضَب»(٤).

٣٨٠ ـ ٥ ـ عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قالَ رجلٌ لرسول الله ﷺ : دُلَّني على عملٍ يُدخِلُني الجنَّة ؟ قال رسولُ الله ﷺ : «لا تَغضَب، ولك الجنَّة»(٥).

٣٨٠ ـ ٦ ـ عن جارية بن قدامة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله! قل لي قولاً ينفعني الله به. قال ﷺ : «لا تَغضب»(٦).

---

(١) صحيح البخاري (٣٢٨٢) (٦/٣٣٧).

(٢) صحيح البخاري (٦١١٤) (٧/١٣٠).

(٣) صحيح البخاري (٦١١٦) (٧/١٣٠).

(٤) رواه أحمد وابن حبان ، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٤٧) (٣/٤٥).

(٥) رواه الطبراني ، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٤٩) (٣/٤٦).

(٦) رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير وأحمد ، انظر : صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٤٨) (٣/٤٦).

٣٨١ ـ غوائل الجار و بوائقه:

٣٨١ ـ ١ ـ عن أبي شريح ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لا يؤمنُ، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن؛ الذي لا يأمنُ جارُهُ بوائقهُ»(١).

٣٨١ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ من لا يأمنُ جارُه بوائقَه»(٢).

والبائقة هي: الداهية والشيء المهلك والأمر الشديد الذي يوافي بغتة(٣).

٣٨١ ـ ٣ ـ عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أوَّل خَصمينِ يومَ القيامةِ جَارانِ»(٤).

٣٨٢ ـ فتح باب الشر على الناس:

٣٨٢ ـ ١ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِن النَّاسِ مَفاتِيحَ للخير، مغاليقَ للشَّر، وإنَّ من الناسِ مفاتيحَ للشَّرِّ، مغاليق للخير، فطوبى لمن جعلَ اللهُ مفاتيح الخيرِ على يديهِ، وويلٌ لمن جعلَ اللهُ مفاتيح الشرِّ على يديه»(٥).

٣٨٣ ـ الفجور في الخصومة:

٣٨٣ ـ ١ ـ عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خَصلةٌ منهنَّ كانت فيه خَصلةٌ مِن النِّفاقِ حتى يدعها: إذا ائتُمن خان، وإذا حدَّث كذبَ، وإذا عاهَدَ غدَرَ، وإذا خاصَمَ فجرَ»(٦).

(١) صحيح البخاري (٦٠١٦) (٧/١٠٣).
(٢) صحيح مسلم (٤٦) (١/٦٩).
(٣) فتح الباري ـ ابن حجر (١٠/٤٥٧).
(٤) رواه أحمد والطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٥٧) (٢/٦٨١).
(٥) صحيح سنن ابن ماجه (١٩٤) (١/٤٦).
(٦) صحيح البخاري (٣٤) (١/١٧).

٣٨٤ ـ فضيحة المسلم:

٣٨٤ ـ ١ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: قال رسول الله ﷺ: «من سَتَرَ عورَةَ أخيهِ المُسلمِ، سَترَ اللهُ عَورتَهُ يومَ القيامةِ. ومن كشَفَ عورةَ أخيهِ المُسلِمِ، كشفَ اللهُ عَورتَهُ حتَّى يَفضَحَهُ بها في بيتِه»(١).

٣٨٤ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان من دعائه ﷺ: «اللهمَّ إني أعوذُ بك من جارِ السُّوءِ، ومن زوجٍ تشيِّبني قبلَ المشيبِ، ومن ولدٍ يكونُ عليَّ ربّاً، ومن مالٍ يكونُ عليَّ عذاباً، ومن خليلٍ ماكرٍ عينُه تراني، وقلبُه يرعاني؛ إن رأى حسنةً دفنَها، وإذا رأى سيئةً أذاعَها»(٢).

٣٨٥ ـ قطع السِّدر بلا حاجة:

قال تعالى: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

٣٨٥ ـ ١ ـ عن عبد الله بن حبشي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قطع سدرة صَوَّبَ الله رأسهُ في النَّار»(٣).

سئل أبو داود، عن معنى هذا الحديث؟ فقال: هذا حديث مختصر، يعني: من قطع سدرة في فلاة، يستظل بها ابن السبيل والبهائم، عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها، صوب الله رأسه في النار(٤).

وقيل المقصود هو: سدر الحرم.

٣٨٥ ـ ٢ ـ فعن جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار (يعني من سدر الحرم)»(٥).

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة (٢٠٦٣) (٢/٧٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء والديلمي في الفردوس، انظر: السلسلة الصحيحة (٣١٣٧) (٧-١/٣٧٧).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٤٣٦٤) (٣/٩٨٣).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٣/٩٨٤).

(٥) انظر: السلسلة الصحيحة (٦١٤) (٢/١٧٣).

٣٨٦ ـ قطع الطريق على المسلمين:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ...﴾

[المائدة: ٣٣]

٣٨٦ ـ ١ ـ عن معاذ بن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من ضيَّق منزِلاً، أو قطعَ طريقاً، أو آذى مؤمناً، فلا جهادَ له»(١).

٣٨٧ ـ قلة الحياء من الناس:

٣٨٧ ـ ١ ـ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِمَّا أدركَ النَّاسُ من كلامِ النُّبُوَّةِ الأولى؛ إذا لم تَستَحِ فاصنَع ما شئتَ»(٢).

٣٨٨ ـ الكيد بالمسلم والتحريش به في غيبته عند عدوه:

٣٨٨ ـ ١ ـ عن المستورد ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «من أكل بمسلم أكلةً؛ فإن اللهَ يُطعمه مثلها من جهنم، ومن كُسيَ برجل مسلم، فإن الله عزَّ وجلَّ يكسوه من جهنم، ومن قام برجل مسلم مقام رياءٍ وسمعة؛ فإن الله يقوم به مقام رياء وسمعة يوم القيامة»(٣).

(١) أخرجه أحمد في المسند، انظر: صحيح الجامع (٦٣٧٨) (٢/١٠٩٠).
(٢) صحيح البخاري (٦١٢٠) (٧/١٣١).
(٣) صحيح سنن أبي داود (٤٠٨٤) (٣/٩٢٣).

قال ابن القيم: ومعنى الحديث أنه إذا توصل إلى ذلك، وتوسل إليه بأذى أخيه المسلم من كذب عليه أو سُخرية أو همزة أو لمزة أو غيبة، والطعن عليه، والازدراء به والشهادة عليه بالزور، والنيل من عرضه عند عدوه، ونحو ذلك مما يفعله كثير من الناس[1].

قلت: رحمك الله، وهل رأيت حال الكثير منا اليوم؟! يبيعون دينهم بدنيا غيرهم كيداً بالصالحين ومكراً بالدعاة المخلصين وحسداً للعلماء العاملين، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً !! ألا كبرت كلمة تخرج من أفوههم إن يقولون إلا كذباً !!

٣٨٩ ـ اللؤم والمراوغة في معاملة الناس:

قال تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾** [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥].

٣٨٩ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمنُ غِرٌّ كريمٌ، والفاجرُ خِبٌّ لئيم»[2].

٣٩٠ ـ المبادرة بالعقوبة دون تريث:

٣٩٠ ـ ١ ـ عن عباد بن شراحبيل، قال: قدمت مع عمومتي المدينة، فدخلت حائطاً من حيطانها، ففركت من سنبله، فجاء صاحب الحائط، فأخذ كسائي وضربني، فأتيت رسول الله ﷺ أستعدي عليه، فأرسل إلى الرجل، فجاؤوا به، فقال: «ما حَمَلَكَ على هذا» فقال: يا رسول الله! إنه دخل حائطي فأخذ من سنبله، ففركه، فقال رسول الله ﷺ: «ما علَّمتَهُ إذ كان جاهلاً، ولا أطعَمتَهُ إذ كان جائعاً، اردد عليه كِساءه»[3].

---

(١) فتاوى أمام المتقين ـ ابن القيم ص ٢١٨.

(٢) صحيح سنن أبي داود (٤٠٠٦) (٣/٩٠٩).

(٣) صحيح سنن النسائي (٤٩٩٩) (٣/١٠٩٧).

٣٩١ ـ المشاحنة:

٣٩١ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «تُفتح أبوابُ الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكلِ عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناءُ، فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا»(١).

٣٩٢ ـ المعاملة بالمثل في السوء والخطأ:

قال تعالى: **﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾** [فصلت: ٣٤].

٣٩٢ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أدِّ الأمانةَ إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»(٢).

٣٩٢ ـ ٢ ـ عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك»(٣).

٣٩٣ ـ معاملة الناس بما يكره أن يعاملوه به:

قال تعالى: **﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾** [النساء: ٩].

٣٩٣ ـ ١ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٤). وفي رواية «من الخير»(٥).

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٦٥) (٤/١٥٧٧).

(٢) صحيح سنن الترمذي (١٠١٥) (٢/١٩).

(٣) رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في أخبار أصبهان، انظر: السلسلة الصحيحة (٨٩١) (٢/٥٨٢).

(٤) صحيح البخاري (١٣) (١/١١).

(٥) صحيح سنن النسائي (٤٦٤٤) (٣/١٠٣٢).

٣٩٣ ـ ٢ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «... فمن أحبَّ أن يُزحزحَ عن النار ويُدخل الجنَّة، فلتأته منيَّتُه وهو يؤمنُ بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يُحبُّ أن يُؤتى إليه ...»(١).

٣٩٣ ـ ٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب»(٢).

٣٩٣ ـ ٤ ـ عن أبي المنتفق ـ رضي الله عنه ـ قال: أتيت مكة، فسألت عن رسول الله ﷺ؟ فقالوا: هو بعرفة، فأتيته؛ فذهبت أدنو منه فمنعوني، فقال: «اتركوه». فدنوت منه، حتى إذا اختلفت عنق راحلته وعنق راحلتي، فقلت: يا رسول الله !نبئني بما يباعدني من عذاب الله ويدخلني الجنة؟ قال ﷺ: «تعبدُ اللهَ ولا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ المكتوبةَ، وتؤدِّي الزكاةَ المفروضةَ، وتصومُ رمضانَ، وتحجّ وتعتمرُ، وانظر ما تحبُّ من الناسِ أن يأتُوه إليكَ؛ فافعله بهم، وما كرهتَ أن يأتوه إليكَ؛ فذرهم منه»(٣).

٣٩٤ ـ المكر بالمسلم وخداعه:

قال تعالى: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

٣٩٤ ـ ١ ـ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من غشَّنا فليسَ منَّا، والمكرُ والخِداعُ في النارِ»(٤).

---

(١) صحيح مسلم (١٨٤٤) (٣/١١٧١).

(٢) صحيح سنن الترمذي (١٨٧٦) (٢/٢٦٦)، وقال الألباني: حسن.

(٣) أخرجه الدولابي في الكنى، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٥٠٨) (٧-٣/١٤٥٩).

(٤) أخرجه ابن حبان والطبراني وأبو نعيم في الحلية، انظر: السلسلة الصحيحة (١٠٥٨) (٣/٤٨).

٣٩٥ ـ منع الجار غرز خشبته على الجدار المشترك :

٣٩٥ ـ ١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يمنعُ جارٌ جارَهُ أن يغرزَ خَشَبَةً في جداره »(١).

٣٩٦ ـ نشر الأغاني الخليعة والأفلام الخبيثة بين المسلمين :

قال تعالى : **﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾** [النساء: ٢٧].

وقال تعالى : **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾** [لقمان: ٥].

٣٩٦ ـ ١ ـ عن أبي عامر الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « ليكونن من أُمتي أقوام يستحلُّون الحرى والحرير والخمر والمعازف، ولينزلَنَّ أقوام إلى جنب عَلَم، يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم لحاجة، فيقولون : ارجع إلينا غداً، فَيُبَيِّتُهم الله، ويضع العلم، ويمسخ الآخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة »(٢).

٣٩٦ ـ ٢ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة؛ مزمار عند نعمة، ورنَّة عند مصيبة »(٣).

٣٩٦ ـ ٣ ـ عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون في أُمتي قذف، ومسخ، وخسف ».

قيل : يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال : « إذا ظهرت المعازف، وكثرت القيان، وشربت الخمور »(٤).

---

(١) صحيح البخاري (٢٤٦٣) (٣/١٤٣).

(٢) صحيح البخاري (٥٥٩٠) (٦/٦٠١).

(٣) تحريم آلات الطرب ـ الألباني ص٥٠ .

(٤) تحريم آلات الطرب ـ الألباني ص ٦٨

٣٩٦ ـ ٤ ـ عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلّ بيع المغنيات، ولا شراؤهنّ، ولا تجارة فيهنّ، وثمنهنّ حرام ـ وقال: ـ إنما نزلت هذه الآية في ذلك: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٥]. حتّى فرغ من الآية»(١).

٣٩٧ ـ نقض العهد:

قال تعالى: ﴿... وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤].

٣٩٧ ـ ١ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم، وما ظهرت فاحشة في قوم قط إلا سلط الله عز وجل عليهم الموت، ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر»(٢).

٣٩٨ ـ هجران المسلم وقطع العلاقة به:

٣٩٨ ـ ١ ـ عن أبي أيوب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَحلُّ لِمُسلمٍ أن يَهجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ، يلتَقيانِ فَيَصُدُّ هذا ويَصُدُّ هذا، وخَيرُهُما الذي يَبدَأُ بالسَّلامِ»(٣).

٣٩٨ ـ ٢ ـ عن أبي خراش السلمي ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَن هجرَ أخاه سنة فهو كسفك دمه»(٤).

٣٩٨ ـ ٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار»(٥).

---

(١) تحريم آلات الطرب ص ٦٨ .

(٢) أخرجه الحاكم والبيهقي ، انظر :السلسلة الصحيحة (١٠٧) (١٦٩/١).

(٣) صحيح البخاري (٦٢٣٧) (١٦٦/٧).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٤١٠٧) (٩٢٨/٣).

(٥) صحيح سنن أبي داود (٤١٠٦) (٩٢٨/٣).

٣٩٨ - ٤ - عن هشام بن عامر الأنصاري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «لا يحل لمسلم أن يصارم مسلماً فوق ثلاث، فإنهما ناكبان عن الحق ما داما على صرامهما، وإن أولهما فيئاً يكون كفارته عند سبقه بالفيء، وإن ماتا على صِرامهما لم يدخلا الجنة جميعاً أبداً، وإن سلَّم عليه فأبى أن يقبل تسليمه وسلامه، رد عليه الملك ورد على الآخر الشيطان»(١).

٣٩٨ - ٥ - عن فضالة بن عبيد - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «من هَجَرَ أخاه فوقَ ثلاثٍ فهو في النارِ إلا أن يتداركَهُ الله برحمته»(٢).

٣٩٨ - ٦ - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنَّ رجلينِ دخلا في الإسلامِ فاهتجرا، لكانَ أحدُهما خارجاً من الإسلامِ حتَّى يرجعَ»(٣) يعني: الظالم.

فإذا حاول المسلم إصلاح ما بينه وبين أخيه وألقى السلام عليه، ثم صدَّ ذلك عنه وندَّ عن الرد عليه، فلا يهولنَّه ذلك فقد برئت ذمته وباء بالإثم من جفاه.

٣٩٨ - ٧ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة، فإذا لقيه سلّم عليه ثلاث مرارٍ كلُّ ذلك لا يرُدُّ عليه، فقد باء بإثمِه»(٤).

وما من قطيعة تكون إلا كانت بسبب الذنوب والتقصير في حقِّ علام الغيوب.

٣٩٨ - ٨ - عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما توادَّ اثنانِ في الله فيفرَّقُ بينهما إلا بذنبٍ يُحدثهُ أحدهما»(٥).

---

(١) صحيح الأدب المفرد - ص ١٥٨ رقم (٣١١).

(٢) رواه الطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٦١) (٣/٥١).

(٣) أخرجه البزار في مسنده، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٢٩٤) (٧-٢/٨٦٧).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٤١٠٥) (٣/٩٢٨).

(٥) أخرجه أحمد في المسند وأبو نعيم في الحلية، انظر: السلسلة الصحيحة (٦٣٧) (٢/٢٣٣).

٣٩٩ ـ وضع الأخيار ورفع الأشرار:

٣٩٩ ـ ١ ـ عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتراب وفي رواية: أشراط الساعة أن ترفع الأشرارُ، وتوضع الأخيارُ، ويُفتح القولُ، ويُخزن العملُ، ويقرأُ بالقومِ المَثناةُ، ليس فيهم أحدٌ ينكرها. قيل: وما المثناةُ؟ قال: «ما استُكتِبَ سوى كتابِ الله عزَّ وجلَّ»(١).

٣٩٩ ـ ٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسُ محمد بيده، لا تقومُ السَّاعةُ حتّى يظهرَ الفُحشُ والبُخلُ، ويُخَوَّنُ الأمينُ، ويُؤتمنُ الخائنُ، ويهلِكَ الوعولُ، وتظهرَ التُّحوتُ». قالوا: يا رسول الله! وما الوعولُ والتُّحوت؟ قال: «الوعُولُ: وجوهُ الناسِ وأشرافُهم، والتُّحوتُ الذين كانوا تحتَ أقدام الناسِ لا يُعلمُ بهم»(٢).

٤٠٠ ـ وضع الأذى في الطريق وأذية المارين به:

٤٠٠ ـ ١ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إياكم والجلوس في الطرقات». قالوا: يا رسول الله! ما لنا بُدٌّ من مجالسنا نتحدث فيها. فقال رسول الله: «أما إذا أبيتم فأعطوا الطريق حقه». قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «غض البصر، وكفّ الأذى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»(٣).

٤٠٠ ـ ١ ـ عن حذيفة بن أسيد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من آذى المسلمين في طُرقهم وجبت عليه لعنتُهم»(٤).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٨٢١) (٦-٢/٧٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ والحاكم والطبراني في الأوسط، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٢١١) (٧-١/٦٣٩).

(٣) صحيح البخاري (٦٢٢٩) (٧/١٦٤).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في أخبار أصبهان، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٢٩٤) (٥/٣٧٢).



خاتمة الفصل

فهذا ما يسَّر الله جمعه في هذا الفصل الذي جمع ووعى كثيراً من المحرمات والمنهيات والمكروهات والمخالفات، وما ينبغي للمسلم الحذر منه والبعد عنه، والتورع فيه، وترك ما فيه بأس إلى ما ليس فيه .

والذي ينبغي عليك ـ أخي المسلم ـ أن تعمل بما تعلم، فقد عرفتَ ؛ فالزم، وقل : آمنت بالله، ثم استقم!

ومن اجترح خطيئة، أو ألمَّ بذنب، أو أحدث أذى، فالواجب عليه أن يتخفَّفَ من أحماله، ويتقلَّل من أثقاله، قبل أن يأتي بها فوق ظهره كأمثال الجبال، أو تأتي في ديوان أعماله وميزان أفعاله، ولو كانت كالذرِّ الصغير والخردل الحقير، فالدواوين منشورة، والموازين منصوبة، والخطوات والخطرات مكتوبة، وإلى الله تصير الأمور، وبين يديه يجتمع الخصوم .

قال تعالى : ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية : ٢٥ – ٢٦] .

وحقوق العباد مبنيَّة على المشاحّة فيما بينهم، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «الظلمُ ثلاثةٌ، فظلمٌ لا يتركه اللهُ، وظلمٌ يُغفر، وظلمٌ لا يغفر، فأمّا الظلمُ الذي لا يُغفر، فالشرك لا يغفره الله، وأما الظلمُ الذي يُغفر، فظلم العبد فيما بينه وبين ربِّه، وأما الظلم الذي لا يُترَك، فظلمُ العباد، فيقتص الله بعضهم من بعض»(١) .

وردُّ الحقوق هنا أيسر من ردِّها هناك، حيث لا فكاك . . لا فِكاك!

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ، انظر : السلسلة الصحيحة (١٩٢٧) (٤/٥٦٠) .

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَتُؤدُّنَّ الحقوقَ إلى أهلها يوم القيامة، حتَّى يُقادَ للشاةِ الجلحاءِ من الشاة القرناء»(١).

وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقضى الله بين خلقِه الجنِّ والإنسِ والبهائم، وإنَّه ليَقيدُ يومئذ الجماء من القرناء، حتى إذا لم يبق تبعة عند واحدة لأخرى، قال الله: كونوا تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: **﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾**»(٢).

فلنبادر بردِّ الحقوق إلى أهلها، وإرجاع المظالم إلى أصحابها، ولنسعَ في التسامح والتصالح قبل أن تذهب الدنانير والدراهم، ويكون القصاص من الحسنات، أغلى كنوز العبد في يوم القيامة ...

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحللهُ منها، فإنه ليس ثمَّ دينارٌ ولا درهم مِن قبلِ أن يؤخذ لأخيهِ من حسناتِه، فإن لم يكن لهُ حسناتٌ أُخذ مِن سيِّئاتِ أخيهِ فطرحت عليهِ»(٣).

وعن عبد الله بن أُنيس ـ رضي الله عنه ـ أنّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «يحشُر الله العبادَ يوم القيامة عُراةً غُرلاً بُهماً». قال: قلنا: وما بُهماً؟ قال ﷺ: «ليس معهم شيءٌ، ثُمَّ يناديهم بصوتٍ يسمعُه مَن بعدَ كما يسمعُه من قَرُب: أنا الديَّان، أنا الملك، لا ينبغي لأحدٍ من أهل النار أن يدخل النار وله عندَ أحدٍ من أهل الجنَّة حقٌّ؛ حتى أَقُصَّهُ منه، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنة أن يدخلَ الجنّة ولأحدٍ من أهل النار عنده حقٌّ حتى أقُصَّه منه، حتى اللَّطمَةَ».

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٨٢) (٤/١٥٨٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره ، انظر: السلسلة الصحيحة (١٩٦٦) (٤/٦٠٦).

(٣) صحيح البخاري (٦٥٣٤) (٧/٢٥٢).

قال: قلنا: كيفَ، وإنما نأتي عراةً غُرلاً بُهماً؟! قال ﷺ: «الحسناتُ والسيِّئات»(١).

فالآن ..الآن، قبل فوات الأوان!

فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رجلاً قعد بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إنَّ لي مملوكين؛ يكذبونني، ويخونونني، ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟ فقال ﷺ: «يُحسَبُ ما خَانُوكَ وعصَوكَ وكذَّبوكَ، وعقَابُكَ إيَّاهم، فإن كان عقابك إيَّاهم بقدرِ ذُنُوبهم كان كفافاً لا لكَ ولا عليكَ، وإن كان عِقابُك إياهُم دونَ ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابُك إيَّاهُم فوقَ ذُنُوبهم اقتُصَّ لهم منكَ الفضلُ».

قال: فتنحى الرجل، فجعل يبكي ويهتف، فقال رسول الله ﷺ أما تقرأ كتابَ الله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فقال الرجل: والله! يا رسول الله، ما أجد لي ولهم شيئاً خيراً من مفارقتهم، أشهدك أنهم أحرار كلهم(٢).

ومن وقع عليه شيء من الأذى فليحسن الظنَّ بأخيه المسلم، ويلتمس له الأعذار، وليقبل منه الإعتذار، وليغفر لمن آذاه، ويسامح من تعدَّى عليه، لتُسلَّ سخائم النفوس، وتعالج أدواء القلوب، وتُمحى عظائم الذنوب ..

قال الله تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

---

(١) رواه أحمد في المسند، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٠٨) (٣/٤٢٧).

(٢) صحيح سنن الترمذي (٢٥٣١) (٣/٧٧).

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّه..﴾ [الشورى: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مالٍ، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحدٌ لله إلاّ رفعهُ اللهُ»(١).

وعن جرير ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لا يَرحم لا يُرحم، ومن لا يغفِر لا يُغفر له، ومن لا يتب لا يُتب عليه»(٢).

وعن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجلٍ يُجرحُ في جسدهِ جِراحةً، فيتصدَّقُ بها، إلاّ كفَّر الله عنه مثلَ ما تصدَّقَ به»(٣).

وعن رجلٍ من أصحابِ رسول الله ﷺ عن النبيِ ﷺ قال: «مَن أُصيبَ بشيءٍ في جسده، فتركَهُ لله عزَّ وجلَّ؛ كان كفَّارةً له»(٤).

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ النبي ﷺ قال: «ارحموا تُرحموا، واغفِرُوا يُغفَر لكُم»(٥).

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى عفُو يُحبُّ العفوَ»(٦).

أفلا نحبُّ ما أحبَّ الله؟! بلى، والله!

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٨٨) (٤/١٥٨٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (٤٨٣) (١/٧٩٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٢٧٣) (٥/٣٤٣).

(٤) رواه أحمد، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٦١) (٢/٦٤٠).

(٥) رواه أحمد، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٦٥) (٢/٦٤١).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك، انظر: صحيح الجامع (١٧٧٩) (١/٣٦٦).

فاللهَ أسأل أن يتجاوز عنَّا، ويتقبل منَّا، ويجعلنا في عباده الصالحين، وأن يسلك بنا سبيل المتَّقين، وأن يختم لنا بالعاقبة الحُسنى والمردِّ الجميل، وأن يغفر لمن آذانا أو آذيناه، ويسامح من تعدَّى علينا أو تعدَّينا عليه، ويتجاوز عمَّن أساء إلينا أو أسأنا إليه، وأن يغفر لآبائنا وأمهاتنا وزوجاتنا وذرياتنا وجميع قرابتنا والمسلمين أجمعين، إن ربنا على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على النبي الأمِّي محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً !!

* * * * *





الرسول محمد ﷺ

الجزء الثاني

الفصل الثالث
فاستبقوا الخيرات



ما أحلى الجوائز وما أغلاها عندما تكون من الله ربنا . .

تعم فوائدها في حياتنا الدنيا ، وتدوم فوائدها إلى الأبد . .

وقد ذكرت هنا جائزتين جائزتين . . وليس ذلك حصراً للجوائز ، ولكن لإلقاء الضوء على هذا الأمر العظيم الفائدة . .

فالفرق بين المؤمنين وغيرهم هو الرغبة فيما عند الله . .

فاللهم أعطنا ولا تحرمنا . . آمين .

ولسوف تنطلق من هذه الجوائز إلى جوائز أخرى لا تنتهي :

١ ـ عندما نتوضأ :

عندما نتوضأ فإن الله تعالى يعطينا جائزتين؛

الجائزة الأولى : يغفر لنا جميع ما تقدم من الذنوب .

والجائزة الثانية : يفتح لنا أبواب الجنة الثمانية .

قال رسول الله ﷺ : « من توضأ هكذا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه » .

وقال ﷺ : « ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل مِن أيها شاء »[١] .

٢ ـ عندما نحبب الناس في الدين ، فإن الله تعالى يعطينا جائزتين :

الجائزة الأولى : يفتح لنا سبل الخيرات .

والجائزة الثانية : ينجينا من مهالك الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

---

(١) رواهما مسلم .

وقال الله تعالى: ﴿تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف:١٠].

٣ ـ وعندما نقرأ آية الكرسي بعد كل صلاة، فإننا نحصل على جائزتين:

الجائزة الأولى: أن الله تعالى يحفظنا طول الحياة.

والجائزة الثانية: لا يكون بيننا وبين الجنة إلا لقاء الله.

ففي الحديث: «يجير الإنس من الجن آية الكرسي»(١).

وقال رسول الله: «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت»(٢).

٤ ـ برّ الوالدين وصلة الرحم:

وعندما نبر الوالدين ونصل الرحم، فإن الله تعالى يعطينا جائزتين؛ الجائزة الأولى: يبسط لنا في أرزاقنا

والجائزة الثانية: ينسأ لنا في أعمارنا

قال ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»(٣).

٥ ـ حسن معاملة الأهل:

عندما نحسن معاملة أبنائنا وتربيتهم؛ فإننا نحصل على جائزتين.

الأولى: تطيب حياتنا وحياة أبنائنا.

والثانية: تستمر حسناتنا بعد مماتنا.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧]

---

(١) الصحيحة ٣٢٤٥.

(٢) الصحيحة ٩٧٢.

(٣) البخاري.

وقال رسول الله ﷺ : «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ؛ صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له»(١).

٦ ـ وعندما نرفق بأهلنا ؛ فإن الله تعالى يعطينا جائزتين:

الجائزة الأولى : نكون من خير الناس

والجائزة الثانية : تمتلئ حياتنا بالخيرات

قال رسول الله ﷺ : «خيركم خيركم لأهله»(٢).

وقال ﷺ : «إن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق»(٣).

٧ ـ حجاب المرأة :

المرأة التي تحتجب من دون محارمها ، فإن الله تعالى يعطيها جائزتين.

الجائزة الأولى : تكون من خير النساء

والجائزة الثانية : تُعرف بالعفة والمهابة

قال : «خير صفوف النساء آخرها»(٤).

وقال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾**

[الأحزاب: ٥٩]

٨ - الودود، العؤود على زوجها :

الزوجة المحبة لزوجها، والتي هي سكنٌ ودواءُ له تفوز بجائزتين:

(١) صحيح مسلم.

(٢) ابن حبان، الصحيحة ٢٨٥ .

(٣) الصحيحة ٥٢٣ .

(٤) صحيح مسلم.

الجائزة الأولى: تطيب حياتها وحياة بيتها في الدنيا.

والجائزة الثانية: يكون عملها هذا بإيمانها سبب نعيمها في الجنة.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «ونساؤكم من أهل الجنة الودود الولود العؤود على زوجها التي إذا آذت أو أوذيت جاءت حتى تأخذ بيد زوجها ثم تقول: والله لا أذوق غمضاً حتى ترضى»(١). فلا تنام إلا وزوجها راضٍ عنها.

٩ ـ الصلوات المكتوبات:

عندما نحافظ على الصلوات المكتوبات فإننا نحصل على جائزتين.

الجائزة الأولى: أن الله تعالى ينجينا من الحريق..

والجائزة الثانية: يكون لنا عهد عند الله أن يدخلنا الجنة..

قال رسول الله ﷺ: «تحترقون تحترقون فإذا صليتم الفجر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد في اليوم والليلة فمن أتى بهن لم ينتقص من حقهن شيئًا للقادرين، كان حقًا على الله عز وجل أن يدخله الجنة»(٣).

---

(١) السلسلة الصحيحة ٢٨٧.

(٢) صحيح الترغيب.

(٣) المسند ج١ ص١٩٢، الصحيحة ٩٦٧.

١٠ ـ وعندما نقوم بالتسبيحات بعد الصلوات فإننا نحصل على جائزتين.

الجائزة الأولى: لا نخيب في حياتنا أبداً.

والجائزة الثانية: لا يكون أحد أفضل منا إلا من يصنع مثلنا.

قال رسول الله ﷺ: «معقبات لا يخيب قائلهن أو فاعلهن دبر كل صلاة مكتوبة ثلاث وثلاثون تسبيحة وثلاث وثلاثون تحميدة وأربع وثلاثون تكبيرة»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «أفلا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة»(٢).

١١ ـ وعندما نقول: سبحان الله وبحمده مئة مرة؛ فإن الله تعالى يعطينا جائزتين.

الجائزة الأولى: يغفر لنا ما تقدم من الذنوب ولو كانت مثل زبد البحر.

والجائزة الثانية: يغرس لنا مئة شجرة في الجنة..

قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة»(٤).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) أخرجه الطبراني،الصحيحة ٦٤ .

١٢ ـ من صلى الضحى أربع ركعات ، فإن الله تعالى يعطيه جائزتين:

الأولى : كفاه الله حتى آخر النهار.

الثانية : كان أجره كأجر المعتمر.

قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل: ابن آدم صل لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره »(١).

وقال الرسول ﷺ : « من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة؛ فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه، فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على إثر الصلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين »(٢).

فائدة في صلاة التوبة :

قال الرسول ﷺ : « ما من رجل يذنب ذنباً ، ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ، ثم يستغفر الله إلا غفر الله له »(٣).

١٣ ـ الدعاء في كل شيء :

عندما ندعو الله في كل شيء، فإننا نحصل على جائزتين :

الجائزة الأولى : يكون كل شيء في حياتنا عبادة .

والجائزة الثانية : لا نتعب في أي شيء .

قال رسول الله ﷺ : « الدعاء هو العبادة »(٤).

وقال الله تعالى : ﴿وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم:٤].

---

(١) صحيح الترغيب.

(٢) صحيح الترغيب.

(٣) صحيح الترغيب.

(٤) رواه أحمد بإسناد صحيح.

١٤ ـ ذكر الله دائماً :

عندما نذكر الله دائماً ؛ فنتكلم عن الله في الناس،ونتكلم مع الله في نفوسنا، فإننا نحصل على جائزتين:

الجائزة الأولى : نكون من أقوى الناس وأحسنهم؛ لأن الله تعالى يكون معنا . .

والجائزة الثانية : نتشرف بذكر الله لنا .

قال الله عز وجل في الحديث القدسي : « وأنا معه إذا ذكرني »(٢) . [رواه البخاري]

وقال الله تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢] .

١٥ ـ وعندما نكثر من الصلاة على النبي ﷺ فإن الله تعالى يعطينا جائزتين :

الجائزة الأولى : أن الله تعالى يكفينا ما أهمنا.

والجائزة الثانية : أن الله تعالى يغفر لنا ذنوبنا .

ففي الحديث : عن كعب رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال : « ما شئت » . قال : قلت : الربع . قال : « ما شئت فإن زدت فهو خير لك » . قلت : النصف . قال : « ما شئت فإن زدت فهو خير لك » . قال : قلت فالثلثين. قال : « ما شئت فإن زدت فهو خير لك » . قلت : أجعل لك صلاتي كلها . قال : « إذاً تكفى همك ويغفر لك ذنبك »(١) .

١٦ ـ طلب العلم :

عندما نستمر في تعلم أمور ديننا ، فإن الله تعالى يعطينا جائزتين :

الجائزة الأولى : نكون على سبيل النجاة دائماً .

والجائزة الثانية : أن الله تعالى يسهل لنا طريقاً إلى الجنة .

---

(١) صحيح الترغيب .

عن علي رضي الله عنه قال: الناس ثلاث؛ عالم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعقٍ، يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم. «كنز العمال».

وقال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»(١).

١٧ ـ عندما نؤدي الزكاة فإننا نحصل على جائزتين.

الجائزة الأولى: تكون برهاناً ودليلاً على الإيمان.

والجائزة الثانية: تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار.

قال رسول الله ﷺ: «والصدقة برهان»(٢).

وقال ﷺ: «والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار»(٣).

فائدة:

قال رسول الله ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله، إلا سلط عليهم

(١) أخرجه الترمذي في سننه، وصححه الألباني ٢٦٨٢.

(٢) رواه مسلم.

(٣) سنن ابن ماجه، الصحيحة ٣٩٧٣.

عدواً من غيرهم، فيأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم»[1].

١٨ ـ من تصدق بعدل تمرة ، من كسب طيب ، فإنه يحصل على جائزتين

الأولى: أن الله تعالى يقبلها بيمينه.

الثانية: أن الله تعالى يربيها له حتى تكون مثل الجبل .

قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل»[2].

١٩ ـ من يستغني عن سؤال الناس، فإنه يحصل على جائزتين:

الأولى: يغنيه الله .

الثانية: تضمن له النبي ﷺ بالجنة .

قال رسول الله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، ومن يستعف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئاً؛ أتكفل له الجنة»[4]. وعند ابن ماجه قال: «لا تسأل الناس شيئاً». قال: فكان ثوبان يقع سوطه وهو راكب، فلا يقول لأحد: ناولنيه. حتى ينزل فيأخذه .

---

(١) صحيح الترغيب.

(٢) البخاري.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد والنسائي بإسناد صحيح.

فوائد عظيمة :

- «من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله، فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل»(١).

- «ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس»(٢).

- «أيما رجل أتاه ابن عمه يسأله من فضله فمنعه ، منعه الله فضله يوم القيامة»(٣).

٢٠ ـ عندما يهل علينا رمضان ، فإن الله تعالى يعطينا جائزتين :

الجائزة الأولى : يفتح الله أبواب الجنة .

والجائزة الثانية : تُغلق أبواب النيران .

قال رسول الله ﷺ : «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين»(٤).

٢١ - ومن صام شهر رمضان ، فإنه يحصل على جائزتين :

الأولى : له في كل يوم دعوة مستجابة .

الثانية : يدخل الجنة من باب الريان .

قال النبي ﷺ : «إن لله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة ـ يعني في رمضان ـ وإن لكل مسلم في كل يوم دعوة مستجابة»(٥).

---

(١) صحيح الترغيب .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) صحيح الترغيب .

(٤) البخاري .

(٥) صحيح الترغيب .

وقال رسول الله ﷺ : «إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، ولا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد»(١).

فوائد عظيمة :

- «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً ، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»(٢).

- «من صام رمضان، ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»(٣).

- سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة؟ فقال: «يكفر السنة الماضية والباقية»(٤).

- وسُئل ﷺ عن صيام يوم عاشوراء، فقال: «يكفر السنة الماضية»(٥).

- «من صام من كل شهر ثلاثة أيام ، فذلك صيام الدهر»(٦).

- «ليس الصيام من الأكل والشرب ، إنما الصيام من اللغو والرفث ، فإن سابك أحد أو جهل عليك، فقل: إني صائم، إني صائم»(٧).

٢٢ ـ وعندما نتابع بين الحج والعمرة ، فإننا نحصل على جائزتين:

الجائزة الأولى : أن الله تعالى ينفي عنا الفقر إلى الأبد .

والجائزة الثانية : كذلك ينفي عنا الذنوب.

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه مسلم.

(٦) صحيح الترغيب.

(٧) صحيح الترغيب.

قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد»(١).

٢٣ ـ وعندما نشرب من ماء زمزم فإننا نحصل على جائزتين:

الجائزة الأولى: شفاءً من الأسقام.

والجائزة الثانية: تحقيق ما نتمناه حين نشربها.

قال رسول الله ﷺ: «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم؛ فيه طعام طعم وشفاء سقم»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شُرب له»(٣).

فائدة: قال رسول الله ﷺ: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كان له أجر بكل نفس مؤمنة»(٤). وزاد في «كنز العمال»:

«ويكونوا لك شفعاء يوم القيامة».

٢٤ ـ وعندما نتحاب في الله، ونتجالس ونتزاور في الله، فإننا نحصل على جائزتين:

الجائزة الأولى: وجبت لنا محبة الله.

والجائزة الثانية: نكون في ظل الله يوم القيامة.

قال الله عز وجل في الحديث القدسي: «وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ»(٥). وقال: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»(٦).

(١) سنن النسائي والترمذي، وصححه الألباني ١٢٠٠.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦٩.

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة ١١٢٣.

(٤) الصحيحة ٦٠٢٦.

(٥) الصحيحة ٤٣٣١.

(٦) رواه مسلم.

٢٥ ـ مَن يسّر على معسر ، فإنه يحصل على جائزتين:

الأولى: أن الله تعالى ينجيه من كرب يوم القيامة .

الثانية: له في كل يوم صدقة، فإذا حل الدَّين له في كل يوم صدقتان.

قال رسول الله ﷺ : «من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة، فلينفس عن معسر أو يضع عنه »(١).

وقال النبي ﷺ : «من أنظر معسراً، فله كل يوم صدقة قبل أن يحل الدَّين، فإذا حل الدَّين فأنظره بعد ذلك فله كل يوم مثليه صدقة»(٢).

فائدة عظيمة :

قال النبي ﷺ : «إنما الدنيا لأربعة نفر؛ عبد رزقه الله مالاً وعلماً ، فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان. فهو بنيته، فأجرهما سواء. وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً يخبط في ماله بغير علم، ولا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان. فهو ونيته، فوزرهما سواء»(٣).

٢٦- عندما نصلى أربعين يومًا في جماعة مع التكبيرة الأولى، فإن الله تعالى يعطينا جائزتين:

الجائزة الأولى: براءة من النار.

الجائزة الثانية: براءة من النفاق.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح الترغيب.

(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

قال رسول الله ﷺ : «من صلى أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى، كتب له براءتان؛ براءة من النار وبراءة من النفاق»(١).

٢٧ ـ من أتى صلاة الجماعة فلم يدركها، فإن الله تعالى يعطيه جائزتين:

الجائزة الأولى: يعطيه مثل أجر من صلاها وحضرها.

الجائزة الثانية: غفر له كمن صلاها .

قال رسول الله ﷺ : «من توضأ فأحسن وضوءه ثم راح فوجد الناس قد صلوا، أعطاه الله مثل أجر من صلاها وحضرها، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»(٢).

٢٨- من صلى العشاء والصبح في جماعة، فإنه يحصل على جائزتين:

الجائزة الأولى: كأنما صلى الليل كله.

الجائزة الثاني: نجا من سوء الظن.

قال رسول الله ﷺ : «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله»(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا إذا فقدنا الرجل في الفجر والعشاء أسأنا به الظن»(٤).

٢٩ ـ من صلى الصبح في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، يعطيه الله جائزتين:

الجائزة الأولى: كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة.

الجائزة الثانية: أحب من عتق أربعة من ولد إسماعيل.

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو داود والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

(٣) صحيح مسلم.

(٤) صحيح الترغيب.

قال رسول الله ﷺ: «من صلى الصبح في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كان له كأجر حجة وعمرة، تامة تامة تامة»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس، أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل»(٢).

فائدة:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وإنه كاد أن يبطئ بهن، فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن. فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم. فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يُخسف بي أو أُعذب. فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ، وقعدوا على الشُّرف، فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن:

أولاهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال: هذه داري وهذا عملي، فاعمل وأد إلي. فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟

وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا؛ فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت.

وأمركم بالصيام؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صُرةٌ فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

---

(١) صحيح الترغيب.

(٢) صحيح الترغيب.

وأمركم بالصدقة ؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلى عُنُقه، وقدموه ليضربوا عنقه ، فقال :أنا أفدي نفسي منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم .

وأمركم أن تذكروا الله ، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً، حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم ، كذلك العبدُ لا يُحرِزُ نفسه من الشيطان إلا بذكر الله » .

قال النبي ﷺ : « وأنا آمرُكم بخمس، أمرني الله بهن؛ السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة؛ فإنه من فارق الجماعة قيد شبرٍ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، إلا أن يراجع ، ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثا جهنم » .

فقال رجل: يا رسول الله : إن صلى وصام؟ فقال: « وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله التي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله »(١) .

٣٠ ـ من صلى النافلة في البيت ، أعطاه الله جائزتين:

الجائزة الأولى: جعل الله في بيته خيراً

الجائزة الثانية: فاز بيته بنعمة الحياة.

قال رسول الله ﷺ : «إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيباً من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيراً »(٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت »(٣) .

---

(١) صحيح الترغيب.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

٣١ ـ من بات طاهراً متوضئاً ، فإنه يحصل على جائزتين:

الجائزة الأولى: وكّل الله به ملكاً يدعو له بالمغفرة .

الجائزة الثانية: ما سأل الله شيئاً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه.

قال رسول الله ﷺ : «من بات طاهراً بات في شعاره ملكٌ، فلا يستيقظ إلا قال الملكُ: اللهم اغفر لعبدك فلان؛ فإنه بات طاهراً»(١) .

وقال رسول الله ﷺ : «ما من مسلم يبيت طاهراً فيتعار من الليل، فيسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة؛ إلا أعطاه الله إياه»(٢) .

٣٢ ـ من قرأ آية الكرسي قبل نومه حتى يختم تمامها، فإنه يحصل على جائزتين:

الجائزة الأولى: لا يزال عليه من الله حافظ .

الجائزة الثانية: لا يقربه شيطان حتى يصبح.

كما بالحديث الطويل عن أبي هريرة رضي الله عنه: « ... إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي حتى تختم آخرها ، فلا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح »(٣) .

٣٣ ـ من قام الليل وأيقظ أهله ، فإن الله سبحانه يعطيهم جائزتين:

الجائزة الأولى: أن الله تعالى يتفضل عليهم برحمته.

الجائزة الثانية: أن يكتبهم الله من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات .

---

(١) صحيح الترغيب.

(٢) صحيح الترغيب.

(٣) صحيح البخاري.

قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا، أو صلى ركعتين جميعًا، كتبا في الذاكرين والذاكرات»(٢).

٣٤ ـ هدية صلاة التسابيح:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال الرسول ﷺ للعباس بن عبد المطلب: «يا عباس يا عماه ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك ، ألا أفعل لك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله ذنبك أوله وآخره ، وقديمه وحديثه ، وخطأه وعمده ، وصغيره وكبيره ، وسره وعلانيته ؟ عشر خصال ؛ أن تصلي أربع ركعات ، تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة ، فإذا فرغت من القراءة في كل أول ركعة فقل وأنت قائم: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشراً ، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً، ثم تهوي ساجداً فتقولها وأنت ساجد عشراً، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً، ثم تسجد فتقولها عشراً، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات ، إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل ، فإن لم تستطع ففي كل جمعة مرة ، فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة ، فإن لم تفعل ففي عمرك مرة»(٣).

---

(١) صحيح الترغيب.

(٢) صحيح الترغيب.

(٣) صحيح الترغيب.

٣٥ ـ من اغتسل يوم الجمعة وخرج مبكراً ماشياً واستمع وأنصت، فإنه يحصل على جائزتين:

الأولى: كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها.

والثانية: حرمه الله على النار.

قال رسول الله ﷺ: «من غسل يوم الجمعة واغتسل، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام، فاستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة، وأجر صيامها وقيامها»(١).

وعن يزيد بن أبي مريم قال: لحقني عبادة بن رفاعة بن رافع وأنا أمشي إلى الجمعة، فقال: أبشر. فإن خطاك هذه في سبيل الله. وقال رسول الله ﷺ: «من اغبرت قدماه في سبيل الله؛ فهما حرام على النار»(٢).

٣٦ ـ عندما نقرأ سورة الكهف يوم الجمعة، فإننا نحصل على جائزتين..

الأولى: أضاء لنا من النور ما بين الجمعتين.

الثانية: أضاء لنا من النور بيننا وبين البيت العتيق.

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة؛ أضاء له من النور ما بين الجمعتين»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة، أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق»(٤).

---

(١) صحيح الترغيب.

(٢) صحيح الترغيب.

(٣) صحيح الترغيب.

(٤) صحيح الترغيب.

خاتمة

قال رسول الله ﷺ: «من قال إذا أصبح، رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً. فأنا الزعيم لآخذن بيده حتى أدخله الجنة»[1].

* * * * *

(١) رواه الطبراني بإسناد حسن.



الرسول محمد ﷺ

الجزء الثاني

فهـــرس
الموضـوعات



الفهــــرس

الفصل الثاني

الفصل الثالث